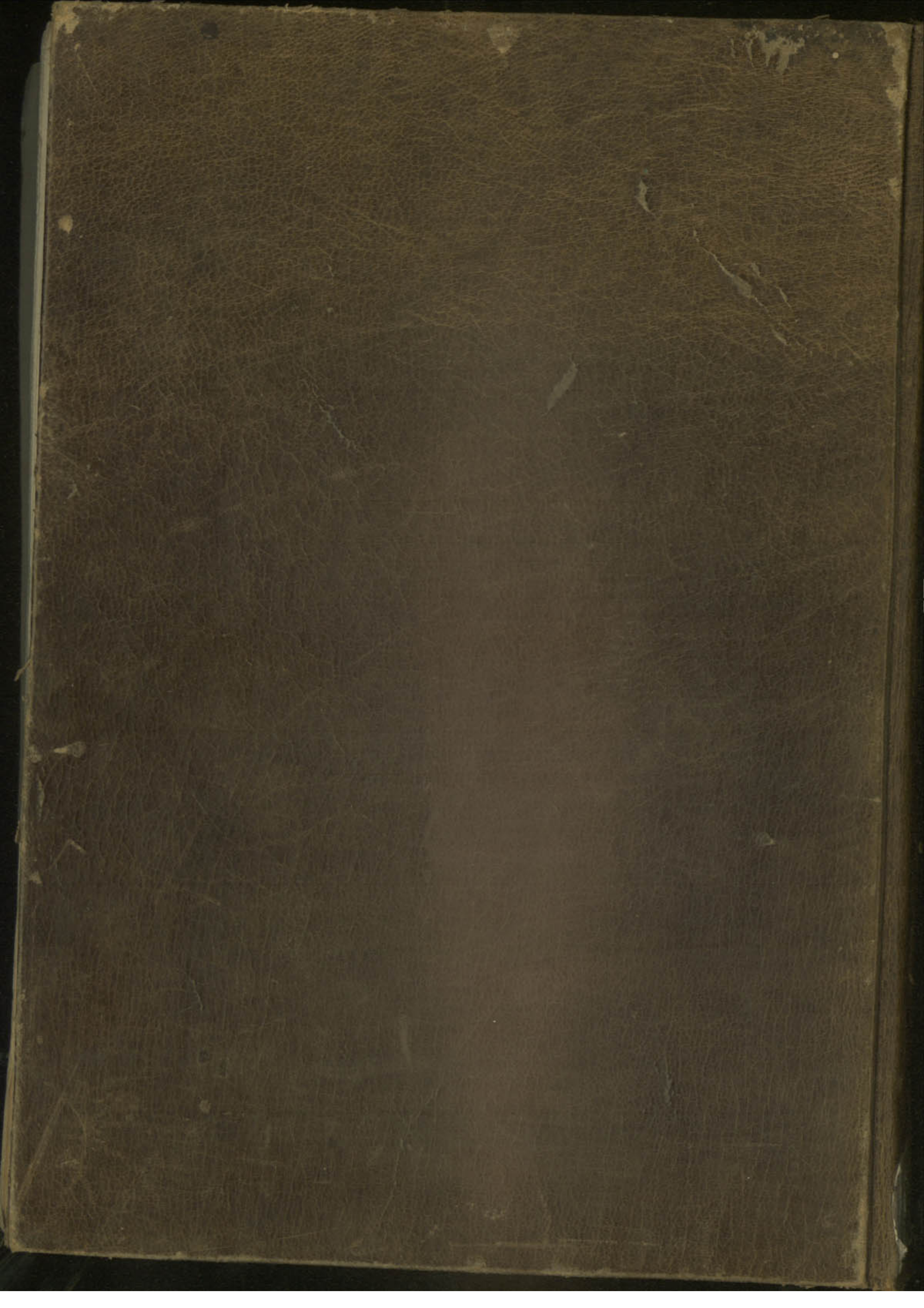
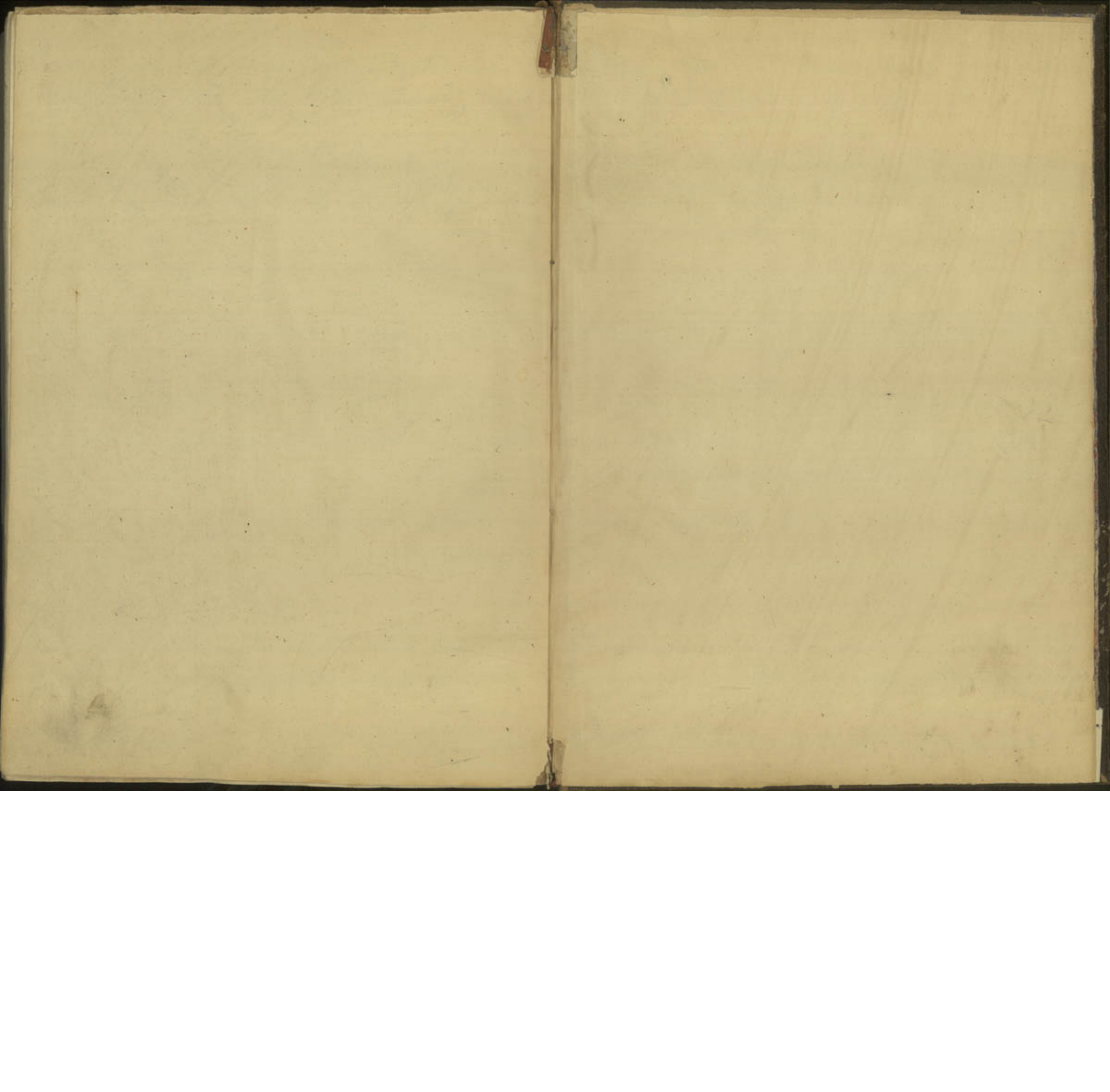
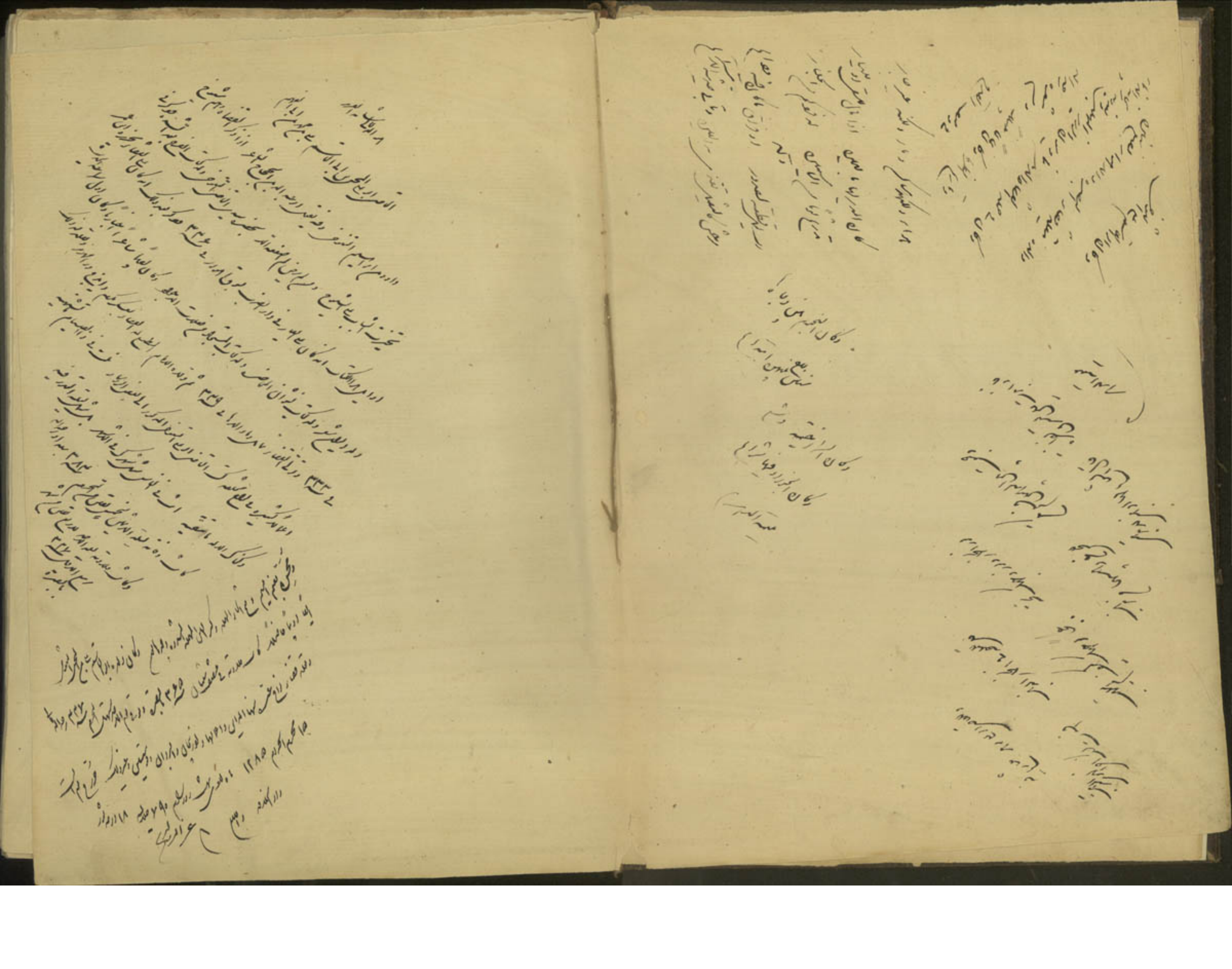
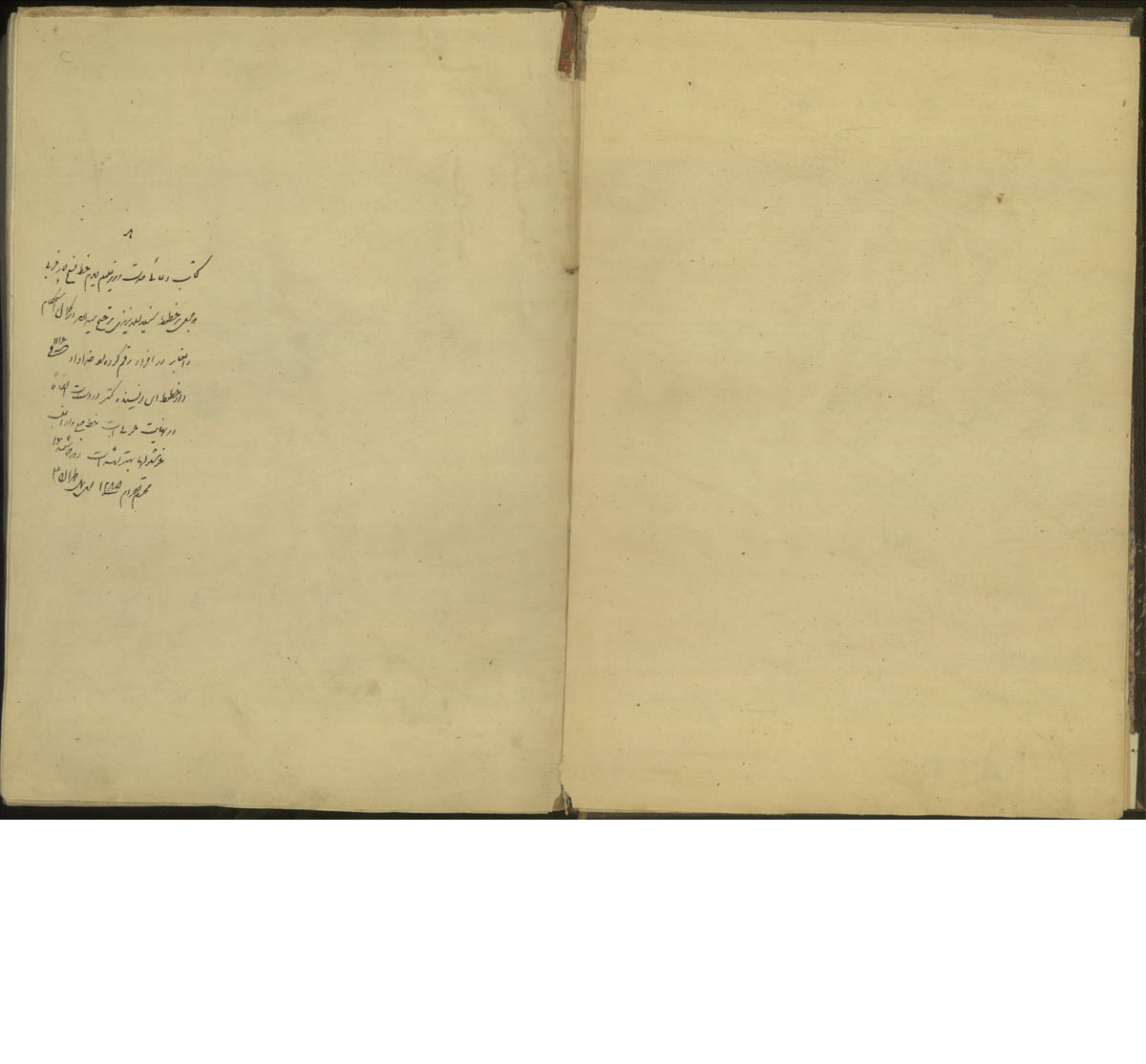












بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب
الحمد لله الذي جعل بعد الشدة فرجا ومن الضيق سعة ومخرجا ولم
تخل محنة من منحة ولا نقمة من نعمة ولا نكبة ورزية من موهبة وعطية
وصلى الله على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين
اما بعد فاني لما رأيت ابناء الدنيا متقلبين فيما بين خير وشر ونفع وضر
ولم يكن لهم في ايام الرخاء انفع من الشكر والثناء ولا في ايام البلاء انجع من
الصبر والدعاء لان من جعل الله عمره اطول من محنته فانه سيكشفها عنه
بطوله ورأفته فيصير ما هو فيه من الاذى كما قال بعض من مضى ويروى
للاغلب العجلي او غيره الغمرات ثم ينجلينا ثمت يذهبن فلا يجينا وطوبى
لمن وفق في الحالين للقيام بالواجبين ووجدت من اقوى ما يفزع اليه من
اناخ الدهر بمكروهه عليه قراءة الاخبار التي تنبئ عن تفضل الله عز وجل على
من حصل قبله في محصله ونزل به مثل بلائه ومعضله بما اباحه الله تعالى له
من صنع امسك به الارماق ومعونة حل بها الخناق ولطف غريب نجاه
وفرج عجيب انقذه وتلافاه وان خفيت من الاسباب ولم تبلغ ما حدث
منه الفكر والحساب فان في معرفة الممتحن بذلك تشحيذ بصيرته للصبر
وتقوية عزيمته على التسليم لله مالك كل امر وتصويب رأيه في الاخلاص والتفويض
الى من بيده ملك النواص وكثير اذا اعلم الله تعالى من وليه وعبده انقطاع
آماله الا من عنده لم يكله الى سعيه وجهده ولم يرض له باحتماله
وطوقه ولم يخله من عنايته ورفقه وانا بمشيئة الله وعونه جامع
في هذا الكتاب من الحسن واللباب ما ارجو بها انشراح صدور ذوي الالباب
عند ما يدهمهم من شدة ومصاب اذ كنت قد قاسيت من ذلك في محن دفعت
اليها ما يحتوي على الممتحن ويحتوي على بذل الجهد في تقديم غموم المكروبين
وكنت وقفت في بعض محني على خمس او ست اوراق جمعها ابو الحسن بن محمد
المدايني وسماها كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة وذكر فيها اخبارا تدخل
جميعها في هذا المعنى فوجدتها حسنة ولكنها لقلتها انموذج صغيرة لم يأت بها
مؤلفة ولا سلك بها مسلك الكتب المصنفة ولا الابواب الواسعة المؤلفة
مع اقتداره على ذلك ولا اعلم غرضه في التقصير ولعله اراد ان ينهج طريق هذا

الفن

الفن من الاخبار ويسبق الى فتح الباب فيه بذلك المقدار واستنقل جميع
ما عنده فيه من هذا الجنس ووقع الي كتاب ابي بكر عبد الله بن محمد بن ابي الدنيا
قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة في نحو عشرين ورقة والغالب عليه ايراد
عن النبي صلى الله عليه وسلم واخبار عن الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم
يدخل بعضها في بعض معنى طلبته ولا يخرج عن قصده وبغيته وباقيها
احاديث واخبار في الدعاء والصبر والارزاق والتوكل والتعرض
للشدائد بذكر الموت وما يجري مجرى التعازي ويتسلى به عن طوارق
الهموم ونوازل الاحداث والغموم بما يستحق عليها من الثواب في الاخرى
مع التمسك بالحزم في الاولى وهو عندي خال من ذكر فرج بعد شدة غير
مستحق ان يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن وضمن الكتاب نبذا قليلة
من الشعر وروى فيه يسيرا جدا مما ذكره المدايني الا انه جاء به بلا اسناد
له الا عن المدايني وقرأت ايضا كتاب القاضي ابي الحسين عمر بن القاضي ابي عمر
محمد بن يوسف القاضي رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة قد سماه كتاب
الفرج بعد الشدة اودعه اكثر ما رواه المدايني وجمعه واضاف اليه
اخبارا اكثر من اكثرها حسنة وفيها ما هو غير مماثل عندي لما عزاه ولا مشاكل
لما نحاه فاتى في اثنائها بابيات شعر يسيرة من معادن لامثالها جمة كثيرة
ولم يلم بما اورده ابن ابي الدنيا والقاضي ابو الحسين لم يذكر ان للمدايني كتابا
في هذا المعنى فان لم يكونا عرفا هذا فهو ظريف وان كانا تعمدا ترك ذكره تنقيصا
لكتابيهما وتغطية على كتاب الرجل فهو اظرف ووجدتهما قد استحسنا استعارة
لقب كتاب المدايني على اختلافهما في الاستعارة وحيدهما عن ان يأتيا بجميع
العبارة فتوهمت ان كل واحد منهما لما زاد على قدر ما اخرجه المدايني اعتقد
انه اولى منه بلقب كتابه فان كان هذا الحكم ماضيا والصواب به قاضيا
فيجب ان يكون من زاد عليهما ايضا فيما جمعاه اولى منهما بما تعبا في
تصنيفه ووضعاه فكان هذا من اسباب نشاطي لتاليف كتاب يحتوي من
هذا الفن على اكثر مما جمعه القوم وابين للمعنى واكشف واوضح وان خالف
مذهبهم في التصنيف وعدل عن طريقهم في الجمع والتاليف فانهم
نسقوا ما اودعوه كتبهم جملة واحدة وربما صادفت مللا من سامعيها

او وافقت سآمة من الناظرين فيها فرأيت ان انوّع الأخبار واجعلها ابوابا
ليزداد من يقف على الكتب الاربعة بكتابي من بينها اعجابا وان اضع ما في
الكتب الثلاثة في مواضعه من ابواب هذا الكتاب الا ما اعتقد انه يجب ان
لا يدخل فيه وان تركه وتعريه اصوب واولى والتشاغل بذكر غيره مما لم يدخل
في هذا المعنى ولم يذكره القوم اليق واحرى وان اعرف ما اخرجه مما في الكتب
الثلاثة الى مؤلفها تادية للامانة واستيثاقا في الرواية وتبيينا لما اتيانه
من الزيادة وتنبيها على مواضع الافادة فاستخرت الله عز وجل
ذكره وبداءت بذلك في هذا الكتاب ولقبته بكتاب الفرج بعد الشدة
تيمنا لقاريه بهذا المقال فليستعد في ابتدائه بهذا الفال ولم استبشع
اعادة هذا اللقب ولم احتشم تكريره على ظهور الكتب لانه قد صار
جاريا مجرى تسمية رجل ابنه محمدا او محمودا او اسعد او مسعودا
فليس لقائل مع الذي اول لهذين الاسمين ان يقول لمن سمي بهما الآن انك
انما انتحلت هذا الاسم او سرقته ووجدتني متى اعطيت كتابي هذا حقه
من الاستقصاء وبلغت به حده في الاستيفاء انباء في الوفاء اوراق لطول
ما مضى من الزمان فان الله سبحانه وتعالى بحكمته اجرى فيه ابور عباده
وواعد ناعمته منذ يوم خلقهم والى ان يقبضهم على التقلب بين شدة
ورخاء ورغد وبلاء واخذ وعطاء ومنع وصنع وضيق ورحب
وفرج وكرب علما منه تعالى بعواقب الامور ومصلحة الكافة والجمهور
فاخبار ذلك كثيرة المقدار عظيمة الترديد والتكرار وليست كلها مستحسنة
ولا مستفادة ولا مستطابة الذكر والاعادة فاقتصرت على احسن ما رويته
من هذه الاخبار واوضح ما بلغني في معانيها من الآثار واملح ما وجدت
في فنونها من الاشعار وجعلت قصدي الى الايجاز والاختصار واسقاط
الحشو من ترك الاكثار وان كان المجتمع من ذلك جملة يستطيلها الملول
ولا يتفرغ لقراءتها المشغول وانا راغب الى من يصل كتابي هذا اليه
وينشطه للوقوف عليه ان يصفح عما يعثر به من زلل ويصلح ما يجد فيه
من خطأ او خلل والله اسأل السلامة من المعاب والتوفيق لبلوغ المحاب
والارشاد الى الصواب ويفعل ذلك بكرمه انه جواد وهاب

تسمية ابواب هذا الكتاب وهي اربعة عشر بابا

الباب الاول ما انبأ الله في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان

الباب الثاني ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللأواء وما يتوصل به الى كشف الشدة والبلاء

الباب الثالث من بشر بفرج من نطق فال والنجاة من محنة بقول او دعاء او ابتهال

الباب الرابع من استعطف قلب السلطان بصادق لفظ واستوقف مكروها بموقظ بيان او وعظ

الباب الخامس من خرج من حبس او اسر او اعتقال الى سراح وسلامة وصلاح حال

الباب السادس من فارق شدة الى رخاء بعد بشرى منام لم يشتبه على تأويله كذب الاحلام

الباب السابع من استنقذ من كرب وضيق حال باحدى حاليه عمد او اتفاق

الباب الثامن من اشفى على ان يقتل وكان الخلاص من القتل اعجل

الباب التاسع من شارف الموت بحيوان مهلك فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه

الباب العاشر من رأى من الشدة بدوه بمرض ناله فعافاه الله سبحانه بايسر سبب واقاله

الباب الحادي عشر من امتحن من لصوص بسرق او قطع من الحلقا باكمل صنع

الباب الثاني عشر من الجأه خوف الى هرب واسار فعوض فادرك بأمن وتجدد نعم ومسار

الباب الثالث عشر من ناله شدة في هواه فكشفها الله تعالى عنه وبلغه ما يهواه

الباب الرابع عشر ما اختير من ملح الاشعار في اكثر معاني ما تقدم من الامثال والاخبار

الباب الاول ما انبأ الله تعالى به في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان

قال الله تعالى وهو اصدق القائلين وقوله الحق المبين

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا
لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب
والى ربك فارغب فهذه السورة كلها مفصحة باذكار الله عز وجل وعز
رسوله صلى الله عليه وسلم منته عليه في شرح صدره بعد الغم والضيق
ووضع وزره عنه وهو الاثم بعد انقاض الظهر وهو الاثقال الذي
اثقله لنقض العظام كما ينتقض البيت اذا تصوّر للوقوع ورفعه جل جلاله

ذكره بعد ان لم يكن بحيث جعله الله من ذلك والبشارة له في نفسه عليه
السلام وفي امته بان مع العسر الواحد يسرين اذا رغبوا الى الله تعالى
واخلصوا له طاعاتهم ونياتهم قال الله تعالى سيجعل الله بعد عسر
يسرا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل
شيء قدرا وقال تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال
كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك
آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين
له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فاخبر الله عز وجل الذي مر على
القرية استبعاد ان الله عز وجل يكشف عنها وعن اهلها البلاء بقوله انى
يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه الى آخر القصة
فلا شدة اشد من الموت والخراب ولا فرج افرج من الحياة والعمارة فاعلمه
الله عز وجل بما فعله به انه لا يجب ان يستبعد فرجا من الله تعالى وصنعا
كما عمل به والله يحيي القرية واهلها كما احياه فاراه بذلك آياته ومواضع
صنعه وقال جل وعز اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من
دونه وقال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك
زين للمسرفين ما كانوا يعملون وقال عز وجل هو الذي يسيركم في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها
ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله
مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما
انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير حق وقال تعالى قل من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير حق وقال تعالى
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا

من هذه

من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم
انتم تشركون وقال تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم
الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وقال عز ذكره
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة
ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال جل من قائل امن يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله
قليلا ما تذكرون وقال جل وعز وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال تعالى ولنبلونكم بشيء
من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال جل وعلا
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم وروى الحسن بن
ابي الحسن البصري انه قال عجبا لمكروب غفل عن خمس وقد عرف
ما جعل لمن قالهن ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الى قوله هم المهتدون
وقوله الذين قال لهم الناس ان الناس الى قوله لم يمسسهم سوء وقوله
وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا
وحاق وقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى قوله وكذلك ننجي المؤمنين
وقوله جل وعز وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين وروي عن الحسن
ايضا انه قال من لزم قراءة هذه الآيات في الشدائد كشفها الله عنه
لانه قد وعد وحكم فيهن بما جعله لمن قالهن وحكمه لا يبطل ووعده لا يخلف

وقد ذكر الله فيما قصه من خبر الانبياء شدائد ومحنا استمرت على جماعة
منهم وضروبا جرت عليهم من البلاء فاعقبها بفرج وتخفيف وتداركها
منهم بصنع جليل لطيف فاول ممتحن منهم ادم ابو البشر صلى الله عليه وسلم
كما ذكره الله تعالى خلقه في الجنة وعلمه الاسماء كلها واسجد له ملائكته
ونهاه عن اكل الشجرة فوسوس له الشيطان فكان منه ما قال الرحمن
وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى هذا
بعد ان اهبطه الى الارض وافقده لذيذ ذلك الخفض فانتفت عادته
وغلظت محنته وقتل احد ابنيه الاخر وكانا اول اولاده فلما طال
حزنه وبكاؤه واتصل منه استغفاره ودعاؤه رحم الله تضرعه
وخضوعه واستكانته ودموعه فتاب عليه وهداه وكشف ما به
ونجاه فكان ادم اول من دعي فاجيب وامتحن فاثيب وخرج من ضيق
وكرب الى سعة ورحب وسكن همومه ونسي غمومه وايقن بتجديد
الله له النعم وازالته عنه النقم وانه تعالى اذا استرحم رحم فابدله
الله تعالى هذا ابتلك الشدائد وعوضه من الابن المفقود والابن
العاق الموجود نبي الله شيثا وهو اول اولاده البررة بالوالدين
و والد النبيين والصالحين وابو الملوك الجبارين الذي جعل الله عز
وجل ذريته الباقين وخصهم من النعم بما لا يدركه وصف الواصفين
ثم نوح النبي عليه السلام فانه امتحن بخلاف قومه عليه وعصيان
ابنه له والطوفان العام وركوب السفينة واعتصام ابنه بالجبل وتاخره
عن الركوب معه فقاسى نوح بذلك الشدائد وركوب السفينة وهي
تجري بهم في موج كالجبال فاعقبه الله تعالى الخلاص والتمكين له
في الارض وبغيض الطوفان وجعله شبه ادم عليه السلام لانه
انشا ثانيا جميع البشر منه كما انشاهم اولا من ادم فلا ولد لادم
الا من نوح عليه السلام قال الله تعالى ولقد نادنا نوح فلنعم المجيبون
فنجيناه واهله من الكرب العظيم ثم ابراهيم عليه السلام وما
دفع اليه من كسر الاصنام وما لحقه من قومه من محاولة احراقه فجعل الله
تعالى عليه النار بردا وسلاما فارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين

الممتحن الاول ادم ابو البشر عليه السلام

الممتحن الثاني نوح عليه الصلاة والسلام

الممتحن الثالث ابراهيم عليه السلام

ونجيناه

ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحاق ويعقوب
نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا ثم ما كلفه الله عز
وجل من مفارقة وطنه بالشام لما غارت عليه سارة ام ولده هاجر فهاجر
بها وابنه اسمعيل الذبيح صلى الله عليهما فاسكنهما بواد غير ذي زرع
نازحين بعيدين منه حتى انبع الله له الماء وتابع عليهما الالاء واحسن
لابراهيم فيهما الصنع والفايدة والنفع وجعل لاسماعيل النسل والعدد
والنبوة والملك هذا بعد ان كان امر الله تعالى ابراهيم ان يجعل ابنه
اسمعيل سبيل الذبح قال تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال
يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر
ستجدني انشاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديناه
ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا
لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين فلا
بلاء اعظم من بلاء شهد الله جل ثناؤه انه بلاء مبين وهو تكليف
انسان ان يجعل سبيل الذبح ابنه وتكليف المذبوح ان يومنا ويصبرا
ويسلما ويحتسبا فلما اديا ما كلفا من ذلك وعلم الله جل اسمه منهما
صدق الايمان والصبر فدى الابن بذبح عظيم وخلصهما من تلك الشدائد
الهائلة ومن هذا الباب قصة لوط عليه السلام لما نهى قومه
عن الفاحشة فعصوه وكذبوه وتضيفه الملائكة فطالبوه فيهم
بما طالبوه فخسف الله بهم اجمعين ونجى لوطا واثابه ثواب الشاكرين
ويعقوب ويوسف عليهما السلام فقد افرد الله تعالى بذكر شانهما
وعظم بلائهما وامتحانهما سورة محكمة بين فيها حسد اخوة يوسف
على المنام الذي بشره الله تعالى به بغاية الاكرام حتى طرحوه في الجب
فخلصه الله تعالى منه بمن ادلى الدلو ثم استعبد فالقى الله سبحانه وتعالى
في قلب من صار اليهم اكرامه واتخاذه ولدا ثم مراودة امراة العزيز
عن نفسه وعصمة الله تعالى له منها وكيف جعل عاقبته بعد الحبس
الى ملك مصر وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكا وما لحق اخوة يوسف
من التشريق وحبس احدهم نفسه حتى ياذن له ابوه وكيف انفذ يوسف

الممتحن الرابع لوط عليه الصلاة والسلام

الممتحن الخامس يعقوب ويوسف عليهما السلام

الممتحن السادس ايوب عليه الصلاة والسلام

الممتحن السابع يونس عليه السلام

الى ابيه قميصه فرده الله تعالى به بصيراً وجمع بينهم وجعل كل واحد
منهم بالباقين والنعمة مسروراً وايوب عليه السلام وما امتحن به من
الاستغفار وعظم اللادآء والدود والادوآء وجاء القران بذكره ونطقت
الاخبار بشرح امره قال الله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين فاستجبناله وكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة
من عندنا وذكرى للعابدين ويونس وما قص الله تعالى من قصته في غير
موضع من كتابه ذكر فيها التقام الحوت له وتسبيحه في بطنه وكيف نجاه الله
جل اسمه فاعقبه بالرسالة والصنع وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك
المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه
كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم
وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو الوجه انه قال منها او يزيدون
بل يزيدون وكانت الزيادة ثلاثين الفا وروي عن ابن جبير وبرفاء
الشامي انهما قالا كانت الزيادة سبعين الفا فقد ثبت ان او هنا بمعنى بل
يزيدون ومنه قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه
فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبناله
ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين قال بعض المفسرين معنى ان لن نقدر
عليه اي نضيق عليه وهذا مثل قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه اي من
يضيق عليه رزقه ومثله قوله تعالى ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقد جاء قدر
بمعنى ضيق في مواضع كثيرة من القرآن ومن هذا تقول للفرس الضيق الخطر فرس
اقدر لانه لا يجوز ان يهرب من الله تعالى نبي من انبيائه ومن ظن ان الله تعالى
لا يقدر عليه فقد كفر والانبياء عليهم السلام اعلم بالله سبحانه من ان يظنوا فيه
بهذا الظن الذي هو كفر وقد روي انه من ادام قراءة قوله تعالى وذا النون
اذ ذهب مغاضبا الى قوله المؤمنين في الصلاة وغيرها في اوقات شدائده عجل
الله منها الفرج وموسى بن عمران عليه السلام قد نطق القرآن بقصصه في
غير موضع منها قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه

في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين الى قوله
ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا شدة اعظم من ان
يبتلى الناس ذلك بذبح ابناهم حتى القت ام موسى بابنها في البحر ولا شدة
اعظم من حصول طفل في بحر وكشف الله تبارك اسمه ذلك عنه بالتقاط
آل فرعون له وما القاه في قلوبهم من الرأفة حتى استحبوه وحرم عليه
المراضع حتى ردوه الى امه وكشف عنها الشدة في فراقه وعنه الشدائد
في حصوله في البحر بقوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى
ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها
خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين فهذه شدة اخرى كشفها
الله عز وجل عنه وقوله تعالى ولما ورد ماء مدين الى قوله اني لما انزلت
الي من خير فقير فهذه شدة اخرى لحقته بالاعتراف والحاجة الى
الاضطراب في المعيشة والاكتساب فوفق الله تعالى له شعيبا وزوجه
ابنته بعد ان استاجره ثماني حجج وانه خرج باهله من عند شعيب
فراى النار فمضى يقتبس منها فكلمه الله تعالى وجعله نبيا وارسله الى
فرعون فساله ان يرسل معه اخاه هرون فشد الله به عضده
وجعله نبيا معه فاي فرج احسن من فرج من اتار رجلا خائفا هاربا
فقيرا قد آجر نفسه ثماني حجج بالنبوة والملك وكل هذه اخبار عن محن عظيمة
انجلت بمنح جليلة لا يؤدى شكر الله عليها ويجب على العاقل تاملها ليعرف
كنه تفضل الله تعالى وكشف الشدائد واغاثته باصلاح كل فاسد لمن
تمسك بطاعته واخلص في حسنته واصلح من نيته فيسلك هذه السبيل
فانها من النجاة الى المكاره اوضح طريق واهدى دليل وذكر الله تعالى في
السماء ذات البروج واصحاب الاخدود ذكرت اليهود والنصارى ان اصحاب
الاخدود كانت دعاة الى الله جل وعز وان ملك بلدهم اضرم لهم نارا
وطرحهم فيها فاطلع الله على صبرهم وخلوص نياتهم في دينه وطاعته
فامر الله تعالى النار الا تحرقهم ونجوا منها وجعل الله دائرة السوء على
الملك واهلكه وذكر هؤلاء القوم ان نبيا كان بعد موسى عليه السلام
بزمان طويل يقال له دانيال وان الملك بخت نصر اضرى اسدين وتركهما

الممتحن التاسع دانيال عليه السلام

في جب وجاء بدانيال فالقاه اليهما فلم يهيجاه فمكث ماشاء الله ثم اشتهى
ما تشتهي الآدميون من الطعام والشراب فاوحى الله تعالى الى ارميا بالشام
ان اعد طعاماً وشراباً لدانيال قال يارب انا بالارض المقدسة ودانيال بارض
بابل من ارض العراق فاوحى الله تعالى اليه ان اعد ما امرناك فانا سنرسل
اليك من يحملك ويحمل ما اعددت ففعل فارسل اليه من حمله وحمل ما اعد
حتى وقف على راس الجب فقال دانيال من هذا فقال انا ارميا قال ما جاء
بك قال ارسلني اليك ربك قال وقد ذكرني قال نعم قال دانيال الحمد لله
الذي يجزي بالاحسان احسانا والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة
وغفرانا والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي
هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا باعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين
تنقطع الحيل عنا وقد ذكر الله تعالى الشدة التي جرت على سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم في قوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه
الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار الى عزيز حكيم وروي اصحاب
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خاف ان يلحقه المشركون
حين سار عن مكة مهاجراً دخل الغار هو وابو بكر رضي الله عنه فاستخفيا
فارسل الله تعالى عنكبوتا فنسج في الحال على الغار وحمامة عششت
وباضت وافرخت للوقت فلما انتهى المشركون الى الغار وراوا ذلك فلم
يشكوا انه غار لم يدخله احد منذ حين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابا بكر رضي الله عنه ليريان اقدامهم ويسمعان كلامهم فلما انصرفوا وبعد
وجاء الليل خرجا وسارا نحو المدينة فوردها سالمين وروى اصحاب
الاحاديث ايضا من شرح حال النبي صلى الله عليه وسلم في المحن التي لحقته
من شق الفرث عليه ومحاولة ابي جهل وشيبة وعتبة ابني ربيعة
وابي سفيان صخر بن حرب والعاص بن وايل وعقبة بن ابي معيط وغيرهم
لعنهم الله قتله وما كانوا يكاشفونه من الشتم والتكذيب والاستهزا والقذع
والتانيب ورميهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون وقصدهم اياه غير دفعة
بانواع البلا والاذى والعظيمة والافترا وحصرهم اياه صلى الله عليه وسلم
وجمعهم بني هاشم في الشعب وتجويعهم اياه وتدبيرهم ان يقتلوه حتى بعدوا

وبيت عليا رضي الله عنه في مكانه وعلى فراشه مما يطول اقتصاصه
ويكثر شرحه ثم اعقبه الله عز وجل من ذلك بالنصر والتمكين واعزاز الدين
واظهاره على كل دين وقمع المشركين وقتل اولئك الكفرة المعاندين وغيرهم
من المكذبين الكاذبين الذين كانوا عن الحق ناكبين وبالدين مستهزئين وللمؤ
ناصبين متوعدين وللنبي صلى الله عليه وسلم مستهزئين ومحاربين واذل
من بقي منهم بعد الاسلام بعد ان عاد باظهاره واضمر الكفر في اسراره
فصار من المنافقين الملعونين والحمد لله رب العالمين وهذه اخبار
جاءت في آيات من القرآن العظيم نفع الله الكريم بها وهي تجري في هذا
الباب وتنضاف اليه حدثنا علي بن ابي الطيب باسناده قال جاء رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان بني فلان اغاروا علي فذهبوا بابني
وابلي فقال عليه السلام ان ال محمد لكذا وكذا اهل ما فيهم مد من طعام
او صاع من طعام فاسأل الله عز وجل فرجع الى امراته فقالت ما قال
لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرها فقالت نعم ما ردك اليه فما
لبث ان رد الله عليه ابنه وابله اوفر ما كانت فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه واخبرهم وقرا عليهم ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو
حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدراً يا اباذر لو ان الناس
كلهم اخذوا بها لكفتهم حدثنا علي بن ابي الطيب باسناده يرفعه الى ابي
الدردا وقد سئل عن قوله تعالى كل يوم هو في شان فقال سئل عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويكشف كربا ويرفع
اقواما ويضع آخرين واخبرني محمد بن الحسن باسناد طويل قال
سمعت سعيد بن عنبسة يقول بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصى ويحذف
به اذ رجعت حصاة منها عليه فصارت في اذنه فجهد وابكل حيلة فلم يقدروا
على اخراجها فبقيت الحصاة في اذنه دهرا تولمه فبينما هو ذات يوم
جالس اذ سمع قارئا يقرا امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء
الآية فقال الرجل يا رب انت المجيب وانا المضطر فاكشف ضر ما انا فيه فنزلت
الحصاة من اذنه حدثني علي بن ابي الطيب باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم

دعا يونس عليه السلام حين ناداه في بطن الحوت

ان يونس حين بد اله ان يدعو الله عزّ وجل بالكلمات حين ناداه وهو في بطن
الحوت فقال اللهم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاقبلت الدعوة
تحت العرش فقالت الملائكة يا ربّ هذا صوت غريب معروف من بلاد بعيدة
قال اما تعرفون ذلك قالوا يا ربّ من هو قال ذلك عبدي يونس قالوا عبدك
يونس الذي لم يزل يرفع له عملا صالحا متقبلا ودعوة مجابة افلا ترحم من كان
يفعل في الرخا وتنجيه من البلا قال بلى فامر الحوت فالقته بالعراء وقال ابو
صخر فاخبرني ابو سقيط وابوه حدّثه بهذا الحديث انه سمع ابا هريرة
يقول وما اليقطينة قال شجرة الدبا قال ابو هريرة هيّا الله له اروية
وحشية تاكل من خشائش الارض وتنفج عليه فترويه من لبنها كل عشيّة
وبكرة حتى نبت وقال ابن ابي الصّلت قبل الاسلام في ذلك **شعرا**

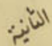
فانبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله القي ضاحيا

قال حدّثنا عبد الله بن مسعود قال لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام
اهوى به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصى في الظلمات وهي بطن الحوت
وظلمة الليل وظلمة البحر ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذناه
بالعراء وهو سقيم قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش **حدّثني**
فتى من الكتّاب البغداديين يعرف بابي الحسن بن ابي الليث وكان ابوه من كتّاب
الجند يتصرف مع اشكرون بن سهلان لحد الامراء في عسكر معز الدولة
قال قراءت في بعض الكتب اذا دهمك امر تخافه فبت وانت طاهر على فراش
طاهر وثيابك طاهرة واقرا والشمس وضحاها الى آخر السورة سبعا والليل
اذا يغشى سبعا الى آخر السورة ثم قل اللهم اجعل لي فرجا ومخرجا من امري
فانّه ياتيك في الليلة الثانية الى السابعة في منامك فيقول لك المخرج منه كذا
وكذا قال فحبست بعد ذلك بسنين حبسة طالت حتى ايست من الفرج وكنت قد
انسيت هذا الخبر فذكرته يوما وانا في الحبس فلم ار في الليلة الاولى ولا الثانية
ولا الثالثة فلما كان في الليلة الرابعة فعلت ذلك على الرسم والعادة فرايت
في منامي كانّ رجلا يقول لي خلاصك على يدي علي بن ابراهيم فلما كان بعد يومين
دخل علي شاب لا اعرفه فقال لي قد كفلت ما عليك فقم واذا معه رسول السجّان
يتسلّمني اليه فقمت معه فحملني الى منزل لي فاسلمني فيه وانصرف فقلت لهم من هذا

اذا دهمك امر تخافه فبت وانت طاهر على مكان طاهر وثيابك طاهرة واقرا الشمس والليل ثم قل اللهم

قالوا علي بن ابراهيم يكون في الكرخ قيل لنا انه صديق الذي حبسك فطرحنا
انفسنا عليه فتولى امرك وضمن ما عليك واخرجك **قال مؤلف الكتاب**
وجدت في كتاب محمد بن جرير الطبري الذي سماه بكتاب الآداب الحميدة والاخلاق
النفيسة حدّثني محمد بن عمارة الاسدي عن روح بن الحارث بن جيش الصنعاني
عن ابيه عن جدّه انه قال لبنيه اذا دهمكم امر او كربكم امر فلا يبيتنّ احد
منكم الا وهو طاهر على فراش طاهر ولا تبيتنّ معه امراة ثم ليقرا والشمس
وضحاها سبعة والليل اذا يغشى سبعة ثم ليقل اللهم اجعل لي من امري
فرجا ومخرجا فانّه ياتيه آت في اول ليلة او في الثالثة او في الخامسة
واظنه قال او في السابعة يقول لك المخرج مما انت فيه كذا قال انيس
فاصابني وجع لم ادر كيف آتي له ففعلت اوّل ليلة هكذا فاتاني آتيان
فجلس احدهما عند راسي وجلس الآخر عند رجلي ثم قال احدهما للآخر جسّه
فلمس جسدي كلّه فلما انتهى الى موضع في راسي قال فاحتجم هاهنا ولا تحلق
ولكن اطله بغراء ثم التفت الي احدهما او كلاهما فقالا لي فكيف اذا ضممت
اليهما والتّين والزّيتون قال فلما اصبحت قلت اي شيء الغراء فقيل لي خطمي
او شيء تستمسك به الحجمة فاحتجمت فبرأت فانا ليس احدّث بهذا الحديث
احدا الا وجد فيه الشفا باذن الله تعالى **ووجدت** في كتاب ابي الفرج
المخزومي عبد الواحد بن نصر باسناده انّ قوما ركبوا في البحر فسمعوا هاتفا
يهتف بهم من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى اعلمه كلمة اذا اصابه غمّ او اشرف
على هلاك فقالها اكشف الله ذلك عنه فقام رجل من اهل المركب معه عشرة
آلاف دينار فصاح ايها الهاتف انا اعطيك وعلّمني فقال ارم بالمال في البحر
فرمى ببدرتين فيهما عشرة آلاف دينار فسمع الهاتف يقول اذا اصابك غم
او اشرفت على هلاك فاقرا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكّل على الله فهو حسبه انّ الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا
فقال جميع من في المركب ضيّعت مالك فقال كلّا انّ هذه لعظة لا اشك في
نفعها قال فلما كان بعد ايام كسر بهم المركب فلم ينج منهم الا ذلك الرجل فانّه وقع
على لوح فحدث بعد ذلك قال طرحني البحر الى جزيرة فصعدت امشي فيها
فاذا بقصر منيف فدخلته فاذا فيه من كل ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها

واذا بامرأة لم ار قط احسن منها فقلت لها من انت واي شيء تعملين ههنا قالت
انا ابنة فلان التاجر بالبصرة وكان ابي عظيم التجارة وكان لا يصبر عني
فسافر بي معه في البحر فانكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت في هذه
الجزيرة يخرج الي شيطان من البحر فيتلاعب بي سبعة ايام من غير ان
يطاني الا انه يلامسني ويوذيني ويتلاعب بي ثم ينظر الي ثم ينزل في البحر
سبعة ايام مثل اقامته عندي وهذا يوم موافاته فاتق الله والا اتى عليك
فما انقضى كلامها حتى رايت ظلمة هايلة فقالت قد والله جاء فيهلك فلما
قرب مني وكاد يغشاني قرأت الآية فاذا هو قد خر كقطعة جبل الا انه
رماد محترق فقالت لي المراة هلك والله وكفيت امره من انت يا هذا
الذي من الله تعالى بك علي فقمت انا وهي حتى انتخبنا من ذلك الجوهر
حتى حملنا كل ما كان فيه من نفيس وفاخر فلزمنا الساحل نهارا اجمع
فلما كان الليل رجعنا الى القصر وكان فيه ما يوكل قال فقلت لها من اين
لك هذا فقالت وجدته ههنا فلما كان بعد ايام راينا مركبا فلوحنا اليه
فدخل وحملنا وسلمنا الله عز وجل الى البصرة فوصفت لي منازل اهلها
فاتيتهم فقالوا من هذا فقلت رسول فلانة بنت فلان قال فارتفعت الواعية
وقالوا يا هذا لقد جددت علينا مصايبنا فقلت اخرجوا فخرجوا فاخذتهم
حتى جئت بهم الى ابنتهم فكادوا ان يموتوا فرحا وسرورا وسالوها عن
خبرها فقصته عليهم وسالتهم ان يزوجوني بها ففعلوا وجعلنا ذلك
الجوهر راس مال بيني وبينها وانا اليوم ايسر اهل البصرة وهولاء
اولادي منها **حدثني** ابو الفضل محمد بن عبد الله المرزباني الشيرازي
في المذاكرة من خبر طويل لست اقيم عليه ان رجلا كانت بينه وبين رجل
متمكن من اذاه عداوة فخافه خوفا شديدا واهمه امره ولم يدر
ما يصنع فرأى في منامه كان قائلا يقول له اقرا في كل يوم في احدى ركعتي
صلاة الفجر الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة قال فما
مضت الشهور حتى كفيت امر ذلك العدو واهلكه الله تعالى وانا اقراها
الى الآن **قال مؤلف هذا الكتاب** وقمت انا في شدة لحقتني
من عدو خفته فاسترسته فجعلت دابي قراءة هذه السورة في الركعة



الثانية من الفجر في كل يوم وانا اقرا في الاولى منهما الم نشرح لك صدرك
الى آخر السورة لخبر كان قد بلغني فيها فلما كان بعد شهور كفاني
الله تعالى امر ذلك العدو واهلكه من غير سعي مني في ذلك فانا
اقراهما في ركعتي الفجر الى الآن **فاما الخبر في الم نشرح لك صدرك**
فان ابا بكر بن شجاع المقري البغدادي الذي كان يخلفني على العيار
و دار الضرب بسوق الاهواز في سنة ست واربعين وثلاثمائة
وكان خازن الجامع بها وكان شيخا محدثا ثقة من امناء القاضي
الاحنف وهو محمد بن ابي الشوارب حدثنا باسناد ذكره ان بعض
الصالحين الح عليه الغم وضيق الصدر وتعذر الامر عليه حتى
كاد يقنط وكان يوما يمشي وهو يقول

ارى الموت لمن امسى ... على الذلة اصلح

فهتف به هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه او اري في المنام

الا ايها المرء الذي الهم به برح ... اذا ضاق بك الامر ففكر في الم نشرح

فان العسر مقرون بيسرين فلا تبرح

قال فواصلت قراءتها في صلواتي فشرح الله تعالى صدري وازال همي وفكري وسهل
امري كما قال

الباب الثاني ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللاوى وما يتوصل به الى كشف نار الشدة والبلاء

اخبرني القاضي
ابو القاسم علي بن محمد بن ابي الفهم التنوخي بالاسناد الصحيح قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله عز وجل من فضله
فان الله تعالى يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج **اخبرني**
ابي بالاسناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه
في حديث ذكره واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع
العسر يسرا **عن** عمرو بن مرة قال سمعت ابا وايل يحدث عن كردوس
ابن عمرو وكان ممن قرا الكتب ان الله تعالى يبتلي العبد وهو يحبه
ليسمع تضرعه **حدثنا** ابن ابي الدنيا يرفعه عن سهل بن سعد
الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس الا
اعلمك كلمات تنتفع بهن قال بلى يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك
احفظ الله تجده امامك تعرف اليه في الرخاء يعرفك في الشدة

اذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو
كائن فلو جهد والعباد ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم
يقدروا ولو جهدوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لما
قدروا فان استطعت ان تعمل لله عز وجل في اليقين فافعل فان
لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع
الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرًا عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المعونة تاتي من الله
عز وجل تاتي العبد على قدر المؤنة وان الصبر ياتي على قدر شدة
البلاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ستر اخاه المؤمن ستره الله يوم القيمة ومن نفس عن اخيه
كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كربات الآخرة والله
تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اكثر الاستغفار جعل الله
عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب حدثنا نصر بن زياد قال كنت عند جعفر بن محمد فاتاه
سفيان بن سعيد الثوري فقال يا ابن رسول الله حدثني فقال
يا سفيان اذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فاذا ورد
عليك امرًا تكرهه فاكثر من لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
واذا انعم الله عليك بنعمة فاكثر من الحمد لله حدثني محمد بن
جعفر بن صالح الصالحي بالاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال بينما ثلاثة رهط من بني اسرائيل يسيرون اذ اخذهم
المطر فاووا الى غار فانطبقت عليهم صخرة فسدت الغار فقالوا
تعالوا فليسال كل رجل منا الله تعالى بافضل عمله فقال احدهم
اللهم ان كنت تعلم انه كانت لي ابنة عم جميلة وكنت اهواها
فدفعت اليها مائة دينار فلما جلست منها مجلس الرجل من المراة
قالت اتق الله يا ابن العم ولا تفض الخاتم فقمت عنها وتركت المائة
دينار خشية منك وابتغاء لما عندك فافرج عنا فانفرج عنهم ثلث

الصخرة وقال الآخر اللهم ان كنت تعلم ان لي ابوين شيخين كبيرين
وكنت اغدو عليهما بصبوحهما واروح عليهما بغبوقهما فغدوت
عليهما يومًا فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان انصرف
عنهما فوقفت حتى استيقظا ودفعت اليهما غذاؤهما ابتغاء ما عندك
وخشية منك فافرج عنا فانفرج الثلث الثاني وقال الثالث اللهم
ان كنت تعلم اني استاجرت اجيرا فلما دفعت اليه اجرته قال عملي او في من
هذا فترك علي اجرته وقال بيني وبينك يوم يوخذ فيه من الظالم
للمظلوم ومضى فابتعت له باجرته غنما ولم ازل ارعاها وانمت فلما
كان بعد مدة من الدهر اتاني فقال يا هذا ان لي عندك اجرة عملت
لك كذا وكذا في وقت كذا وكذا فقلت خذ هذه الغنم فهي لك فقال
تمنعني اجرتي وتهزا بي فقلت خذها فانها لك فاخذها ودعا لي
اللهم ان كنت تعلم اني فعلت هذا خشية منك فافرج عنا فانفرج
باقي الصخرة وخرجوا يمشون حدثنا ابن بشار قال حدثنا
ابن عدي بالاسناد عن حميد بن عبد الرحمن الحميري قال كانت
بابي الحصاة وكان يلقى من شدة ما به من البلاء فانطلقت الى بيت
المقدس فلقيت ابا العوام فشكوت اليه الذي نابني فاخبرته خبره
فقال مره فليدع بهذه الدعوات فقال ربنا الذي في السماء تقدس
اسمه امرك ماض في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعلها في
الارض اغفر لنا حوبتنا وخطايانا انك رب الطيبين انزل رحمة
من عندك وشفاء من شفائك على ما بفلان بن فلان من وجع قال
فدعا به فاذهبه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كلمات الفرج لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم
لا اله الا الله رب السموات السبع والارضين السبع ورب العرش العظيم
حدثنا عبد الرحمن بن ابي بكر عن ابيه رضي الله عنهما عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجو
فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت عن
ابي سلمة الجهني عن ابي القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه قال قال رسول

دعاء عن الحصاة

كلمات الفرج

دعاء الفرج

اذا اصابه هم او غم او كرب

الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب مسلما قط همّ ولا حزن فقال اللّهم
اني عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك
اسالك بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته
احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن
ربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي الّا اذهب الله همه وابدله
مكان حزنه فرجا قالوا يا رسول الله افلا نتعلم هذه الكلمات قال بلى
ينبغي لمن سمعهنّ ان يتعلمهنّ عن فقيه اهل الاردن قال بلغنا انّ رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اصابه كرب او غمّ قال حسبي الله
الرب من العباد حسبي الخالق من المخلوقين حسبي الرازق من المرزوقين
حسبي الذي هو حسبي حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله لا اله الّا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم دعاء موسى عليه السلام حين

دعاء موسى عليه السلم

توجّه الى فرعون وهو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم حنين
ودعا لكلّ مكروب يا حيّا لا يموت تنام العيون وتنكدر النجوم وانت حي
قيّوم لا تاخذك سنة ولا نوم يا حي يا قيوم دعا للفرج اعطانيه ابو الحميد
داود بن الناصر المعروف بطباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن
علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وقال لي انّ اهله يتوارثونه عن امير

دعاء الفرج

المؤمنين علي بن ابي طالب وهو يا من يحلّ عقد المكاره ويفك حلق الشدائد
ويا من نلتمس به الفرج ونطلب منه روح الفرج انت المدعوّ في المهمات
والمفزع في الملمات لا يندفع منها الّا ما دفعت ولا ينكشف منها الّا ما كشفت
قد نزل بي ما قد علمت وقد تكاءدني ثقله والمّ بي منه ما بهضني حمله وبقدرتك
اوردته علي وبسلطانك وجّهته الي فلا مصدر لما اوردت ولا كاشف
لما وجّهت ولا فاتح لما اغلقت ولا ميسّر لما عسّرت ولا معسّر لما يسّرت صلّ
اللهم على محمّد وعلى آل محمّد وافتح لي يا ربّ باب الفرج بطولك واحبس عني
سلطان الهمّ بحولك وانلني حسن النظر فيما شكوت واذقني حلاوة الصنع
فيما سالت وهب لي من لدنك فرجا هنيئا عاجلا وصلاحا في جميع امري
سنيا شاملا واجعل لي من عندك فرجا قريبا ومخرجا رحيبا ولا تشغلني
بالاهتمام عن تعاهد فروضك واستعمال سنتك فقد ضقت ذرعا بما عراني

وتحيرت



وتحيرت فيما نزل بي ودهاني وضعفت عن حمل ما قد اثقلني همّا
وتبلدت بما انا فيه قلقا وغمّا وانت القادر على كشف ما انا قد وقعت
فيه ودفع ما منيت به فافعل ذلك يا سيدي ومولاي وان لم استحقه
واجبني اليه وان لم استوجبه يا ذا العرش العظيم ثلاث مرات واعطاني
دعاء آخر للفرج وقال لي انّ اهله يتوارثونه عن اهل البيت رضي الله
عنهم اجمعين لا اله الّا الله حقا حقا لا اله الّا الله تعبّدا ورقا لا اله
الا الله ايمانا وصدقا يا منزل الرحمة من اماكنها ومنشئ البركة من
معادنها اسالك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك وخيرتك من خلقك
وصفيك وعلى آله مصابيح الدجى وايمة الهدى وان تفرج عني فرجا
عاجلا وتثبت لي صلاحا لجميع امري شاملا وتفعل بي في ديني ودنياي
ما انت اهله يا كاشف الكرب يا غافر الذنب يا الله يا ربّ حدّثني
ايوب بن العباس بن الحسن باسناد كثير انّ اعرابيا شكى الى امير المؤمنين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه شدّة لحقته وضيقا في الحال وكثرة من
العيال فقال له عليك بالاستغفار فانّ الله تعالى يقول استغفروا ربكم
انه كان غفارا الآيات فقال يا امير المؤمنين اني قد استغفرت الله تعالى
كثيرا وما ارى فرجا مما انا فيه قال لعلك لا تحسن ان تستغفر قال علمني
قال اصلح نيتك واطع ربك وقل اللهم اني استغفرك من كل ذنب قوي
عليه بدني بعافيتك او نالته قدرتي بفضل نعمتك وبسطت اليه يدي
بسابغ رزقك واتكلت منه عند خوفي على اناتك او وثقت فيه بحلمك
او عولت فيه على كرم عفوك اللهم اني استغفرك من كل ذنب خنت فيه
امانتي او بخست فيه نفسي او قدمت فيه لذتي او اثرت فيه شهوتي
او سعيت فيه لغيري او استغويت اليه من تبعني او غلبت فيه بفضل
حيلتي او احلت فيه على مولاي فلم يغلبني على فعلي اذ كنت سبحانك كارها
لمعصيتي لكن سبق علمك في اختياري او استعمالي مرادي وايثاري
فحلمت عني لم تدخلني فيه جبرا ولم تحملني عليه قهرا ولم تظلمني
شيئا يا ارحم الراحمين يا صاحبي عند شدتي ويا مونسي عند وحدتي
يا حافظي في غربتي يا وليي في نعمتي يا كاشف كربتي يا مستمع دعوتي يا راحم

عبرتي يا مقيل عثرتي يا الهي بالتحقيق يا ركني الوثيق يا جاري اللصيق
يا مولاي الشفيق يا ربّ البيت العتيق اخرجني من حلق المضيق
الى سعة الطريق وفرج من عندك قريب وثيق واكشف عني كل همّ
وغم واخرجني من كل حزن وكرب يا فارج الهمّ ويا كاشف الغم ويا منزل
القطر ويا مجيب دعوة المضطر يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما
صلّ على محمد خيرتك من خلقك وعلى آله الطيبين الطاهرين
وفرج عني ما قد ضاق بي وبه صدري وعيل معه صبري وقلت
فيه حيلتي وضعفت عنه قوتي يا كاشف كل ضر وبلية ويا عالم
كل سرّ وخفية يا ارحم الراحمين افوض امري الى الله انّ الله بصير
بالعباد وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم
قال الاعرابي فاستغفرت بها مرارا فكشف الله عني الغم والضيق ووسع
علي في الرزق وازال المحنة عن ابي مخلد قال قال عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه ما ابالي على اي حالة اصبحت على ما احب او على ما اكره
وذلك اني لا ادري الخير فيما احب او فيما اكره حدّثنا ابو عمران الجوني
عن نوف البكالي انّ نبيا او صدّيقا ذبح عجلا بين يدي امّه فاختل فبينما
هو ذات يوم تحت شجرة فيها وكر طير اذ وقع فرخ ذلك الطير في الارض
فتغبّر في التراب فاتاه الطير وجعل يطير فوق راسه فاخذ النبي او الصديق
الفرخ فمسحه من التراب واعاده الى وكره فردّ الله عليه عقله كتب
سعيد بن حميد الى عبد الله بن طاهر كتابا من الانبار قال فيه وارجو
ان يكشف الله بالامير اعزّه الله من هذه الغمّة الطويلة مداها البعيد
منتهاها فانّ طولها قد اطمع في انقضائها وتراخي ايامها قد سهل سبيل
الامل لفنائها روي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه
قال افضل عمل الممتحن انتظار فرج الله تعالى والصبر على قدر البلاء
والصبر كفيل النجاح والمتوكل لا يخيب ظنّه قال بعض الصالحين
استعمل في كل بلية تطرقك حسن الظن بالله عزّ وجل في كشفها فانّ ذلك
اقرب الى الفرج وكان يقال العاقل لا يذل باول نكبة ولا يفرح باول
نعمة وربما اقلع المحبوب عما يضرّ واجلى المكروه عما يسرّ شكى عبد الله

ابن طاهر

ابن طاهر الى سليمان بن يحيى بن معاذ كاتبه بلاء خافه وتوقعه فقال
له ايها الامير لا تغلبنّ على قلبك اذا اغتممت ما تكره دون ما تحب وتوقى
ما تكره فتكون كمن يتسلف الخوف والغمّ قال اما انك قد فرجت عني ما انا فيه
بلغني انّ الناس قد قحطوا بالمدينة في سنة من خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فخرج بهم مستسقيا وكان اكثر قوله الاستغفار فقيل له
يا امير المؤمنين لو دعوت فقال اما قوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل
لكم انهارا فصار الاكثار من الاستغفار في خطب الاستسقا سنة الى اليوم
وحكي عن انوشروان انه قال جميع مكاره الدنيا تنقسم على ضربين
فضرب فيه حيلة فالاضطراب دواءه وضرب لا حيلة فيه فالاصطبار
شفاؤه وكان بعض الحكما يقول الحيلة فيما لا حيلة فيه الصبر كان
يقال من اتبع الصبر اتبعه النصر ومن الامثال السائرة الصبر مفتاح
الفرج من صبر قدر ثمرة الصبر الظفر عند اشتداد البلا ياتي الرخا كان
يقال تضايقي تنفرجي كان يقال اذا اشتد الخناق انقطع خف المضار من
خلل المسار وارج النفع من موضع المنع واحرص على الحياة بطلب الموت
فكم من بقاء سببه استدعا الفنا وكم من فناء سببه ايثار البقا واكثر
ما تاتي الامنة من قبل الفزع والعرب تقول انّ في الشر خيارا قال الاصمعي
معناه انّ بعض الشر اهون من بعض وقال بعض الحكما اعناق الامور
تتشابه في الامور فربّ محبوب من مكروه ومكروه في محبوب وكم
مغبوط بنعمة هي داؤه ومرحوم من داء فيه شفاؤه وكان يقال ربّ
خير من شر ونفع من ضرّ ويروى انّ امير المؤمنين عليا رضي الله عنه
قال يا ابن آدم لا تحمل همّ يومك الذي قد اتى فانه ان يكن من عمرك ياتك
الله فيه بحنتك واعلم انك ان تكتسب شيئا سوى قوتك الا كنت فيه خازنا
لغيرك بعد موتك قال وداعة السهمي في كلام لم اصبر على الشر اذا فدحك
فربما اجلى عما يفرحك وتحت الرغوة اللبن الفصيح وقال شريح اني
لاصاب بالمصيبة فاحمد الله تعالى عليها اربع مرات واشكره اذ لم تكن اعظم
مما هي واحمد اذ رزقني الصبر عليها واحمد اذ وفقني للاسترجاع لما ارجو فيه

من الثواب واحمده اذ لم يجعلها في ديني قال اسحاق العابد ربما امتحن الله
العبد بمحنة يخلصه بها من مهلكة فتكون تلك المحنة اجل نعمة قال سمعان
من احتمل المحنة ورضي بتدبير الله تعالى في النكبة وصبر على الشدة كشف
الله عن مقنعتها حتى يقف على المستور منها في مصلحتها قال عبد الله بن
المعتز ما اوطا راحلة الواثق بالله وانس مثوى المطيع لله عز وجل حكى
بعض النصارى ان بعض الانبيا عليهم السلام قال المحن تاديب من الله
عز وجل والادب لا يدوم فطوبى لمن يدوم على التاديب ويثبت عند المحنة
فيجب له لبس اكليل الغلبة وتاج الفلاح الذي وعد الله عز وجل محبيه واهل
طاعته لا تياس ارض من عمران وان جفاها الزمان والعامة تقول نهر جرى
فيه الماء لا بد ان يعود اليه قال بيسطيوس لم يتفاضل اهل العقول
والدين الا باستعمال الفضل في حال القدرة والنعمة وابتذال الصبر في
حال الشدة والمحنة قال بعض الحكما العاقل يتعزى فيما نزل به من
المكروه بامرين احدهما السرور بما بقي له والآخر رجاء الفرج مما نزل به
والجاهل يجزع من محنته بامرين احدهما استكثاره مما اتى اليه والآخر تخوفه
مما هو اشد منه كان يقال المحن تاديب من الله عز وجل لخلقه وتاديب
الله يفتح القلوب والابصار والاسماع وصف الحسن بن سهل المحن فقال
فيها تمحيص من الذنوب وتنبيه من الغفلة وتعرض للثواب بالصبر
وتذكير بالنعمة واستدعاء للمثوبة وفي نظر الله عز وجل وقضاياه الخيار
قال بعض عقلا التجار ما اصغر المصيبة بالارباح اذا عادت بسلامة
الارواح فكانه من قول العرب ان تسلم الحيلة فالنخل هدر كتب بعض
الكتاب الى صديق له في محنة لحقته ان الله تعالى ليمتحن العبد ليكثر التواضع
والاستعاذة به ويجدد الشكر على ما يوليه من كفايته وياخذ بيده
في شدته لان دوام العافية والنعم يبطر الانسان حتى يعجب بنفسه ويعدل
عن ذكر ربه قال الحسن البصري الخير الذي لا شر فيه هو الشكر
مع العافية والصبر عند المحنة فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى
بمحنة وهو صابر قال ابو الحسن المدايني في كتابه كتاب الفرج بعد
الشدة والضيقة كان ابن شبرمة اذا نزل به شدة يقول سحابة ثم تنقشع

وقال في كتابه هذا عن جعفر بن سليمان الهاشمي قال قال بعض الحكما آخر الهم
اول الفرج وكان جعفر يقول وقد جربناه فوجدناه كذلك ذكر القاضي ابو الخير
في كتابه قال حدثنا الحسن بن مكرم يرفعه عن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول اني لان اكون في شدة اتوقع بعدها رخاء احب الي من ان اكون
في رخاء اتوقع بعدها شدة وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير اسناد انه
قال لو كان العسر في كوة لجاء يسران فاخرجاه قال مؤلف الكتاب
كنت قد لجات الى البطيحة هاربا من نكبة لحقتني فاعتصمت باميرها معين
الدولة ابي الحسن بن عمران بن شاهين السلمي فلقيت هناك جماعة من
معارفي بالبصرة وواسط خائفين على انفسهم قد هربوا من ابن
تقية الذي كان في الوقت وزيرا ولجوا الى البطيحة وكنا نجتمع في المسجد
الجامع فنتشاكى احوالنا ونتمنى الفرج مما نحن فيه من الخوف والشدة
والشقا فقال لي ابو الحسن بن حيشان التاجر الصلحي قال حدثني ابو محمد
الحسن بن عثمان بن قنيف بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لو دخل عسر كوة جاء يسران فاخرجاه فلما سمعت ذلك منه قلت
بديها وانشدتهم ⁘ انا روينا عن النبي رسو ⁘ ل الله فيما افيد من ادبه ⁘
لو دخل العسر كوة لاتى ⁘ يسران فاستخرجاه من ثقبه ⁘ فما مضى على هذا
المجلس الا اربعة اشهر حتى فرج الله عني وعن كثير ممن حضر ذلك
المجلس من الممتحنين وردنا الله تعالى الى عوائده الجميلة عندنا
فله الحمد والشكر لله رب العالمين وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه
بغير اسناد ان عليا رضي الله عنه قال عند تناهي الشدة تكون
الفرجة وعند تضايق البلا يكون الرخا ويكون مع العسر يسرا
وذكر عنه انه قال ما ابالي باليسر رميت ام بالعسر لان حق الله في العسر
الرضا والصبر وفي اليسر البر والشكر قال مؤلف هذا الكتاب
حدثني بعض الشيعة بغير اسناد قال قصد اعرابي امير المؤمنين
رضي الله عنه فقال اني ذو محن فعلمني شيئا انتفع به فقال يا اعرابي
ان للمحن اوقاتا فاجتهاد العبد في محنته قبل ازالة الله تعالى اياها
تكون زيادة فيها لقوله تعالى ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره

او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون
لكن استعن بالله واصبر واكثر من الاستغفار فان الله تعالى وعد الصابرين
خيرا كثيرا في قوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم
انهارا فانصرف الرجل فقال امير المؤمنين رضي الله تعالى عنه بيت
⁘ اذا لم يكن عون من الله للفتى ⁘ فاكثر ما يجني عليه اجتهاده ⁘
حدثنا ابو محمد الحسين بن محمد المهلبي في وزارته قال كنت
في وقت من الاوقات قد وقعت لي شدة شديدة وخوف عظيم
لا حيلة لي فيهما فاقمت ليلتي قلقا ولم اعرف الغمض فلجات الى الصلاة
والدعا فاقبلت على البكا في سجودي والتضرع ومسئلة الله تعالى
فرج عني ما كنت فيه على افضل ما اردت فقلت شعرا
⁘ بعثت الى رب العطايا رسالة ⁘ تؤمل لي فيها دعاء مناصح ⁘
⁘ فجاء جوابي بالاجابة فانجلت ⁘ بها كرب ضاقت بهن جوانح ⁘
اخبرني ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن عن محمد بن العباس
اليزيدي عن عمه الفضل بن محمد قال اراد جعفر بن محمد الحج
فمنعه المنصور فقال الحمد لله الكافي سبحان الله الاعلى حسبي الله
وكفى ليس من الله منجى ماشاء الله قضى ليس وراء الله منتهى توكلت
على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على
صراط مستقيم اللهم ان هذا عبد من عبيدك خلقته كما خلقتني
ليس له علي فضل الا ما فضلته علي فاكفني شره وارزقني خيره واقدح
لي في قلبه المحبة واصرف عني اذاه لا اله الا انت سبحان الله رب العرش
العظيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه فاذن له المنصور
في الحج **الباب الثالث من بشر بفرج من نطق فال ونجى من محنته
بقول او دعاء او ابتهال** اخبرني ابو بكر محمد بن يحيى
الصولي قال حدثنا ابن ابي القاضي قال رايت امراة بالبادية وقد
جاء البرد وقد ذهب بزرع كان لها فجاء الناس يعزونها فرفعت راسها
الى السماء وقالت اللهم انت المامول لاحسن الخلف وتبديل العوض عما تلف

فافعل ما انت اهله فان ارزاقنا عليك وآمالنا مصروفة اليك قال فلم ابرح
حتى مر رجل من الاجلاء فحدثت بما كان فوهب لها خمسمائة دينار حدثني
ابي عن ابي محمد عبد الله بن احمد بن حمدون عن عبد الله بن احمد
نديم المعتضد بالله قال حدثني المعتضد بالله يوما وهو خليفة قال
لما ضرب اسمعيل بن بلبل بيني وبين ابي الموفق بالله فاوحشه مني
حتى حبسني الحبسة المشهورة وكنت اتخوف القتل صباحا ومساء ولا آمن
ان يروي عني اسمعيل ما يزيد في غيظ الموفق علي فيامر بقتلي فكنت
كذلك حتى خرج الموفق الى الجند فازداد خوفي واشفقت ان يكاتبه اسمعيل
عني بكذب يجعل غيبته طريقا اليه فلا يكشفه ويامر بقتلي فاقبلت
الى الله عز وجل بالابتهال في تخليصي فكان اسمعيل يجيئني في كل يوم
مراعيا خبري ويريني ان ذلك خدمة لي فدخل الي يوما وبيدي المصحف
وانا اقرا فتركته واخذت احادثه فقال ايها الامير اعطني المصحف
لاتفال لك منه فلم اجبه بشي فاخذ هو المصحف ففتحه فكان اول سطر
فيه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
فاسود وجهه وازبد ثم غلط الورق وفتح المصحف ثانية فخرج ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين
فازداد قلقا واضطرابا وفتح المصحف ثالثة فخرج وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من
قبلهم الآية فوضع المصحف وقال ايها الامير انت والله الخليفة بلا شك
فما حق بشارتي فقلت الله الله في دمي واسال الله ان يبقي امير المؤمنين
والامير الناصر الموفق وما لنا وهذا ومثلك في عقلك لا يطلق مثل هذا
القول بمثل هذا الاتفاق قال فامسك وما زال يحادثني ويخرجني من قول
ويدخلني في آخر الى ان اجرى حديث ما بيني وبين ابي واقبل يحلف
بالايمان الغليظة انه لم يكن له في امري صنع ولا سعاية علي بمكروه
فصدقته ولم ازل اخاطبه بما تطيب به نفسه خوفا من ان يزيد
وحشة مني فيسرع الى تدبير تلفي الى ان انصرف ثم صار اليّ وقت جاءني
اخذ معي في الاعتذار وانا اظهر له التصديق والتقبل حتى سكن ولم يشك

اني معتقد لبرآءة ساحته فما كان باسرع من ان جاء الموفق وقد اشتدت
علته ومات فاخرجني الغلمان من الحبس ونصبوني مكانه وفرج الله تعالى عني
وقاد الخلافة الي ومكنني من عدو الله وعدوي اسمعيل فانفذت الحكم
فيه حدثني ابو الحسن علي بن هشام بن ابي قيراط الكاتب عن ابي عبد الله
الناطفاني يقول سمعت ابا القاسم عبد الله بن سليمان يحدث في وزارته قال
ابي اصبحت يومًا وانا في حبس محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق آيس
ماكنت من الفرج واشده محنة وغمًا حتى وردت علي رقعة اخي الحسن بن
وهب وفيها هذه الابيات ؞ خطبا ابا ايوب جل محله ؞ فاذا عجزت عن
الامور فمن لها ؞ ان الذي عقد الذي انعقدت به ؞ عقد المكاره فيك يحسن حلها ؞
؞ فاصبر فان الله يعقب فرجة ؞ ولعلها ان تنجلي ولعلها ؞
؞ وعسى تكون قريبة من حيث لا ؞ ترجو وتمحو عن جديك ذلها ؞
قال فتفاءلت بذلك وقويت نفسي فكتبت اليه شعرًا
؞ صبرتني ووعظتني وانا لها ؞ وستنجلي بل لا اقول لعلها ؞
؞ ويحلها من كان صاحب عقدها ؞ ثقة به اذ كان يملك حلها ؞
قال فلم اصل العتمة من ذلك اليوم حتى اطلقت وعن صالح بن سمار
قال ان الحسن البصري دخل على الحجاج بواسط فراى بناءه فقال الحمد لله
ان هؤلاء الملوك ليرون في انفسهم عبرا وانا لنرى فيهم عبرا يعمد احدهم
الى قصر فيشيده وفرس فيتخذه وقد حف به ذباب طمع وفراش نار
ثم يقول الا فانظروا ما صنعت فقد راينا يا عدو الله ما صنعت هاذا
يا فاسق الفاسقين اما اهل السموات فمقتوك واما اهل الارض فلعنوك
ثم خرج وهو يقول انما اخذ الله على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه
فتغيظ الحجاج غيظا شديدا وقال احضروه فحمل الى الحجاج وعرف
الحسن ما قاله فكان طول طريقه يحرك شفتيه فلما دخل وجد السيف
والنطع بين يدي الحجاج وهو يتغيظ فلما رآه كلمه الحجاج بكلام غليظ
فرفق به الحسن ووعظه فامر الحجاج بالسيف والنطع فرفعا ولم يزل
الحسن يمر في كلامه حتى دعا الحجاج بطعام فاكلا وبالوضوء فتوضاء
وبالغالية فغلفه منها بيده وصرفه مكرما قال صالح بن سمار قلت

جزعت

للحسن بما كنت تحرك شفتيك قال قلت يا غياثي عند دعوتي ويا عدتي في
ملمتي ويا ربي عند كربتي ويا صاحبي في شدتي ويا وليي في نعمتي يا الهي واله
ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى عليهم السلام
ويا رب النبيين كلهم اجمعين ويا رب كهيعص ويا رب طه ويس والقرآن
الحكيم صل على محمد وآله الطاهرين وارزقني مودة عبدك الحجاج وخيره
ومعروفه ونعمته واصرف عني اذاه ومكروهه ومعرته قال صالح بن
سمار فما دعونا بها في شدة الا وفرج الله عنا بها حدثنا ابو
العباس محمد بن احمد الاثرم المقري باسناده ان عبد الملك بن مروان
كتب الى عامله بالمدينة هشام بن اسمعيل ان حسن بن حسن كاتب
اهل العراق فاذا جاءك كتابي فابعث اليه الشرط فليأتوا به قال فاتي به
فساله عن شيء فقام اليه علي بن الحسين فقال له يا ابن العم قل كلمات الفرج
يفرج الله عنك لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع
ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين قال فقالها ثم ان الامير خلى له
وجهه ونظر اليه فقال اني ارى وجها قد قذف بكذبة خلوا سبيله
فلا راجعن امير المؤمنين فيه حدثني عبد الله بن عمر بن الحرث السراج
الواسطي المعروف بابي احمد الحارثي المكفوف قال حدثني بعض اصحاب
ابي محمد سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه قال كان في بني اسرائيل
رجل في صحراء قريبة من جبل يعبد الله تعالى فيه اذ مثلت له حية وقالت
له قد جاءني من يريد قتلي فاجرني اجارك الله واخباني قال فرفع ذيله
وقال ادخلي فتطوقت على بطنه وجاء رجل بسيف وقال له يا رجل
حية هربت مني الساعة اردت قتلها فهل رايتها قال ما رايت شيئا
فانصرف الرجل فقال لها العابد اخرجي فقد امنت فقالت بل اقتلك ثم
اخرج فقال لها الرجل وليس غير هذا قالت لا قال فامهليني حتى آتي
سفح هذا الجبل فاصلي فيه ركعتين وادعو الله عز وجل واحفر لنفسي
قبرا فاذا نزلته فشانك وما تريدين فقالت افعل فلما صلى اوحى الله تعالى
اليه اني قد رحمتك بشفقتك بي ودعائك اياي فاقبض على الحية فانها تموت
في يدك ولا تضرك ففعل ذلك ونجى وعاد الى موضعه وتشاغل بالعبادة

وبلغني ان رجلا جنى على عهد عبد الملك بن مروان جناية فاهدر عبد
الملك دمه ودم من ياويه فتحاماه الناس فكان يسيح في الجبال والمفاوز
ولا يذكر اسمه فقال الرجل كنت يومًا اسيح في بطن واد فاذا بشيخ ابيض عليه
ثياب بيض وهو قائم يصلي فقمت الى جانبه فلما سلم قال لي من انت قلت
رجل اخافني السلطان وقد تحاماني الناس وما يجيرني احد فانا اسيح
في هذه البراري خوفا على نفسي قال فاين انت عن السبع قلت واي
السبع قال تقول سبحان الله الواحد الذي ليس غيره سبحان الله
الدائم الذي ليس يعادله شيء سبحان الدائم القديم سبحان الذي لا ند
له سبحان الذي يحيي ويميت سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم اللهم
اني اسالك بحق هذه الكلمات وحرمتهن ان تفعل بي كذا وكذا فاعادهن
علي حتى حفظتهن قال الرجل وفقدت صاحبي فالقى الله تعالى الامن في
قلبي فخرجت من وقتي متوجها الى عبد الملك بن مروان حتى وقفت
ببابه واستاذنت فاذن لي فلما دخلت قال او قد تعلمت السحر قلت لا
يا امير المؤمنين ولكن كان من شاني كذا وكذا وقصصت عليه الخبر
فامنني واحسن الي حدثني عبد الله بن احمد بن داسة البصري
قال اعتللت علة ويئست فيها من نفسي فعادني بعض اصحاب ابي محمد سهل
ابن عبد الله التستري فقال لي كان ابو محمد سهل يدعو في علله بادعية
ما دعا بها احد الا عوفي فقال ما هي قال قل اللهم اشفني بشفائك
وداوني بدوائك وعافني من بلائك فواصلت الدعاء بها فعوفيت
وعن ابي الحسن بن البواب المقري قال يصحبنا على القرآن رجل مستور
صالح يكنى ابا احمد وكان يكتب كتب العطف للمستورين من الناس
فحدثني قال بقيت يومًا بلا شيء وانا جالس في دكاني فدعوت الله عز وجل
ان يسهل لي شيئا فما استتممت الدعاء حتى فتح باب دكاني غلام امرد حسن
الوجه جدا فسلم علي بادب حسن وجلس فقلت ما حاجتك فقال انا
عبد مملوك قد طردني مولاي وغضب علي وقال انصرف عني الى حيث
شئت وما اعددت لنفسي من اطرحها عليه في مثل هذا الوقت ولا اعرف
من اقصده فبقيت متحيرا في امري وقد قيل لي انك تكتب كتب العطف

فاكتب لي فكتبت له الكتاب الذي كنت اكتبه وهو بسم الله الرحمن الرحيم والحمد
لله رب العالمين والمعوذتين وآية الكرسي ولو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وكتبت آيات العطف لو انفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم
ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم
على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم
تهتدون فقلت له خذ هذه الرقعة فشدها في عضدك الايمن
ولا تعلقها عليك الا اذا كنت طاهرا فاخذها وقام ووضع بين يدي
دينارا فداخلتني رحمة له فصليت ركعتين ودعوت الله ان ينفعه
بالكتاب ويرد عليه قلب مولاه وجلست فما مضت ساعتان الا واذا بابي
الجود خليفة عجيف غلام نازوك وخليفته على الشرط فقال اجب الامير
نازوك قال فخفت فقال لا ترع واركبني بغلا وجاء الى دار نازوك
فتركني في الدهليز ودخل فلما كان بعد ساعة ادخلت فاذا بنازوك
جالس في دست عظيم وبين يديه الغلمان قياما سماطين وكاتبه ابو القاسم
جالس بين يديه ورجل لا اعرفه فارتعت فاهويت لاقبل الارض فقال
مه عافاك الله لا تفعل هذا من سنن الجبارين ما نريد نحن هذا اجلس
يا شيخ ولا تخف قال فجلست فقال جاءك اليوم غلام امرد فكتبت له
كتابا للعطف فقلت نعم قال فاصدقني عما جرى بينكما حرفا حرفا قال
فاعدته عليه حتى لم اخرم حرفا وتلوت عليه الآيات قال فلما قلت له
ان الغلام قال انا عبد مملوك وما اعددت لنفسي من اقصده في هذا
الحال ولا اعرف جهة الجا اليها وقد طردني مولاي فبكيت انا لما تداخلني
من رحمة الفتى ومحبتي للدينار الذي اعطانيه قال فدمعت عين نازوك
ثم تجلد واستوفى الحديث وقال قم يا شيخ بارك الله عليك ومهما عرضت
لك حاجة او لجار لك تسالني اياها فاني اقضيها لك واكثر عندنا وانبسط
فانك غير محجوب عنا فدعوت له وخرجت فلما صرت خارج المجلس اذا بغلام

اعطاني قرطاسًا فيه ثلاثمائة درهم فاخذتها وخرجتُ فلما صرتُ في الدهليز
اذا انا بالفتى فعدل بي الى موضع واجلسني فقلت خبرك فقال انا غلام الامير
وكان قد غضب علي وطردني فجئتك فلما احتبست عليه عندك طلبني فوجعت
فاذا بالرسل قد انبثوا في طلبي فلما حضرتُ قال اين كنت فحدثته فلم
يصدقني وطلبك فلما حدثته بمثل ما حدثته وخرجتُ الساعة فاحضرني
وقال يا بني انك الساعة من اجل غلماني عندي وامكنهم من قلبي واخصهم
بي اذ كنت لما عاملتك بهذا ما غيرك ذلك عن محبتي والرغبة في خدمتي
وطلب الحيل في الرجوع الي فانكشف انك ما اعددت لنفسك بعد الله تعالى
سواي ولا عرفت وجهًا تلجأ اليه في الدنيا غيري فما ترى عندي بعد
هذا الا كل ما تحبه وسأعلي منزلتك وابلغ بك اعلا مراتب نظرائك
ولعل الله سبحانه وتعالى استجاب فيك دعاء هذا الشيخ ونفعك بالآيات
من القرآن فباي شيء كافيت ذلك الرجل فقلت ما اعطيته غير ذلك الدينار
فقال سبحان الله قم الى الخزانة وخذ ما تريد فاعطه فاخذت هذا من
الخزانة فجئتك به فاعطاني خمسمائة درهم وقال لي الزمني فاني احسن
اليك فجئته بعد مدة فاذا هو قائد جليل قد بلغ نازوك تلك المنزلة فوصلني
بصلة جزيلة وصار لي عدة على الزمان حدثني غير واحد من الكتاب
عمن سمع ابا علي لما عاد من فارس وزيرًا يتحدث قال من ظريف ما اتفق من
نكبتي هذه التي ادتني الى الوزارة اني اصبحتُ وانا محبوس مقيد في حجرة
من دار ياقوت امير فارس وقد لحقني من الاياس من الفرج وضيق
الصدر بها ما اقنطني وكاد يغلب على عقلي وكنت انا وفلان محبوسين
مقيدين في بيت واحد من الحجرة الا انا على سبيل ترفيه واكرام فدخل
علينا كاتب لياقوت كان كثيرًا ما يجيئنا برسالته فقال الامير يقرا عليكما
السلام ويعرف اخباركما ويعرض عليكما حاجتين كانت لكما فقلت له تقرا
على الامير السلام وتقول له قد ضاق والله صدري واشتهيت ان
اشرب على غناء طيب فان جاز ان يسامحنا بذلك سرًّا ويتخذ به عندنا منة
وبرًّا تفضل بذلك قال والمحبوس معي يخاصمني ويقول يا هذا واتتهمل في
قلو بنا فضل لهذا فقلت للكاتب اعد دعني ما قلت لك قال السمع والطاعة

ومضى ثم جاء وقال الامير يقول لك حبًا وكرامة لك وعزازة اي وقت شئت
فقلت الساعة فلم تمض الا ساعة حتى جاؤا بالطعام فاكلنا والمشام والفاكهة
والنبيذ وصفف المجلس فجلست والمحبوس معي مقيدًا وقلت له تعال حتى نشرب
ونتفاءل باول صوت يغني به لنا في هذه الساعة في سرعة الفرج مما نحن فيه
فلعله يصح الفال فقال اما انا فلا اشرب فلم ازل ارفق به حتى شرب وجاءت
المغنية فكان اول صوت غنته شعر ~~
تواعد للبين الخليط لينبتوا ~~ وقالوا لراعي الذود موعدك السبت ~~
ولكنهم بانوا ولم ادر بغتة ~~ وافظع شيئًا حين يفجأك البغت
فقال لي ما هذا اما نتفاءل به واي
معنى فيه يدل على فرجنا فقلت ما هو الا فال مبارك ولعل الله ان يفرق بيننا
وبين هذه الحال التي نحن فيها بالفرج والصلاح يوم السبت قال وشربنا يومنا
وسكرنا وانصرفت المغنية ومضت بقية ايام ذلك الاسبوع فلما كان يوم
السبت لم تمض من النهار الا دون ساعتين فاذا بياقوت قد دخل علينا فجاءة
فارتعنا وقمت اليه فقال ايها الوزير الله الله في واقبل يسرعا الي
وعانقني واجلسني فاخذ يهنيني بالوزارة فتهنيت ولم يكن عندي علم
من شيء من الامر ولا مقدمة له فاخرج كتابًا قد ورد عليه من القاهر بالله
يعلمه فيه تقليده اياي الوزارة ويامره فيه بطاعتي وسلم الي كتابًا من القاهر
بمثل ذلك يامرني فيه بالنظر في امر فارس والاولياء بها واستصحاب ما يمكنني
من المال وتدبير امر البلدة بما اراه والبدار الى حضرته فانه قد استخلف
لي الى وقت حضوري الكلوذاني فحمدت الله تعالى وشكرته واذا الحداد
واقف فتقدمت اليه يفك قيودي وقيود الرجل ففكت ودخلتُ الحمام
واصلحتُ من امري وامر الرجل وخرجت فجلست ونظرتُ في امر العمال
والاموال وجمعتُ مالًا جليلًا في مدة يسيرة وقررت امور البلدة وا ~~
الرجل الى الحضرة حتى جلستُ هذا المجلس وفرج الله عني وعنه في يوم
السبت وقال ابراهيم بن العباس كنت اكتب لاحمد بن ابي خالد
فدخلت عليه يومًا فرايته مطرقًا مفكرًا مغمومًا وسالته عن خبره فاخرج لي
رقعة فاذا فيها ان حظية من اعز جواريه يخالف اليها ويوطي فراشه غيره
ويستشهد في الرقعة خادمين على ذلك كانا ثقتين عنده قال فدعوت الخادمين

وسالتهما عن ذلك فانكراه فتهددتهما بالقتل فاقاما على الانكار فضربتهما فاعترفا
بذلك على الجارية بكل ما في الرقعة واني لم اذق امس واليوم ذواقا وقد هممت
بقتل الجارية قال فوجدت بين يديه مصحفًا ففتحته فكان اول ما خرج فيه
يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الآية قال فشككت انا في صحة
الحديث واريته ما خرج في الفال وقلت دعني اتلطف في كشف هذا فخلوت
باحد الخادمين وناجيته عن الامر فقال النار ولا العار وذكر ان امراة احمد
ابن ابي خالد وجهت اليه بكيس فيه الف دينار وسالته الشهادة على الجارية
وامرته ان لا يذكر شيئًا الا بعد ان يقع به مكروه ليكون اثبت للخبر واحضر
الكيس مختومًا بخاتم المراة ودعوتُ بالآخر فخلوت به فاعترف بمثل هذا فبادرتُ
الى احمد بالبشارة فما وصلت اليه حتى وردت رقعة الحرة تعلمه فيها ان
الرقعة الاولى كانت من فعلها غيرةً عليه من الجارية وان جميع ما فيها باطل وانها
هي التي حملت الخادمين على ذلك وانها تائبة الى الله عز وجل من هذا الفعل وامثاله
فجاءته براءة الجارية من كل جهة فسر بذلك وزال ما كان فيه واحسن لي الجائزة
وقال الحسن بن الحسن ان عبد الله بن جعفر زوج ابنته فلما اراد ان
يهديها الى زوجها خلا بها فقال اذا نزل بك الموت او امر من امر الدنيا فظيع
فاستقبليه بان تقولي لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين قال الحسن بن الحسن فبعث الي الحجاج فقلتهن فلما مثلت بين
يديه قال لقد بعثت اليك وانا اريد ان اضرب عنقك ولقد دخلت الي وما من
اهل بيت على اكرم منك سلني حاجتك وامر الرشيد بعض خدمه
فقال اذا كان الليلة فصر الى الحجرة الفلانية فافتحها وخذ من رايت فيها
فأت به موضع كذا من الصحراء فان ثم قليبًا محفورًا فارم به فيه وطمه
بالتراب وليكن معك فلان الحاجب قال فجاء الى باب الحجرة ففتحها فاذا فيها
غلام كالشمس الطالعة قال فجذبه اليه جذبًا عنيفًا قال فقال له اتق الله
عز وجل فاني ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله ان تلقى جدي بدمي
قال فلم يلتفت الى ما قاله واخرجه الى الموضع قال فلما اشرف الفتى على التلف قال
يا هذا انك على رد ما لم تفعل اقدر منك على رد ما فعلت فدعني اصلي ركعتين
وامض ما امرت به فقال شانك وما تريد فقام الفتى فصلى ركعتين فسمعناه

يقول يا خفي اللطف اغثني في وقتي هذا والطف بي بلطفك الخفي فلا والله ما استتم
دعاءه حتى هبت ريح وغبرة فلم ير بعضنا بعضًا ووقعنا على وجوهنا واشتغلنا
بانفسنا عن الفتى ثم سكنت الريح والغبرة فراينا الكواكب وطلبنا الفتى فما
رايناه ورأينا قيوده مرمية بحضرتنا فقال الحاجب للخادم هلكنا والله سيقع
لامير المؤمنين انا اطلقناه فماذا نقول لئن نحن كذبناه لم نامن ان يبلغه
خبر الفتى ولئن صدقناه ليعجلن المكروه بنا فقال احدهما للآخر لئن كان
الكذب ينجي فالصدق انجى فلما دخلا اليه قال لهما ما فعلتما قال الحاجب
يا امير المؤمنين الصدق اولى ما اتبع ومثلي لا يجتري ان يكذب امير المؤمنين
فانه كان من الخبر كذا وكذا فقصه فقال الرشيد لقد تداركه اللطف الخفي
والله لاجعلنها من مقدمات دعائي امض لشانك واكتم ما جرى عن ابي
سلمة عبيد الله بن منصور قال جرت على رجل شدة بمضته فالح
على الدعاء ذات ليلة فهتف به هاتف يا هذا قل يا سامع كل صوت ويا بارئ
النفوس بعد الموت يا من لا تغشاه الظلمات ويا من لا يشغله شيء عن شيء
قال فدعا بها ففرج الله عنه ولم يسال ربه حاجة تلك الليلة الا اعطاه
وقال ابو الحسن بن ابي طاهر محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش قبض
محمد بن القاسم بن عبد الله في وزارته للقاهر بالله على ابي وعلي معًا
فحبسنا جميعًا في حجرة من دار ضيقة واجلسنا على التراب وشدد علينا
وكان يخرجنا في كل يوم فيطالب ابي بمال المصادرة واضرب انا بحضرة ابي
ولا يضرب هو فلاقينا من ذلك شدائد صعبة فلما كان بعد ايام قال لي ابي
هؤلاء الموكلون قد صارت لهم حرمة بنا فتوصل الى مكاتبة ابي نصر الصير في
وكان صديقه حتى ينفذ الينا ثلاثة الاف درهم نفرقها عليهم ففعلت ذلك
فانفذ الدراهم من يومه فقلت للموكلين في عشيته قد وجبت لكم علينا حقوق
فخذوا هذه الدراهم فانتفعوا بها فامتنعوا فقلت ما سبب امتناعكم فوروا
عن ذلك فقلت اما قبلتم واما عرفتمونا السبب فقالوا نشفق عليكم من ذكره
ونستحيي فقلت لابي فقال قل لهم اذكروه على كل حال فقلت لهم فقالوا قد
عزم الوزير على ان يقتلكما الليلة ولا نستحسن اخذ شيء منكم على هذا فقلقت
ودخلت الى ابي بغير تلك الصورة فقال ما لك فاخبرته الخبر فقال لي رد الدراهم

بلغ

الى ابي نصر فرددتها اليه وكان ابي يصوم تلك الايام كلها فلما غابت الشمس تطهر
ولم يفطر وصلى المغرب وصليت معه ثم اقبل على الصلاة والدعا الى ان صلى
العشاء الآخرة ثم اقبل على الصلاة والدعا ثم دعاني فقال اجلس يا بني الى
جانبي جاثيا على ركبتيك ففعلت وجلست وجلس هو كذلك ثم رفع راسه
الى السماء وقال يا رب محمد بن القاسم قد ظلمني وحبسني على ما ترى فانا بين يديك
وقد استعديت اليك وانت احكم الحاكمين ثم اقبل يقول فاحكم بيننا لا يزيد على
ذلك ثم صاح بها الى ان ارتفع صوته ولم يزل يكررها بصياح وبكاء واستغاثة
الى ان ظننت انه قد مضى ربع الليل فوالله ما قطعها حتى سمعت الباب يدق
فذهب عقلي ولم اشك في انه القتل وفتحت الابواب ودخل قوم بشموع
فتاملت فاذا فيهم سابور خادم القاهر بالله فقال اين ابو طاهر فقال ابي
ها انا ذا فقال اين ابنك فقال هو ذا فقال انصرفا الى منزلكما فانصرفنا فاذا
هو قد قبض على محمد بن القاسم واحدره الى دار القاهر وعاش في الاعتقال
ثلاثة ايام ثم مات **حدثنا** علي بن الحسن بالاسناد عن انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب عليه السلام اخ مواخ فقال ليعقوب
ما الذي اذهب بصرك وقوس ظهرك قال اما الذي اذهب بصري فالبكا على
يوسف واما الذي قوس ظهري فالحزن على ابن يامين فاوحى الله تعالى اليه
يا يعقوب اما تستحي تشكوني الى غيري قال انما اشكو بثي وحزني الى الله
ثم قال يا رب ارحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي
ريحانتي يوسف اشمه وافعل بي ما اردت فاتاه جبريل عليه السلام وقال
له ان ربك يقرئ عليك السلام ويقول لك ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا
ميتين لانشرتهما لك فاصنع طعاما للمساكين فان احب عبادي الي الانبياء
والمساكين فان الذي اذهب بصرك وقوس ظهرك وصنع اخوة يوسف ما صنعوا
انكم ذبحتم شاة فاتاكم رجل صائم فلم تطعموه شيئا وكان يعقوب بعد ذلك اذا
اراد العشا امر مناديه فنادى من كان صائما من المساكين فليفطر مع يعقوب
حدثنا محمد بن عمران عن رجل من اهل الكوفة ان جبريل عليه السلام
دخل على يوسف عليه السلام السجن فقال يا طيب من ادخلك الى هاهنا قال انت
قال قل اللهم يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب

دعاء للفرج

ذهاب بصر يعقوب

دعاء للفرج

اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وارزقني من حيث لا احتسب **حدثنا** علي
ابن الحسن بالاسناد انه لما اشتد كرب يوسف واتسخت ثيابه وشعث راسه
وجفاه الناس دعا عند تلك الكربة فقال اللهم اليك ما لقيت من ودي وعدوي
اما ودي فباعوني واما عدوي فحبسوني اللهم اجعل لي فرجا ومخرجا فاعطاه
الله ذلك **حدثنا** علي بن الحسن بالاسناد عن الحكم بن هشام الثقفي قال
اخبرت ان رجلا اخذ اسيرا فوضع في جب ووضع على راس الجب صخرة فلقن
فيها قل سبحان الله الملك الحق القدوس سبحان الله وبحمده فاخرج من غير ان
يكون اخرجه انسان **عن** علي بن الحسين قال سمعت ابا صالح الفزاري قال
امر الحجاج بن يوسف برجل كان قد جعل على نفسه ان ظفر به يقتله فلما دخل
عليه تكلم بشيء فخلى سبيله فقيل له اي شيء قلت قال قلت يا عزيز يا حميد يا ذو
العرش المجيد اصرف عني شر كل جبار عنيد **عن** الحرث البصري عن عمر
الشرايا قال كنت اغير في بلاد الروم وحدي فبينا انا ذات ليلة او يوم نائم
اذ ورد علي علج فحركني فانتبهت فقال يا عربي اختر ان شئت مطاعنة وان
شئت مسايفة وان شئت مصارعة فقلت اما المطاعنة والمسايفة فلا بقاء لهما
ولكن مصارعة فنزل فلم ينهنهني ان صرعني وجلس على صدري وقال اي قتلة
اقتلك فذكرت دعاء فرفعت طرفي الى السماء فقلت اشهد ان كل معبود دون
عرشك الى قرار الارضين باطل غير وجهك الكريم قد ترى ما انا فيه ففرج عني
فاغمي علي فقمت فاذا الرومي الى جنبي قتيلا قال اسحاق بن بنت داود فجربته
وعلمته الناس فوجدته نافذا وهو الاخلاص بعينه **حدثني** الحسين بن
عبد الرحمن ان بعض الوزراء نقاه الملك لوجدة وجدها عليه فاغتم لذلك غما
شديدا فبينما هو ذات يوم في مستتر له اذ انشده رجل منهم فقال

احسن الظن برب عودك ... حسنا امس وسوى اودك
ان ربا كان يكفيك الذي ... كان بالامس سيكفيك غدك

قال فرضي عنه وامر له بعشرة آلاف درهم **حدثنا** علي بن ابي الطيب بالاسناد
عن محمد بن رجا مولى بني هاشم قال اصابني غم شديد لامر كنت فيه فرفعت
مقعدا كنت جالسا عليه فاذا رقعة فيها مكتوب **شعرا**

يا صاحب الهم ان الهم منقطع ... لا تياسن كان قد فرج الله

قال فذهب عني ما كان بي من الغم ولم البث ان فرج الله تعالى وبالاسناد قال
حدثني الثقفي قال قال رجل اصابني هم ضقت به ذرعا فنمت فرايت في منامي
كان قائلا يقول لي

كن للمكاره بالعزاء مقطعا ... فلعل يوما لا ترى ما تكره
ولربما ابتسم الوقور من الاذى ... وضميره من حره يتاوه

حدثني ابو الحسن ابن الحسن المعروف بالجراحي قال حدثني ابو الحسن بن ابي طاهر بن الحسين لما
خرج الى محاربة علي بن عيسى بن هرون جعل في كم حميد بن ابراهيم دراهم
يفرقها في الفقراء ثم اسبل كمه ناسيا فانتفضت من كمه فتطير من ذلك
فاغتم فانشد له شاعر

هذا تفرق جمعهم لا غيره ... وذهابها منه ذهاب الهم
شيء يكون الهم بعض حروفه ... لا خير في امساكه في الكم

فسلى ما به وامر له بثلاثين الف درهم **انصرف** يحيى بن خالد البرمكي من
عند الهادي وقد ناظره في تسهيل خلع العهد عن هرون ويحيى يحلف له
انه قد فعل ذلك وجهد فيه فامتنع هرون فقال الهادي كذبت هذا من
فعلك والله لافعلن بك ولاصنعن وتوعده بكل عظيم وصرفه فجاء الى
بيته فكلم غلامه في شيء فاجابه بما اغاظه فلطمه يحيى فانقطعت حلقة خاتمه
وطاح الفص فاشتد ذلك عليه وغمه فدخل عليه الشاري الشاعر عقيب
ذلك فاخبره بالقصة فقال في الحال **شعرا**

اخلاك من كل الامور سقوطه ... واتاك بالفرج انفراج الخاتم
قد كان ضاق ففك حلقة ضيقه ... فاصبر فما ضيق الزمان بدائم

فما امسى حتى ارتفعت الناعية على موسى وصار الامر الى هرون فاعطى
يحيى الشاري مائة الف درهم **قال** ابو علي العباسي حدثني جدي قال بكرت
يوما الى موسى بن عبد الملك وحضر داود بن الحاج فوقف الى جانبي فقال
كان لي امس خبر ظريف انصرفت من عند ابي الحسن موسى بن عبد الملك فوجدت
في منزلي امراة من اشراف النسا فشكته الي وقالت قد حاول اخذ ضيعتي
الفلانية انت تعلم انها عمدتي في معيشتي وان في عنقي صبية ايتاما فاي شيء
تدبر في امري وتشير علي فقلت لها من معك وراء الستر قالت ما معي احد قلت
اما التدبير في امرك فما لي فيه حيلة واما المشورة فقد قال النبطي لا تبع ارضك
من اقدام الرجل الردي فان الرجل الردي يموت والارض تبقى فدعت لي وانصرفت

فنحن كذلك اذ خرج موسى بن عبد الملك فقال لداود بن الحاج يا باسليمان لا تبع
ارضك من اقدام الشرير فانه يموت والارض تبقى فقال لي يا داود سمعت هذا وانه
هو الموت اين اهرب اين امضي ما آمنه والله على نفسي ونعمتي فاشر علي بما اصنع
قبل نفاد طريقنا ونزولنا معه الى الديوان فقلت ما ادري فرفع يديه الى السماء
وقال اللهم اكفني امره وشره وضره فانك عالم بقضيتي واني ما اردت
بما قلت الا الخير واشتد قلقه وبكاؤه ودعاؤه وقربنا من الديوان فقال
موسى وهو على حالته متى حدث هذا الجبل الاسود في طريقنا ومال على سرجه
حتى سقط واسكت وحمل الى منزله وكان آخر العهد منه **وذكر**
المدايني في كتابه قال قال ابو سعيد وانا احسبه الاصمعي نزلت بحي من
كليب بجذ وبين وقد توالت عليهم سنون موتت الماشية ومنعت الارض خروج
نباتها وامسكت السماء قطرها فجعلت انظر الى السحابة ترتفع من ناحية القبلة
سوداء متقاربة حتى تطبق السماء ويشرف لها الحي ويرفعون اصواتهم بالتكبير
ثم يعدلها الله عنهم مرارا فلما كثر ذلك خرجت عجوز فعلت شرفا ثم نادت
باعلا صوتها يا ذا العرش اصنع كيف ما شئت فان ارزاقنا عليك فما نزلت من
موضعها حتى تغيمت السماء فمطرت مطرا كاد ان يغرقهم وانا حاضر **حدثنا**
علي بن ابي الطيب بالاسناد عن وضاح بن خيثمة قال امرني عمر بن عبد العزيز
باخراج من في السجن فاخرجتهم الا يزيد بن ابي مسلم فهدر دمي فقال والله اني
لبافريقية اذ قيل قدم يزيد بن ابي مسلم فهربت منه فارسل في طلبي فاخذت
فاتي بي فقال وضاح فقلت وضاح فقال اما والله لطال ما سالت الله تعالى ان
يمكنني منك فقلت وانا والله لطال ما استعذت الله من شرك فقال والله ما اعاذك
الله ووالله لاقتلنك ووالله لو سابقني ملك الموت على قبض روحك لسبقته
علي بالسيف والنطع قال فجيء بهما واقعدت فيه وكتفت وقام قائم على راسي
بالسيف مشهورا واقيمت الصلاة فخرج الى الصلاة فلما خر ساجدا اخذته السيوف
من اهل الهند فقتل فجاء بي رجل وقطع كتافي بسيفه وقال انطلق **حدثني**
ابو الطيب عبد العزيز حماد باسناد ذكره عن القاضي التنوخي الانباري قال
حدثني ابو عبد الله بن ابي عوف البزوري قال دخلت على ابي العباس بن ثوابة
وكان محبوسا فقال لي احفظ عني فقلت نعم فقال **شعرا**

عواقب مكروه الامور خيار ... وايام شر لا تدوم قصار

وليس بباق بوسها ونعيمها ... اذا كر ليل ثم كر نهار

فلم تمض الا ايام يسيرة حتى اطلق من محبسه حدثني احمد بن عبد الله
الوراق عن ابي بكر المعروف بالمستعيني بالاسناد عن بعض تجار المدينة قال
كنت اختلف الى جعفر بن محمد وكنت له خليطا وكان يعرفني بحسن حال فتغيرت
حالتي فرقّ لي فاتيته فجعلت اشكو اليه سوء حالي فقال شعرا

فلا تجزع وان اعسرت يوما ... فقد ايسرت في الدهر الطويل

ولا تيأس فان اليأس كفر ... لعل الله يغني عن قليل

ولا تظنن بربك ظن سوء ... فان الله اولى بالجميل

قال فخرجت من عنده وانا اغنى الناس وفي رواية اخرى زيادة وهي

فان العسر يتبعه يسار ... وقيل الله اصدق كل قيل

فلو ان العقول تسوق رزقا ... لكان المال عند ذوي العقول

وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه بالاسناد عن محمد بن موسى بن الفرات
قال كنت اتولى ماء سيدان وكان صاحب البريد بها علي بن زيد وكان قديما
يكتب للعباس بن المامون فحدثني ان العباس غضب عليه واخذ كلما
كان يملك حتى بقي بسر من راى لا يملك شيئا الا برذونه بسرجه ولجامه ومنطقته
وطيلسانا وقميصا وشاشة وانه كان يركب في اول النهار فيلقى من
يحتاج الى لقائه ثم ينصرف فيبعث برذونه الى الكراء فيكسب عليه ما يعلفه
وما ينفق هو وغلامه عليه فاتفق في بعض الايام ان الدابة لم يكسب عليها شيئا
فبات هو وغلامه طاوين قال ونالنا من الغد مثل ذلك فقال لي الغلام نحن
نصبر ولكن الشان في الدابة انا نخاف ان تعطب فقلت يا بني فنعمل ماذا ليس
الا السرج واللجام والمنطقة والطيلسان والقلنسوة ومتى بعنا منها شيئا بطلت
الحركة وبطل التصرف قال فانظر في امرك قال فنظرت فاذا فراشي حصير خلق
ومخدتي لبنة اغشيها بخرقة وما المسح فيه للصلاة مطهرة خزف فلم اجد شيئا
غير منديل دبيقي خلق قد بقي منه الاسم فقلت للغلام بع هذا المنديل واشتر لنا
لحما بدرهم واشوه فقد قرمت اليه فمضى الغلام واخذ المنديل وبقيت في الدار
وحدي وفيها شاهرج قد جاع فلم اشعر الا بعصفور قد سقط في المطهرة التي فيها الماء

لطهري عطشا فشرب ونهض اليه الشاهرج فناهضه فلضعفه قصر عنه وطار العصفور
ووقف الشاهرج فاخذه بحمية فابتلعه فلما صار في حوصلته دخل المطهرة
فتغسل ونتر جناحيه وصاح ونشط فبكيت ورفعت راسي الى السماء فقلت اللهم
كما فرجت عن هذا الشاهرج ففرج عني وارزقني فارددت طرفي حتى دق الباب داق
فقلت من فقال ابراهيم بن نوح وكان للعباس وكيل هذا اسمه فقلت ادخل فنظر الي
صورتي فقال مالي اراك على هذه الحالة فكتمته خبري فقال الامير يقرئ عليك السلام
وقد اصبح في هذا اليوم وهو يذكرك وامر لك بخمسمائة دينار واخرج الكيس
ووضعه بين يدي فحمدت الله تعالى ودعوت للعباس ثم اريته قصتي للوكيل
فاطلعته داري وبيوتي وعرفته خبر الدابة والمنديل والشاهرج والدعوة
فتوجع لي وانصرف فلم يلبث ان عاد وقال قد صرت الى الامير وحدثته
حديثك كله فتوجع وامر لك بخمسمائة دينار اخرى ثانية تلك وانفق هذه
الى ان يصنع الله عز وجل وعاد غلامي وقد باع المنديل ببضع عشرة درهم
فاشترى ما امرته فاريته الدنانير وحدثته الحديث وما زال صنع الله
يتعاهدني قال المدايني في كتابه وحدث القاضي ابو الحسين في
كتابه عن المدايني بغير اسناد واللفظان متقاربان ان اعرابية كانت
تخدم نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرا تتمثل بهذا البيت

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ... الا انه من ظلمة الكفر انجاني

فقيل لها انك لتكثرين التمثل بهذا البيت وانا لنظنه لامر فما هو فقالت
اجل كنت عسيفة على قوم من البادية والعسيف الاجير فجاءت جارية منهن
فاختطف وشاحها عقاب ونحن لا ندري فقلن ابن الوشاح انت صاحبته
فحلفت واعتذرت فابين قبول قولي واستعدين بالرجال فجاؤوا ففتشوني
فلم يجدوا شيئا فقال بعضهم احملته في فرجها فارادوا ان يفتشوا فرجي
فما ظنكم بامراة تخاف ذلك فلما خفت الشر رفعت راسي الى السما وقلت
يا رباه اغثني فمرت العقاب فطرحته بيننا فندموا وقالوا ظلمنا المسكينة
وجعلوا يعتذرون الي فما وقعت في كربة الا ذكرت ذلك وهو يوم الوشاح
ورجوت الفرج حكى القاضي ابو الحسين في كتابه قال حدثني ابو الحسين
ابن نمير الخزاعي قال صار الفضل بن الربيع الى الفضل بن يحيى البرمكي في حاجة

له فلم يرفع به راسا ولا قضى له حاجة فقام مغضبا فلم يدع به ولا اكترث بغضبه
وفي المجلس يحيى بن خالد فقال لبعض خاصته اتبعه فانظر ماذا يقول فان
الرجل ينبئ عما في نفسه في ثلاثة اماكن اذا اضطجع على فراشه واذا خلا
بفرسه واذا استوى على سرجه قال الرجل فاتبعته فلما استوى على
سرجه عض على شفتيه وقال شعرا

عسى وعسى يثني الزمان عنانه ... بعثرة دهر والزمان عثور

فتدرك آمال وتقضى مآرب ... ويحدث من بعد الامور امور

قال فلم يكن بين ذلك وبين ان سخط الرشيد على البرامكة الا ايام يسيرة
وفي رواية اخرى ان يحيى بن خالد رده وقضى حوائجه اخبرني
علي بن عبيد الله الوراق المعروف بابن لؤلؤ بالاسناد عن عبد الله
ابن جعفر انه اصابه مرض منعه من الطعام والنوم فبينما هو ذات
ليلة ساهر اذ سمع وجبة في حجرته فاذا هو يسمع كلاما فوعاه فتكلم به
فبرأ مكانه والكلام اللهم انا عبدك ولك املي فاجعل الشفاء في
جسدي واليقين في قلبي والنور في بصري وذكرك في الليل والنهار
ما بقيت في لساني وارزقني منك رزقا غير ممنوع ولا محظور

الباب الرابع من استعطف غضب السلطان بصادق لفظ واستوقف مكروهًا بموقظ بيان او وعظ

قرئ على ابي بكر
الصولي بالبصرة وانا اسمع في كتابه كتاب الوزراء وجدت بخط
ابراهيم بن شاهين حدثني علي بن محمد النوفلي ان المامون ذكر عمرو
ابن مسعدة واستبطاه في اشياء وكان ذلك بحضرة احمد بن ابي خالد
فاخبر به عمرو احمد فدخل عمرو الى المامون فرمى بنفسه وقال انا
عائذ بالله من سخطك يا امير المؤمنين انا اقل من ان يشكوني
امير المؤمنين الى احد ويسر علي ضغنا يظهر منه لكانه ما ظهر
فقال له المامون وما ذاك فاخبره بما بلغه فقال لم يكن كذلك وانما
جرى معنى اوجب ذكر ما ذكرت فقدمته قبل ان اخبرك به وكان
ذلك عزمي وما لك عندي الا ما تحب فليفرح روعك وليحسن ظنك
وسكن ما به حتى شكره وجعل ماء الحيا يدور في وجهه فلما دخل

احمد بن ابي خالد قال له اشكو اليك من بحضرتي من اهلي وخدمي فما المجلس
حرمة حتى يؤدى ما يجري فيه الى عمرو بن مسعدة قد ابلغ شيئا قلته فيه
فاتهمت به بعض بني هاشم ممن كان حاضرا وذلك ان عمروا دخل علي فاعاد
ما كان واعتذر فجعلت اعتذر اليه بعذر لم يبن الحق نسجه ولم يتسق القول
فيه فان اللسان الباطل يعني الظاهر بالباطن فقال له احمد لا ينهمني امير المؤمنين
احدا انا اخبرت عمروا قال ما دعاك الى ذلك قال الشكر لله والله لا اصطناعك
والنصح بك والمحبة لتمام نعمتك على اوليائك وخدمك وقد علمت ان امير المؤمنين
يحب اصطلاح الاعداء والبعداء فكيف بالاولياء والقرباء لا سيما مثل عمرو
في موضعه من الدولة وموقعه من الخدمة ومكانه من امير المؤمنين فاخبرته
بما انكره عليه ليقوم اود يقينه ويتلافى ما فرط منه وانما العيب لو اشعت
سرا فيه قدح على السلطان او نقص تدبير له فقال له المامون احسنت والله
يا احمد اذ اخبرتني بخاصة الظن وصدقتني عن نفسك اخبرني ابو الفرج
الاصفهاني عن الحسين بن علي السلولي عن احمد بن سعيد بالاسناد انه
لما قتل ابراهيم بن عبد الله بباخمرى حشرنا من المدينة فلم يترك فيها
منا محتلم حتى قدمنا الكوفة فمكثنا فيها شهرا نتوقع القتل ثم خرج الينا
الربيع الحاجب فقال لان هذه العلوية ادخلوا على امير المؤمنين رجلين
منكم من ذوي الحجى قال فدخلت اليه انا والحسن بن زيد فلما صرت بين
يديه قال لي انت الذي تعلم الغيب قلت لا يعلم الغيب الا الله جل ثناؤه
قال انت الذي يجبى اليك هذا الخراج قلت اليك يجبى يا امير المؤمنين الخراج
قال اتدرون لم دعوتكم قلت لا قال اردت ان اهدم رباعكم واعور قليبكم
واعقر نخلكم وانزلكم بالسراة لا يجيبكم احد من اهل الحجاز واهل العراق
فانهم لكم مفسدة فقلت يا امير المؤمنين ان سليمان اعطي فشكر وان
ايوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت من ذلك النسل قال فتبسم
وقال اعد فاعدت وقال مثلك فليكن زعيم القوم قد عفوت عنكم
ووهبت لكم خراج اهل البصرة حدثني ابي عن آبائه عن علي
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الارحام
معلقة بالعرش تقول صل من وصلني واقطع من قطعني قال ليس هذا

قلت حدثني عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله يقول انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي فمن وصلها
وصلته ومن قطعها قطعته **حدثنا** علي بن الحسن بالاسناد قال حج
ابو جعفر المنصور في سنة سبع واربعين ومائة فقدم بالمدينة فقال
ابعث الى جعفر بن محمد من يأتيني به تعبا قتلني الله ان لم اقتله فامسكت
عنه رجاء ان ينساه فاغلظ في الثانية فقلت جعفر بن محمد بالباب فقال
ائذن له فدخل فقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته
قال لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد في سلطاني وتبغي الغوائل في ملكي قتلني
الله ان لم اقتلك قال جعفر يا امير المؤمنين ان سليمان اعطي فشكر وان
ايوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت من ذلك السنخ فنكت طويلا
ثم رفع راسه وقال وعندي يا باعبد الله البري الساحة السليم الناحية
القليل الغايلة جزاك الله من ذي رحم افضل ما يجزي ذو الارحام عن
ارحامهم ثم تناول يده فاجلسه على مفرشه ثم قال يا غلام علي بالمنفخ
والمنفخة مدهن كبير فيه غالية فاتي به فغلفه بيده حتى خلت لحيته
قاطرة ثم قال لي في حفظ الله وكلائه يا ربيع الحق اعط اباعبد الله
جائزته وكسوته وانصرف فلحقته فقلت اني قد رايت ما لم تر ورايت
بعد ذلك ما قد رايت وقد رايتك تحرك شفتيك فما الذي قلت فقال
نعم انك رجل منا اهل البيت ولك محبة وود قلت اللهم احرسني
بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي
لا اهلك وانت رجائي يا رب كم من نعمة انعمت بها علي قل لك عندها
شكري فلم تحرمني فيا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من راني
على المعاصي فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابدا ويا ذا النعم
التي لا تحصى عددًا اسالك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد بك ادرأ في
نحره واعوذ بك من شره اللهم اعني على ديني بدنياي وعلى آخرتي
بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من
لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفر لي ما لا يضرك واعطني
ما لا ينفعك انك انت الوهاب اسالك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا

واسعا

واسعًا والعافية من جميع البلايا وشكر العافية **وذكر** محمد ابن
عبدوس في كتاب الوزراء ان موسى بن الهادي سخط على بعض كتابه ولم
يسمه فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده ويتوعده فقال له الرجل يا امير
المؤمنين ان اعتذاري فيما تقرعني به رد عليك واقراري بما بلغك يوجب
ذنبا علي لم اجنه لكنني اقول **شعر**

اذا كنت ترجو في العقاب تشفيا ... فلا تزهدن عند التجاوز في الاجر

فصفح عنه وامر بترك التعرض له واحسن اليه **حدثني** علي بن هشام
ابن عبيد الله الكاتب عن ابي عبد الله بن يحيى الكاتب قال لما نكب ابو الحسن
ابن الفرات اباعلي بن مقلة في وزارته الثالثة لم ادخل اليه الى حبسه
ولا كاتبته متوجعا له ولا راسلته خوفا من ان يرقى ذلك الى ابن الفرات
وكانت بيني وبين ابن مقلة مودة لطيفة فلما طالت نكبته كتب الي رقعة طويلة فيها

ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم ... ابن لي ام القرطاس اصبح غاليا
فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا ... وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا
صديقك من راعاك عند شديدة ... وكل تراه في الرخاء مراعيا
فهبك عدوي لا صديقي فربما ... تكاد الاعادي يرحمون الاعاديا

ثم اتبع ذلك بكلام يعاتبني فيه ويقول انه قد انفذ الي في طي رقعته رقعة
الى الوزير يسالني اعراضها عليه وقت خلوته لا يكون فيها ابنه ابو احمد
المحسن فدفعت رقعته الى الوزير وهي بسم الله الرحمن الرحيم اقصرت
اطال الله بقاء الوزير وفعل وصنع على الاستعطاف والشكوى حتى تناهت
بي المحنة والبلوى في النفس والمال والجسم والحال الى ما فيه شفاء للسقم
وتقويم للجرم حتى افضت الى الحيرة والتبلد وعيالي الى الهتكة والتلدد
وما اقول ان حالا اتاها الوزير ايده الله في امري الا بحق واجب وظن
صدق غير كاذب الا ان القدرة تذهب الحفيظة والاعتراف يزيل
الاقتراف ورب ان المعروف يؤثره اهل الفضل والدين والاحسان
الى المسيء من افعال المتقين وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة وتأميل
وخدمة فان كانت الاساءة تضيعها فرعاية الوزير ايده الله تحفظها
فان راى الوزير اطال الله بقاءه ان يلحظ عبده بعين رافته وينعم عليه

باحياء مهجته ويخلصها من العذاب الشديد والجهد الجهيد ويجعل له
من امره فيه نجحًا او من البلوى فرجًا قريبًا فعل انشاء الله قال
ابن يحيى فاقامت الرقعة في كمي اياما لا اتمكن من عرضها الى ان رسم الوزير
ابن الفرات كتب نسخة الى جعفر بن ابي القاسم وهو عامله حينئذ بفارس
في مهم وان احررها بين يديه واعرضها عليه وخلا بي بهذا السبب
فعملت النسخة ووقفته عليها فامرني بتحريرها فاغتنمت خلوته من كل
احد وقلت قد عرف الوزير ايده الله ما بيني وبين ابن مقلة من الالفة
والعشرة التي جمعتنا عليها خدمتك والله ما كاتبته ولا راسلته
ولا قضيت له حقا لمعونة ولا غيرها منذ سخط الوزير عليه وهذه
رقعته التي تدل على ذلك ويسال اعراض رقعة له على الوزير ايده الله
وهي معي فان اذن عرضتها فقال ادفع رقعته الي فقلت اسال الوزير
ايده الله ان يكتم ذلك عن سيدي ابي احمد يعني المحسن ابنه فاني اخافه
قال افعل ثم قرا رقعة ابن مقلة فقال والله يا باعبد الله لقد تناهى
هذا الرجل في السعاية على دمي ومالي واهلي ولقد صح عندي انه
قال لما اسلم الى حامد والله لو قد علمت ان ابن الفرات يبقى بعد صرفه
يوما واحدا ما سعيت به ووالله لقد كنت ادعو في حبسي بان لا يمكنني
الله عز وجل او لا من البافطاي اما هو فلاحسانه العظيم عليه واما
البافطاي فلقبح اسائته الي وانه شيخ من شيوخ الكتاب وخفت العار
بما كنت اعامله به ولو حصل في يدي فاجيبت دعوتي في البافطاي ولم
تجب فيه والآن فوحق محمد وآله عليهم السلام لا جرى على ابن مقلة مكروه
ابدا بعد هذا وانا اتقدم باخذه من يد المحسن فانفذه مع سليمان بن
الحسن الى فارس واجزته في الامر بحراسة نفسه وبا في حاله وازيدك
يا باعبد الله ما احسبك فهمته قلت فما هو قال اني لم ازل استفيد الفوايد
ايده الله تعلما وانعاما قال فقد بقيت له بقية وافرة من حاله ولولاها
ما قال قولا سديدا ولا فرغ قلبه لنظم شعر ولا بلاغة في سر فلما كان
من غد انفذ من انتزعه من يد المحسن فاخرجه وسليمان الى فارس
مسلما **اخبرني** ابو الفرج الاصفهاني قال اخبرني حبيب بن نصر المهلبي

بالاسناد ان طريح بن اسماعيل الثقفي دخل على ابي جعفر فقال له لا حياك الله
ولا بياك اما اتقيت الله عز وجل حيث تقول للوليد **شعرا**

لو قلت للسيل دع طريقك والـ ... موج عليه كالهضب يعتلج
لساح وارتد او لكان له ... الى طريق سواك منعرج

فقال له طريح قد علم الله انني قلت ذلك ويدي ممدودة اليه جل وعز
واياه عنيت تبارك وتعالى اسمه وثناؤه فقال ابو جعفر يا ربيع اما ترى
هذا التخلص **اخبرني ابو الفرج الاصبهاني** عن محمد بن ابي الازهر قال كنت
بين يدي المامون واقفا فدخل اليه ابن البواب الحاجب رقعة فيها ابيات
شعر وقال ان راى امير المؤمنين ان ياذن لي في انشادها فظنها الرقاع فقال
فانشده

اجرني فاني قد ظمئت الى الوعد ... متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
اعيذك من خلف الملوك وقد ترى ... تقطع انفاسي عليك من الوجد
راى الله عبد الله خير عباده ... فملكه والله اعلم بالعبد
الا انما المامون للناس عصمة ... مميزة بين الضلالة والرشد

فقال المامون احسنت يا عبد الله فقال يا امير المؤمنين بل احسن قائلها قال
ومن هو قال عبدك الحسين بن الضحاك فغضب ثم قال لا حيا الله
من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا انعم به عينا اليس هو القائل **شعرا**

اعيني جودا وابكيا لي محمدا ... ولا تذخرا دمعا عليه واسعدا
فلا تمت الاشياء بعد محمد ... ولا زال شمل الملك فيه مبددا
ولا فرح المامون بالملك بعده ... ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

هذا بذاك ولا شيء له عندنا فقال له ابن البواب فاين فضل امير المؤمنين
وسعة حلمه وعادته في العفو فامر باحضاره فلما حضر سلم عليه فرد
عليه ردا خافيا ثم اقبل عليه فقال اخبرني عنك هل عرفت يوم قتل اخي
محمد رحمه الله هاشمية قتلت او هتكت قال لا قال فما معنى قولك **شعرا**

ومما شجى قلبي وكفكف عبرتي ... محارم من آل النبي استحلت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها ... كعاب كقرن الشمس حين تبدت
اذا خفرتها روعة من منازع ... لها المرط عاذت بالخضوع ورنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم ... هتفن بدعوى خير حي وميت

اردّ يدًا مني اذا ما ذكرته ... على كبد حرّى و قلب مفتّت
فلابات ليل الشامتين بغبطة ... ولا بلغت آمالها ما تمنّت

فقال يا امير المؤمنين لوعة غلبتني وروعة فجأتني ونعمٌ فقدتها بعد ان غمرتني واحسان شكرته فانطقني فدمعت عين المامون وقال قد عفوتُ عنك وامرتُ بارْدادِ ارزاقك عليك واعطائك ما فاتك منها وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك اخبرني محمّد بن يحيى الصّولي عن عون بن محمّد قال حدّثني الحسين بن الضحاك قال غضب علي المعتصم في شيء جرى علي فقال والله لأؤذينه وحجبني اياما فكتبت اليه

غضب الامام اشدّ من ادبه ... وقد استجرت وعذت من غضبه
اصبحت معتصمًا بمعتصم ... اثنى الاله عليه في كتبه
لا والذي لم يبق لي سببًا ... ارجو النجاة به سوى سببه
مالي شفيع غير رحمته ... ولكل من اشفى على عطبه

قال فلما قراءت عليه التفت الى الواثق وقال بمثل هذا الكلام يستعطف الكرام ما هو الا ان سمعت ابيات حسين هذه حتى ازالت ما بنفسي عليه فقال له الواثق هو حقيق بان يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه فرضي عني وامر باحضاري وانما كتب بهذا الشعر الى المعتصم لانه بلغه انه مدح العباس بن المامون وتمنّى له الخلافة فطلبه فاستتر فحيث ظهر هجى العبّاس بن المامون فقال

شعرا

خل اللعين وما اكتسب ... لا زال منقطع النسب
يا عزّة الثقلين لا ... دينًا رعيت ولا حسب
حسد الامام مكانه ... جهلًا هداك على العطب
وابوك قدمه لنا ... لما تخيّر وانتخب
ما تستطيع سوى التنفس ... والتجرع للكرب
لا زلت عند ابيك منتقص المروة والادب

وجدت في بعض الكتب عن يزدجرا انه قال غضب كسرى ابرويز على بعض اصحابه من جرم عظيم فحبسه زمانا ثم ذكره فقال للسجان هل يتعاهده احد فقال لا الا القلهبند المغني فانه يوجه اليه في كل يوم

بسلة فيها طعام فقال كسرى للقلهبند غضب الملك على فلان وحبسه فقطعه الناس غيرك فانك تتعاهده بالبر في كل يوم فقال ايها الملك ان البقية التي بقيت له عندك فبقيت روحه في بدنه ابقت له عندي بقدر ما ارسله اليه من طعام قال احسنت قد وهبت لك ذنبه واطلقه وجدت في بعض كتبي ان رجلين اتي بهما الى بعض الولاة وقد ثبت على احدهما الزندقة والآخر شرب الخمر فسلم الوالي الرجلين الى بعض اصحابه وقال اضرب عنق هذا واومى الى الزنديق واجلد هذا الحد واومى الى الشارب فتسلمهما وذهب ليخرج فقال له الشارب ايها الامير سلمني الى غيره ليجلدني فاني لا آمن ان يغلط فيضرب عنقي ويجلد صاحبي والغلط في هذا لا يتلافى فضحك الامير وامر بتخليته وضرب عنق الزنديق وجدت في كتاب ابي الفرج المخزومي عن ابي محمّد الحسن بن طالب كاتب عيسى بن فرخانشاه قال لما وليت ديار مصر لم تزل وجوهها يصفون لي محمّد بن يزيد الاموي الحصيني بالفضل وينشدوني بقصيدته التي اجاب بها عبد الله بن طاهر لما فخر بابيه ويذكرون قصته معه لما دخل عبد الله الشام واشرف الحصيني على الهلاك فحو فامنه وكيف كفي امره بلا سبب فكنت افتقد امره في صنعته واحسن اليه في معاملتي وكانت كتبه ترد علي بالشكر باحسن عبارة الى ان عملت على طوف كور عملي وتصفح امر الرعية والعمال فخرجت لذلك حتى وردت الكورة التي حصن محمّد بن يزيد في ناحية منها فخرج مستقبلا لي وراغبا الي في النزول عليه فلما التقينا قال لي لم اخف مع فضلك ان يتجاوزني ولم آمن ان يعارضك ظن يصور لك ان عدولك عني ابقاء علي واستفاقا من نسب السلطان اياك الى ايثار لذتك في لقائي فتطويني فحملت نفسي على خلاف ما كنت احب ان يشيع لك من ابتدائي بالقصد قبل غيبتي فيه اليك فالحمد لله الذي جعل لك السبق الى الكرم ومررنا الى حصنه فاقبل يقفني على المواضع المذكورة في الخبر والشعر الى ان دخلنا حصنه فلم ياخذ اهبة النزول به ادبا ومروة وسبق ما حضر من القرى ولم يقض من تجدمنا عن احضار ما اعد في سفرتنا و وجدت خدمته كلها تدور على جارية سوداء نزرة خفيفة الحركة تدل على نشاطها على اعتيادها الطراق الى ان رفع الطعام وحضر الشرب وحضرت السوداء في غير الزي الاول فجلست تغني فانكرتها حتى سالته عنها فوصف لي

قد يزحزحتها وقال هي كانت طلعتي حين قصد بي عبد الله بن طاهر
فاستفتحني مسالته عن الخبر فسالته فقال لما بلغني خبر اجماع عبد الله
على الخروج لطلب نصر بن شبيب بنفسه ايقنت بالهلاك وخفت ان يقرب
فتنالني بادرته ولم اشك في ذهاب النعمة ان سلمت النفس لما كان
بلغه من اجابتي اياه عن قصيدته التي فخر بها وانشدتها

مد من الاعضاء موصول … ومديم العتب مملول
واخو الوجهين حيث رمى … بهواه فهو مدخول
وقليل من يبر ز ه … في يد التهذيب تحصيل
فاتئد تلق النجاح به … فاعتساف الامر تضليل
واغمض عن عيب اخيك يدم … لك حبل فيه موصول
من يرد حوض الردى صردا … لا يسعه الري تعليل
من بنات الروم لي سكن … وجهه للشمس اكليل
عتبت والعتب من سكن … فيه تكثير وتقليل
اقصري عما لهجت به … ففراغي عنك مشغول
انا من قد تعرفي نسبه … سلفي الغر البهاليل
مصعب جدي نقيب بني … هاشم والامر مجهول
وحسين راس دعوتهم … ودعاء الحق مقبول
سل بهم تنبيك نجدتهم … مشرفيات مصاقيل
كل عضب مرهف عللا … وحرار الحر مفلول
والي من له كفاء له … من يساوي مجده قولوا
سل به والخيل ساهمة … حوله جرداء نابيل
وبربات الخدور وقد … جعلت تبدو الخلاخيل
من ثنى عنه الخيول باكنافها الخطية الشول
انظر المخلوع كلكله … وحواليه المقاويل
فثوى والترب مضجعه … غال عنه ملكه غول
قاد جيشا نحو نائله … ضاق عنه العرض والطول
من خراسان مصممهم … كليوث ضمها غيل

وهبوا

وهبوا لله انفسهم … لا معازيل ولا ميل
ملك تحتاج سطوته … ونداه الدهر مبذول
قطعت عنه تمائمه … وهو مرهوب ومأمول

قال وكنت لما بلغتني هذه القصيدة امتعضت للعرب وانفت
ان يفخر عليها رجل من العجم لانه قتل ملكا من ملوكهم بسيف
اخيه لا بسيفه فيفخر عليها هذا الفخر ويضع منها هذا الوضع فرددت
عليه قصيدته ولم اعلم ان الايام تجمعنا ولا ان الزمان
يضطرني الى الخوف منه فقلت شعرا

لا يرعك القال والقيل … كلما بلغت تضليل
ما هوى لي حيث اعرفه … بهوى غيرك موصول
اين لي عنك الى بدل … ابد بل بك مقبول
او عدت العذل فيك اذا … انا فيك الدهر معزول
حمليني كل لائمة … كلما حملت محمول
فاحكمي ما شئت واحتكمي … لحزامي لك تحليل
والذي ارجو النجاة به … ما لقلبي عنك تحويل
ما لداري منك مقفرة … وضميري منك ماهول
الخؤون العهد ذو ثقة … لا يخون العهد مسؤول
واخو حبيك في تعب … مطلق مرا ومغلول
ما فراغي عنك مشتغل … بل فراغي بك مشغول
وبدت يوم الوداع لنا … غادة بيضاء عطبول
حاسرا او ذات مقنعة … ذات تاج فيه اكليل
اي عطفيها به انصرفت … ارج بالمسك معلول
تتعاطى شد مئزرها … ونطاق الخصر محلول
يا كاليل لها قبل … حبذا تلك الاكاليل
فبنفسي دعج مشطتها … ومثانيها المراسيل
سبقت بالدمع مقلتها … فلها بالدمع تفضيل
ورمت بالسحر من كثب … فدفين الداء مقتول

لاحظت بالسحر عابثة ، فشجاع الصبر مفلول
شملنا اذ ذاك مجتمع ، وجناح البين مشكول
لا تخاف الدهر طائره ، فاذاه عنه معقول
ايها الباري بنطفته ، لأغاليط وتحصيل
قد تأولنا على جهة ، ولتأويك تأويل
قاتل المخلوع مقتول ، ودم القاتل مطلول
سار اوحل فمتبع ، بالتي يكبو لها الفيل
لا تنجيه مذ اهبه ، نهر سيحون ولا النيل
ومدين القتل مرتهن ، بدماء القوم مقتول
بيد المخلوع طلت يدا ، لم يكن في باعها طول
وبنعماه التي سلفت ، فعلت تلك الأفاعيل
وبراع غير ذي شفق ، حالت الحيل الأنابيل
يا ابن بنت النار موقدها ، ما لحاديها سراويل
اي مجد لك تعرفه ، او نسيب لك بهلول
من حسين وابوك ومن ، مصعب غالتهم غول
وزريق اذ تخلفه ، نسبك عمرك مجهول
تلك دعوى لا تنافسها ، وابوات مرازيل
أسوة غير مباركة ، غيرها الشم البهاليل
ما جرى في عود اثلكم ، ماء مجد فهو مدخول
قرحت فيه اسافله ، فاعاليه مهازيل
ان خير القول اصدقه ، حين تصطك الاقاويل
كن على منهاج معرفة ، لا تغرنك الأباطيل
ان للأصعاد منحدرا ، فيه للهادي اهاويل
ولريب الدهر عن عرض ، بالردى عل وتنهيل
يعسف الصعبة رائضها ، ولها بالعسف تذليل
ولجون الرمح عامله ، وسنان الرمح مصقول
وينال الوتر طالبه ، بعد ما يسلو المثاكيل

مضمرا

مضمراً حقداً او منصله ، مغمداً في الجفن مسلول

قال فلما قرب عبد الله بن طاهر استوحشت من المقام خوفا على نفسي ورايت بعدي وتسليم حرمي عارا باقيا ولم يكن لي الى الهرب الحرمي سبيل فاقمت على اتم خوف مستسلما للاتفاق حتى اذا كان اليوم الذي قيل لي انه ينزل بهذه النواحي اغلقت حصني واقمت هذه السوداء ربيئة لي على شرف الحصن والقمتها وامرتها ان تعرف في المواضع الذي ينزل فيه العسكر قبل ان يفجاني ولبست ثياب الموت اكفانا وتطيبت وتحنطت فلما رات الجارية ان العسكر يقصد الحصن نزلت فعرفتني فلم يرعني الا دق باب الحصن فخرجت فاذا عبد الله بن طاهر واقف وحده منفردا عن اصحابه فسلمت عليه سلام خائف فرد علي غير رد مستوحش واومات الى تقبيل رجله في الركاب فمنع الطف منع واحسن رد وجلس على دكان على باب الحصن ثم قال ليسكن روعك فقد اسات الظن بنا ولو علمنا اننا بزيارتنا لك نروعك ما قصدناك ثم اطال الانتظار في المسايلة حتى راى التقية مني قد ظهرت فسالني عن سبب مقامي في البر وايثاري اياه على الحاضرة ورفاهة العيش وعن حال ضيعتي ومعاملتي فاجبته بما حضرني حتى لم يبق من التانيس شيئا افضى الامر الى مسايلتي عن حديث نصر بن شبيب وكيف الطريق الى الظفر به فاخبرته بما عندي في ذلك ثم اقبل علي وقد انبسطت في محادثته انبساطا شديدا فقال احب ان تنشدني القصيدة التي فيها ، يا ابن بنت النار موقدها ، ما لحاديها سراويل ، فقلت اصلح الله الامير قد ارببت نعمتك على قدر همتي فلا تذكرها بما ينغصها فقال انما اريد الزيادة في طمانينتك وتانسك بان لا تراني متحفظا مما خفت وعزم على انشاد القصيدة عزم مجد فقلت يريد ان تنطوا على سمعه فيزيد ما في نفسه فيوقع ما بي ولم اجد من ان انشده بدا فانشدته القصيدة فلما فرغ منها عاتبني عتابا شديدا وكان منه ان

فرعزه

قال يا هذا ما حملك على تكلف اجابتي فقلت الامير اصلحه الله حملني على ذلك فقال بماذا فقلت بقوله وابي من لا كفاء له من يسامي مجده قولوا فقلنا كما تقول العرب وتفتخر السوقة على الملوك وكان لما بلغت الى قولي يا ابن بنت النار موقدها ما لحاديها سراويل

قال لي والله يا ابن مسلمة لقد احصينا في خزائن ذي اليمينين بعد موته الفا وثلاثمائة من السراويل ما اصلح في احد بهن تكة سوى ما استعمل في اللبس على ان الناس يفكرون من ادخال السراويل في كساهم فاعتذرت اليه بما حضرني من القول في هذا وجميع ما تضمنته القصيدة فقبل القول وبسط العذر واظهر الصفح وقال قد دللتنا على ما احتجنا اليه من امر نصر بن شبيب فتستحسن القعود معنا في حربه والا يكون لك في الظفر به اثر يشاكل ارشادك لوجوه مطالبة فاعتذرت اليه بلزوم منزلي وضيعتي وعجزي عن السفر للقصور عن النفقة فقال نكفيك ذلك وتقبله منا باذنك ودعا بصاحب دوابه فامر باحضار خمس مراكب من الخيل الهماليج بلجمها وسروجها المحلاة وبثلاث دواب من دواب الشاكرية وبخمسة ابغل من بغال الثقل واستقرا ذلك وامر صاحب كسوته باحضار ثلاث تخوت من اصناف الثياب الفاخرة وامر خازنه باحضار خمس بدر دراهم فاحضر الجميع فوضع على الدكان الذي كان جالسا عليه بباب الحصن ثم قال كم مدة تاخرك عنا الى ان تلحق بنا فنزلت فقام ليركب فبادرت الى يده لاقبلها فمنعني وركب وسار وتبعه العسكر فما نزل منهم واحد وخرجت السوداء فقلت تلك الثياب والبدر واخذ الغلمان الكراع وما لقيت عبد الله بعدها قال عيسى بن فرخان شاه اقمت عند محمد بن يزيد يومي وليلتي فاضافني احسن ضيافة وكانت مذاكرته لي بذلك احب الي من كل شيء فاسقطت عنه جميع خراجه في تلك السنة وانصرفت حدثني عبد الله بن احمد بن داسة البصري قال سمعت ان بعض الجند اغتصب امراة على نفسها من الطريق فعرض الجيران ان يمنعوه فضربهم هو وغلمانه حتى تفرقوا وادخل المراة داره وقال اغلقوا الباب فاغلقوا الباب وراودها عن نفسها فامتنعت فاكرهها ولحقها منه شدة حتى جلس منها مجلس الرجل من المراة فقالت له يا هذا اصبر حتى يغلق باب قد بقي عليك قال اي باب قالت الباب الذي بينك وبين الله فقام عنها وقال قد فرج الله عنك انصرفي لا اتعرض لك ابدا وجدت في بعض الكتب ان الجاحظ نفذ الى احمد بن ابي داود بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات مقيدا في قميص رث بين يديه ليامر فيه بامره فقال له ابن ابي داود والله يا عمرو ما علمتك الا متناسيا للنعمة جاحدا للصنيعة معددا للمثالب مخفيا للمناقب وان الايام لا تصلح مثلك لفساد طويتك وسوء اختيارك فقال الجاحظ حفض عليك فوالله لان تكون المنة لك علي خير من ان تكون لي عليك ولان اسيء وتحسن احسن من الاحدوثة عنك ولان تعفو في حال قدرتك اجمل بك من ان تنتقم فقال له ابن ابي داود ما علمتك الا كثير رونق اللسان قد جعلت ثيابك امام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق اعزب قبحك الله فانهض في قيوده ثم قال يا غلام الحقه وخذ قيوده وصر به الى الحمام واحمل اليه خلعة يلبسها واحمله الى منزل يؤويه بفرش وفراش وآلة وقماش ويزاح فيه علله وادفع اليه عشرة آلاف درهم لنفقته الى ان يصح من علته ففعل ذلك فلما كان من الغد راى الجاحظ متصدرا في مجلس ابن ابي داود وعليه خلعة من ثيابه وطويلة من قلانسه وهو مقبل عليه بوجهه يقول هات يا ابا عثمان اخبرني ابو الفرج الاصفهاني باسناده عن اسحاق الموصلي قال لم ار قط مثل جعفر بن يحيى كانت له فتوة وظرف وادب وحسن غناء وضرب بالطبل وكان ياخذ باجزل حظ من كل فن حضرت باب الرشيد يوما فقيل لي انه نائم فانصرفت فلقيني جعفر بن يحيى فقال لي ما الخبر فقلت امير المؤمنين نائم فقال لي قف مكانك ومضى الى دار امير المؤمنين فاعلم انه نائم فرجع فقال صر بنا الى المنزل حتى نخلو بقية يومنا واغنيك وتاخذ

وجد لي بصفحك عن زلتي … فبالفضل ياخذ اهل الشرف

فقال لها الامين احسنت يا صبية فما اسمك قالت هدية قال افانت كاسمك ام انت عارية قالت انا كاسمي وبه سماني لما اهداني الى امير المؤمنين فسر بها الامين وبعث الى ابراهيم بن المهدي فاحضره ورضي عنه وامر له بخمسين الف دينار وقف احمد بن عروة بين يدي امير المؤمنين المامون لما عزله عن الاهواز فقال له خربت البلاد وقتلت العباد والله لافعلن بك ولافعلن فقال يا امير المؤمنين ما تحب ان يفعل الله بك اذا وقفت بين يديه وقد قرعك بذنوبك قال العفو والصفح قال فافعل بعبدك ما تحب ان يفعل بك مولاك قال قد فعلت ارجع الى عملك فوال مستعطف خير من وال مستانف وروي انه جنى غلام للحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين جناية توجب العقاب فامر به ان يضرب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال خلوا عنه قال يا مولاي والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال يا مولاي والله يحب المحسنين قال انت حر لوجه الله تعالى ولك ضعف ما كنت اعطيك قال الاصمعي اتي عبد الملك بن مروان برجل قامت عليه البينة بسرقة يقطع في مثلها فامر بقطع يده فقال الرجل

يدي يا امير المؤمنين اعيذها … بعفوك من عار عليها يشينها

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها … اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال هذا حد من حدود الله تعالى ولا بد من اقامته عليك فقامت امه وكانت عجوزا كبيرة السن فقالت يا امير المؤمنين كادي وكاسبي وابني وواحدي فهبه لي فقال لها بئس الكاد والابن والواحد هو لا بد من اقامة حد الله فقالت يا امير المؤمنين فاجعله بعض ذنوبك التي تستغفر الله تعالى منها قال خلوه واطلق اخبرني الفضل بن الربيع قال رايت مروان بن ابي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فانشده مديحا فقال له من انت فقال له شاعرك يا امير المؤمنين وعبدك مروان بن ابي حفصة فقال له المهدي الست القايل

اقمنا بالمدينة بعد معن … مقاما لا نريد به زوالا

وقلنا اين نرحل بعد معن … وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا لا شيء لك عندنا جروا برجله قال فجر وا برجله حتى اخرج فلما كان في العام المقبل تلطف حتى ادخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة فمثل بين يديه وانشده بعد رابع او خامس شعرا

طرقتك زائرة فحي خيالها … بيضاء تخلط بالحياء دلالها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها … قاد القلوب الى الصبا فامالها

قال فانصت له حتى بلغ الى قوله

هل تطمسون من السماء نجومها … باكفكم او تسترون هلالها

او تجحدون مقالة عن ربه … جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الانفال آخر آية … بتراثهم فاردتم ابطالها

قال فرايت المهدي قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجابا بما سمع ثم قال كم هي قال مائة بيت فامر له بمائة الف درهم فكانت اول مائة الف اعطيها شاعر في ايام بني العباس اخبرني ابو الفرج الاصفهاني عن الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم ابن مهرويه عن عبد الله بن ابي سعيد قال غضب الرشيد على العباسي وحجبه فدخل سرا مع المتظلمين بغير اذن فمثل بين يدي الرشيد فقال له يا امير المؤمنين قد ادبني الناس لك ولنفسي فيك وردني ابتلاؤهم الى شكرك وما مع ذكرك قناعة باحد غيرك ولنعم الصائن لنفسي كنت لو اعانني عليك الصبر ولذلك اقول شعرا

اخضني المقام الغمر ان كان غرني … سنا خلب او زلت القدمان

اتتركني جدب المعيشة مقفرا … وكفاك من ماء الندا يكفان

وتجعلني سهم المطامع بعد ما … بللت يدي من ما الندا ولساني

قال فخرج وعليه الخلع وقد امر له بجائزة فما رايت العباسي قط انشط منه يومئذ قال ابو الفرج في البيتين الاولين غناء لمخارق ثاني ثقيل الوسطى حدثني عون بن محمد قال حدثنا سعيد

في شاننا من وقتنا هذا اقلت نجم فصرنا الى منزله فطرحنا ثيابنا ودعى
بالطعام فطعمنا وامر باخراج الجواري وقال ابرزن فليس عندنا
من نحتشمه فلما وضع الشراب دعى بقميص حرير فلبسه ودعى بخلوق
فتخلق ودعى لي بمثل ذلك وجعل يغنيني واغنيه وكان قد تقدم
الى الحاجب ان لا ياذن لأحد من الناس كلهم وان جاء رسول امير
المؤمنين اعلمه انه مشغول واحتاط في ذلك وتقدم الى جميع
الحجاب والخدم ثم قال ان جاء عبد الملك فأذنوا له يعني رجلا كان
يانس به ويمازحه ويحضر خلواته ثم اخذنا في شاننا فوالله
اني لعلى حالة سارة اذ رفع الستر واذا عبد الملك بن صالح الهاشمي
وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذي يانس به جعفر وكان
عبد الملك الهاشمي من جلالة القدر والتقشف والامتناع من منادمة
امير المؤمنين على امر جليل وكان امير المؤمنين قد اجتهد ان يشرب
قدحا فلم يفعل ترفعا لنفسه فلما رايناه مقبلا اقبل كل واحد منا
ينظر الى صاحبه وكاد جعفر ينشق غيظا وفهم الرجل حالنا
واقبل نحونا حتى اذا صار الى الرواق الذي نحن فيه نزع جبته فرمى
بها مع طيلسانه جانبا ثم قال اطعمونا شيئا فدعى له جعفر بالطعام
وهو منتفخ غيظا ثم دعى برطل فشربه ثم اقبل الى المجلس الذي نحن فيه
ثم اخذ بعضادتي الباب ثم قال اشركونا فيما انتم فيه فقال له جعفر
ادخل فدخل فدعى بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق ثم دعى
برطل ورطل حتى شرب عدة اقداح ثم اندفع يغنينا فكان والله احسن
غناء فلما طابت نفس جعفر بن يحيى وسري عنه ما كان فيه التفت اليه
وقال له ارفع حوائجك فقال له ليس هذا موضع حوائج قال لتفعلن ولم يزل
يلح عليه حتى قال امير المؤمنين علي واجدا كما علمت فاحب ان يرضى عني قال
امير المؤمنين قد رضي عنك فهات حوائجك قال هذه حاجتي قال ارفع حوائجك
كما اقول لك قال علي دين فادح قال كم مبلغه قال اربعة الاف الف درهم قال
هذه اربعة آلاف الف درهم فان احببت ان تقبضها مني فاقبضها من منزلي الساعة
فانه لم يمنعني من اعطائك اياها الا ان قدرك يجل عندي من ان يصلك مثلي ولكني

ضامنٌ لها حتى تحمل اليك من مال امير المؤمنين غدا افسل ايضا فقال ابني تكلم
امير المؤمنين حتى ينوه باسمه قال قد ولاه امير المؤمنين مصرا وزوجه
الغالية ابنته ومهرها عنه الفي الف درهم من ماله قال اسحاق فقلت
في نفسي قد سكر الرجل اعني جعفرا فلما اصبحت حضرت دار الرشيد
فاذا جعفر بن يحيى البرمكي ووجدت في الدار جلبة فاذا ابو يوسف
القاضي رحمه الله تعالى ونظراؤه وقد دعي بهم ثم دعى بعبد الملك
ابن صالح وابنه فدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك ان امير
المؤمنين قد كان واجدا عليك وقد رضي عنك وامر لك باربعة آلاف
الف درهم فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة ثم دعى بابنه فقال
اشهدوا اني قد زوجته الغالية بنت امير المؤمنين ومهرتها عنه
من مالي الفي الف درهم ووليته مصرا فلما خرج جعفر سألته عن
الخبر فقال بكرت الى امير المؤمنين فحكيت له جميع ما كنا فيه وما
كان منا حرفا حرفا ووصفت له دخول عبد الملك وما كان منه
فعجب ثم سر به ثم قال لي وقد ضمنت له على امير المؤمنين ضمانا
فأوف بضمانك فامر باحضاره فكان ما رايت أخبرني ابو الفرج
الاصفهاني قال جرى بين محمد الامين وبين ابراهيم بن المهدي
كلام وهما على مسرة فنفر الامين لذلك ووجد على ابراهيم وبانت
لابراهيم الوحشة منه فانصرف الى منزله فامر الامين بحجابه عنه
وبلغ ذلك ابراهيم فبعث الى الامين بالطاف وبرقعة يسال فيها
غضبه فرد الامين الهدية ولم يجب عن الرقعة فوجه ابراهيم
اليه وصيفة مليحة مغنية كان قد رباها وعلمها وبعث معها عودا
معمولا من العود الهندي مكللا بالجوهر والبسها حلة منسوجة
بالذهب وقال ابياتا وغنى فيها والقاها عليها حتى اخذت الصوت
واحكمت الصنعة فيه فوقفت الجارية بين يدي امير المؤمنين وقالت
لعمك يا امير المؤمنين يقول لك واندفعت تغني شعرا

هتكت الضمير برد اللطف ۞ وكشفت هجرك لي فانكشف
فان كنت تحقد شيئا جرى ۞ فهب للعمومة ما قد سلف

ابن هريم قال قال المأمون للفضل بن الربيع يا فضل ماكان من حقي
عليك وحق ابآئي ونعمهم عند ابنك وعندك ان تثلبني وتشتمني
وتحرض على دمي اتحب ان افعل بك مع القدرة عليك ما اردته بي
فقال الفضل يا امير المؤمنين ان عذري لا يقوم عندك وان كان
واضحًا جميلا فكيف اذ اعفته العيوب وقبحته الذنوب فلا يضيق
عني من عفوك ما وسع غيري منه فانت والله كما قال الشاعر فيك
صفوح عن الاجرام حتى كأنه ۞ من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي ان يكون به الاذى ۞ اذا ما الاذى لم يغش بالكره مسلما
قال الصولي والشعر للحسن بن رجا وقرئ على ابي بكر الصولي في كتابه
كتاب الوزراء بالاسناد عن الحسن بن عيسى الانباري الكاتب
قال امر المأمون محمد بن يزدان والوزير احمد بن ابي خالد ان
يناظرا عمرو بن مسعدة في مال الاهواز فناظراه فتحصل عليه ستة
عشر الف الف درهم فاعلم محمد المامون بذلك فقال له المامون اقبل
كل حجة له وكل ادعاء وكل تعلق قال قد فعلت قال عد لذلك فعاد
فتعلق عمرو باشياء لا اصل لها فسقطت من المال عشرة الاف الف
درهم وبقي ستة الاف الف درهم لا حجة له فيها اخذ خطه بها
فاخذ المامون الرقعة ثم احضر عمرًا بعد خروج محمد فقال هذه
رقعتك فقال نعم فقال وهذا المال واجب عليك قال نعم قال
فخذ رقعتك فقد وهبناه لك قال اذا تفضلت به يا امير المؤمنين
فانه واجب لوا جزت به على احمد بن عروة عامل الاهواز وهو مقر
به واشهدك اني قد وهبته له فاغتاض المامون وخرج عمرو وقد
عرف غيظ المامون وخطاه فيما عمله فلجا الى احمد بن ابي خالد فاخبره
بالخبر وكان لخصه فقال لا عليك فدخل الى المامون فلما راه قال
لا تعجب يا احمد من عمرو وهبنا له ستة الاف الف درهم بعد ان تجافينا
له عن اضعافها فوهبها بين يدي من احمد بن عروة كانه اراد ان
يباري ويصغر معروفي قال او فعل هذا يا امير المؤمنين قال نعم
قال لو لم يفعل هذا لوجب ان يسقط حاله قال وكيف قال لانه لو

استاثر به على احمد بن عروة واخذ احمد بالمال واداه اليه كان قد اخرجه
من معروفك صفرًا ولما كانت نعمتك على عمرو نعمة على احمد وهما
خادمان وكان الاجمل ان يتضاعف معروفك عندهما فقصد عمرو ذلك
فصار المال تفضلا منك على عمرو وعلى احمد بن عروة ومع ذلك فانت
سيد عمرو لا يعرف سيدا غيرك وعمرو سيد احمد فاقتدى في امر احمد
بما فعلته في امره واراد ايضا ان يسير في ملوك الامم ان خادما من خدمك
اتسع قلبه لهبة هذا المال من فضل احسانك اليه فيزيد في جلالة المملكة
وجلالة قيمتها فيكسر ذلك الاعداء الذين يكاثرونك فسري عن المأمون
وزال ما بقلبه على عمرو وغضب الرشيد على محمد بن الاشعث
غضبا شديدا من كلام جرى بينهما فخاف جعفر ان يستفزه الغضب
فقال يا امير المؤمنين انما يغضب الله فلا تغضب له بما لم يغضب به
لنفسه فانعطف له الرشيد احضر هشام بن عبد الملك ابراهيم
ابن ابي عبلة الذي تقلد ديوان الحكم لمروان بن محمد فقال له انا
قد عرفناك صغيرًا وخبرناك كبيرًا واريد ان اخلطك بحاشيتي
وقد وليتك الخراج بمصر فاخرج اليها فابى ابراهيم وقال ليس الخراج
من عملي ولا لي بصر به فغضب هشام عليه غضبا شديدا حتى خاف
ابراهيم بادرته فقال يا امير المؤمنين تأذن لي في الكلام قال قل
قال يقول الله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال الآية فوالله ما اكرهها ولا سخط عليها ولقد ذم الانسان
لما قبلها فقال هشام ابيت الا رفقا فاعفاه ورضي عنه استسلف
موسى بن عبد الملك من بيت المال الخاصة مالا الى اجل قريب وضمن
للمتوكل رده فحل الاجل والمال متأخر فاغتاض من مدافعته به
وقال لعبد الله بن يحيى بن خلعان وقع اليه عني برد المال اليوم وضيق
عليه في المطالبة وانفذ التوقيع مع عتاب بن عتاب ومره بان يطالبه
فان اخر المال فاضربه بالمقارع في ديوان الخراج بحضرة الناس ولا ترفع
المقارع عنه الا بحضور المال فبادر بعض الخدم الى موسى بالخبر فجلس
ينظر في وجوه يرد منها المال وجد وصار اليه عتاب بالتوقيع مختوما

وكان ذلك اليوم شديد الحرّ وقد انتصف النّهار وموسى في خيش في حجرة
من ديوانه يتناوب عليه فرّاشان يروّحانه بها فدخل عتّاب
وفي يد موسى كتاب طويل يقراه وقد اكبّ موسى عليه يتشاغل به عن
خطاب عتّاب واصاب عتّاب برد الخيش والمروحة فنام جالسًا وقد
ثقل وكان عتّاب قد اخرج الكتاب الذي معه حين جلس فوضعه
على دواة موسى فغمز موسى بعض غلمانه فاخذ الكتاب بعينه وما
زال عتّاب ينام وينتبه وموسى يعمل الى ان انقضت الهاجرة وقد
توجّه بعض المال ونفذ بعض اصحابه لقبضه فقال له عتّاب انظر
فيما جئنا به قال اصلحك الله فيم جئت به قال فيما تضمّن الكتاب
قال اي كتاب قال الكتاب الذي اوصلته اليك من امير المؤمنين
قال متى قال الساعة وضعته على دواتك قال احسبك رايت في
النوم شيئًا فطلب عتّاب الكتاب فلم يجده فقال سُرق الكتاب والله
يا اصحاب الاخبار اكتبوا فقال موسى يا اصحاب الاخبار اكتبوا كذب
فيما ادّعاه ما اوصل اليّ كتابًا وانتم حضور فهل رايتموه اوصل اليّ
شيئًا لعلك يا ابا محمّد ضيّعت الكتاب في طريقك فانصرف عتّاب الى
عبد الله فاخبره فدخل عبد الله الى المتوكل فحدّثه فضحك وقال
احضروا موسى الساعة فحضر فقال له المتوكل يا موسى سرقت
الكتاب من عتّاب قال اي والله يا سيّدي خمّنت انّه كتاب
بمكروه ونام عتّاب قبل ان يوصل الكتاب فامرت من سرق الكتاب
وقد اعددت نصف المال والساعة احمله الى بيت المال الخاصّة واحمل
النّصف الباقي بعد خمسة ايام واقبل يتضرّع فانفذ المتوكل معه من
يقبض المال منه وانصرف وقد رضي عنه ذكر المدائني في كتابه
قال ارسل زياد الى رجل من بني تميم من قعدة الخوارج فاستدعاه
فجاءه خائفًا فقال له زياد ما منعك من اتياني قال قدمت علينا
وقلت لا اعدكم خيرًا ولا شرًّا الّا وفيت به وانجزته وقلت من كفّ
لسانه ويده لم اتعرّض له فكففت لساني ويدي وجلست في بيتي
فأمر له بصلة وخرج والنّاس لا يشكّون انّه يقتل فقالوا له ما قال لك

الامير فقال ما كلّكم استطيع أن أخبره بما كان عندنا ولكنّي وصلتُ الى
رجل لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا فرزق الله تعالى فيه خيرًا أخبرني أبو الفرج
الاصفهاني بإسناده انّ المأمون اقام بعد قدومه الى بغداد عشرين شهرًا لم
يسمع حرفًا من الأغاني ثم كان اوّل من تغنّى بحضرته اخوه ابو عيسى بن الرشيد
ثم واظبه على السّماع متسترًا متشبّهًا بالرشيد في اوّل امره فاقام المأمون كذلك
اربع حجج ثم ظهر للنّدماء والمغنّين وكان حين احبّ السّماع سال عنّي فجرحت
بحضرته فقال الطاعن عليّ ما يقول امير المؤمنين في رجل يتيه على الخلفاء فقال
ما بقّى هذا من التّيه شيئًا الّا استعمله فامسك عن ذكري وجفاني من
كان يصلني لسوء رأيه الذي ظهر فيّ فاضرّ ذلك بي حتى جاءتني علويّة يومًا
فقال اتاذن لي في ذكرك فانّا قد دعينا اليوم فقلت لا ولكن غنّه بهذا
الشّعر فانّه سيبعثه على ان يسالك لمن هو فاذا سالك لمن هو انفتح
لك ما تريده فكان الجواب اسهل عليك من الابتدا قال هات فالقيت
عليه لحني في شعري

شعرًا

يا سرحة الماء قد سدّت موارده . اما اليك طريق غير مسدود
لحائم حام حتى لا حيام له . مخلّأ عن طريق الماء مطرود

قال ابو الفرج والغناء فيه لاسحاق الموصلي رمل بالوسطى رجع الحديث
فمضى علويّة فلما استقرّ المجلس غنّاه بالشّعر الذي امره به فقال ويلك يا علوّية
لمن هذا الشعر فقلت سيّدي لعبد من عبيدك جفوته واطّرحته من غير
جُرم فقال اسحاق يعني قلت نعم قال يحضر الساعة فجاءني رسوله فصرت
اليه فلما دخلت عليه قال ادن منّي فدنوت اليه فرفع يديه فانكببت
فاحتضنني بيديه واظهر من برّي واكرامي ما لو اظهره صديق لصديق
لسرّه الباب الخامس من خرج من حبس او اسر او اعتقال
الى سراح وسلامة وصلاح قال حدّثنا ابو العبّاس احمد
المعروف بالاثرم للمقري الخياط البغدادي بالبصرة بالأسناد عن رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم يوم حنين انّه لمّا اصاب من هوازن ما اصاب
من اموالهم وسباياهم ادركته هوازن بالجعرانة قد اسلموا فقالوا يا رسول
الله انّا اهل عشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا

اللاتي تكفلتك

من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله ان بافي
الحضاير من النساء خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي تكفلتك ولو انا
صابحنا ابن ابي سمر الغساني او النعمان بن المنذر ثم اصابنا منهم الذي اصابنا
منك رجونا عائدهما او عطفهما وانت خير المكفولين ثم انشده شعرا

امنن علينا رسول الله في كرم ۞ فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ۞ ممزق شملها في دارها غير
ابقت لنا الحرب اقواما على حذر ۞ على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرهم ۞ يا ارجح الناس حلما حين تختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ۞ اذ فوك تملؤه من مخضها درر
لا تجعلنا كمن سالت نعامته ۞ واستبقنا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعما اذ كفرت ۞ وعندها بعد هذا اليوم مدخر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ۞ عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه ۞ من امهاتك ان العفو مشتهر
انا نؤمل عفوا منك نلبسه ۞ هادي البرية اذ تعفو وتنتصر
عفوا عفى الله عما انت واهبه ۞ يوم القيمة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي
ولبني عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش ما كان لنا فهو لله عز وجل ولرسوله
صلى الله عليه وسلم فاطلقهم اخبرني ابو بكر الصولي قال كان القاسم بن
عبد الله الوزير قد تقدم عند وفاة المعتضد بالله الى صاحب الشرطة
يونس الخازن ان يوجه الى عبد الله بن المعتز وقصي بن المؤيد وعبد العزيز
ابن المعتمد فيحبسهم في دار ففعل ذلك وكانوا في الحبس خائفين الى ان قدم
المكتفي بالله بغداد فعرف خبرهم وامر باطلاقهم ووصل كل واحد منهم
بالف دينار حدثنا عبد الله بن المعتز قال سهرت ليلة قدم في صبيحتها
المكتفي الى بغداد فلم انم خوفا على نفسي وقلقا بوروده فمرت بي في السحر
طير فصاحت فتمنيت ان اكون مثلها لما يجري علي من النكبات ثم فكرت
في نعم الله عز وجل وما حازه لي من الاسلام والقربة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما اؤمله من البقا الدائم في الآخرة فقلت في الحال

يا نفس

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك ۞ خانتك من بعد طول الأمن دنياك
مرت بنا سحرا طير فقلت لها ۞ طوباك يا ليتني اياك طوباك
لكن هو الدهر فالقيه على حذر ۞ فرب مثلك ينزو تحت اشراك

فلما اصبحت افرج عني ووصلني باشياء لم تكن في حسابي حدثني علي بن
هشام الكاتب عن ابي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال لما بعد ابي الى مصر
احتذنت اباعبادة البحتري وابا معشر المنجم وكنت استريح بهما في وحدتي
وملازمتي البيت وكانا في اكثر الاوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثاني
يوما انهما اضاقا اضاقة شديدة وكانا مصطحبين فعن لهما ان يلقيا المعتز
بالله وهو محبوس فيتوددا اليه ويوصلا عنده اصلا فتوصلا حتى
لقياه في حبسه قال البحتري فانشدته ابياتي التي قلتها في محمد بن
يوسف الثغري لما حبس وخاطبت بها المعتز كاني عملتها اليه في الحال
شعرا

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك ۞ من الحادثات المشكو والنازل المشكي
وما هذه الايام الا منازل ۞ فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وانما ۞ صفي الذهب الابريز قبلك بالسبك
اما في رسول الله يوسف اسوة ۞ لمثلك محبوسا على الظلم والافك
اقام جميل الصبر في الحبس برهة ۞ فال به الصبر الجميل الى الملك
على انه قد ضيم في حبسك العلى ۞ واصبح عز الدين في قبضة الشرك

فاخذ الرقعة التي فيها الابيات ورفعها الى خادم كان واقفا على راسه
وقال احفظها وغيبها فان فرج الله عز وجل عني فاذكرني بها
لاقضي حق هذا الرجل الحر وقال لي ابو معشر وقد كنت انا اخذت
مولده وقت عقد له العقد ووقت عقدت البيعة للمستعين بالخلافة
فنظرت في ذلك وصححت الحكم للمعتز بالخلافة بعد فتنة تجري وحروب
وحكمت على المستعين بالقتل فسلمت ذلك الى المعتز وانصرفنا وضرب
الدهر ضربه وصح الحكم باسره قال لي ابو معشر فدخلت انا
والبحتري جميعا الى المعتز بالله وهو خليفة بعد خلع المستعين
وتغريقه فقال لي المعتز لم انسك وقد صح حكمك وقد اجريت لك
في كل شهر مائة دينار رزقا وثلاثين دينارا نزلا وجعلتك رئيس

المكان تحت حائط فلما انصرف العسكر طرحنا الحائط عليه ليواريه من
الكلاب قال فتعجبت من بولي خوفا منه وبولي على قبره وروى
ابن دريد عن ابي حاتم عن ابي معمر عن رجل من اهل الكوفة قال
كنا مع مسلمة بن عبد الملك ببلاد الروم فسبا سبيا كثيرا واقام
ببعض المنازل فعرض السبي على السيف فقتل خلقا حتى عرض عليه
شيخ ضعيف فامر بقتله فقال ما حاجتك الى قتل شيخ مثلي ان
تركتني جئتك باسيرين من المسلمين شابين قال ومن لي بذلك قال
اني اذا وعدت وفيت قال لست اثق اليك قال فدعني اطوف في
عسكرك لعلي اعرف من يكفلني الى ان امضي اجيء بالاسيرين فوكل
به من امره بالطواف معه في عسكره والاحتفاظ به فما زال الشيخ
يطوف ويتصفح الوجوه حتى مر بفتى من بني كلاب قائما يحس فرسه فقال
يا فتى اضمني من الامير وقص عليه قصته قال افعل وجاء الفتى معه الى
مسلمة فضمنه فاطلقه مسلمة فلما مضى قال اتعرفه قال لا والله قال
ولم ضمنته قال رأيته يتصفح الوجوه فاختارني من بينهم وكرهت ان
اخلف ظنه فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعه اسيران من المسلمين
شابان فدفعهما الى مسلمة وقال يأذن الامير في هذا الفتى في ان يصير
معي الى حصني لاكافيه على فعله معي قال مسلمة للكلابي ان شئت
فامض معه فلما مضى وصار معه الى حصنه قال له يا فتى تعلم والله
انك ابني قال وكيف اكون ابنك وانا رجل من العرب مسلم وانت من الروم
نصراني قال اخبرني عن امك ما هي قال رومية قال فاني اصفها لك
فبالله ان صدقت الا صدقتني قال افعل فاقبل الرومي يصف ام
الصبي ما خرم منها شيئا فقال هي كذلك فكيف عرفت اني ابنها قال
بالشبه وتعارف الارواح وصدق الفراسة ثم اخرج اليه امراة
فلما رآها الفتى لم يشك في انها امه لشدة شبهه بها وخرجت
معها عجوز كانها هي فاقبلن يقبلن راس الفتى فقال له الشيخ هذه
جدتك وهذه خالتك ثم اطلع من حصنه فدعا بشباب في الصحراء
فاقبلوا فكلمهم بالرومية فجعلوا يقبلون راس الفتى ويديه ورجليه

ويترشفونه

ويترشفونه فقال هؤلاء اخوالك وبنو خالاتك وبنو عمك والدتك ثم اخرج
الينا حليا كثيرا وثيابا فاخرة فقال هذا لوالدتك عندنا منذ سنين
فخذه معك فادفعه اليها فانها ستعرفه ثم اعطاه لنفسه مالا كثيرا
وثيابا جليلة وحمله على عدة دواب وبغال والحقه بعسكر مسلمة
وانصرف فاقبل الفتى قافلا حتى دخل منزله فاقبل يخرج الشيء بعد
الشيء مما عرفه الشيخ انه لامه فتراه فتبكي فيقول لها قد وهبته لك
فلما اكثر هذا عليها قالت يا بني اسالك بالله من اي بلد صارت اليك هذه
الثياب وقد قتلتم اهل هذا الحصن الذي كان هذا فيه فقال لها الفتى
صفة الحصن كذا وكذا وصفة البلد كذا وكذا ورأيت فيه قوما من
حالهم كذا فوصف لها امها واختها واولادهما وهي تبكي وتقلق فقال
ما يبكيك فقالت الشيخ والله ابي والعجوز امي وتلك اختي فقص عليها
الخبر واخرج بقية ما كان معه وقد انفذه ابوها اليها فدفعه اليها
وجدت في كتاب ابي الفرج المخزومي الحنظلي عن ابي امية الهاشمي
باسناده عن منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هرون
الرشيد ان رجلا بدمشق من بقايا بني امية عظيم الجاه
واسع الدنيا كثير المال والاملاك مطاعا في البلد له جماعة
واولاد ومماليك وموالي يركبون الخيل ويحملون السلاح
ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه
لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف
الرشيد على هذه الحال وهو في الكوفة في بعض خرجاته الى
الحج في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم وبايع امير
المؤمنين الامين والمامون والمؤتمن اولاده فدعاني وهو خال
فقال اني دعوتك لامر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف
تعمل وتكون ثم قص عليه خبر الاموي وقال اخرج الساعة فقد
اعددت لك الجمازات وازحت علتك في الزاد والنفقة والالات
فضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي الى امير دمشق وهذه
قيود فادخل وابدأ بالرجل فان سمع واطاع فقيده بها

المنجمين في دار الخلافة وامرت لك عاجلاً باطلاق الف دينار صلة فقبضت
ذلك كله من يومي وقال لي البحتري فتقدمت وانشدت المعتز قصيدة
مدحته بها وهنأته بالخلافة وهجوت فيها المستعين اولها

يجانبنا في الحب من لا نجانبه ... ويبعد عنا في الهوى من نقاربه

حتى انتهيت الى قولي

وكيف رايت الحق قر قراره ... وكيف رايت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المعتز بالله اذ سرى ... ليعجز والمعتز بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر ... وعري من برد النبي مناكبه
وقد سرني ان قيل وجد عاريا ... من الشرق تحدو سفينه وركائبه
الى واسط حيث الدجاج ولم يكن ... لينشب الا في الدجاج مخالبه

قال فاستعاد مني هذه الابيات مراراً فاعدتها ودعى بالخادم
الذي كان معه في الحبس وطلب الرقعة التي كنت انشدته الشعر
الذي فيها في حبسه فاحضره اياها بعينه فقال قد امرت
لك بكل بيت منها الف دينار وكانت ستة ابيات فاعطيت ستة
آلاف دينار ثم قال لي كاني بك قد بادرت فاشتريت منها غلاماً وفرساً
وجارية والتفت وقال لا تفعل فان لك فيما تستانف معنا في
ايامنا ومع وزرآئنا واسبابنا اذا عرفوا موضعك عندنا غناء عن
ذلك ولكن افعل بهذا المال كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصل
اليه من عبد الله بن جعفر اشتر به ضيعة جليلة تنتفع بغلتها
ويبقى عليك وعلى ولدك اصلها فقلت السمع والطاعة وخرجت
فاشتريت بالمال ضيعة جليلة نمت ثم تاثلت حالي وزادت **اخبرني**
ابو بكر الصولي اجازة ونقلته من خطه قال حدثني ابراهيم القنوي
قال طولب ابو سعيد الثغري بعد غزواته المشهورة وسلم الى
ابي الخير النصراني الجهبذ ليستخرج المال منه فجعل يعذبه فشق
ذلك على المسلمين وقالوا اخذ بثار النصرانية فقال البحتري

ايا ضيعة الدنيا وضيعة اهلها ... والمسلمين وضيعة الاسلام
طلبت دخول الشرك في دار الهدى ... بين المداد والسن الاقلام
هذا ابن يوسف في يدي اعدائه ... يجري على الايام بالايام
نامت بنو العباس عنه ولم تكن ... عنه امية لو دعت بجيام

فقرا هذا الشعر على المتوكل فامر باطلاق ابي سعيد وامر باحضار
البحتري فاحضروا تصل به وكان اول شعر انشده **بيت**

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك

وجدت في كتاب
صاحب ابي الفرج المخزومي الخطي عن ابي طالب الجعفري انه سمع
رجلا يحدث عن محمد بن الفضل الجرجاني في وزارته للمعتصم قال
كنت اتولى ضياع عجيف بكسكر فرفع علي اني خنته واخربت الضياع
فانفذ اليّ من يقيدني فادخلت عليه في داره بسر من راى على تلك
الحالة فاذا هو يطوف على ضياع فيها فلما نظرني شتمني فقال اخربت
الضياع ونهبت الاموال والله لاقتلنك هاتوا السياط فاحضرت
وسحبت للضرب فلما رايت ذلك ذهب علي امري وبلت على ساقي
ونظر كاتبه الي فقال لعجيف اعز الله الامير انت مشغول القلب بهذا
البناء وضرب هذا وقتله في ايدينا ليس يفوت فمر بحبسه وانظر في
امره فان كانت الوقيعة صحيحة فليس يفوتك عقوبته وان كانت
باطلة لم تتعجل الاثم وتنقطع عما انت بسببه من الهم فامر بي الى
الحبس فمكثت به اياما وغزى امير المؤمنين المعتصم فاتصل بكاتبه
الخبر فامر باطلاقي واطلقني وخرجت وما اهتدي الى حبة فضة
فما فوقها فقصدت صاحب الديوان بسر من راى فتوجع من سوء
حالي وعرض علي ماله فقلت بل تتفضل بتصريفي في شيء استتر بجايزته
فقلدني عملا بنواحي ديار ربيعة واقترضت من التجار لما سمعوا بخبر
ولايتي ما تحملت به الى العمل وخرجت وكان من ضياع العمل ضيعة تعرف
بكراثا فرايتها في بعض طريقي ونزلت داراً امنها فلما كان السحر وجدت
المستحم ضيقا غير نظيف وخرجت من الدار فاذا بتل فجلست ابول
عليه وخرج صاحب الدار فقال اتدري على اي شيء بلت قلت على تل
تراب فضحك وقال هذا قبر رجل يعرف بعجيف من قواد السلطان
كان سخط عليه وحمل مقيدا فلما صار الى ها هنا قتل وطرح في هذا

وجئني به والا فتوكل انت ومن معك به حتى لا يهرب وانفذ الكتاب
الى امير دمشق ليركب في جيشه فاقبضوا عليه وجئني به وقد
اجلتك لذهابك ستة ولعودك ستة ويوما للقعود وهذا
محمل تجعله في شقه واذا قيدته تجلس انت في الشق الآخر
ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تاتيني به اليوم الرابع عشر من خروجك
فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وولده واهله
وحاشيته وغلمانه وما يقولون وقدر النعمة والحال والمحل
واحفظ ما يقوله الرجل حرفا حرفا من جميع الفاظه منذ وقوع
طرفك عليه الى ان تاتيني به واياك ان يشذ عليك شيء من امره
انطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت اطوي
المنازل واسير الليل والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين
والبول وتنفيس الناس قليلا الى ان وصلت الى دمشق في اول
الليلة السابعة وابواب البلد مغلقة فكرهت طروقها فنمت
بظاهرها الى ان فتح بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى
اتيت باب الرجل وعليه طفف كثيرة وحاشية كثيرة فلم
استاذن ودخلت بغير اذن فلما راى القوم ذلك سالوا بعض من
معي عني فقالوا هذا منارة صاحب امير المؤمنين ارسله امير المؤمنين
الى صاحبكم فامسكوا فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت
مجلسا رايت فيه قوما جلوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاموا
الي ورحبوا بي واكرموني فقلت افيكم فلان قالوا لا نحن اولاده
وهو في الحمام قلت فاستعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وانا افتقد الدار
والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت باهلها موجا شديدا فلم
ازل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان اطال فاستربت واشتد قلقي
وخوفي من ان يتوارى الى ان رايت شيخا قد اقبل بزي الحمام يمشي
في الصحن وحواليه جماعة كهول واحداث وصبيان هم اولاده
وغلمان كثيرة فعلمت انه الرجل فجاء وسلم علي سلاما خفيفا وسالني
عن امير المؤمنين واستقامة امر حضرته فاخبرته بما وجب وما انقضى كلامه

حتى جاؤه باطباق الفاكهة فقال لي تقدم يا منارة وكل معنا فقلت
ما بي الى ذلك حاجة فلم يعاودني فاقبل ياكل هو والحاضرون معه
ثم غسل يده ودعا بالطعام فجاؤه بمائدة حسنة عظيمة لم ار
مثلها الا للخليفة فقال لي تقدم يا منارة فساعدني على الاكل لا يزيدني
على ان يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فما
عاودني واكل هو واولاده وكانوا تسعة وجماعة كثيرة من اصحابه
وتاملت اكله في نفسه فوجدته اكل الملوك ووجدت جاشه رابطا
وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدته لا يرفع من بين
يديه شيء قد جعل على المائدة الا يوهب وقد كان غلمانه لما
نزلت الدار اخذوا اجمالي وجميع غلماني فعدلوا بهم الى دار له فما اطاقوا
ممانعتهم وبقيت وحدي ليس بين يدي الا خمسة او ستة غلمان
وقوف على راسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع
علي من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا حفاظه
الى ان يلحقني امير البلد وجزعت جزعا شديدا ورابني منه استخفافه
بي وتهاونه بامري ويدعوني باسمي ولا يفكر في امتناعي من الاكل
ولا يسالني عما جئت له وياكل مطمئنا وانا افكر في ذلك اذ فرغ من
طعامه وغسل يده واستدعى بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة فصلى
الظهر واكثر من الدعاء والابتهال ورايت صلاته حسنة فلما انفتل
من صلاته اقبل علي فقال ما اقدمك يا منارة فقلت امر لك من
امير المؤمنين واخرجت الكتاب فدفعته اليه ففضه وقراه فلما
استتم قراءته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق فلم اشك انه
يريد ان يوقع بي فلما تكاملوا ابتدا فحلف ايمانا غليظة فيها الطلاق
والعتاق والحج والصدقة والوقف والحبس ان اجتمع منهم اثنان
في موضع وان ينصرفوا ويدخلوا غلمانه وحاشيته منازلهم فلا يظهر
منهم احد الى ان ينكشف له امر يعمل عليه وقال هذا كتاب امير المؤمنين
يامرني بالمصير الى بابه ولست اقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة
فاستوصوا من ورائي من الحرم خيرا وما بي حاجة ان يصحبني غلام

هات اقيادك يا منارة فدعوت بها وكانت في سفط واحضر حدادا ومد
ساقيه فقيدته وامرت غلماني بحمله حتى حصل في المحمل وركبت في الشق
الآخر وسرت من وقتي ولم الق امير البلد ولا غيره وسرت بالرجل ليس
معه احد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدا يحدثني بانبساط حتى
انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم
قال انه لي ولي فيه غرائب من الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى بستان
آخر فقال فيه مثل ذلك ثم انتهينا الى مزارع حسان وقرى سرية فاقبل
يقول هذا لي ويصف كل شيء فيه من ذلك فاشتد غيظي منه فقلت له
علمت اني شديد التعجب منك قال فلم قلت الست تعلم ان امير
المؤمنين قد اهمه امرك حتى انفذ اليك من انزعك من بين اهلك
وولدك ومالك واخرجك من جميع حالك وحيدا فريدا مقيدا
لا تدري ما تصير اليه ولا كيف تكون وانت فارغ القلب من هذا تصف
بساتينك وضياعك هذا بعد ان رايتك وقد جئت لا تعلم فيم جئت
وانت ساكن القلب قليل الفكر ولقد كنت عندي شيخا فاضلا
فقال لي مجيبا انا لله وانا اليه راجعون اخطات فراستي فيك
قدرتك رجلا كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الا
بعد ان عرفوك بذلك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقولهم
والله المستعان اما قولك في امير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى
بابه على صورتي هذه فاني على ثقة بالله عز وجل الذي بيده ملكوت
السموات والارض شاهد كل نجوى وكاشف كل بلوى حاضر كل سريرة
وبيده ناصية امير المؤمنين ولا يملك معه لنفسه نفعا ولا ضرا
الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند امير المؤمنين اخافه وبعد
فاذا عرف امري وعلم سلامتي وصلاح حالي وان الحسدة والاعداء رموني
عنده بما لست في طريقه وتقولوا علي الاقاويل الكاذبة لم يستحل دمي
ويخرج من ذمتي وازعاجي وردي مكرما واقامتي ببابه معظما وان
كان قد سبق في علم الله تعالى انه يبدر منه الي بادرة سوء وقد حضر
اجلي وحان سفك دمي على يده فلو اجتهدت الملائكة والانبياء

واهل السماء والارض على صرف ذلك عني ما استطاعوا فلم اتعجل الغم واتسلف
الفكر فيما قد فرغ منه واني حسن الظن بالله عز وجل الذي خلق ورزق واحيا
واماتو فطر وجبل واحسن واجمل فاين الصبر والرضا والتفويض والتسليم
الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت احسب انك تعرف هذا فاذا قد عرفت
مبلغ فهمك لا اكلمك ابدا بكلمة واحدة حتى تعرف حضرة امير المؤمنين بيننا ان شاء
الله تعالى ثم اعرض عني فما سمعت له لفظة بغير القرآن والتسبيح الا بطلب
ماء او حاجة تجري مجراه حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر
فاذا النجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين راوني
رجعوا عني متقدمين لي بالخبر الى امير المؤمنين فانتهيت الى الباب في آخر النهار
فحططت ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات
ما عندك واياك ان تغفل منه عن لفظة واحدة فسقت الحديث من اوله
الى آخره حتى انتهيت الى الفاكهة والطعام والغسل والطهور والبخور والصلاة
وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجهه ويتزايد حتى
انتهيت الى فراغ الاموي من الصلاة واقباله الي ومسالته عن سبب
قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده واسبابه واهله
واصحابه وحلفه لهم ان لا يتبعه احد منهم وصرفه اياهم ومده رجليه
حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى ما خاطبني به عند
توبيخي اياه لما ركب في المحمل قال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على
النعمة مكذوب عليه ولعمري لقد ازعجناه وآذيناه وروعناه وارعنا
اهله فبادر بنزع قيوده عنه واتني به فخرجت ونزعت قيوده وادخلته الى
الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رايت ماء الحيا يجول في وجهه فدنا الاموي
وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردا جميلا وامره بالجلوس فجلس
فاقبل عليه الرشيد يسائله عن حاله ثم قال له انه بلغنا عنك فضل هيئة
وامور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك
فاجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا فقال اما حاجتي فما لي الا حاجة
واحدة قال مقضية فما هي قال يا امير المؤمنين تردني الى بلدي واهلي
وولدي قال نحن نفعل ذلك ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك

فانّ مثلك لا يخلو ان يحتاج الى شيء من هذا فقال عمّال امير المؤمنين منصفون
وقد استغنيت بعدله عن مسالته من ماله وامورى منتظمة واحوالى مستقيمة
وكذلك امور اهل البلد بالعدل الشامل في ظلّ دولة امير المؤمنين وما استغنم
ماله فقال الرشيد انصرف محفوظًا الى بلدك واكتب لنا بامر ان عرض لك فودّع
الاموي فلما ولّى خارجًا قال الرشيد يا منارة احمله من وقتك وسر راجعًا
كما سيرته حتى اذا اوصلته الى المجلس الذي اخذته منه فدعه وانصرف
ففعلتُ ذلك حدّثني علي بن هشام قال سمعتُ ابا الحسن علي بن
عيسى يحدّث قال سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول حدّثني
ابي قال كنت انا والعباس بن الخصيب مع خلق من العمال والكتاب معتقلين
في يدي محمد بن عبد الملك في آخر وزارته للواثق نطالب ببقايا مصادرات
ونحن ايئاس ما كنا من الفرج اذا اشتدت علة الواثق وحجب ستة ايام
عن الناس فدخل اليه ابو عبد الله احمد بن داود القاضي فقال له الواثق
يا ابا عبد الله وكان يكنيه ذهبت مني الدنيا والآخرة قال كلا يا امير
المؤمنين قال بلى والله قد ذهبت مني الدنيا بما ترى من حضور الموت
وذهبت الآخرة بما اسلفت من العمل القبيح فهل عندك شيء من دواء قال نعم
يا امير المؤمنين قد عزل محمد بن عبد الملك من الكتاب والعمال وملأ بهم الحبوس
ولم يحصل من جهتهم على شيء كثير وهم عدد كثير ووراءهم الف يد ترفع
الى الله عز وجل بالدعاء عليك فتامر باطلاقهم لترتفع تلك الايادي بالدعاء
لك فلعل الله يهب عافيتك وعلى كل حال فانت محتاج الى ان تقل خصومك
فقال نعم ما اشرت اليه وقال وقّع اليه عني باطلاقهم فقال ان رأى خطي عاند
ولج ولكن يعتمد امير المؤمنين التواكب ويتساند ويحمل على نفسه ويوقّع
بخطه فوقّع الواثق بخط مضطرب الى ابن الزيات باطلاقهم واطلاق كل من
في الحبس من غير استيمار ولا مراجعة وتقدم الى ايناخ ان يمضي بالتوقيع
ولا يدعه يعمل شيئًا او يطلقهم وان يحول بينهم وبين الوصول اليه او كتب رقعة
او اشتغال بشيء البتة الا بعد اطلاقهم وامره ان لقيه في الطريق ان ينزله
عن دابته ويجلسه في الطريق حتى يفرغ من ذلك فتقدم ايناخ فلقي ابن
الزيات راكبا يريد الخليفة فقال له تنزل عن دابتك وتجلس على غاشيتك

فارتاع وظن الحال به قد وقعت فنزل وجلس على غاشيته فاوصل اليه
التوقيع فامتنع وقال اذا اطلقت هؤلاء فمن اين انفق الاموال واقيم الاتراك
فقال لا بدّ من ذلك فقال اركب واستاذنه فقال لا سبيل الى ذلك قال
فدعني اكاتبه قال ولا هذا فما برح من موضعه حتى وقع باطلاق الناس
فصار ايناخ الينا ونحن في الحبس ايئاس ما كنّا من الفرج وقد بلغنا
التلف وبلغنا اشتداد علة الواثق وارجف لابنه بالخلافة وكان صبيًا
فخفنا ان يتم ذلك فيجعل ابن الزيات الصبي شبحًا ويتولى التدبير
فيتلفنا وقد امتنعنا لفرط الغم من الاكل فلما دخل ايناخ الحبس لم
نشك انه قد حضر لبلية فاطلقنا وعرفنا الصورة فدعونا الله
عزّ وجل لابن ابي داود وللخليفة وانصرفنا الى منازلنا لحظة ثم
خرجنا فوقفنا لابي عبد الله بن ابي داود على الطريق ننتظر عوده
من دار الخلافة الى داره فحين رايناه ترجلنا له ودعونا له وشكرناه
فاكبر ذلك عليه ومنعنا من الترجل فلم نمتنع فوقف حتى ركبنا وسايرنا الى
منازلنا فاخذ يخبرنا بالخبر ونحن نشكره وهو يستقصر ما فعل ويقول
هذا اقل حقوقكم وكان الذي لقيه انا واحمد بن الخصيب وقال ستعلمان
ما اعمله مستانفًا ورجع ابن ابي داود الى دار الخليفة عشيًا فقال له
الواثق قد تبركت برايك يا ابا عبد الله ووجدت خفًا من العلة ونشطت
للاكل فاكلت وزن خمسة دراهم خبزًا بصدر دراج فقال له ابو عبد الله
يا امير المؤمنين تلك الايدي التي كانت تدعو عليك غدوة فصارت تدعو
لك عشية ويدعو لك بسببهم خلق كثير من رعيتك الا انهم قد صاروا
الى دور خراب واحوال قبيحة بلا فرش ولا كسوة ولا دواب ولا ضياع
موتى جوعًا وهزالًا قال فما ترى قال يا امير المؤمنين في الخزائن والاصطبلات
بقايا ما اخذ منهم فلو امرت ان ينظر في ذلك فكل من وجد له شيء باق من هذا
رد عليه واطلقت عن ضياعهم لعاشوا وخف الاثم وتضاعف الدعاء
وقويت العافية قال فوقع بذلك عني فوقع عنه ابن ابي داود فما شعرنا
من الغد الا وقد رجعت نعمنا علينا ومات الواثق بعد ثلاثة ايام وفرج
الله عزّ وجل عنا بابن ابي داود وبقيت له المكرمة العظيمة في اعناقنا ٥

حدّثني ابو الحسن علي بن هشام قال سمعتُ ابا الحسن علي بن عيسى
وابا الحسن الايادي الكاتب يقولان كان عبيد الله بن سليمان يقول كنت
بحضرة ابي في ديوان الخراج بسرّ من رأى وهو يتولاه اذ دخل عليه احمد بن
خالد الصريفيني الكاتب فقام اليه ابي قائمًا من مجلسه واقعده في صدره
وتشاغل به ولم ينظر في عمل حتى نهض ثم قام معه وامر غلمانه بالخروج
بين يديه فاستعظمت انا وكل من في المجلس هذا لان رسم اصحاب الدواوين
صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لاحد ممن خلق الله تعالى ممن
يدخل اليهم فتبين ابي ذلك في وجهي فقال لي يا بني اذا خلونا فاسالني عن
السبب فيما عملته مع هذا الرجل قال وكان ابي ياكل في الديوان وينام
فيه ويعمل عشيًا فلما جلسنا ناكل لم اذكره الى ان رايت الطعام قد كاد ان
ينقضي فقال لي هو يا بني شغلك الطعام عما قلت لك ان تذكرني به فقلت لا
ولكن اردت ان يكون ذلك على خلوة فقال يا بني هذه خلوة ثم قال اليس
انكرت انت والحاضرون قيامي لاحمد بن خالد قيامي في دخوله وخروجه
وما عاملته به فقال نعم فقال كان هذا يتقلد مصر فصرفته عنها وقد
كانت مدته فيها طالت فوطيت آثار رجل لم ار اجل آثارًا منه ولا اعف
عن اموال السلطان والرعية ولا رايت رعية لعامل اشكر من رعيته له
وكان الحسين المعروف بعرق الموت الخادم صاحب البريد بمصر اصدق الناس
لنفع هذا وهو من ابغض الناس واشدهم اضطراب اخلاق فلم اتعلق
عليه بحجة ووجدته قد اخر رفع الحساب لسنة متقدمة وسنته التي
هو فيها او لم يستتمها بصرفي له عنها ولم ينفذه الى الديوان فسالته ان يحط
من الدخل ويزيد في النفقات والارزاق ويكسر من البقايا في كل سنة
مائة الف دينار لآخذها لنفسي فامتنع من ذلك فاغلظت له وتوعدته
ونزلت معه الى مائة الف واحدة في السنتين وحلفت بايمان مؤكدة
اني لا اقنع منه باقل من هذا فاقام على امتناعه وقال انا لا اخون لنفسي
فكيف اخون لغيري وازيل ما قام به جاهي من العفاف فحبسته وقيدته
فلم يجب واقام مقيدا في الحبس شهورًا وكتب عرق الموت يضرب علي
عند المتوكل ويحلف ان اموال مصر لا تفي بنفقتي ومؤنتي ويصف احمد

ابن خالد ويذكر ميل الرعية اليه وعفته فانا ذات يوم على المائدة آكل اذ
وردت علي رقعة احمد بن خالد يسالني استدعاءه لمهم يلقيه الي
فلم اشك انه قد عوض بالحبس والقيد وقد عزم على الاستجابة لمرادي فلما
غسلت يدي دعوته فاستخلاني فاخليته فقال اما آن لك يا سيدي ان
ترق لي مما انا فيه من غير ذنب اليك ولا جرم ولا قديم دخل ولا
عداوة فقلت انت اخترت لنفسك هذا وقد سمعت يميني وليس
منها مخرج فاستجب لما عندك منك واخرج فاخذ يستعطفني
ويخدمني ويخدعني فقال لي يا سيدي فليس الآن عندك
غير هذا فقلت لا فقال اذا كان ليس غير هذا فاقرا يا سيدي
هذا فاخرج الي كتابًا لطيفًا مختومًا في ربع قرطاس
ففضضته فاذا هو بخط المتوكل الذي اعرفه الي بالانصراف
وتسليم ما اتولاه الى احمد بن خالد والخروج اليه مما يلزمني
ورفع الحساب فورد علي اقبح مورد لقرب عهد الرجل بشتمي
له وانه في الحال تحت حديدي ومكارمي فامسكت مبهوتًا
ولم البث ان دخل امير المؤمنين البلد في اصحابه وغلمانه فوكل
بداري وبجميع ما املكه وباصحابي وغلماني وجهابذي وكتابي
وجلست ازحف من الصدر حتى صرت بين يدي احمد بن خالد
ودعا امير البلد بحداد فحل قيده فوثب قائمًا وقال لي يا ابا
ايوب انت قريب عهد بعمالة هذا البلد ولا منزل لك فيه
ولا صديق ومعك حرم وحاشية كثيرة وليس تسعك
الا هذه الدار وكانت دار العمالة وانا اجد عدة مواضع وليس
لي كثير حاشية ومن نكبة خرجت فاقم بمكانك وخرج وصرف
المتوكل عني وعن الدار واخذ كاتبي واسبابي اليه فلما انصرف
قلت لغلماني هذا الذي نراه في النوم انظروا من وكل بنا فقالوا
ما وكل بنا احدًا فعجبت من ذلك عجبًا عظيمًا وما صليت العصر
حتى عاد الي من كان حمله معه من المتصرفين والكتاب والجهابذة
مطلقين وقالوا اخذ خطوطنا برفع الحساب وامرنا بالملازمة

واطلقنا قال فازداد عجبي فلما كان من غد باكرني مسلّما ورحت
اليه في عشية ذلك اليوم واقمت ثلاثين يوما ان سبقني الى المجيء والا
رحت اليه وان راح الي والا باكرته وفي كل يوم يجيئني هدايا ه
والطافه من الثلج والفاكهة والحيوان والحلوى فلما كان بعد ثلاثين
يوما جاءني وقال قد عشقت مصر يا ابا ايوب والله ما هي
طيبة الهواء ولا عذبة الماء وانما تطيب بالولاية والاكساب
ولو قد دخلت الى سرّ من رأى لما اقمت بها الا شهرا او احدا حتى
تتقلد احد الاعمال فقلت والله ما انا الا متوقع لامرك في الخروج
فقال اعطني خط كاتبك بان عليه القيام بالحساب واخرج
في حفظ الله فاحضرت كاتبي فاخذت خطه كما اراد وسلمته
اليه وقال لي اخرج اي يوم شئت فخرجت من غد فخرج
هو وامير البلد وقاضيه ووجوهه واهله فشيعوني
الى ظاهر البلد وقالوا لي تقيم في اول منزل على خمسة فراسخ
الى ان انزح علة قائد ويصحبك برجالة الى الرملة فان
الطريق فاسد فاستوحشت لذلك وقلت هذا انما غرني
حتى اخرج كلما املكه فيتمكن منه في ظاهر البلد فيقبضه
ثم يردني الى الحبس والتوكيل والمطالبة ويحتج علي بكتاب
ثان ويذكر انه ورد من المتوكل فخرجت فاقمت بالمرحلة
التي امرني بها مستسلما متوقعا للشر الى ان رايت اوايل عسكر
مقبل من مصر فقلت لعله القائد الذي يريد ان يصحبني اياه
او لعله الذي يريد ان يقبض علي به فامرت غلماني بمعرفة
الخبر فقالوا العامل احمد بن خالد قد جاء فلم اشك في
انه قد ورد البلاء بوروده فخرجت من مضربي فتلقيته
وسلمت عليه فلما جلس وسلم قال اخلونا فلم اشك انه
للقبض علي وطار عقلي فقام من كان عندي فلما لم يبق عندي
احد قال انا اعلم ان ايامك لم تطل بمصر ولا حظيت بكثير
فائدة وذلك الذي سالتنيه في ولايتك فلم اجب اليه

انما اخرت الاذن لك في الانصراف منذ اول الامر الى الآن لاني تشاغلت
بالفراغ لك منه وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات
في كل سنة خمسة عشر الف دينار تكون في السنتين ثلاثين
الف دينار وهو يقرب ولا يظهر ويكون ايسر مما ارد ته
مني في ذلك الوقت وقد تشاغلت به حتى جمعته لك وهذا
المال على البغال فتقدم الى من يتسلمه فتقدمت بقبضه
وقبلت يده وقلت قد والله يا سيدي فعلت ما لم تفعل
البرامكة فانكر ذلك منه وتقبض منه وقبل يدي ورجلي
وقال ههنا شيء آخر اريد ان تقبله مني فقلت ما هو فقال
خمسة آلاف دينار قد استحقيتها من رزقي فامتنعت من
ذلك وقلت فيما قد تفضلت كفاية فحلف بالطلاق اني اقبلها
منه فقبلتها منه فقال ههنا الطاف من هدايا
مصر احببت ان اصحبك اياها فانك تصير الى كتاب
الدواوين ورؤساء الحضرة ويقولون لك وليت مصر
فاين نصيبنا من هدايا ها ولم تطل ايامك فتعد ذلك لهم
وقد جمعت لك منه ما يشتمل على هذا الثبت واخرج
درجا فيه ثبت جامع لكل شيء في الدنيا حسن ظريف جليل
القدر من ثياب دبيقي وقصب وخدم وبغال ودواب
وحمير وفرش وطيب كثير وما يكون فيه الجميع مال كثير
فامرت بتسليمه وزدت في شكره فقال لي يا سيدي انا مغرى
بحب الفرش وقد استعمل لي بيت ارمني بارمينية وهو عشر
مصليات بمخادها ومساندها ومطارحها وبساطها وهو
مذهب بطرز مذهبة قد قام علي بخمسة الاف دينار على
شدة احتياطي وقد اهديته اليك فان اهديته الى الوزير
عبدك وان اهديته الى الخليفة ملكته به وان ابقيته
لنفسك وتجملت به كان احب الي وحمله الي فما رايت مثله
قط ولم تسمح نفسي باهدائه الى احد ولا استعماله فما ابتذلت

منه شيئا الا يوم اعذارك فاني تخذته منه الصدر ومسنده
ومساوره ومخاده فتلومني يا بني على ان اقوم لهذا الرجل
قال فقلت لا والله يا ابي ولا على ما هو اكثر من القيام لو كان
مستطاعا قال فكان ابي بعد ذلك اذا صرف رجلا عامله بكل
جميل يقدر عليه وقال علمنا احمد بن خالد حسن التصرف
حدثنا ابو علي الحسين بن محمد بن علي بن موسى الانباري
الكاتب الذي كان زوج ابنة المهلبي بن محمد رحمهم الله وخليفه
على الوزارة باسناده ان القاسم بن عبيد الله لما تقرر د ه
بالوزارة بعد موت ابيه كان يحب الشرب واللعب ويخاف
ان يتصل بالمعتضد خبره فيستنقصه وينسبه الى الصبوة
فالتهوك والتشاغل واللذات عن الاعمال وكان لا يشرب
الا في حالين على اخفاء واستر ما يكون وانه خلا يوما مع
جوار مغنيات ولبس من ثيابهن المصبغات واحضر فواكه
كثيرة وشرب ولعب من نصف نهار يوم الى نصف الليلة الاخرى
ونام بقية الليلة وبكر الى المعتضد للخدمة على رسمه فما انكر
شيئا وبكر في اليوم الثاني فحين وقعت عين المعتضد عليه
قال له يا قاسم ما كان عليك لو دعوتنا الى خلوتك والبستنا
معك من ثيابك المصبغات قال فقبل الارض وروى عن
الصدق واظهر الشكر على هذا البسط وخرج وقد كاد
يتلف غما لوقوف المعتضد على هذا القدر من امره وكيف
لا يخفى عليه موافقه فجاء الى داره كئيبا وكان له في داره
صاحب خبر يقال له خالد يرفع اليه امورها فاحضره
وعرفه ما جرى بينه وبين المعتضد وقال له ان بحثت لي
عمن اخرج هذا الخبر اليه زدت في رزقك كذا واجزتك كذا
وان لم تخرجه نفيتك الى عمان وحلف له على الامرين جميعا
فخرج صاحب خبره من حضرته متحيرا كئيبا لا يدري ما يعمل
يومه ويفكر ويحتال ويجتهد فما وقع له راي يعول عليه قال

صاحب الخبر فلما كان من غد بكرت الى دار القاسم زيادة تنكر
على ما جرى به رسمي لفرط سهري وقلقي تلك الليلة ومحبتي
للبحث فجئت ولم يفتح باب دار القاسم بعد فجلست فاذا
برجل زمن يزحف في ثياب المكديين ومعه مخلاة كما يكون
مع المكديين فلما جاء الى الباب جلس حتى فتح فسابقني الى
الدخول فاولع به البوابون وقالوا اي شيء خبرك يا فلان وصفعوه
فمازحهم وطايبهم وشتمهم وشتموه وجلس في الدهليز فقال
الوزير يركب اليوم قالوا نعم الساعة يركب فقال واي وقت
نام البارحة قالوا وقت كذا وكذا فلما رايته يسال عن هذا
خمنت انه صاحب خبر فاصغيت اليه ولم اره حفلا بامره
الى ان لم يبق شيء يعمله البوابون ممن وصل الى الوزير ومن
لم يصل ومتى خرجوا الا سالهم عنه وحدثوه به ويدقه
باحاديث اخر على سبيل الفضول ثم زحف فدخل الى جنب
اصحاب الستور فاخذ معهم في مثل ذلك واخذوا معه في مثله
ثم زحف فدخل الى دار العامة فقلت لاصحاب الستور من هذا
فقالوا رجل زمن فقير ابله طيب النفس يدخل الدار ويتطايب
ويتصدق فيهب له الغلمان والمتصرفون فتبعته الى ان دخل
المطبخ فسال عما اكل الوزير ومن كان معه على المائدة وفي اي شيء
افاضوا والطباخ وغلمانه وغلمان صاحب المائدة كل واحد يخبره
بشيء ثم خرج يزحف حتى دخل حجرة الشراب فلم يزل يبحث عن كل شيء
ولحدث ثم خرج الى خزانة الكسوة فكانت حالته وصورته
هذه ثم جاء الى مجالس الكتاب في الديوان فتصدق واقبل يسمع
ما يجري ويسال الصبي بعد الصبي والحدث بعد الحدث عن الشيء بعد
الشيء ويستخبر الخبر في كل موضع من تلك المواضع ويتبعه ويخلط
الجد بالمزاح والتطايب بكلامه والاخبار تنجر اليه وتتساقط عليه
والقطع تجيئه وهو يملأ تلك المخلاة فلما فرغ من هذا اقبل راجعا
يريد الباب فلما بلغ الباب قبضت عليه فادخلته بيتا واغلقت

عليه وجلست على بابه فلما خلى الوزير اعلمته فقال احضرني الرجل
وفي رواية اخرى انه لما بلغ الباب تبعته فخرج حتى جاء الى موضع
من الخلد فدخل اليه ووقفت انتظره فاذا هو بعد ساعة قد خرج بثياب
حسان ماشيا بغير قلبة فتبعته حتى جاء الى دار الخادم الموكل بحفظ دار
ابن طاهر فدخلها فسالت عنها فقالوا هذه دار فلان الهاشمي رجل متجمل
فرصدته الى وقت المغرب فجاء خادم من دار ابن طاهر فدق الباب
فكلمه من خوخة له فصاح اليه ورمى اليه برقعة لطيفة فاخذها
الخادم وانصرف فجئت فطلبت من الوزير غلمانا فسلم الي ما طلبت فبكرت
من سحر الى الدار التي في الخلد فاذا انا بالرجل قد جاء بزيه الذي
دخل به داره بقرب دار ابن طاهر فكبسته في الموضع فاذا هو قد
نزع تلك الثياب ولبس ثياب المكديين التي رايتها عليه اولا فحملته
وغطيت وجهه وكتمت امره حتى ادخلته دار القاسم ودخلت
اليه وقصصت عليه الخبر قال ففوض القاسم شغله وخلى
واستدعاه فقال لتصدقني عن امرك او لا ترى ضوء الدنيا
ولا تخرج من هذه الحجرة والله ابدا قال تؤمنني قال انت آمن
فنهض لا قلبة به فتحير القاسم وقال انا اخبرك انا فلان
ابن فلان الهاشمي رجل متجمل وانا اتخبر عليك للمعتضد منذ
كذا وكذا فانزل في درب يعقوب بقرب دار ابن طاهر يجري
علي المعتضد خمسين دينارا في الشهر واخرج كل يوم
بالزي الذي لا ينكره جيراني فادخل دارا في الخلد بيدي منها
بيت باجرة فيظن اهلها اني منهم ولا ينكرون للزي فاخرج
من هناك بهذه الثياب واتزامن من الموضع والبس لحية
فوق لحيتي مخالفة للوني حتى ان لقيني في الطريق بالاتفاق
بعض من يعرفني انكرني وامشي زحفا من الخلد الى دارك
فاعمل جميع ذلك صاحب خبرك واستقي اخبارك من غلمانك
وهم لا يعرفون غرضي ويخرجون الي بالاسترسال بما لو بذل
لهم فيه من الاموال لم يظهروه ثم اخرج فاجيء الى موضع من

الخلد فاغير ثيابي واعطي ذلك الذي قد اجتمع معي في المخلاة للمكديين
والبس ثيابي التي يعرفني بها جيراني واعود الى منزلي وآكل
واشرب والعب بقية يومي فاذا كان المغرب جاءني خادم من
خدم دار ابن طاهر منذ وجب لهذا فارمي اليه من روزنة لي
برقعة فيها خبر ذلك اليوم ويعطيني جايزة ذلك الشهر الخارج
على هذا ولولا اني لم ار صاحب خبرك ولا فطنت له لما تم علي هذا
ولو كنت لحظته لحظة واحدة لما خفي علي انه صاحب خبر ولكنت
ارجع من الموضع الذي اره فيه فلا يعرف خبري وبعد ذلك فانما تم
علي هذا لان اجلي قد حضر فالله الله في دمي قال فاصدقني عما
رفعته عني الى المعتضد قال فحدثته باشياء رفعتها منها خبر الثياب
المصبغات قال فحبسه القاسم اياما واخفى امره وانفذني الى منزله
وقال راع امرهم وانظر ما يجري فمضيت الى داره التي وصفها
بدرب يعقوب فجلست الى المغرب فجاء الخادم فصاح به فقالت له
الجارية ما رجع اليوم ولم يكن له بهذا اعادة قط وقد قامت
قيامتنا والله فانصرف الخادم وانصرفت وعدت من غد وقت المغرب
وجاء الخادم فقالت الجارية ما جاء اليوم ايضا وقد والله اشتد همنا
واشفقنا ان يكون قد حدثت عليه حادثة لا نعرفها فانصرف
الخادم وانصرفت وعدت من الغد وعاد الغلام فقالوا له يا هذا
قد والله يئسنا منه ولا نشك في انه قد هلك والمأتم قد اقيمت
عليه في منزل امه وعمومته فانصرف الخادم وجئت الى القاسم بالخبر
فلما كان من الغد ركب القاسم الى المعتضد فحين رآه استدعاه
وساره وقال ابراهيم الهاشمي المتزامن يجيئني الملقه واحسن
اليه وانت آمن بعدها من ان انصب عليك صاحب خبر ووالله
لئن حدثت فيه حادثة لا عرفت في دمه احدا غيرك فقبل الارض
وانصرف فعاد الى داره فحمد الله تعالى اذ لم يعجل بقتله واخبرنا
الخبر وجاء الهاشمي فخلع عليه ووصله بمال له قدر وصرفه وانقطعت
اخباره عن المعتضد حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف بن

ولا افتح لربابي فاذا كان بعد تسعة وعشرين يوما جاءني الخادم فانزل اليه فاعطيه رقعة ذلك اليوم صح

يعقوب بن اسحاق بن البهلول التنوخي بالاسناد عن ابي القاسم عبيد الله
ابن سليمان وهو وزير في يوم من ايام جلوسه للمظالم اذ وقعت في
يده رقعة فقراها وتوقف ساعة كالمفكر ثم قال اين عمر بن محمد
ابن عبد الملك فادخل عليه فقال له انت عمر فقال نعم اعز الله
الوزير انا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال فتوقف ايضا
ساعة ثم قام الى خلوة له ولم يطل وعاد الى موضعه فوقع لعمر
ابن محمد بجائزة وبرك وصلة وبر ولم يزل كالمفكر الى ان تفرقوا
الناس وخلى المجلس ممن يحتشم فقال لنا وقفتم على خبر هذا
الرجل قلنا قد وقفنا على ما كان من الوزير اعزه الله في امره
ولم نقف على السبب فقال احدثكم بحديثه فانه ظريف
حدثني ابو ايوب رحمه الله قال كنت في يدي محمد بن
عبد الملك الزيات يطالبني وانا منكوب وكان يحضرني يوما بغير
سبب ولا مطالبة الا ليحضرني وانا في قيودي وعلي جبة صوف وكان
اخي الحسن يكتب بين يديه ولم يكن يتهيا له في امري شيء الا انه
كان اذا رآني مقبلا استقبلني فاذا رجعت الى موضعي شيعني اذ اقبل
في يوم خادم لمحمد ومعه ولد صغير فوثب كل من في المجلس الى
الصبي يقبلونه ويدعون له سواي فاني كنت مشغولا بنفسي فلم اتحرك
فاخذ الصبي وضمه اليه وقال يا سليمان لم لا تفعل بهذا الصبي
كما فعله به كل من في المجلس قلت شغلني عن ذلك ما انا فيه قال
لا ولكنك لم تطق ذلك عداوة لابيه وله وكاني بك وقد ذكرت
عبيد الله فاملت فيه الآمال والله لا رايت فيه شيئا تؤمله
واسرف بعد ذلك في الاسماع فعلمت انه قد بغى وتعت من الله
عز وجل بجميل عادته وانه سيبلغني ما امله فيك عنادا
لبغيه قال ولم تمض الا مدة يسيرة حتى سخط المتوكل على محمد
ابن عبد الملك وقلدني مناظرته واحصاء امتاعه فوافيت داره
فرايت ذلك الخادم بعينه ومعه الصبي يبكي فقلت ما خبر هذا
الصبي فقال قد منع من كل ماله وادخل في الاحصاء فقلت لا باس

عليه فدخلت فسلمت اليه كلما كان له فينبغي يا بني ان تهيات لك
حال ورايت الصبي وهو عمر بن محمد ان تحسن اليه وتقابل نعمة
الله تعالى فيه بما يجب لها فلما رايته في هذا الوقت تذكرت ما قاله
ابو ايوب رحمه الله فامتثلت فيه ما اشار به وانا اتقدم بعد الذي
فعلته به الى ابي الحسين بتصريفه وكانت لعمر خرجة قويت بها حاله
عند ابي الحسين الى ان استخلفه في دار ابي النجم بدر وبين يديه
وقد ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء انه وجد
بخط ميمون بن هرون عن ابي محمد داود بن الجراح وقد وقع
الي من وجه آخر على خلاف ذلك باسناده عن جماعة قالوا كلهم
حضرنا مجلس عبيد الله بن سليمان في اول وزارته للمعتضد
وقد حضر رجل رث الهيئة بثياب غلاظ فعرض عليه رقعة
وكان جالسا للمظالم فقراها قراءة متثاقل لها متفكر متعجب
ثم قال نعم وكرامة ثلاث مرات افعل ما قال ابي لا ما قال ابوك
وكرر هذا القول ايضا ثلاث مرات ثم قال له عد الي وقت
العصر لانظر في امرك ثم قال لنا اذا خلوت فذكروني بحديث هذا
لاخبركم منه بعجب عجيب وعمل بقية المجلس ثم قام واستراح
ودعا بالطعام فلما حضرنا واكلنا اكثر الاكل قال لنا ما اراكم
ذكرتموني بحديث صاحب الرقعة فقلنا انسينا فقال حدثني
ابي قال كنت في زمن محمد بن عبد الملك في ايام الواثق لما صادرني
عن كتابة ايتاخ على اربعمائة الف دينار فاستحضرني يوما
فطالبني بالباقي وحدثني فيه وارهبني ولم يرض مني الا ان
اجبت الى ان اودي خمسين الف دينار قاطعة للمصادرة على
ان يطلق ضياعي قال ونحن في ذلك ولم ياخذ خطي به بعد اذ
خرج اليه خادم من دار حرمه برقعة فقراها ونهض فكان
بحضرته اخي ابو علي الحسن بن وهب وهو غالب عليه الا انه
يخافه ان يتكلم في امري وهو يرى ما يجري ولا يقدر ان يكلمني
ولا يكلمه فلما قام الوزير رمى الي اخي برقعة لطيفة فوقعت

وقد اديت منها ثمانية الف ونيف واربعين الف دينار

في حجري فاذا فيها جاءني الخبر الساعة من دارك ان قد رزقت ابنا
خلقا سويا وهو جسم بغير اسم فما تحب ان يسمى ويكنى فقلت له
عبيد الله ابو القاسم فكتبت بذلك في الحال الى منزلي قال
وتداخلني سرور بذلك وقوة نفس وحدثتني نفسي بانك تعيش
وتبلغ وانتفع بك قال وعاد محمد الى مجلسه فاعاد خطابي
فلم استجب له الى ما كنت استجب له واخذت اداافع فقال لي يا ابا
ايوب ما ورد عليك بعدي ارى عينيك ونفسك ووجهك
بخلاف ما خلفته منذ ساعة فقلت ما ورد علي شي فقال
والله لئن لم تصدقني لأفعلن واصنعن فقلت ما عندي
ما اصدق عنه فاقبل على اخي فقال لتخبرني بشانه فخاف
اخي فصدقه عن الصورة فسكن وقال له اتعرف لاي شي
قمت انا فقال لا قال كوتبت بان ولدا ذكرا سويا قد ولد
لي فدخلت فرايته واسميته باسم ابي وكنيته بابي مروان
قال سليمان فقمت اليه وقبلت يديه ورجليه وهنيته
وقلت ايها الوزير هذا يوم مبارك وقد رزقت فيه ابنا
ورزقت ابنا فارحمني وارع سالف خدمتي لك واجعل
ابني موسوما بخدمة ابنك يسلم معه في المكتب ويتعلمان
وينشوان في دولتك فيكون كاتبا له فحلت المداده والقسوة
التي فيه الى ان قال يا ابا ايوب اعلي تجوز بي وتستغرني تحتال
قد حدثتك نفسك بان ابنك هذا يبلغ المبالغ وتومل له
الوزارة ورجوت في نوايب الزمان وقلت ارجو ان يحتاج
ابنه الى ابني حتى يطلب منه الاحسان والفضل فاذا
استحلفك بالله واخرج عليك ان بلغ ابنك هذا المبلغ
الا وصيته ان جاءه ابني بشي من هذا الا يحسن اليه قال
فاعظمت الخطاب وتنصلت واعتذرت ووقع في قلبي في الحال
ان هذا غاية البغي فان الله عز وجل سيخرج ابنه الى ابني
فيحقق فيهما ما قال له وظننته وما مضت الا مدة مديدة حتى

فرج الله عني ثم قال لي ابي يا بني بالله ان رفعك الله والزمان
ووضع ابنه حتى يحتاج اليك الا احسنت اليه قال وضرب الدهر
مضربه فما عرفت لابي مروان خبرا حتى رايته اليوم فكان ما شاهدته
ثم امر بطلب ابي مروان فاحضر فوهب له مالا وخلع عليه
وحمله وقلده ديوان البريد والخرائط قال ابو الحسين فما
زال يتقلده منذ ذلك الوقت الى آخر وزارة ابن الفرات
الثالثة فانه مات فيها وقد تقلده ثلاثين سنة او اكثر
وكان كتب الى عبيد الله اول ما كاتبه بعد تقلده هذا الديوان
عبد الوزير وخادمه عبد الملك بن محمد فازداد عبيد الله
ان يتكرم عليه فقال انت على كل حال ابن وزير وما احب ان
تتعبد لي فاكتب اسمك فقط على الكتب فقال لا تسمح نفسي بهذا
ولكني اكتب عبد الملك بن محمد عبد الوزير وخادمه فقال اكتب
فكتب بذلك فصارت عادة فكتب بها الى جميع الوزراء الى ان مات في
وزارة ابن الفرات الثالثة فصار كالمترتب عليهم يعاملونه من ذلك
عبيد الله وغلب عليه ان عرف بابي مروان الخرائطي ونبي نسبه
الى ابن الزيات الا من كان يعرفه من الكتاب وغيرهم اخبرني
بذلك جماعة من الشيوخ ووجدت في بعض الكتب
بغير اسناد ان عبيد الله بن زياد لما بنى داره البيضاء بالبصرة بعد
قتل الحسين رضي الله عنه صور في بابها رؤوسا مقطعة وصور
في دهليزها اسدا وكلبا وكبشا وقال اسد كالح وكبش ناطح
وكلب نابح فمر بالباب اعرابي فقال اما ان صاحبها لا يسكنها الا
ليلة لا يتم فرفع الخبر الى ابن زياد فامر بالاعرابي فضرب وحبس فلما
امسى حتى قدم رسول ابن الزبير الى قيس بن السكن ووجوه اهل
البصرة في اخذ البيعة له ودعا الناس الى طاعته فاجابوه وارسل
بعضهم بعضا بالوثوب عليه من ليلتهم وانذره قوم منهم كانت له
عندهم صنائع فهرب من داره في ليلته تلك فاجاروه ووقعت
الحروب المشهورة بينهم وبين تميم بسببه حتى اخرجوه فالحقوه بالشام

وكسر الحبس فخرج الاعرابي ولم يعد ابن زياد الى داره وقتل في وقعة الخازر
حدثني القاضي محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال سمعت بن عمرو
الغنوي يقول لما اسرني ابو سعيد الجنابي القرمطي وكسر العسكر الذي
كان انفذه معي المعتضد بالله لقتاله وحصلت في يده اسيرا ايست
من الحيوة فانا يوما على تلك الصورة اذ جاءني رسوله فاخذ قيودي
وغير ثيابي وادخلني اليه فسلمت وجلست فقال لي اتدري لم استدعيتك
قلت لا قال انت رجل عربي ومن المحال ان استودعتك امانة ان
تخفرها ولا سيما مع مني عليك بنفسك فقلت هو كذلك قال اني فكرت
فاذا لا طائل في قتلك واذا في نفسي رسالة الى المعتضد لا يجوز ان
يؤديها غيرك ورايت اطلاقك وتحميلك اياها فان حلفت لي ان
تؤديها سيرتك اليه فحلفت فقال تقول للمعتضد يا هذا لم
تخرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع اعداك في نفسك وتتعبها
في طلبي وانفاذ الجيوش الي وانما انا رجل مقيم في فلاة لا زرع
عندي ولا ضرع ولا غلة ولا بلد وانما انا قد رضيت لنفسي
بخشونة العيش والامن على المهجة والعز باطراف هذه الرماح
وما اغتصبتك بلدا كان في يدك ولا ازلت سلطانك عن
عمل جليل ومع هذا فوالله لو انفذت الي جيشك من الجيوش
والثلج والريحان والند فيجيؤن من المسافة البعيدة والطريق
الشاق وقد قتلهم السفر وقبل قتالنا فانما غرضهم ان يبدوا
عذرا في مواقفتنا ساعة ثم يهربون فان ثبتوا مع ما لحقهم
من وعثاء السفر وشدة الجهد اكثر اعواني عليهم فما هو الا ان
اخفق عليهم حتى انهزموا واكثر ما تقدر عليه ان يجيئوا فيستريحوا
ويقيموا او يكونوا عدة لا قبل لي بهم فينهزموني اذا قاتلوني لا يقدر
جيشك على اكثر من ذلك فما هو الا ان انهزم حتى قد بعدت عن هذا
الموضع عشرين فرسخا او ثلاثين وجولت من الصحراء شهرا او اثنين
ثم اكبسهم على غرة فقتلت جميعهم او لم يستو لي هذا وكانوا متحرزين
فما يمكنهم الطوف خلفي في البراري فلا يبتغ طلبي في الصحاري ثم لا يحملهم

البلد في المقام ولا الزاد ان كانوا كثيرين فان انصرف الجمهور وبقي الاقل فهم
قتلى سيوفي اول يوم ينصرف الجيش ويبقى من يتخلف هذا ان سلموا
من وباء هذه البلدان ذاته ماؤه وهوايه للذين نشؤا في ضده
وربوا في غيره ولا عادة لاجسامهم بالصبر عليه ففكر في هذا وانظر
هل يفي تعبك وتغريرك بجيشك وعسكرك وانفاقك الاموال وتجهيزك
الرجال وتكلفك هذه الاخطار وتحملك هذه المشاق لطلبي وانا
مع ذلك خالي الذرع منها سليم النفس والاصحاب من جميعها وهيبتك تنخرق
في الاطراف وعند ملوكها كلما جرى عليك شي من هذا ثم لا تظفر من
بلدي بطائل ولا تصل منه الى مال ولا حال فان اخترت بعد هذا محاربتي
فاستخر الله تعالى وانفذ من شئت وان امسكت فذاك اليك قال
فانفذني ثم جهزني وانفذ معي عشرة من اصحابه الى الكوفة
فسرت منها الى الحضرة فدخلت على المعتضد فتعجب من سلامتي
وسالني عنها فقلت سبب اذكره سرا لامير المؤمنين فتشوف اليه
وخلاني فسالني فقصصت عليه القصة فرايته يتمعط في جلده
غيظا حتى ظننت انه سيسير بنفسه اليه وخرجت من بين يديه
فما رايته بعد ذلك ذكره بحرف حدثني ابو محمد يحيى بن محمد
ابن سليمان بن فهد الازدي الموصلي رحمه الله قال حدثني جماعة
من ثقات اهل الموصل ان فاطمة بنت احمد بن علي الكردي
زوجة ناصر الدولة ام ابي تغلب اتهمت عاملا كان لها يقال له
ابن ابي قبيصة من اهل الموصل بخيانة في مالها فقبضت عليه
وحبسته في قلعتها ثم رات ان تقتله فكتبت الى المتوكل بالقلعة
بقتله فورد عليه الكتاب وكان لا يحسن ان يقرا ولا يكتب
وليس عنده من يقرا ويكتب الا ابن ابي قبيصة فدفع الموكل
بالكتاب اليه وقال له اقرا فلما راى فيه الامر بقتله قرا
الكتاب باسره الا حديث القتل ورد الكتاب عليه وقال ابن
ابي قبيصة ففكرت وقلت انا مقتول ولا آمن ان يرد كتاب
آخر في هذا المعنى ويتفق حضور من يقراه غيري فينفذ الامر

في وسجيلي ان احتال عليه بحيلة فان تمت سلمت وان لم تتم فليس
يلحقني اكثر من القتل الذي انا حاصل فيه قال فتاملت القلعة
فاذا فيها موضع يمكن ان اطرح نفسي الى اسفله الا ان بينه وبين
الارض اكثر من ثلاثة آلاف ذراع وفيه صخر لا يجوز ان يسلم معه
من يقع عليه قال فلم اجسر ثم ولد لي الفكر اني تاملت الثلج قد سقط
عدة ليال قطعا فغطى تلك الصخور فصار فوقها امر عظيم يجوز
ان سقطت عليه وفي اجلي تاخير ان ينكسر بعض بدني واسلم قال
وكنت مقيدا فقمت لما نام الناس فطرحت نفسي من الموضع قائما
على رجلي فحين حصلت في الهوى ندمت واقبلت استغفر الله
واتشهد وغمضت عيني حتى لا ارى كيف اموت وجمعت رجلي
بعض الجمع لاني كنت سمعت قديما ان من اتفق عليه ان يسقط
قائما من مكان عال اذا جمع رجليه ثم ارسلها اذا بقي بينه وبين
الارض قدر ذراع او اكثر قليلا انه يسلم وينكسر حدة السقطة
ويصير كانه بمنزلة من سقط من ذراعين قال ففعلت ذلك فلما
سقطت الى الارض ذهب عني امري وزال عقلي ثم آب الي
عقلي فلم اجد ما كان ينبغي ان يلحقني من الم السقوط من ذلك
الموضع فاقبلت اجس اعضائي شيئا شيئا فاجدها سالمة
وقمت فقعدت وحركت يدي ورجلي فوجدت ذلك كله سالما
فحمدت الله تعالى على تلك الحال واخذت صخرة وكان الحديد الذي
قد صار في رجلي كالزجاج لشدة البرد قال فضربته ضربا
شديدا فانكسر فطن حتى ظننت انه سيسمعه من في القلعة
لعظمه فينتهون الي فسلم الله عز وجل من هذا ايضا وقطعت
تكتي وشددت بعضها القيد على ساقي وقمت امشي في الثلج
فمشيت طويلا ثم خفت ان يروا آثاري من غد في الثلج على المحجة
فيتبعوني فلا افوتهم فعدلت عن المحجة الى نهر يقال له الخابور
فلما وصلت اليه وصرت على شاطئه نزلت في الماء الى ركبتي
واقبلت امشي كذلك فرسخا حتى انقطع اثري ثم خرجت لما

كادت

كادت اطرافي تسقط من البرد فمشيت على شاطئه ثم عدلت
امشي فيه وربما حصلت في موضع لا اقدر على المشي لانه يكون
جرفا فاسبح على ذلك اربعة فراسخ حتى حصلت في خيم فيها اقوام
فانكروني وهموا بي فاذا هم اكراد فقصصت عليهم قصتي واستجرت
بهم فرحموني واوقدوا بين يدي واطعموني وستروني وانتهى
المطلب من غد اليهم فما اعطوا خبري احدا فلما انقطع الطلب سيروني
حتى دخلت الموصل مستترا وكان ناصر الدولة ببغداد اذ ذاك
فانحدرت اليه فاخبرته بخبري كله فعصمني من زوجته واحسن
الي وصرفني حدثني ابو علي بن ابي عبد الله الحسين بن
عبد الله الجصاص الجوهري قال سمعت ابي يحدث قال لما نكبني
المقتدر واخذ مني تلك الاموال العظيمة اصبحت يوما في الحبس
ايأس ما كنت من الفرج فجاءني خادم فقال البشرى فقلت
ما الخبر قال قم قد اطلقت فقمت معه فاجتاز بي في بعض طرق
دور الخليفة يريد اخراجي الى دار السيدة لتكون هي التي
تطلقني لانها هي التي شفعت في فوقعت عيني في اجتيازي على
اعدال الخيش لي اعرفها كان مبلغها مائة عدل فقلت للخادم
اليس هذا من الخيش الذي حمل من داري فقال بلى فتاملته فاذا
هو بشده وعلاماته وكانت هذه اعدالا قد حملت الي من مصر
كل عدل منها فيه الف دينار من مال كان لي هناك كتبت بحمله
فخافوا عليه من الطريق فجعلوه في اعدال الخيش لانهم لا يكاد
ان يحملها من اللصوص وان وقعوا لا يفطنون به لما فيه فوصلت
سالمة ولاستغنائي عنها وعن المال لم اخرجه من الاعدال
وتركته بحاله في بيت في داري واقفلت عليه وتوخيت بذلك
ايضا ستر حديثه فتركته شهورا على حاله لا انقله كما ارى في اي
وقت ارى وحبست فاخذ الخيش في جملة ما اخذ من داري لخسته
عندهم تهاونوا به ولم يعرف احد ما فيه فطرح في تلك الدار
فلما رايته عندهم بشده طمعت في خلاصه والحيلة في ارتجاعه

فسكت فلما كان بعد ايام من خروجي راسلت السيدة ورققتها
وشكوت حالي اليها وسالتها ان تدفع الي ذلك الخيش لانه لا قدر له
عندهم وانا انتفع بثمنه قال فاستحمقتني وقالت واي قدر لهذا
الخيش ردوه عليه فسلم الي باسره ففتحته واخذت منه
المائة الف دينار فما ضاع منها دينار واحد واخذت من الخيش
ما احتجت اليه وبعت باقيه بجملة وافرة فقلت في نفسي انه
قد بقيت لي بقية اقبال جيدة حدثني علي بن هشام
قال سمعت حامد بن العباس يقول ربما انتفع الانسان في
نكبته بالرجل الصغير اكثر من منفعته بالكبير فمن ذلك
ان اسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان
يخدمه قديما قال وكان رجلا حرا فاحسنت اليه وبررته
فكنت اعتمد على عناية ابي العباس بن الفرات وكان ذلك
البواب لقدم خدمته لاسماعيل يدخل الى مجالسه الخاصة
ويقف بين يديه لا ينكر ذلك عليه لسالف الصحبة فصار الي
في بعض الليالي وقال قد حرد الوزير على ابن الفرات بسببك
وقال له ما يكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في مطالبته
بما في مصادرته وسيدعو بك الوزير في غد الى حضرته
ويتهددك فشغل ذلك قلبي فقلت له فهل عندك من
راي فقال تكتب رقعة الى رجل من معامليك تعرف شحه
وضيق نفسه فتلتمس منه لعيالك الف درهم يقرضك اياها
وتسأله ان يجيبك على ظهر رقعتك فانه لشحه يردك
بعذر وتحتفظ بالرقعة فاذا طالبك الوزير تخرجها
على غير مواطاة وتقول قد افضت حالي الى هذا فلعل
ذلك ينفعك ففعلت ما قال وجاءني الجواب بالرد كما خمنا
وشددت الرقعة معي فلما كان من الغد اخرجني الوزير
وطالبني فاخرجت الرقعة اليه واقراته اياها ورققته
وكلمته فلان واستحيا وكان ذلك سبب خفة امري وزوال

محنتي

محنتي فلما تقلدت في ايام عبيد الله بن سليمان سالت عن البواب
وجذبته الى خدمتي فكنت اجري عليه خمسين دينارا في كل سنة
وهو باق الى الآن اخبرني ابو الفرج علي بن الحسين المعروف
بالاصبهاني بالاسناد عن محمد بن ابي العتاهية قال حدثني ابي
قال لما امتنعت من قول الشعر وتركته امر المهدي بحبسي في
السجن سجن الجرائم فاخرجت من بين يديه الى الحبس فلما دخلته
استوحشت ودهشت وذهلت عقلي ورايت منظرا هالني
ورميت بطرفي اطلب موضعا آوي فيه او رجلا آنس بمجالسته
فاذا انا بكهل حسن السمت نظيف الثياب يبين عليه سيما الخير
فقصدته وجلست اليه من غير ان اسلم عليه واسأله عن شيء
من امره لما انا فيه من الجزع والحيرة فمكثت كذلك مليا وانا
مطرق مفكر في حالي فانشد الرجل شعرا

تعودت مس الضر حتى الفته ... واسلمني حسن العزاء الى الصبر
وصيرني ياسي من الناس واثقا ... بحسن صنيع الله من حيث لا ادري

قال فاستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب الي عقلي
فاقبلت على الرجل وقلت له تفضل اعزك الله باعادة
هذين البيتين فقال لي ويحك يا اسماعيل ولم تكنني ما اسوأ
ادبك واقل عقلك ومروتك دخلت ولم تسلم تسليم المسلم على
المسلم ولا توجعت لي توجع المبتلى للمبتلى ولا سالتني سؤال
الوارد على المقيم حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذي لم يجعل
الله عز وجل فيك خيرا ولا ادبا ولا جعل لك معاشا غيره
لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه ولا اعتذرت مما قدمت
وافرطت فيه من الحق حتى استنشدتني مبتديا كان
بيننا انسا قديما وصحبة تبسط المنقبض فقلت له
اعذرني متفضلا فان دون ما انا فيه يدهش قال وفي
اي شيء انت انما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم
وسببك اليهم فحبسوك حتى تقوله وانت لا بد ان تقوله فتطلق

وانا يُدعى لي الساعة فاطلب باحضار عيسى بن زيد بن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان دللت عليه فقتل لقيت الله عز وجل بدمه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي فيه والا قتلت فانا
اولى بالحيرة منك وانت ترى احتسابي وصبري فقلت يكفيك الله
عز وجل واطرقت وجهي خجلاً منه فقال لي لا اجمع عليك التوبيخ
والمنع اسمع البيتين واحفظهما فاعادهما علي مراراً حتى حفظتهما
ثم دعي بدوبي فلما وقف بين يديه قال له اين عيسى بن زيد قال
ما يدريني اين عيسى بن زيد طلبته واخفته فهرب منك في البلاد
فاخذتني وحبستني فمن اين اقف على موضع هارب منك وانا
محبوس قال له فاين كان متوارياً ومتى آخر عهدك به وعند من
لقيته فقال ما لقيته منذ توارى ولا اعرف له خبراً قال والله
لتدلني عليه او لاضربن عنقك الساعة قال اصنع ما بدا لك انا
ادلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتله فالقى الله عز وجل
ورسوله صلى الله عليه وسلم يطالباني بدمه والله لو كان بين ثوبي
وجلدي ما كشفت لك عنه فقال اضربوا عنقه ثم دعاني فقال
ايقول الشعر او الحقك به قال بل قلت بل اقول الشعر قال فاطلقوه
قال محمد بن القاسم بن مهرويه والبيتان اللذان سمعهما من حاضر في شعره
الآن قال القاضي ابو علي وانشدني بعض اصحابنا معهما بيتاً آخر زيادة

اذا انا لم اقنع من الدهر بالذي ... تكرهت منه طال عتبي على الدهر

وجدت في كتاب اعطانيه ابو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم
صاحب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير ابو محمد المهلبي على ديوان
السواد وذكر لي انه انتخبه من كتاب اعطاه اياه ابو الحسين عبد الواحد
ابن محمد الحصيني وكان فيه اصلاحات بخط ابي الحسين بن مابنداد قال
ابو الحسن علي بن الحسين بن عبد الاعلى الاسكافي كان داود كاتب ام
جعفر قد حبس وكيلاً لها وجب عليه في حسابه مائتي الف درهم
فكتب الوكيل الى عيسى بن فلان وسهل بن الصباح وكانا صديقين له
فسألهما عن خبرها فاخبراه فقال الخبان ان اكون معكما قالا نعم

فصاروا الى داود فكلموه في اطلاق الرجل فقال اكتب الى ام جعفر فكتب
اليها يعلمها خبر القوم وحضورهم ومسالتهم في الوكيل فوقعت في الرقعة
ان يعرفهم ما وجب لها عليه من المال ويعلمهم ان لا سبيل الى اطلاقه
دون اداء المال فاقرأهم الوزير التوقيع واعتذر اليهم فقال عيسى
وسهل بن الصباح قد قضينا حق الرجل فقد ابت ام جعفر ان
تطلقه الا بالمال فقوموا ننصرف فقال لهما الفيض بن صالح كانا
انما جئنا لنؤكد حبس الرجل قالا له فماذا نصنع قال نؤدي
عنه المال قال ثم اخذ الدواة فكتب الى وكيله في حملها على الرجل
كتاباً دفعه الى داود كاتب ام جعفر وقال قد ازحنا عليك في
المال فادفع الينا صاحبنا قال لا سبيل الى ذلك حتى اعرفها الخبر
قال فكتب اليها بالخبر فوقعت في رقعته انا اولى بالمكرمة من
الفيض بن ابي صالح فاردد عليه كتابه بالمال وادفع اليه الرجل
وقل له لا يعاود مثل ما كان منه قال ولم يكن الفيض يعرف الرجل
وانما ساعد عيسى وسهلاً على الكلام في امره اخبرني ابو الفرج
علي بن الحسين المعروف بالاصفهاني بالاسناد انه لما كان اعشى همدان
ابو المصبح ممن اغزاه الحجاج بلد الديلم ونواحي دستبى فاسر فلم
يزل اسيراً في ايدي الديلم ثم ان بنت العلج الذي كان اسره هويته
وصارت اليه ليلاً ومكنته من نفسها فاصبح وقد واقعها ثماني
مرات فقالت له الديلمية يا معشر المسلمين اهكذا تفعلون بنسائكم
فقال لها هكذا نفعل كلنا فقالت له بهذا العمل نصرتم افرأيت ان
خلصتك تصطفيني لنفسك قال لها نعم وعاهدها فلما كان
الليل حلت قيوده واخذت به طريقاً تعرفها حتى خلصته فقال
شاعر من اسراء المسلمين

فمن كان يفديه من الاسر ماله ... فهمدان تفديها الغداة ايورها

وقال الاعشى يذكر ما لحقه من اسر الديلم

لمن الظعائن سيرهن ترجف ... عزم السفين اذا تقاعس يجذف

وذكر ابو الفرج القصيدة وهي طويلة اخترت منها ما يتعلق بالفرج بعد
الشدة وهي قوله شعراً

اصبحت رهناً للعداة مكبلاً ... امسي واصبح في الاداهم ارسف
ولقد اراني قبل ذلك ناعماً ... جذلان ابي ان اضام وآنف
واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي ... وانا امرؤ بادي الاشاجع اعجف
واصابني قوم وكنت اصيبهم ... فالآن اصبر للزمان واعرف
واذا تصبك من الحوادث نكبة ... فاصبر لها فلعلها تتكشف

ذكر ابو عبد الله بن عبدوس في كتاب الوزراء ان نجاح بن سلمة
حبس ابراهيم بن مدبر مكايدة لاخيه وذلك في ايام المتوكل فلما طال
حبس ابراهيم ولم يجد حيلة في الخلاص عمل ابياتاً انفذها الى
المسدود الطنبوري وساله ان يعمل فيها لحناً ويغني بها المتوكل
فاذا سال عن قائلها عرفه انها له ففعل المسدود ذلك وساله
المتوكل فقال لعبدك ابراهيم بن المدبر فذكره فامر باطلاقه والابيات

بابي من بات عندي ... طارقاً من غير وعد
بات يشكو شدة الشوق ... واشكو فرط وجدي
وبجنبي فبكى فانهل ... در فوق ورد
فيد تحت يد طوراً ... وخد فوق خد

وذكر ايضاً ان اسحاق بن سعيد قال حدثني ابو عبد الله محمد
ابن عيسى المروردي صاحب يحيى بن خاقان عنه قال كان المامون
الزمني خمسة الاف الف درهم فاعلمته اني لا املك الا سبعمائة الف
درهم وحلفت على ذلك ايماناً مغلظة اجتهدت فيها فلم يقبل مني
وحبسني عند احمد بن هشام وكان بيني وبينه شر قد شهر وعرف
وكان يتقلد الحرس فقال احمد للموكلين بي احفظوه واحذروا ان
يسم نفسه ففطن المامون لمراده فقال له يا احمد لا يأكل يحيى بن
خاقان الا ما يؤتى به من منزله قال فاقمت على ذلك ووجهت الى فرج
الرخجي بالف الف درهم ووجهت الى الحسن بن سهل الف الف درهم
فاضفت ذلك الى ما كان عندي حتى جمعت خمسة آلاف الف درهم
فلما اجتمعت كتبت الى المامون بحضور المال الذي الزمنيه فامر
باحضاري فدخلت عليه وبين يديه احمد بن خالد وعمرو بن مسعدة

وعلي بن هشام فلما رآني قال لي اولم تخبرني وتحلف لي انك لا تملك الا سبعمائة
الف درهم فمن اين لك هذا المال فصدقته عن امره وقصصت عليه
قصته فاطرق طويلاً ثم قال قد وهبته لك فقال الحضور اتهب
له خمسة آلاف الف درهم وليس في بيت المال درهم وانت
محتاج الى ما دون ذلك بكثير فلو اخذته منه قرضاً فاذا جاءك
مال رددته اليه فقال لهم انا على المال اقدر من يحيى وقد
وهبته له فرددت على القوم ما كانوا حملوه الي وتخلصت
وقال محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء ان محمد بن
يزداد سعى الى المامون بعمرو بن بهنوي فقال له المامون يا فضل
خذ عمراً اليك وقيده وضيق عليه ليصدق عما صار اليه
من مالي فقلت احتاز مالاً جليلاً وطالبه به فقلت نعم
وامرت باحضار عمرو فاحضر فاخليت له حجرة في داري
واقمت له ما يصلحه وتشاغلت عنه باموري السلطان في
يومي وغده فلما كان اليوم الثالث ارسل الي عمرو يسألني
الدخول اليه فدخلت واخرج الي رقعة قد اثبت فيها
كل ما يملكه من الدور والضياع والعقار والاموال
والكسوة والفرش والجوهر والكراع والقماش وما يجوز
بيعه من الرقيق فكان قيمة ذلك عشرين الف الف درهم
وسالني ان اوصل رقعته الى المامون واعلمه ان عمراً قد
جعله من ذلك في حل وسعة فقلت له مهلاً فان امير
المؤمنين اكبر قدراً من ان يسلبك نعمتك عن آخرها فقال عمرو
انه كما وصفت في كرمه ولكن الساعي لا ينام عني ولا عنك
وقد بلغني ما امرت به في امري من الغلظة وقد عاملتني
بضد ذلك وقد طبت نفساً بان اشتري عدل امير المؤمنين
لك في امري ورضاه عني بجميع مالي فلم ازل انزله حتى
وافقته على عشرة آلاف الف درهم فقلت هذا شطر
مالك وهو صالح للفريقين واخذت خطه بالتزام ذلك

صُلحًا عن جميع ما جرى على يديه وصرت الى المامون فوجدت
محمد بن يزداد قد سبقني اليه واذا هو يكلمه فلما راني
قطع الكلام وخرج فقال المامون يا فضل قلت لبيك
يا امير المومنين قال هذه الجراءة منك علينا فقلت
يا امير المومنين انا عبد طاعتك وغرسك فقال
امرتك بالتضييق على النبطي عمرو بن بهنوي فقابلت
امري بالضد ووسعت عليه واقمت له الا لا تراك
فقلت يا امير المومنين ان عمروا يطالب باموال عظيمة
فلم آمن ان اجعل محبسه في بعض الدواوين فيبذل
ما لا يرغب في مثله فيتخلص فجعلت محبسه في داري
واشرفت على طعامه وشرابه لاحرس نفسه فان كثيرا
من الناس اختانوا السلطان وتمتعوا بالاموال ثم طولبوا
بها فاحتيل عليهم ليبطنوا ويفوزوا بالاموال غيرهم ٥
قال الفضل وانما اردت بذلك تسكين غضب المامون
علي ولم اعرض الرقعة عليه ولا اعلمته ما جرى بيني
وبين عمرو لاني لا آمن سورته في ذلك الوقت لاشتداد
غضبه فقال لي سلم عمروا الى محمد بن يزداد قال
فوجهت من ساعتي الى صاحبي حتى يسلم عمروا الى محمد
ابن يزداد فلم يزل يعذبه بانواع العذاب حتى يبذل له
شيئا فلم يفعل فلما راى اصحابه وعماله ما قد نال له
جمعوا له من بينهم ثلاثة الاف الف درهم وسالوا عمروا
ان يبذلها لمحمد بن يزداد فبذلها فصار محمد الى
المامون مبتهجا بها واوصل الخط بها الى المامون
وانا واقف فقال المامون يا فضل الم نعلمك ان غيرك
اقوم بامورنا منك واطوع لما نامر فقلت يا امير المومنين
ارجو ان يكون في حال استبطاء امير المومنين ابلغ في
طاعته من غيري فقال المامون هذه رقعة عمرو بن بهنوي

بثلاثة آلاف الف درهم فقلت وما اجتراءت عليه قط
اجترائي عليه ذلك اليوم فاني اخرجت اضبارة كانت
مع غلامي فاخذت الرقعة منها مسرعا وقلت والله لاعلمن
امير المومنين اني مع دفعي ابلغ في حياطة اموالهم من غيري
مع غلظته واريته رقعة عمرو التي كتبها لي وحدثته
بحديثي عن آخره فلما تبين للمامون الخطين وعلم انهما
جميعا خط عمرو قال ما ادري ايكما اعجب عمرو حيث شكر برك
وطاب نفسا بالخروج من ملكه بهذا السبب ام انت
ومحافظتك على اهل النعم وسترك عليه ذلك في ذلك
الوقت والله لا كنتما يا نبطيان باكرم مني ودفع الرقعة
التي اخذها محمد بن يزداد من عمرو الي وامرني بتخريقها
وتخريق الاولى وامر من يسلم عمروا من محبسه الي
وامرني باطلاقه فخرجت من بين يديه ففعلت ذلك ٥
حدثني ابو الحسين عبيد الله احمد بن الحسن بن
عياش الجزري البغدادي وكان خليفة ابي رحمه الله على الفقاء
بسوق الاهواز باسناده عن القاضي ابو عمرو رحمه الله قال لما
جرى في امر عبد الله بن المعتز ما جرى حبست وما في لحيتي
طاقة بيضاء وحبس معي ابو المثنى القاضي ومحمد بن داود
ابن الجراح في دار واحدة في ثلاثة ابيات متلاصقة وكان بيتي
في الوسط وكنا آيسين من الحيوة وكنت اذا اجننا الليل
حدثت ابا المثنى تارة ومحمد بن داود تارة وحدثاني
من وراء الابواب ويوصي كل واحد منا الى صاحبه ويتوقع
القتل ساعة بساعة فلما كان ذات ليلة قد اغلقت الابواب
ونام الموكلون ونحن نتحدث من بيوتنا اذ حسسنا بصوت
الاقفال تفتح فارتعنا ورجع كل منا الى صدر بيته فما شعرت
الا وقد فتح البواب على محمد بن داود فاخرج واضجع على
المذبح فقال يا قوم ذبحا كما تذبح الشاة اين المصادرات



اين انتم عن اموالي افتدي بها نفسي على كذا وكذا قال فما التفتوا
الى كلامه وذبحوه وانا اراه من شق الباب وقد اضاء الصحن
من كثرة الشموع وصار كانه نهار واحتزوا راسه فاخرجوه
معهم وجروا جثته فطرحت في بير في الدار وغلقت الابواب
قال فايقنت بالقتل واقبلت على الصلاة والدعاء ٥
والبكاء فما مضت الا ساعة واحدة حتى احسست بالاقفال
تفتح فعاودني الجزع فاذا هم قد جاؤا الى بيت ابي المثنى
ففتحوه واخرجوه وقالوا له يقول لك امير المومنين يا عدو
الله يا فاسق بما استحللت نكث بيعتي وخلع طاعتي فقال
لاني علمت انه لا يصلح للامامة فقالوا له ان امير المومنين
قد امر باستتابتك من هذا الكفر فان تبت رددناك الى
محبسك والا قتلناك فقال اعوذ بالله من الكفر ما اتيت
ما يوجب كفرا قال واخذ يتهوس معهم بهذا الكلام وشبهه
فلا يرجع عنه فلما ايسوا منه مضى بعضهم وعاد فظننت
انه يستتيب في الاستيذان قال فاضجعوه ثم ذبحوه وانا
اراه وحملوا راسه وطرحوا جثته في البير قال فذهب علي
امري واقبلت على الدعا والبكا والتضرع الى الله جل وعز
فلما كان في وجه السحر وقد سمعت صوت الدبادب فاذا
بصوت الاقفال فقلت لم يبق غيري وانا مقتول فاستسلمت
وفتحوا الباب عني فاقاموني الى الصحن وقالوا يقول لك امير المومنين
يا فاعل يا صانع ما حملك على خلع بيعتي فقلت الخطا وشقوة
الجد وانا تائب الى الله عز وجل من هذا الذنب قال فاقبلت ٥
اتكلم بهذا او شبهه فمضى بعضهم وعاد فقال اجب ثم اسر الي
وقال لا باس عليك فقد تكلم فيك الوزير يعنون ابن الفرات وانت
مسلم اليه قال فسكت وجاؤا الي بخفي وطيلساني وعمامتي
فلبست ذلك واخرجت فجيء بي الدار التي كانت برسم ابن الفرات
في دار الخليفة فلما راني اقبل يخاطبني بعظم جنايتي وخطائي

وانا اقر بذلك واستقيل واتنصل ثم قال قد وهب لي
امير المومنين دمك وابتعت منه جرمك بمائة الف دينار
الزمتك اياها فقلت ايها الوزير والله ما رايت بعضها
قط مجتمعا فغمزني بان اسكت وجذبني قوم من وجوه
الكتاب كانوا بحضرته وراي فسكتوني فعلمت ان ابن الفرات
قد اراد تخليص دمي وقلت كلما يامر الوزير اعزه الله فقال
احملوه الى داري قال فاخذت وحملت الى داره فقرر امري
على مائة الف دينار يؤدي منها النصف عاجلا ويصير النصف
في حكم الباطل على رسم المصادرات فلما صرت في دار ابن الفرات
وسع علي في المطعم والمشرب والمجلس وادخلت الحمام ورفهت
واكرمت فرايت لما خرجت من الحمام وجهي في المراة فاذا
طاقات شعر قد ابيضت في مقدم لحيتي فاذا انا قد شبت
في تلك الليلة الواحدة قال واديت من المال نيفا وثلاثين
الف دينار ثم نظر الي ابن الفرات بالباقي وصرفني الى منزلي
وتخلص من دمي فكنت في بيتي سنتين وبابي مسدود ٥
علي لا ارى احدا ولا يراني الا في الشاذ وتوفرت على درس
الفقه والنظر في العلم الى ان من الله جل وعز بالفرج وكشف
وجهي واخرجت من بيتي الى ولاية الاعمال ٥ ٥ ٥
ويشبه هذا الحديث ويقاربه وان لم يكن بالحقيقة
من باب من خرج من حبس الا انه من اخبار الفرج بعد الشدة
في الجملة ما حدثني به ابو علي الحسين بن محمد بن علي بن موسى
الانباري الكاتب قال سمعت دلويه كاتب الحرمي يحدث قال كان
في دار المقتدر عريف على بعض الفراشين يخدمني وضافنا اذا
اقمنا في دار الخليفة ففقدته من الدار فظننت انه عليل فلما
كان بعد شهور رايته في بعض الطرق بزي التجار وقد شاب
فقلت فلان قال نعم عبدك يا سيدي فقلت ما هذا الشيب
في هذه الشهور اليسيرة وما هذا الزي واين كنت فلجلج ٥

فقلت لغلماني احملوه الى داري وقلت حدثني حديثك قال على
ان لي الامان والكتمان فقلت نعم فقال كان الرسم على كل عريف
من الفراشين في دار الخليفة ان يدخل يوما من الايام هو ومن
في عرافته الى دور الخدمة والحرم لرش الخيوش التي فيها
فبلغت النوبة الي يوما كنت فيه مخمورا فدخلت ومعي رجالي
الى دار فلانة وذكر حظية جليلة من حظايا المقتدر ورش
الخيش فلعظم ما كنت فيه من الخمار رسيت قربتي ولم اخرج
بخروج الرجال وقلت لهم انصرفوا فانها نوافر بكم لا تمام الرش
فاذا رشيتم فنبهوني فاني نائم ههنا ودخلت خلف الخيش
الى باب فاذا باذاهنج يخرج منه ريح طيبة فنمت وغلب النوم علي
الى ان جاء الفراشون ففرغوا من رش الخيش وخرجوا ولم
ينبهوني وتمادى بي النوم فما انتبهت الا بحركة في الخيش
فعلمت اني مقتول ان احسس بي فتحيرت فلم ادر ما اعمل
فدخلت الباذاهنج وكان ضيقا فجعلت رجلي على حائطي
الباذاهنج وتعلقت فيه ووقفت معلقا اترقب ان يفطن بي
فاقتل فاذا بوصائف فراشات يكنسن الخيش فلما فرغوا من ذلك
فرشنه وعبين فيه مجلس للشرب ولم يكن باسرع من ان جاء
المقتدر وعدة جوار فجلس واخذن الجوار في الغناء وانا
اسمع ذلك كله وروحي تخرج فاذا اعييت نزلت فجلست في
ارض الباذاهنج فاذا استرحت وخفت في ان يفطن بي عدت
وتعلقت الى ان مضت قطعة من الليل ثم عن للمقتدر جذب
حظيته اليه التي هي صاحبة تلك الدار فانصرف باقي الجوار
وخلي الموضع فواقع المقتدر الجارية وانا اسمع حركتهما وكلامهما
ثم ناما في مكانهما فلا سبيل لي الى نوم لحظة واحدة لما اقاسيه من
الخوف ففكرت في ان اخرج واصعد الى بعض السطوح ثم علمت
اني ان فعلت ذلك تعجلت القتل ولم يجز ان انجو فلم تزل تلك حالي
الى ان انتبه المقتدر في السحر وخرج من الموضع فلما كان من غد

نصف النهار جاء عريف آخر من الفراشين ومعه رجال من
الفراشين فخرجت فاختلطت بهم فقالوا اي شيء تعمل ههنا
فأومأت اليهم بالسكوت وقلت الله الله في دمي فان حديثي
يطول فتذمموا من ان يفضحوني وقال بعضهم فما بال لحيتك
قد ابيضت فقلت لا اعلم واخذت ماء من قربة بعضهم فطرحت
قربتي وخرجت فلما صرت في موضع من دار الخليفة وقعت
مغشيا علي وركبتني حمى عظيمة وذهب عقلي فحملني الفراشون
الى منزلي وانا لا اعقل فاقمت مبرسما مدة طويلة وقد كنت
عاهدت الله تعالى وانا في الباذاهنج ان هو خلصني منه
لا اخدم احدا ابدا ولا اشرب النبيذ واقلع عن اشياء
تبت منها فلما تفضل الله عز وجل علي بالعافية وفيت
بالنذر وبعت اشياء كانت لي وضممتها الى دراهم كانت
عندي ولزمت دكانا لعمي اتعلم فيه التجارة واتجر وتركت
الدار فما عدت اليها الى الآن ولا اعود ابدا الى خدمة
الناس ولا انقض ما تبت منه قال ورايت لحيته وقد كثر
فيها الشيب **حدثنا** علي بن هشام قال كان ابو الحسن ابن
الفرات لما ولي الوزارة الاولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد
مجلس القابلة في ديوان الخلافة من قبل علي بن عيسى والديوان
اذ ذاك كله الى علي بن عيسى فقلد ابا الحسن ابن الفرات سليمان
الديوان باسره واقام يتقلده نحو سنتين فاقام ليلة في دار
ابن الفرات يصلي المغرب فسقطت من كمه رقعة اخذها
بعض من حضر فاخذها ولم يفطن لها سليمان فقراها فوجدها
سعاية بخطه بابن الفرات واشياء به الى المقتدر وسعيا
لابن عبد الحميد كاتب السيدة في الوزارة فتقرب بها
الى ابن الفرات فقبض على سليمان للوقت فانفذه في زورق
مطبق الى واسط فحبسه بها وصادره وعذبه وكان في العذاب
دهرا وايس منه فبلغ ابن الفرات ان ام سليمان بن الحسن قد ماتت

ببغداد وانها ما كانت تتمنى رؤيته قبل موتها فاغتم لذلك وتذكر
المودة بينه وبين ابيه الحسن بن مخلد وبدا وكتب اليه بخطه
كتابا اقرانيه سليمان بعد سنين كثيرة من تلك الحال فحفظته
ونسخته وهو بسم الله الرحمن الرحيم ميزت
اكرمك الله بين حقك وجرمك فوجدت الحق يوفي على
الجرم وتذكرت من سالف خدمتك في المنازل التي فيها
ربيت وبين اهلها غذيت ما ثناني عليك وعطفني اليك
واعادني لك الى افضل ما عهدت واجمل ما الفت فثق اكرمك
الله بذلك واسكن اليه وعول في صلاح ما اختل من امرك
عليه واعلم انني اراعي فيك حقوق ابيك التي تقوم بتوكيد
السبب مقام اللحمة والنسب وتسهل ما عظم من جنايتك
وتقلل ما كثر من اساءتك ولن ادع مراعاتها والمحافظة
عليها ان شاء الله وقد قلدتك اعمال دستميسان
لسنة ثمان وتسعين ومائتين وبقايا ما قبلها وكتبت الى
احمد بن محمد بن جيش بحمل عشرة آلاف درهم اليك
فتقلد هذه الاعمال واثر فيها اثرا جميلا يبين عن كفايتك
ويؤدي الى ما احبه من زيادتك ان شاء الله قال ابو الحسين
ابن جيش هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط
حدثني البهلول بن محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول
التنوخي رحمه الله قال حدثني ابو علي الوكيل على ابواب القضاة
ببغداد ويعرف بالناقد قال كنت اقيم خبر المحبسين في المطبق
بمدينة السلام في ايام المقتدر بالله فرايت في المطبق رجلا
مغلولا على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلا فسالته
عن قصته فقال انا والله مظلوم فقلت وكيف كان امرك
قال كنت ليلة من الليالي في دعوة صديق لي بسوق يحيى
فخرجت من عنده مغلسا وفي الوقت فضل وانا لا اعلم فلما
صرت في قطعة من الشارع رايت مشاعل الطائف فرهبته

ولم ادر ما اعمل فرايت شريحة مشوشة ففتحتها ودخلت ورددتها
كما كانت وقمت في الدكان ليجوز الطائف واخرج وبلغ الطائف
الموضع فراى الشريحة مشوشة فقال فتشوا هذا الدكان
فدخلت الرجالة بمشعل فرايت في ضوئه رجلا في الدكان
مذبوحا وعلى صدره سكين فجزعت وراى الرجالة ذلك
وراوني قائما فلم يشكوا في اني قاتله واخذني صاحب
الشرطة ثم عرضت فضربت ضربا عظيما وعوقبت اصناف
العقوبات وانا انكر وعندهم انني اتجلد وهم يزيدوني
فاجتمع اهلي وكانت لهم شعبة باسباب السلطان فتكلموا
في واستشهدوا خلقا كثيرا على ستري فبعد شدائد
والوان اعفيت من القتل ونقلت الى المطبق ونقلت بهذا
الحديد منذ ستة عشر سنة قال فاستعظمت محنته
وبهت من حديثه فقال مالك والله ما آيس مع هذا من فضل الله
عز وجل فان من ساعة الى ساعة فرجا قال فوالله ما خلص
كلامه من فيه حتى ارتفعت ضجة عظيمة وكسر الحبس
ووصلت العامة الى المطبق ومطاميره فاخرجوا كل من كان
في الحبس وخرج الرجل في جملتهم وانصرفت وانا اريد بيتي
فاذا نازوك قد اقبل والفتنة قد ثارت وفرج الله جل وعز
عن الرجل **بلغني** عن رجل من اهل كوثى قال كان يتقلد
بلدنا عامل من قبل ابي الحسين بن الفرات في بعض وزاراته
فافتتح الخراج واشتد في المطالبة وكان في اطراف البلد قوم
من العرب قد زرعوا من الارض ما لا يتجاسر الاكرة على زراعته
وكان العمال يسامحونهم ببعض ما يجب عليهم من الخراج فطالبهم
هذا العامل بالخراج على التمام اسوة الاكرة واحضر احدهم
فحقق عليه المطالبة وهو ممتنع فامر بصفعه فصفع حتى ادى
الخراج وانصرف فشكى الى بني عمه فتوافقوا على كبس العامل
ليلا وقتله وراسلوا في غيرهم من العرب وواعدوا الليلة

بعينها فلما كان اليوم الذي يليه تلك الليلة ورد الى الناحية
عامل آخر صارفًا للاول فقبض عليه وصرفه وضربه بالمقارع
واخذ خطه بمال وقيده وامر ان يحمل الى قرية اخرى على فراسخ
من البلد فيحبس فيها ووكل به عشرة من الرجالة فسير وابه مرة
ماشيًا ومرة على حمار فكاد مما لحقه ان يتلف وحصل في تلك
القرية وكان له غلام قد رباه وهو خصيص به عارف بجميع
اموره فهرب عند ورود الصارف فلما كان من الغد لم يشعر
المصروف المحبوس الا بغلامه الذي رباه قد دخل عليه فكان
مجيئه اليه اشد عليه من جميع ما لحقه اشفاقا على الغلام
وعلى نفسه مما يعرفه الغلام ان يكون قد دل عليه فقال الغلام
هات رجلك حتى اكسر قيودك وتقوم تدخل بغداد فقال له فاين
الرجالة الموكلون بي فقال يا مولاي قد فرج الله تعالى وهرب
الرجالة فقال فما سبب هذا قال ان الاعراب الذين كنت
صفعت منهم واحدًا وطالبته بالخراج كبسوا البارحة دار
العمالة وعندهم انك انت العامل وقد عملوا على قتلك
ولم يكن عندهم خبر صرفك ولا خبر ورود هذا العامل
فقتلوه على انه انت وقد هرب اصحابه واهل البلد يخافونك فقم
حتى نمشي الى بغداد لئلا يبلغهم كونك ههنا فيقصدونك
ويقتلونك وكسر القيد وقام هو وغلامه يمشيان على غير جادة
الى ان بعدا ودخلا قرية واستاجرا منها مركبا الى بغداد ولقي
المصروف الوزير ورب على المقتول وقال افسد الناحية واثار فتنة
مع العرب فامره الوزير على الناحية وضم اليه جيشًا فعاد الى
كورته وتحصن بالجيش وارهب العرب وارغمهم الى ان صالح
ما بينهم وبينه ونظر اليهم من الخراج بما كان طالبهم به
واجراهم على رسومهم وسكن اليهم وسكنوا اليه وزال
خوفه واستقام له امر عمله **اخبرني ابو الفرج الاموي**
المعروف بالاصفهاني باسناده عن ابراهيم بن المهدي قال

بلغ ٣

غضب علي محمد الامين في بعض هناته فسلمني الى كوثر فحبسني
في سرداب واغلقه علي فمكثت فيه ليلتي فلما اصبحت فاذا انا
بشيخ قد خرج علي من زاوية السرداب فدفع الي وسطا وقال
كل فاكلت ثم اخرج قنينة من شراب فشربت ثم قال غنّ لي

لي مدة لا بد ابلغها ... معلومة فاذا انقضت مت
لو ساورتني الاسد ضارية ... لغلبتها ان لم يجي الوقت

فغنيته فسمعني كوثر فصار الى محمد وقال له قد جن عمك
هو جالس يغني بكيت وكيت فامر باحضاري فاحضرت واخبرته
بالقصة فرضي عني وامر لي بسبعمائة الف درهم **حبس**
عبد الله بن طاهر محمد بن اسلم الطوسي فكتب اليه بعض
اخوانه يعزيه عن مكانه فاجابه ابن اسلم كتبت الي تعزيني وانما
كان يجب ان تهنيني اريت العجائب وعرضت علي المصائب
اني رايت الله عز وجل يتحبب الى من يوذيه فكيف الى من يوذى
فيه اني نزلت بيتا سقطت عني فيه فروض وحقوق منها
الجمعة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعيادة المريض
وقضاء حقوق الاخوان وما نزلت بيتا خيرًا في ديني منه فاخبر
بذلك عبد الله بن طاهر فقال نحن في حاجة ابن اسلم اطلقوه
وكان المامون قد غضب على فرج الرخجي فكلمه عبد الله بن طاهر
ومسرور الخادم في اطلاقه قال فرج فبت ليلتي تلك وانا مفكر
اذا اتاني آت فقال لي

شعرًا

لما اتى فرج من بعد فرج ... جئنا الى فرج بنعي الفرجا

فلما اصبحت لم اشعر الا واللواء قد عقد لي على ولاية فارس
والاهواز واطلق لي معاوية خمسمائة الف درهم واذا ابو
النبغاء الشاعر قائم على باب داري وقد كتب هذا البيت
في رقعة فقلت متى قلت هذا فقال في الوقت الذي قد رضي
عنك فيه فامرت له بعشرين الف درهم **وقال** عمار بن
عقبة بن عمارة من آل سلمى بن المهر حدثني ملازم بن عدام

الحنفي عن عمه ملازم بن حريث الحنفي قال كنت في حبس الحجاج
بسبب الحرورية فحبس معنا رجل فاقام حينا لا نسمعه
يتكلم بكلمة حتى كان اليوم الذي مات الحجاج في الليلة
التي تليه فاقبل غراب في عشية ذلك اليوم فوقع على حائط
السجن فنعق فقال الرجل ومن يقدر على ما تقدر عليه
يا غراب ثم نعق الثانية فقال مثلك من بشر بخير يا غراب
ثم نعق الثالثة فقال من فيك الى السماء يا غراب قال فقلنا
له ما سمعناك تكلمت منذ حبست الى الساعة فما دعاك الى
ما قلت قال انه نعق فقال اني وقعت على ستر الحجاج فقلت
ومن يقدر على ما تقدر عليه ثم نعق الثانية فقال ان الحجاج
وجع فقلت مثلك من بشر بخير ثم قال في الثالثة الليلة
يموت فقلت من فيك الى السماء ثم قال الرجل ان انسلخ
الصبح قبل ان اخرج فليس علي باس وان دعيت قبل الصبح
فستضرب عنقي ثم تلبثون ثلاثا لا يدخل عليكم احد
ثم يدعى بكم في اليوم الرابع فيهتف على رؤوسكم بالكفالة
فمن وجد له كفيلا خلي ومن لم يوجد له كفيل فويل له طويل
فلما دخل الليل سمعنا الصراخ على الحجاج ثم اخرج الرجل
قبل الصبح فضربت عنقه ثم لم يدخل علينا احد ثلاثا ثم دعي
بنا وطلب منا الكفالة ثم صار الامر الي فمكثت طويلا حتى
خفت ان ارد الى الحبس ثم تقدم رجل فضمنني فقلت له
يا عبد الله من انت حتى اشكرك فقال لي اذهب فلست
بمسئول عنك ابدًا فانطلقت **قال** ابو الحسن علي بن
عبد الاعلى الاسكافي كنت اكتب لبغاء الكبير فصرفني ونكبني واخذ
ضياعي ومالي وحبسني بعد ذلك وتهددني ونالني منه كل
مكروه واني لفي حبسه اذ سمعت حركة فسالت عنها فقيل قد
وافى اسحاق بن ابراهيم الطاهري وكان صاحب الشرطة فقلت
هذا انما حضر لعقوبتي فطارت نفسي جزعًا فلم البث ان دعيت

فحملت في قيودي وعلي ثياب في نهاية الوسخ فادخلت وانا
كالميت لما بي ولعظم الخوف فلما وقعت عين اسحاق علي تبسم
فسكنت نفسي فقال لي بغا ان اخي ابا العباس يعني عبد الله
ابن طاهر كتب الي يشفع في امرك وقد شفعته وازلت عنك
المطالبة ورضيت عنك ورددت عليك ضياعك فانصرف
الى منزلك فبكيت بكاء شديدًا لعظم ما ورد على قلبي
من السرور وفكت قيودي وغيرت حالي وانصرفت فبت في بيتي
وبكرت في المسير الى اسحاق لاشكره واساله عما اوجب ما جرى
لانه شيء ما طمعت فيه ولا كانت لي وسيلة الى ابي العباس وسالته
فقال ورد علي كتاب الامير ابي العباس يقول فيه قد كانت كتب
ابي موسى بغا ترد علي بمخاطبات توجب الانس والخلطة وتلزم الشكر
والمنة ثم تغيرت فبحثت عن السبب فعلمت ان ذلك الكاتب
صرف فانه منكوب وحق لمن احسن عشرتنا ووكد المحبة
بيننا وبين اخواننا حتى بان لنا موقعه وعرفنا موضعه
لما صرف ان يرعى حقه فصر ابقاك الله الى اخي ابي موسى واساله
في امر كاتبه المصروف عني واستصفح ما في نفسه منه
واستطلقه واساله رده الى كتابته وان كان ما يطالبه به مما
لا ينزل عنه فاده من مالنا كائنا ما كان فلقيته ففعل ما رايت
وانا اعاود الخطاب في استكتابك وقد امر لك الامير بكذا
من المال فخذه فاخذته وشكرت ودعوت للاميرين وانصرفت فما
مضت الايام حتى ردني اسحاق الى كتابة بغا بشفاعة ابي العباس
وتاثلت حالي معه ونعمتي **حدثني** علي بن ابي الطيب
باسناده عن سليمان بن ابي زياد قال كان عمرو بن هبيرة
واليًا على العراق ولاه يزيد بن عبد الملك فلما مات يزيد
واستخلف هشام قال عمرو بن هبيرة سيولي هشام العراق
احد الرجلين سعيد الحرشي او خالد بن عبد الله القسري
فان ولى ابن النصرانية خالد فهو البلاء فولى هشام خالدًا

قال اسحاق فلقيته وشكرته ودعوت له والذي ... صح

العراق فدخل واسطًا وقد اوذن عمرو بن هبيرة بالصلاة فهو يتهيّأ
قد اعتمّ والمرآة في يده يسوّي عمته اذ قيل له هذا
خالد قد دخل فقال عمرو بن هبيرة هكذا تقوم الساعة
تاتي بغتة فقدم خالد فاخذ عمرو بن هبيرة فقيّده
والبسه مدرعة صوف فقال يا خالد بئس ما سننت
على اهل العراق اما تخاف ان يوجد فيك بمثل هذا فلما
طال حبسه جاء موالٍ لعمرو بن هبيرة فاكتروا دارًا الى
جانب الحبس ثم نقبوا سردابًا الى الحبس واكتروا دارًا الى
جانب حائط سور مدينة واسط فلما كان الليلة التي ارادوا ان
يخرجوه فيها من الحبس افضى النقب الى الحبس فخرج من الحبس
في السرداب ثم خرج من الدار تمشي حتى بلغ الدار التي الى
جانب حائط المدينة وقد نقب فيها فخرج في السرداب منها
حتى خرج من المدينة وقد هيأت له خيل خلف حائط المدينة
فركب وعلم به بعدما اصبحوا وقد كان اظهر علة قبل ذلك
لكي يتمسكوا عن تفقده في كل وقت فاتبعه خالد سعيد
الحرشي فلحقه وبينه وبين الفرات شيء يسير فتعصّب له
وتركه وقال الفرزدق شعرًا

ولما رايت الارض قد سُدّ ظهرها ۞ ولم تر الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعدما ۞ ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا
خرجت ولم يمنن عليك طلاقة ۞ سوى زبد التقريب من آل اعوجا
فاصبحت تحت الارض قد سرت ليلة ۞ وما سار سارٍ مثلها حين ادلجا

قال سليمان بن ابي شيخ فحدثني ابي عن ابي الجنحات
قال حدثني حازم مولى عمرو بن هبيرة حين هرب من السجن فبلغنا
دمشق بعد العتمة فاتى مسلمة بن عبد الملك فاجاره وانزله
معه في بيته وصلى مسلمة بن عبد الملك خلف هشام بن عبد
الملك الصبح فاستاذن عليه مسلمة فدخل عليه فلما رآه قال يا با
سعيد اظنّ ابن هبيرة قد طرقك في هذه الليلة قال اجل

يا امير المؤمنين فقد اجرته فهبه لي قال قد وهبته لك ۞
اخبرني ابو الفرج القرشي المعروف بالاصبهاني قال قد ذكر ابن
الكلبي عن ابيه قال خرج قيس بن قيسبة بن كلثوم السكوني
وكان ملكًا يريد الحج وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يتعرّض
بعضها لبعض فمرّ ببني عامر بن عقيل فوثبوا عليه فاسروه
واخذوا ما له وما كان معه والقوه في القدّ فمكث فيه ثلاث
سنين وشاع باليمن ان الجن استطارته فبينا هو في يوم شديد
البرد في بيت عجوز منهم وقد يئس من الفرج اذ قال لها
اتاذنين ان آتي الاكمة فاتشرق عليها فقد اضرّ بي القرّ فقالت
له نعم وكانت عليه جبة صبرة لم يترك عليه غيرها فتمشّى
في اغلاله وقيوده حتى صعد الاكمة ثم اقبل يضرب ببصره نحو
اليمن وتغشاه عبرة فبكى ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم رب
ساكن السماء فرّج لي مما اصبحت فيه فبينما هو كذلك اذ عرض
له راكب يسير فاشار اليه ان اقبل فاقبل الراكب فلما وقف عليه
قال له ما حاجتك يا هذا فقال له اين تريد قال اريد اليمن قال
ومن انت قال ابو الطمحان القيني فاستعبر ابن قيسبة فقال له ابو
الطمحان من انت فاني ارى عليك سيماء الخير ولباس الملوك وانت
بدار ليس فيها ملك قال له انا ابن قيسبة بن كلثوم السكوني خرجت
عام كذا وكذا اريد الحج فوثب على هذا الحي وصنعوا بي ما ترى وكشف
عن اغلاله وقيوده فاستعبر له ابو الطمحان فقال له ابن قيسبة ۞
فهل لك في مائة ناقة حمراء قال ما احوجني الى ذلك قال انخ فاناخ
ثم قال له امعك سكين قال نعم قال ارفع لي عن رحلك فرفع له
عن رحله حتى بدت خشبة مؤخرة فكتب عليها ابن قيسبة بما ء
المسند وليس يكتب به غير اهل اليمن ۞ شعرًا

بلّغا كندة الملوك جميعًا ۞ حيث سارت بالاكرمين الجمال
ان ردّوا الخيل بالخميس عجالًا ۞ واصدروا عنه والروايا ثقال
هربت جارتي وقالت عجيبًا ۞ اذ راتني في جيدي الاغلال

ان يرى عاري العظام اسيرًا ۞ قد برانى تضعضع واختلال
فلقد اقدم الكتيبة بالسيف ۞ على السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر الى اخيه ان يدفع الى ابن الطمحان مائة ناقة ثم قال
اقرا هذا قومي فانهم سيعطوك مائة ناقة حمراء فخرج تسير به ناقته حتى
اتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسي امر ابن قيسبة حتى فرغ من
حوائجه ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن ابن قيسبة ويبكين
فذكر امره فاتى اخاه الحارث بن مالك وهو اخوه لابيه ولامه فقال
له يا هذا اني ادلك على اخيك وقد جعل لي مائة من الابل فقال له
فهي لك فكشف عن الرحل فلما قراه الجون امر له بمائة ناقة ثم اتى
قيس بن معدي كرب الكندي ابا الاشعث بن قيس فقال له يا هذا
ان اخي في بني عقيل اسير فسر معي بقومك حتى نخلصه قال اتسير
تحت لوائي حتى اطلب ثارك وانجدك والا فامض راشدًا فقال له الجون
مسّ السماء ايسر من ذلك واهون عليّ مما جئت به فضجّت السكون ثم
فاؤوا فرجعوا فقالوا ما عليك من هذا هو ابن عمك ويطلب لك بثارك
فانعم له بذلك فسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه وكندة والسكون
معه فهو اول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه ادرك
الشرف فسار حتى اوقع ببني عامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة
واستنقذ ابن قيسبة وقال في ذلك سلامة بن صبح الكندي ۞

لا تشتمونا اذ جلبنا لكم ۞ الفي كميت كلها سلهبه
نحن اتلنا الخيل في ارضكم ۞ حتى ثارنا منكم ابن قيسبه
فاعترضت بين دونهم مذحج ۞ فصادفوا من خيلنا مشغبه

حدثني ابو الحسن احمد بن يوسف الازرق الكاتب بن يعقوب
ابن اسحاق البهلول التنوخي قال كنت وانا حدث اتعلّم في ديوان الزمام
بالسواد بين يدي كاتب فيه يقال له ابو الحسن علي بن الفتح ويعرف
بالمطوّق عاش الى بعد سنة عشرين وثلثمائة واخرج الينا كتابًا قد
عمله في اخبار الوزراء منذ وفاة عبيد الله بن يحيى بن خاقان الى آخر
ايام القاهر بالله وبعدها وسماه كتاب مناقب الوزراء ومحاسن

اخبارهم فقرانا عليه بعضه واخبرنا بالباقي مناولة قال مؤلف
هذا الكتاب فاعطاني ابو الحسن احمد بن يوسف الكتاب مناولة
فوجدت فيه ان القاسم بن عبيد الله اعتقل ابا العباس احمد بن محمد
ابن بسطام في داره اياما لاشياء كانت في نفسه عليه واراد ان يوقع
به فلم يزل ابن بسطام يداريه ويلطف له الى ان اطلقه وقلده آمد
وما يتصل بها من الاعمال واخرجه اليها وفي نفسه ما فيها ثم ندم
على ذلك فوجّه اليه في آخر ايام وزارته بقائد يقال له علي بن حبيش
ابن اخي قوصرة ووكله به وكان يامر وينهى في عمله وهو موكّل به
في داره وخائف على نفسه مما ظهر من اقدام القاسم على القتل
قال ابن بسطام فاخوف ما كنت على نفسي وحالي وليس عندي خبر
حتى ورد على كتاب عنوانه لابي العباس اطال الله بقاءه من العباس
ابن الحسن فلما رايت العنوان ناقص الدعاء علمت ان القاسم بن عبيد الله
قد مات وان العباس بن الحسن قد تقلد الوزارة فلم املك نفسي فرحًا
وسرورًا بالسلامة في نفسي وقد زال الخوف عني وقرات الكتاب
فاذا هو بصحة الخبر وامرني بالخروج الى مصر وتقلد الامانة على
الحسين بن احمد المادرائي قال علي بن الفتح فخرج ابن بسطام الى مصر
ولم يزل يتقلد الامانة على الحسين بن احمد الى ان تقلد علي بن
الفرات الوزارة فقلده مصر واعمالها فلم يزل فيها الى ان توفي ۞
حدثني ابو محمد عبد الرحيم الوراق المعروف بالصيرفي
ابن ابي العباس محمد بن احمد المقري البغدادي بالبصرة في المحرم
سنة خمس واربعين وثلثمائة بكتاب المنتصر لابي العباس احمد بن
عبد الله بن عمار في خبر العلوي الصوفي الخارج بالجوزجان على المعتصم
وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهم وكان عبد الله بن طاهر حاربه واسره وبعث به الى
المعتصم وهو ببغداد فامر المعتصم ان يبنى حبس في بستان موسى
كان المعتصم به مسرورًا مولى الرشيد قال وكنت ارى على هذا البناء من
دجلة اذا ركبتها فاخبرني من دخله انه كان كالبئر العظيمة قد حفرت الى الماء

اوقريبٌ منه ثم فيها بناء على هيئة المنارة مجوّف من باطنه وظاهره
وهو من داخله مدرّج قد جُعل في مواضع من التدريج مستراحات
وفي كل مُستراح شبه البيت يجلس فيه رجل واحد كأنه على مقداره
يكونُ فيه مكبوبًا على وَجهه ليس يمكنه فيه ان يجلس ولا يمدّ رجله
قال فلما قدم محمّد جلس في اسفَل بيت من هذا المجلس فلما استقرّ به
اصابه من الجهد بضيقته وظلمته ومن البَرد لندى الموضع ورطوبته
ما كاد يتلفه من ساعته فتكلم كلامًا رَقيقًا سمعه مَن كان في اعلا
البُرج ممّن وكل بالموضع فقال ان كانَ امير المؤمنين يريد قتلي فالساعة
اموتُ وان لم يكن يريد ذلك فقد اشفيتُ عَليه فاخبر المعتصم
فقال ما اريد قتله وامَرَ باخراجه فاخرج وقد زال عقله واغمي عليه
فطرح في الشمس وطرحت عليه لحف فامر بحبسه في بيت قد كان بني
في البستان فوقه غرفة وكان في البيت خلاء الى الغرفة التي فوقه
وفي الغرفة ايضًا الخولاء الى آخر سَطحها فلم يزل محبوسًا فيه حتى تهيأ
له الخروج ليلة الفطر سنة تسع عشر ومائتين فحدثني علي بن
الحسَن بن عمر بن علي بن الحسين وهوُ ابن عمّ ابيه قال اصبحتُ يوم
الفطر اتهيّأ للركوب فانا اشدّ منطقتي في وسطي وقد لبستُ ثيابي
ابادر الركوب الى المصلّى ما راعني الا محمّد بن القاسم قد دخَل الى
منزلي فملئت رعبًا وذعرًا وقلت له كيف تخلصتُ فقال انا ادبّر امري
في التخليص منذ حبست ثم وصف لي الخلاء الّذي كانَ في البيت الّذي حبسَ
فيه الى الغرفة التي فوقه فقال وادخل معي يوم حبستُ لبدكان وطائي
وفراشي قال وكنت ارى بفرش وهي قرية من قرى خراسان حبالاً
تعمل من لبُود مرصّع كما يعمل بالسيُور فيجيء احدهم بشيء فسولت لي نفسي
ان اعمل من اللّبد حبلاً وكان على باب البيت قومٌ وكلوا بي يحفظوني لا يدخل
الي منهم احدٌ انما يكلموني من خلف الباب ويناولوني من تحته ما اتقوّته
فقلت لهم انّ اظفاري قَد طالت جدًا وقد احتجت الى مقراض فجاءني
رَجل منهم كان يميل الى مذهَب الزّيديّة بمقراض احد جانبيه منقوش
نقش المسحل وقلت لهم انّ في هذا البيت فارًا يوذيني ويقذ بحب

اذا قربوا مني فاقطعوا لي جريدة من النّخل تكون عندي اطردهم بها
اذا ظهرُوا فقطعوا من بعض نخل البُستان جريدة فرموا بها اليّ فكنت
لا ازال اضربُ بها في البيت واسمعهم صَوتها ايامًا ثم قشرّت الخوص
عَنها وقطعتها على مقدار ما ظننت انّها تعرض في ذلك الخلاء اذا رميت
به فضممتُ كلما قطعته منها بعضه الى بعض وقطعت اللّبد وظفرت
منه حبلاً على ما كنت ارى يعمل من ذلك بفرش ثم شدَدت ما قطعت
من راس الجريدة في راس الحبل ثم رميت به في الكوّة وعالجته حتى
اعترض فيها ثم اعتمدت عليها وصعدت الى الغرفة ومن الغرفة الى
سطحها قال ففعلتُ ذلك مرارًا في ايام كثيرة حتى تمكنت من الحركة
باني سحلت بجانبي المقراض احدى حلقتي القيد ولم يمكني ان اسحل
الاخرى فكنت اذا اردت الحركة شددت القيد مع ساقي واتحرك
وقد صرت مطلقًا فلما كان في هذه اللّيلة وشغل النّاس بالعيد
وانصرف من كان على الباب من المتوكلين فلم احسّ منهم احدًا الا شيخًا
واحدًا كنت اسمع حركته واطلع فاراه فصعدت بين المغرب والعشا
على السطح واشرفت واذا المعتصم يفطر والنّاس بين يديه والشموع
فرجعتُ حتى اذا كانَ في جوف الليل صعدتُ ولم يتحرك الناس فنزلت
الى البُستان فاذا فيه قائدٌ معه جماعة فصاح بي بعضهم فقال من هذا
فقلت مديني من اصحاب الحمام قال وكان منهم جماعة في القصر يشرفون
على امر الحمام فقالوا اين تخرج الساعة اطرح نفسك حتى تصبح
وتفتح الابواب فطرحت نفسي بينهم حتى فتح باب البستان في الغلس
وقد تحرك النّاس فمرتُ الى دجلة لاعبر فاذا الشيخ الذي كانَ احد
مَن يحفظني قد جاء ليعبر فطلب الملّاح منّي اجرته كما ياخذ من النّاس
فقلت ما معي شيء انا رجل غريبٌ ضعيف الحال فقال لي الشيخ اعبر فانا
اعطيه عنك فاعطاه وانشدّ عنّي وعبرت حتى جئتك قال علي بن حسَن
فقلت له ما منزلي بموضع لك فاخرج عنه من ساعتك ولا تقم فيه
لحظة واحدة وركبت الى المصلى فصار الى رجل من الشيعة فاخفاهُ
وَمِن ظَرِيفِ مَا شَاهَدْنَاهُ مِن هَذا البَاب

انّ ابا تغلب فضل الله عدّة الدّولة بن ناصر الدّولة ابي محمّد استوحش
من اخيه محمّد بعد موت ابيهما فقبض عَليه واستصفى ما له
ونعمته وقبضَ عقاره وضيعته وثقله بالحديد وانفذهُ الى
القلعة المعروفة باردمشت وهي مشهورة من اعمال الموصل حصينة
فحبسه فيها في مطمورة ووكّل بحفظه واطعامه عجوزًا يثق بها
جلدةً ضابطةً يقال لها بازبانوا وامرهَا ان لا توصل اليه احدًا
ولا تعرّفه خبرًا وان تخفي موضعه عن جميع مَن في القَلعة ففعلت
ذلك فاقام على حاله تلك ثماني سنين ثم اتفق ان انحدر ابوُ تغلب
معاونًا لعزّ الدولة ابي منصور بختيار بن معزّ الدّولة ابي الحسين ومعهم
العساكر يقصد ان بغداد لمحاربة عضد الدولة وتاج الملة ابي شجاع
رضي الله عنه وخرج للقائهما فكانت الوقعة العظيمة المشهورة بينهم
بقرب قصر الحصن فقتل فيها عزّ الدولة وانهزم ابو تغلب ودخل الموصل
وخاف من مخلص محمّد وكتب الى غلام له كانت القلعة مسلّمة اليه يقال
له طاشتم في ان يمكن رئيسًا من رؤساء الاكراد يقال له صالح بن بابويه
كان كالشكربيد لطاشتم في حفاظ القلعة من محمد بن ناصر الدّولة
ليمضي فيه ما امره به وكتب الى صالح يامره بقتل محمد فمكّن طاشتم
صالحًا فلما اراد الدخول على محمد ليقتله منعت بازبانوا من ذلك وقالت
لا امكن من هذا الا بكتاب يرد عليّ وشارف عضد الدولة الموصل واجفل
عَنها ابو تغلب وكدّته العساكر واشتدّ عليه الطلب وورد عليه كتاب
من القلعة بما قالت بازبانوا فابى ان يجيب عنه واحاطت بعض عساكر
عضد الدّولة رحمه الله بقلعة اردمشت ونازلوها فانقطع ما بين
ابي تغلب وبينها ولم يصل اليها كتابٌ ثم فتحها عضد الدّولة بعد شهور
بان اوطاه صالح على القبض على طاشتم وكتب اليه يعرّفه ما عمله
ويستاذنه فيما يعمله وكان لمحمّد بن ناصر الدّولة خادمٌ خصي مملوك يلي امر
داره واسود ديلمي ناصحًا وكان بعد القبض على محمد قد رفع الى عضد الدولة
وهو بفارس وصار من وجوه خدمه وحضر معه وقعة قصر الجصّ فلما
ورد خبر فتح القلعة اذكره ناصح بوعدكان له عليه في اطلاق مولاه محمّد

فكتب اليه اذا فتح القلعة يطلبه في القلعة فان وجدحيًا ان يطلق عَنه
وينفذ اليه مكرّمًا فحين دخل صَالح ومعه بعض من قد صَعدَ الى
القلعة من حاشية عضد الدولة الى ابي محمد في محبسه جزع جزعًا شديدًا
ولم يشكّ انهم قَد دخلوا بامر ابي تغلب لقتله واخذ يتضرع ويقولُ له
ما يدعُوا حي الى قتلي فقال لصالح لا خوفَ عليك انّما امرنا الملك ان
نطلقك ونمضي بك اليه مكرّمًا فقد ملك هذه البلاد فقال اغلب ملك
الروم على هذه النواحي وفتحت له القلعة قالوا لا ولكن الملك عضد
الدولة قال الذي كان بشيراز قال نعم فقال محمّد وقد جاء الى بغداد
واين بختيار قال قتل قال واين ابو تغلب قال انهزم ودخَل الى بلاد
الرّوم فقال والملك عضد الدولة واين هو قال بالموصل وهو ذا
تحمل اليه مكرّمًا فسجد حينئذ وبكا بكاء شديدًا وحمد الله عزّ وجل
وجاؤا ليفكوا حديده قال لا امكّن من ذلك الا بعد ان يشاهد حالي
الملك فحمل الى الموصل فرايته وقد اصعد به مقيّدًا من المعبر الّذي عَبر
به فيه في دجلة الى دار ابي تغلب التي نزلها عضد الدّولة بالموصل وانا
اذ ذاك اتقلّدها له وجميع ما فتحه مما كانَ في يد ابي تغلب مضافًا الى
حلوان وقطعة من طريق خراسان فرايتُ محمّدًا يمشي في اقياده حتى
دخل اليه فقبّل الارض بين يديه ودعا له وشكره واخرج الى حجرة من
الدار فاخذ حديده وحمل على فرس فاره بمركب ذهب وقيد بين يديه
خمس دوابّ بمراكب فضّة مذهبة وخمسة بجلالها وثلاثون بغلاً
بأكفها محمّلة مالاً صامتًا ومن صنوف الثياب الفاخرة والفرش السّري
والطيب والالآت المرتفعة القدر الى دار قد فرّغت له وفرشت بفرش
حسن وملئت ما يحتاج اليه من الصفر والالات الحافية والعلوفات
والحلوى وطعام قد نقل من المطبخ وانبذة وغير ذلك ثم اقطعه بعد ايام
اقطاعًا يبلغ مائة الف درهم وولاه امارة بلد واعماله وهو الّذي كان يتولاه
لابي تغلب روى نجيد كاتب ابراهيم بن المهدي انّ ابراهيم حدّثه
انّ مخلد الطبري الكاتب للمهدي على ديوان الرّسائل حدثه انّ سالمًا مولى
هشام بن عَبد الملك وكاتبه على ديوان الرّسائل اخبره انه كان في ديوان

عبد الملك يتعلم كما يتعلم الاحداث في الدواوين اذ ورد كتاب صاحب بريد الثغور
الشامية على عبد الملك يخبره فيه ان خيلا من الروم تراءت للمسلمين ۵
فتفرقوا اليها ثم رجعوا ومعهم رجل قد كان اسر في ايام معاوية بن ابي سفيان
فذكروا ان الروم لما توافقوا اعلموهم انهم لم ياتوا للحرب وانما جاؤا بهذا
المسلم ليسلموه الى المسلمين لان عظيم الروم امرهم بذلك وذكر صاحب البريد
ان النافرين ذكروا انهم سالوا المسلمين عما قالت الروم فوافق قوله قولهم
وذكر ان الروم قد احسنوا اليه فانصرفوا عنهم واخذوه فاني سالته عن
سبب مخرجه فذكر انه لا يخبر بذلك احدا دون امير المؤمنين فامر عبد
الملك باشخاص المسلم اليه قال سالم فوافى ذلك الرجل دمشق وادخل الى
عبد الملك فقال له من انت فقال قبات بن رزين اللخمي اسكن فسطاط
مصر في الموضع المعروف بالحمراء اسرت في خلافة معاوية وطاغية الروم
اذ ذاك ورقا بن مورق فقال عبد الملك بن مروان فكيف كان فعله
بكم قال لم ار احدا اشد عداوة للاسلام واهله منه الا انه كان حليما
وكان المسلمون في ايامه احسن حالا منهم في ايام غيره الى ان افضى الامر الى
ابنه اليوم فقال في اول ما ملك ان الاسراء اذا طال مكثهم ببلد انسوا به
ولو كان على غاية الرداءة وليس شيء انكى لقلوبهم من نقلهم من بلد الى
بلد آخر وامر باثني عشر قدحا وكتب في راس كل واحد منها اسم رجل من
البطارقة الاثني عشر ليضرب بالقداح في كل سنة اربع مرات فمن خرج اليه
القدح الاول حول اليه المسلمون فاحتبسهم عنده شهرا ومن صار اليه
القدح الثاني صاروا اليه بعد البطريق الذي كانوا عنده في الشهر الاول
ومن خرج له القدح الثالث حولهم اليه بعد الشهر الثاني ثم اعيدت القداح
بعد ذلك قال قبات فكنا لا نصير الى واحد من البطارقة الا قال احدا الله
عز وجل حتى لم يبتليكم ببطريق بعد الرخان قال فكنا نرتاع لذكره ونحمد
ربنا جل وعز على ان لم يكن يبتلينا برؤيته قال فكثنا عدة سنين ثم
ضرب بالقداح فخرج القدح الاول والثاني لبطريقين من البطارقة ۵
وخرج الثالث لبطريق الرخان فمر بنا في الشهرين غم طويل نترقب المكروه
ثم انقضى الشهران فحملنا اليه فراينا على بابه من الجمع على خلاف ما كنا نعاين

ورأينا

ورأينا من رثاجته من الغلظة خلاف ما كنا نرى ثم وصلنا اليه
فتبين لنا من فظاظته وغلظته ما ايقنا معه بالهلكة ثم دعا
بالحدادين وامر بتقييد المسلمين بامثال ما كان يقيدهم غيره
قال فلم يزل الحديد يجعل في رجل واحد واحد حتى صار الحداد
الي قال فنظرت في وجه البطريق فرايته قد نظر الي خلاف العين
التي كان ينظر بها الى غيري ثم كلمني بلسان عربي فسالني عن اسمي وعن
نسبي ومسكني مثل ما سالني عنه امير المؤمنين فصدقته عما سالني
عنه ثم قال لي كيف حفظك لكتابكم قال فاعلمته اني حافظ له فقال
اقرا آل عمران فقرات عليه منها نحو خمسين آية فقال انك لقارئ فصيح
ثم سالني عن روايتي للشعر فاعلمته اني راوية فاستنشدني لجماعة من
الشعراء فانشدته فقال انك لحسن الرواية ثم قال لخليفته قد ومقت
بهذا الرجل فلا تحدده ثم قال وليس من الانصاف ان اسوءه في اصحابه
ففك عن جماعته واحسن مثواهم ولا تقصر في قراهم ثم دعا صاحب مطبخه
فقال لست اطعم طعاما ما دام هذا العربي عندي الا معه فاحذر ان يدخل
المطبخ ما لا يحل للمسلمين اكله واحذر ان تجعل الخمر في شيء من طبيخك ثم دعا
بمائدته واستدناني حتى قعدت الى جانبه فقلت له فديتك نفسي وابي
انت احب ان تخبرني من اي العرب انت فضحك ثم قال لست اعرف ۵ ۵
لسؤالك جوابا لاني لست عربيا فاجيبك عن سؤالك فقلت امع هذه الفصاحة
بالعربية فقال ان كان باللسان تنتقل الانساب من جنس الى جنس فانت اذا
رومي فان فصاحتك بلسان الروم ليست بدون فصاحتي بلسان العرب
فعلى قياس قولك يجب ان تكون روميا واكون عربيا قال فصدقت قوله
واقمت عنده خمسة عشر يوما لم اكن منذ خلقت في نعمة اكثر منها فلما كانت
ليلة ستة عشر فكرت في انه قد مضى نصف الشهر وان الايام تقربني من
الانتقال الى غيره فبت مغموما وصار الي رسوله يدعوني لحضور طعامه
فلما حمل الطعام بين ايدينا راى اكلي مقصرا عما كان يعهده فضحك ثم قال
لي احسبك يا عربي لما مضى النصف من شهرك فكرت في ان الايام تقربك من
الانتقال عني الى غيري فلا يملك مثل معاملتي ولا يكون عيشك معه مثل

عيشك معي فبرت واعتراك لذلك غم ثم غير طبعك فاعلمته انه قد صدق فقال
ما انا ان لم احسن الاختيار لصديقي بحر ذكل فقد آمنك الله مما حذرت ولم
ابت في اليوم الذي رمقتك فيه حتى سالت الملك ان يصيرك عندي ما دمت في
ارض الروم فلست تنتقل عن يدي ولا تخرج منها الا الى بلدك فاني ارجو ان يسبب
الله عز وجل ذلك على يدي قال فطابت نفسي ولم ازل مقيما عنده الى ان
انقضى الشهر فلما انقضى ضرب بالقداح فخرج لبطارقة غير البطريق الذي نحن
عنده وحول اصحابي وبقيت وحدي وتغديت في ذلك اليوم مع البطريق
وكان من عادتي ان انصرف من عنده بعد غدائي الى اخواني المسلمين فنتحدث
ونانس ونقرا القرآن ونجمع الصلوات ونتذاكر الفرائض ويسمع بعضنا
بعضا ما حفظ من العلم وغيره قال فانصرفت ذلك اليوم الى الموضع الذي كنت
اجتمع فيه مع المسلمين فلم ار احدا الا الكفرة فضاق صدري ضيقا تمنيت ان
اكون مع اصحابي وبت بليلة صعبة لم اطبق فيها بين اجفاني فاصبحت
اكسف خلق الله جل وعز بالا واسواهم حالا وصار الي رسول البطريق
في وقت الغداء فصرت اليه فتبين لي الغم في اسرة وجهي ومددت يدي الى
الطعام فراى مد يدي اليه خلاف عادتي الذي كان فضحك ثم قال احسبك
اغتممت لفراق اصحابك فاعلمته انه قد صدق وسالته هل عنده حيلة
في ردهم الى يده فقال ان الملك لم يرد تنقل اصحابك من يدي الى يد غيري
الا ليغمهم بما يفعل ومن المحال ان يدع تدبيرهم في الاضرار بهم لميلي اليك
ومحبتي لك وما عندي في هذا الباب حيلة فسالته ان يسال الملك اخراجي
عن يده وضمي الى اصحابي لاكون معهم حيث كانوا فقال ولا في هذا ايضا حيلة
لاني لا استجيز ان انقلك من سعة الى ضيق ومن كرامة الى هوان ومن نعمة
الى شقاء قال فلما قال لي ذلك تبين في الانكسار وغلبة الغم فقال لي لما بلغ
بك من الغم فاعلمته انه بلغ بي ما بغض الي الحياة وحبب الي الموت لعلي ان
لا ارى احدا لي بفرح فقال ان كنت صادقا فقد دنى فرجك فسالته عما دله على قوله
فاعلمني ان بطرقة ذلك لم تزل منذ سنين يتوارثونها وان عددهم
كان كثيرا فتفانوا فلم يبق منهم غير ابيه وعمه وكانت البطرقة الى عمه دون ابيه
فانبطا على ابيه وعمه جميعا الولد فبذلا للمتطببين الكثير من الاموال لعلاجهما

خبر البطريق

بما يعالج

بما يعالج به المتطببون الرجال والنساء الى ان بطل العمر ويئس من الانتشار ۵
فصرف عنايته الى معالجة ابي البطريق فعلقت امه به فلما علم العم انها قد
علقت به وجه فجمع عدة من الحبالى من السنة مختلفة فيها اللسان
العربي والرومي والفرنجي والكردي والصقلبي والخزري فوضعن
في داره فلما ولدت البطريق امه امر بتصيير اولئك النساء كلهن
معه يرضعنه ثم امر في تصيير ملاعبته ومؤدبته من اجناس النساء
اللواتي ربينه فكانوا يعلمونه الكتابة وقراءة كتب دينهم فلم ينقض
عليه تسع سنين حتى علم امر دينهم وقرا كتبهم واجابهم عنها ثم
امر عمه بان يضم اليه جماعة من الفرسان يعلمونه الثقافة ۵
والمساواة وجميع ما تعلمه الفرسان ومنعه من سكنى المنازل
وامره ان ينزل في المضارب وان يمنع من اكل اللحم الا ما نال له
بصيد طائر يحمله على يده او صيد كلب يسعى بين يديه او صيد
بسهمه فكانت تلك حاله حتى استوفى عشر سنين ثم رمى الله
عز وجل في عصب عمه فمات وولي البطرقة بعد عمه ابوه فامره
بالقدوم عليه فقدم وراى شمائله وفهم ادبه فاشتد عجبه
به فتسمع له بما لم تكن ملوك الروم تتسمح به لولاة عهودها
واعتد له مضارب وفساطيط الديباج وضم اليه من الفرسان
جماعة كثيفة ووسع على الجميع في كل ما تحتاج اليه ورده الى
سكنى المضارب وامره بالاستبعاد من منازل ابيه قال البطريق
فلما استتمت لي خمس عشرة سنة ركبت يوما لارتياد مكان اكون
فيه فبصرت بغدير من ماء طوله الف ذراع وعرضهما بين ثلثما ئة
ذراع فامرت بضرب مضاربي على ذلك الغدير وتوجهت لطلب
الصيد فرزقت في ذلك اليوم منه ما لم اطمع في مثله كثرة ثم نزلت
وقد ضربت المضارب فامرت الطباخين فطبخوا لي ما اشتهيت من
الطعام ثم نصبت المائدة بين يدي فاني لانتظر الطبيخ يغرف لي اذ ۵
سمعت ضجة ما فهمت خبرها حتى رايت رؤس اصحابي تساقط عن
ابدانهم فتنحيت عن مكاني وخلعت ثيابي ولبست ثياب بعض عبيدي

ثم نظرت يمنة وشمالا فلم ار حولي الا مقتولا وارى فاعل ذلك كله باصحابي
منسر من مناسر الرخان ثم اسرت كما يوسر العبيد واحتملوا الكما كان
معنا من مضرب وغيره وصاروا بي الى ملك الرخان فلما رآني ولم يكن
له ولد ذكر امر بالتوسعة علي وان اكون واقفا على راسه وسماني
ابنه قال وكانت لملك الرخان ابنة كان بها مغرما وكان قد علمها
الفروسية ومساواة الاقران ومقاتلتهم ومراكضتهم قال فقال
لجماعة من بطارقته ومن منكم يتوجه الى ملك الروم فيجيبني
بكاتب من بلده ليعلم ابنتي الكتابة فاعلمته ان رسوله لا ياتيه
بكاتب مني فامرني ان اكتب بين يديه فكتبت فاستحسن خطي
وقرنه بكتب كاتب يرد عليه من والدي فرأى خطي اجود من
تلك الخطوط فدفع ابنته الي وامرني ان اعلمها الكتابة فهويتها
وهويتني فكثت معي حتى استوفت ثلاث عشر سنة ثم عادت الي
يوما وهي باكية فقلت لها وما يبكيك يا سيدتي فقالت اني كنت
جالسة بين يدي ابي وامي في هذه الليلة فغلبتني عيناي فنمت
فسمعت ابي يقول لامي ارى ثدي ابنتك قد تقلل وارى خلق هذا
الرومي قد غلظ وليس ينبغي ان يجتمعا بعد هذا الوقت فاذا جلست
غدا معه فابعثي اليها من يفرق بينها وبينه حتى لا يراها ولا تراه
قال البطريق ومن سنة الرخان ان يكون الرجل يخطب لابنته زوجا
حتى يزوجها ولا يخطب الرجل ايضا لابنته زوجا دون ان تختاره
البنت قال البطريق فقلت لابنة الملك اذا سالك ابوك عمن تحبين ان
يخطب لك من الرجال فقولي لست اريد الا هذا الرومي فغضبت
وقالت كيف يجوز لي ان اسال ان تخطب لي وانت عبد قال فقلت لها
ما جعلني الله جل وعز عبدا واني ابن الملوك وابي ملك الروم قال
البطريق واهل الرخان يسمون البطريق الرومي الذي يتولى جند رخان
ملك الروم فسالتني هل ما اعلمتها حق فقلت لها انه حق فامض الكلام حينا
حتى جاء رسول الملك ففرق بيني وبينها ولم يمض لي بعد ذلك الا ثلاثة
ايام حتى دعاني الملك فدخلت عليه فرايت امارات البشر مستحكمة في

وجهه ثم قال لي يا شقي ما حملك على الكذب في نسبك فانا احكم على من انتسب
الى غير ابيه بالقتل فقلت ما انتسبت الى غير ابي فقال لي بنتي تقول انك
ابن ملك الروم فاعلمته اني اقول ذلك وادعوته ليكشف الامر وينظر
فيه فقال اني لست احتاج الى ان اكشف امرك برسول ارسله ليعرف
خبرك ولي اشياء امتحنك بها فاعرف صدقك من كذبك فدعوت الى
كشفها باشياء فدعى بدابة ولبد وسرج ولجام وامرني بتناول الدابة
فاخذتها من يد السائس ثم امرني باخذ اللبد فاخذته وامرني
بالقائه على الدابة ففعلت ثم امرني بتناول السرج فاخذته ثم
امرني بشد الحزام والثفر واللبب واخذ اللجام والجام الدابة ففعلت
ذلك كله ثم امرني بركوب الدابة فركبته وامرني بالسير فسرت ثم امرني
بالاقبال فاقبلت ثم امرني بالنزول فنزلت فقال عند اخر ذلك كله
اشهدوا انه ابن ملك الروم لانه اخذ الدابة اخذ ملك وعمل سائر
الاشياء مثل ما تعمله الملوك فاشهدوا اني قد زوجته ابنتي فلما
قالوا انا قد شهدنا قال لا تشهدوا قال البطريق فسمعت من قوله
لا تشهدوا اما تخوفت ان ياتي على نفسي ثم قال لي لم انههم عن الشهادة
رغبة عنك ولكن لنا شرط لا يمكن ان نخالفه ولم آمن ان نضطره
فتحملك على شرطنا وهو ما لم نخبرك به ونقفك عليه فنكون قد
ظلمناك او ندع سنة بلدنا فنكون قد فارقنا ملتنا ان سنتنا يا رومي
ان لا نفرق بين الزوجين اذا مات احدهما فان مات الرجل قبل الامراة
تومناه في نعشه وحملناها معه الى بئر لنا هي ماوى موتانا وجعلنا
معهما طعاما وشرابا الثلاثة ايام ثم دليناهما في البئر فاذا صارا الى
قرارها سيبنا الحبال عليهما وكذلك ان ماتت المراة قبل الرجل جعلناها
في سريرها وجعلنا زوجها معها وصيرناهما جميعا في البئر فان رضيت
بهذه السنة فبارك الله لك في زوجتك وان لم ترض بها فليست راضية
بك ولا يستقيم لك ان تتزوجها على خلاف سنتنا فاحوجتني الصبابة بها
الى ان قلت قد رضيت بهذه السنة فامر بتجهيزها وتجهيزي وجمع
ما بيننا فاقمت معها اربعين يوما لا يرى كل واحد منها ومني الا انه قد

فاز بملك الدنيا ثم اعتلت علة كان معها غشية لم نشكك وجميع من راها
انها قد قضت نحبها قال فجهزت بفاخر ثيابها وجهزت بمثل ذلك وحملنا
في نعش واحد وركب الملك واهل مملكته فشيعونا حتى وافوا بنا شفير
البئر ثم شدوا اسافل السرير بالحبال وجعلوا معنا في النعش طعاما
وشرابا لثلاثة ايام ثم دلونا حتى صرنا الى قرار البئر ثم ارخيت علينا الحبال
فسقط حبل منها على وجه الجارية فازال ما اصابها من الغشي فانتبهت فلما
انتبهت رايت ان الدنيا قد جمعت لي واستمرت عيني على الظلمة فرايت في
الموضع الذي انا فيه من الخبز اليابس ما الدهر كثير فاخذت اغتذي
واغذيها في تلك البئر وكنا لا نعدم في يوم من الايام الا الخطا سريرا يدلى
فيه زوجان احدهما حي والاخر ميت فكان النازل اذا نزل ان كان رجلا
حيا توليت قتله لئلا يكون معي ومع امراتي رجل وان كانت امراة تولت
بنت الملك قتلها غيرة علي من ان يكون معي امراة سواها قال فكنا في البئر
وهذه حالنا اكثر من سنة اذ دلي الى البئر دلو فعلمت ان مدلي الدلو غير
رخاني وانه لا يدخل ذلك الموضع غير رخاني الا رومي ووقع لي ان اقدم
الجارية لتتخلص ثم تعرف حالي فيرد الدلو فاخرج قال فحملت ابنة الملك
فجعلتها في الدلو بكسوتها وحليها وجوهرها واجتذب القوم الدلو
فخرجت اليهم الجارية واذا القوم مماليك لابي ولم يتنبهوا على السوال عني
وهابتهم الجارية وقد كانوا راوا ما كان فيه ابي وامي من غلبة الحزن عليهما
بعد فقدي فدبروا المصير بالجارية الى ابوي ان يتخذوا عندهم يدا
ليتخذا الجارية ولدا ايكنان اليها ويتعزيان بها فصاروا بها اليهما فسرا
بها وسكنا اليها واستمرت الفتنة لهما بالجارية فحصلت شر محصل وقد
كان صديق لوالدي له ادب وحكمة وعلم بالتصاوير فصور لهما صورتي في
خشبة وزوقها وجعلها لابوي في بيت وقال لهما متى ما ذكرتما ابنكما
واشتد غمكما فادخلا فانظرا الى هذه الصورة فانكما ستبكيان بكاء
شديدا اكثر ايعقبكما سلوة قال البطريق ولما صارت الجارية الى ابوي
وراتهما يدخلان ذلك البيت ويخرجان وقد بكيا سبقتهما وهما داخلان
فبصرت بالصورة فلما راتها لطمت وجهها ومزقت شعرها وثيابها

فسالاها عن السبب فيما احلت بنفسها فقالت هذه الصورة صورة زوجي
فسالاها عن اسم زوجها واسم ابيه وامه فاسمتهم جميعا فقالا لها واين
زوجك هذا قالت في البئر التي اخرجت منها فركب ابي وامي في اكثر اهل البلد
ومعهم الغلمان الذين اخرجوا الجارية من البئر حتى وافوا البئر فدلوا
الدلو قال البطريق فلما رايت الدلو وكنت قد سللت سيفي الذي انزل
معي من غمده وجعلت ذوابته بين ثديي لاتكي عليه فاخرجه من ظهري
فاستريح من الدنيا لغلبة الغم علي فوثبت وقعدت في الدلو واجتذبني
من كان فوق البئر حتى خرجت منها فوجدت ابي وامي وامراتي على شفير
البئر وقد احضر والي الدواب لا نصرف الى بيت ابي وامي وكان ابي
قد صار ملك تلك البلاد فلما طعمها واعلمتهما ان الاصوب البعثة الى
ابي الجارية وامها حتى يريا ابنتهما مثل ما رآني ابواي ففعلا ذلك
ووجها الى ابي الجارية وهو صاحب الرخان فخرج في اهل مملكته
حتى عاينها واقاما لها عرسا وحدثت مهادنة بين الروم والرخان
جرت فيهما ايمان ان انه لا يغزو واحد منهما صاحبه ثلاثين سنة وصار
القوم الى بلادهم وصرنا الى منازلنا ومات ابي فورثت البطرقة عنه
ورزقت من ابنة الملك الولد وانت يا عربي ان كان الغم قد بلغ
منك ما ذكرت فقد جاءك الفرج قال فما انقضى كلام البطريق حتى دخل
عليه رسول ملك الروم فقال له يقول لك الملك صر الي فخرج اليه
ثم عاد فقال يا عربي قد جاءك الفرج ثم قال لي اني كنت عند الملك
وجرى ذكر العرب فزمتهم البطارقة عن قوس واحد وذكروا انهم
لا عقول لهم ولا ادب فان قهرهم الروم بالغلبة لا بحسن التدبير
فاعلمت الملك ان الامر على خلاف ما ذكروا وان للعرب آدابا واذهانا
فقال لي الملك انت لمحبتك لضيفك العربي مفرط في اعطاء العرب
ما ليس لها فقلت ان رأى الملك ان ياذن لي في احضار العربي ليجمع بينه
وبين هولاء المتكلمين ليتعرف فضيلته فامرني بحمله اليه فقال قبات
فقلت لم بئس ما صنعت بي لاني اخاف ان غلبتني اصحابه ان يستخف بي
وان غلبتهم ان يضطغن علي فقال صفتك هذه صفة العامة والملوك

على خلافها وانا اخبرك ان غلبتهم جللت في عين الملك وكنت عنده مكانا لا تقضي لك فيه حاجة وان غلبوك سرّه غلبة اهل دينه لك فاوجب لك بذلك ذماما وانّ اقل ما ترى ان يقضي لك به حاجة وان غَلَبتَ او غُلِبتَ فاسأله اخراجك عن بلده وردّك الى بلدك فانه سيفعل ذلك قال فجئت فلما دخلت على الملك استدناني وقرّبني واكرمني وقال لي ناظر هؤلاء البطارقة فاعلمته اني لا ارضى لنفسي بمناظرتهم واني لا اناظر الا مع البطريق الاكبر فامر باحضاره فلما دخل سلمت عليه وقلت له مرحبا بهذا الشيخ الكبير القدر ثم قلت له يا شيخ كيف انت فقال في عافية فقلت له فكيف حالك كلها فقال كما تحب فقلت وكيف ابنك قال فتضاحك البطارقة كلهم وقالوا زعم البطريق يعنون الذي هو صديقي انّ هذا اديب وانّ له عقلا وهو لا يعلم بجهله انّ الله جل وعزّ قد صان هذا البطريق ان يكون له ابن فقلت كأنكم ترفعونه عن ان يكون له ابن فقالوا اي والله انّا لنرفعه اذ كان الله عزّ وجل قد رفعه عنه فقلت واعجبا ان يجل عبد من عبيد الله ان يكون له ابن ولا يجلّ الله تعالى ذكره وهو خلق الخلائق كلها عن ان يكون له ابن قال فنخر البطريق نخرة افزعتني ثم قال ايها الملك اخرج هذا الساعة من بلدك لا يفسد عليك اهله فدعا الملك بالفرسان وضمّني اليهم واحضر لي دوابّ البريد وامر بحملي عليها وبيدرقتي وتسليمي الى من يلقانا في ارض الاسلام من المسلمين فسلموني الى من تسلّمني من اهل الثغور ثم ذكر حديثا للعبد الملك مع الرجل لا يتعلق بهذا الباب

الباب السادس عن فارق شدة الى رخاء بعد بشرى منام لم يشب صدق تاويله كذب الاحلام

اخبرني ابو بكر بن محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن ابي عباد الجيشي قال راى المعتضد بالله وهو في حبس ابيه كأنّ شيخا جالسا على دجلة يمدّ يده الى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يردّه من يده فتعود دجلة كما كانت قال فسالت عنه فقيل لي هذا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقمت اليه وسلمت عليه فقال لي يا احمد انّ هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدي وصنهم ولا

توذهم فقلت السمع والطاعة لك يا امير المؤمنين وحدثني ابي رضي الله عنه بهذا الحديث على اتم من هذا قال حدثني ابو محمد عبد الله بن احمد بن حمدون قال قال لي المعتضد بالله وهو خليفة لما قدم ابي وهو عليل العلة التي مات فيها وانا في حبسه ازداد خوفي على نفسي ولم اشك في انّ اسماعيل بن بلبل سيحمله على قتلي او يحتال بحيلة يسفك بها دمي اذا وجد ابي قد ثقل وايس منه فنمت ليلة من تلك الليالي وانا من الخوف على امر عظيم وقد صليت صلاة كثيرة ودعوت الله عزّ وجل فرايت كأني قد خرجت الى شاطئ دجلة فرايت رجلا جالسا على شاطئ دجلة يدخل يده في الماء فيقبض عليه فيقف دجلة ولا يخرج من تحت يده جرعة من الماء حتى يجف تحت ما في يده ويتزايد الماء الى فوق يده ويقف كالطود العظيم ثم يخرج يده من الماء فيجري ففعل ذلك دائما فهالني ما رايت فدنوت منه فسلمت عليه وقلت من انت يا عبد الله الصالح قال انا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قلت يا امير المؤمنين ادع الله جل وعزّ لي قال انّ هذا الامر صائر اليك فاعتضد بالله تعالى واحفظني في ولدي قال فانتبهت وكأني اسمع كلامه لسرعة المنام فوثقت باني اتقلد الخلافة وقويت نفسي وزال خوفي فقلت لغلام لي لم يكن معي في الحبس غيره في غلماني اذا اصبحت فابتع لي فصّا واكتب عليه احمد يعتضد بالله واصنعه خاتما وائتني به ففعل ولبسته وقلت اذا وليت الخلافة جعلت لقبي المعتضد بالله قال ثم اخذت اقطع ضيق صدري في الحبس بتصفح احوال الدنيا واعمال فكري في تدبير عمارة الخراب منها ووجه فتح المنغلق منها وتعيين العمال للنواحي والامراء للبلاد ثم اخذت رقعة وكتبت فيها بدر الحاجب عبيد الله ابن سليمان الوزير فلان امير البلد الفلاني فلان عامل البلد الفلاني الى ان على ما في نفسي من ذلك ثم دفعتها الى الغلام وقلت احتفظ بهذه فانّ دمي ودمك مرتهنان بما فيها فحفظها وما مرّ على هذا الامر الا ايام يسيرة حتى لحقت الموفق غشية لم يشك الغلمان في انه قد مات فجاؤا الي فاخرجوني فصرت الى بيت فيه الموفق فلما رايته علمت انه غير ميت

فجلست عنده واخذت يده اقبلها وارشفها فافاق من غشيته فلما رآني افعل ذلك اظهر التقبل لي واومى الى الغلمان ان احسنتم فيما فعلتم ثم مات الموفق في ليلته تلك ووليت مكانه فابتدات بتدبير الامور على ما كنت قررته في الرقعة ثم وليت الخلافة فامضيت بقايا تلك التدبير كلها قال لي ابي رحمه الله قال ابن حمدون فما عرض المعتضد في ايامه للعلويين ولا آذاهم ولا قتل منهم احدا لهذا المعنى حدثني علي بن هشام ابن عبد الله الكاتب باسناده انّ ابا الحسين بن ميمون الافطس كاتب المتقي في ايام ابيه ووزيره لما استخلف قال كان بيني وبين ايوب بن سليمان بن وهب مودة وكيدة فلما استهلت محنته بعد قتل اينا خ صرت اليه وهو محبوس مقيد الا انه مرفه في الكسوة وكبر الدار والفرش وحسن الخدمة وقد صلحت حاله بالاضافة الى ما كان عليه في اول نكبته من الضرب والتضييق فحدثني انه راى في ليلته تلك في منامه كأنّ قائلا يقول له

اصبر وربّ البيت لا يقتادها ... احد سواك وحظك الموفور

قال فصرت الى اخيه ابي علي الحسن بن وهب فحدثته بذلك فسرّ به وكان كالمستتر الممتنع من ملاقاة السلطان فعمل شعرا اضمنه الى البيت وسالني ايصاله الى ابي ايوب فاخذته وادخلته اليه وهو

شعرا

الدمع من عيني اخيك غزير ... في ليله ونهاره محدور
بابي وامّي حظوك المقصور ... امقيدٌ ومصفدٌ واسير

وزاد فيه غيري على هذه الرواية

فكر يجول بها الضمير كانّما ... يذكو بها دون الشغاف سعير
وجوًى دخيل ليس يعلم كنهه ... مما يلاحظه اخ وعشير
فيظنه حذاقه متسليا ... والبث في احشائه مستور

رجع الى الرواية الاولى

ما كنت احسبني اعيش ومهجتي ... تحت الخطوب تدور حيث تدور
فلهًا فانك بالعزاء جدير ... وعلى النوائب مذ كنت صبور
عثرات مثلك في الزمان كثيرة ... ولهن بعد مثابة وحبور

ان يمش في حلق الحديد فحشوها ... منك السماحة والندا والخير
والفضل للشبهات رايك ثاقب ... فيها يضيء سداده ويحير

وزاد في غيري ايضا

ويحمل العبء الثقيل بقلة ... منك المجرب حزمه المحبور

رجع الى الرواية الاولى

فاصبر وربّ البيت لا يقتادها ... احد سواك وحظك الموفور
ماذا بقلب اخيك مذ فارقته ... ليكاد من شوق اليك يطير
فكانّما هو قرحة موقونة ... منها البلابل والهموم تثور
والله مرجوّ لكربتنا معا ... وعلى الذي نرجوه منك قدير

قال فما مضت الا ايام يسيرة حتى اطلق سليمان بن وهب ثم انتهى بعد سنين الى الوزارة وذكر هذا الخبر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء على قريب من هذا الا انه اتى من الشعر ببيتين فقط حدثني علي بن هشام قال حدثني ابو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال حدثني ابو القاسم عبيد الله بن سليمان قال كان ابو محمد الحسن ابن مخلد اول من رفعني واستخلفني على ديوان الضياع وكنت عليه الى ان ولي شجاع بن القاسم الوزارة مع كتابة كتابة او تامش في ايام المستعين فاشتد جزع ابي محمد منه فسالته عن سبب ذلك فقال هذا رجل جاهل لا يغار على صناعته وهو مع هذا من اشد الناس حيلة وشرا وهو يعرف كبر نفسي وصغر نفسه وقد بدا بابي جعفر احمد بن اسرائيل فصرفه عن ديوان الخراج ونكبه ونفاه الى انطاكية ولست آمن ان يجعلني على اثره قال فما مضى الا اسبوع حتى ظهر ان ابا موسى عيسى ابن فرخانشاه النصراني الكاتب وكان من صنايع الحسن وقد اسلم اذ ذاك قد سعى مع شجاع في تقلده ديوان الضياع ثم تقلد صارفا للحسن ابن مخلد وخلع عليه فازداد جزع الحسن واغلق بابه وقطع الركوب فانا عنده في بعض العشيات اذ اتت رقعة شجاع يستدعيه ويؤكد عليه في البدار فارتاع ونهض وتعلق قلبي فانتظرته الى ان عاد وهو مهموم مكروب فقلت ما خبرك قال قد فرغ شجاع من التدبير علي

وذلك انّه قد صحّ عندي بُعيد افتراقنا انّ اوتامش قال البارحة لبعض
خواصّه قد ثقّلنا على شجاع وحملناه ما لا يطيق من كتبتي والوزارة
وتركنا هذا الشيخ الحسن بن مخلد متعطّلاً لا بُدّ من ان يفرّج له شجاع
امّا عن كتبتي او الوزارة لأُقلّده احداهما فلما بلغ ذلك شجاعا ﻫ
انفذ اليّ في الوقت فلما لقيته الساعة قال يا ابا محمّد انت شيخي ورئيسي
وانت اصطنعتني فانا معترف لك بالحقّ وآخر ما لك من الانعام ﻫ
انك قلّدتني عمالة همدان فانتقلت منها الى هذه المرتبة والامير
يحذرك الحذر كلّه وقد اقام على انّه لا بُدّ من نكبتك وافقارك
فالحال بيننا ما اقمت على الامتناع عليه من هذا وسالته في امرك
وجرت خطوبٌ تقرّرت على ان لا يجاوره وتخص الى بغداد ﻫ
ورضيته بذلك وصرفت النكبة عنك وقد امرني باخراجك من
ساعتك فما زلت حتّى استنظرته ثلاثة ايام اقّلها يومنا هذا
فاعمل على هذا فانك تمضي الى بلد الآمرُ فيه والناهي ابو العبّاس محمّد
ابن عبد الله بن طاهر وهو صديقك وتخدمك الناس كلهم ولا تخدم
احدًا او تقربُ من ضيعتك فاظهرتُ له الشكر وضمنت له الخروج
وانا خائف منه ان يدعني حتى اخرج آلتي وحرمي وتجمّلي ثم يقبض
على ذلك كلّه وانتكبني فقلت الوجه ان تفرق جميع ما لك من الخدم
والامتعة والدّواب وتودّعه ثقاتك واخوانك من وجوه قوّادك
الاتراك وكنا بهم نطرح الثقلى الذي لا قيمة له من خيش وستائر
واسرّة والة مطبخ في الزواريق وتجلس في الحرافة العجائز اللواتي
لا تفتكر فيهنّ لتظنّ انّهنّ الحرم وتخرجهنّ وتجتهد ان يكون خروجك
خروجًا ظاهرًا ولا تكاشف بالاستتار بل على سبيل توقّ ومراوغة
فاذا حصلت ببغداد واستترت وامنت فقال هذا رايٌ صحيح واخذ
يصلح امره على هذا فلما كان في ليلة اليوم الثالث لم انم اكثر الليل
فكرًا فيه ثم نمت لما غلبتني عيني فرايت في السحر كانّ قائلاً يقول لي
لا تغتمّ فقد ركب الاتراك من اصحاب بُغا ووصيف الى اوتامش فكاتبه
شجاع وقد هجموا عليهما وقتلوهما واسترحتم قال فانتبهت مترقّعًا

ووجدتُ الوقت قد حان انفجار الصبح فصلّيتُ وركبتُ الى الحسن بن
مخلد فدخلت عليه من باب له غامض لانّه قد كان اغلق ابوابه المعروفة
به فسالته عن خبره فقال لي هذا آخر الاجل وقد خفت ان يعاجلني
شجاع بالقبض فقد اغلقت ابوابي واستظهرتُ بغلمان يرعون رسله
فان جاؤا او راوا امارة الشرّ فيهم انذروني فخرجتُ من هذا الباب
الغامض وان يسالوا عن خبر شجاع فان كان في داره قالوا لمن يجيء
ويطلبني من جهته انّي في دار اوتامش وان كان في دار اوتامش
قالوا للرسل انّي في دار شجاع مدافعة عنّي الى ان اهرب قال فقصصت
عليه الرؤيا فتضاحك وقال ما ظننتك بهذه الغفلة نحن في
اليقظة على ما ترى كيف يصحّ لنا لخبرك في منامك هذا اغا نمت وانت
متمنّ لخلاصي فرايت ذلك في منامك قال فخرجتُ من عنده اريد داري
فلقيني في الطريق جماعة كثيرة فعرّفوني انّ الاتراك قد ركبوا ﻫ
بالسلاح فعدت الى منزلي واغلقتُ بابي ووصّيتُ عيالي بحفظ
الدار وعدتُ فدخلتُ الى الحسن فاخبرته فامر بمراعاة الامر
وما زلنا نتعرّف الاخبار ساعة فساعة الى ان جاء الناس فعرّفونا
قتل الاتراك لشجاع ثم دخل رجل فقال انا رايتُ الساعة راس اوتامش
قال وصحّ الخبر بقتلهما ونهبت سُرّ من رآى كلها فما افلت احد من النهب
احسن من افلات الحسن لانّه كان قد حصل عند القوّاد وكتابهم فلم
يضع منه شيء وكان متعطّلاً فلم تقصد النهابة داره وما امسينا الا
على سرور بالفرج الذي لم يكن لنا في حساب حدّثني ابو الفرج ﻫ
المخزومي المعروف بالغبغاء الشاعر الكاتب قال كان بحلب رجل
بزّاز يعرف بابي العبّاس بن الموصول فاعتقله سيف الدولة بخراج
كان عليه مدّة وكان الرجل حاذقًا في تفسير الرؤيا فلما كان في
بعض الايام كنت بحضرة سيف الدولة وقد اوصلت له رقعة اليه
يساله فيها حضور مجلسه فامر باحضاره وقال له لايّ شيء سالت
الحضور فقال لعلمي انّه لا بُدّ من ان يطلقني الامير سيف الدولة من
الاعتقال في هذا اليوم فقال له ومن اين لك ذلك قال لانّي رايتُ البارحة

في آخر الليل رجلاً قد سلّم اليّ مشطًا وقال لي سرّح لحيتك ففعلت فتاوّلتُ
التسريح سراحًا من شدّة واعتقال ولكون المنام في آخر الليل انّ تاويله يصحّ
سريعًا وثقت بذلك فجعلت الطريق الى الامير مسالته الحضور لاستعطفه
فقال له لقد احسنت التاوّل والامر على ما ذكرت وقد اطلقتك وسوّغتك
خراجك في السنة فخرج الرجل يدعو له ويشكره اخبرني القاضي ابو طالب
محمّد بن احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي فيما اجاز لي روايته عنه بعد
ما سمعته منه باسناده عن ابي حسّان الزيادي القاضي قال جاءني رجل من
اهل خراسان فاودعني بدرة دراهم فاخذتها مضمونة واسرعت فيها وكان
قد عزم على الخروج الى مكة ثم بدا له فعاد فطلبها فاغتممت وقلت له تعود
غدًا ثم فزعتُ الى الله عزّ وجل ودعوته ثم ركبت بغلتي في الغلس وانا
لا ادري اين اتوجّه وعبرت الجسر واخذت نحو المخرّم وما في نفسي احد ﻫ
اقصده فاستقبلني رجل راكبٌ فقال اليك بعثت فقلت ومن بعثك فقال
دينار بن عبد الله فاتيته وهو جالس فقال ما حالك فقلت وما ذاك فقال
لمّا نمت الليلة فاتاني آت في منامي فقال لي ابو حسّان فحدّثته بحديثي فدعا
بعشرين الف درهم فدفعها اليّ فرجعتُ فصلّيتُ في مسجدي الغداة وجاء ﻫ
الرجل فقضيته وانفقتُ الباقي ووقع اليّ هذا الخبر من طريق آخر بالاسناد
عن ابي حسّان الزيادي قال اضقت اضاقة بلغتُ منها الغاية حتّى الحّ عليّ
القصّاب والبقّال والخبّاز وسائر المعاملين ولم يبق لي حيلة واني ليوم
من تلك الايام على تلك الحال وانا متفكّر فيما احتال وكيف اعمل اذ دخل عليّ
غلامٌ فقال حاجّي بالباب يستاذن فقلت ائذن له فدخل الخراساني فسلّم
وقال الست ابا حسّان قلت نعم فما حاجتك قال انا رجل غريب واريد
الحجّ ومعي جملة مالي وهو عشرة آلاف درهم وقد احضرته في بدرة معي وانا محتاج
ان تكون قبلك الى ان اقضي حجّي وارجع فآخذه اذ كنت غريبًا في هذا البلد
لا اعرف به احدًا فقلتُ هات البدرة فاحضرها وخرج بعد ان وزن ما فيها
وختمها فلما خرج فككتُ خاتمها على المكان ثم احضرت المعاملين فقضيت كل
من كان له عليّ دين واتّسعتُ وانفقتُ وقلتُ اضمنُ هذا المال للخراساني فالى
ان يجيء قد اتى الله تعالى بالفرج من عنده فكنت يومي ذلك في سعةٍ ولستُ اشكّ

في خروج الخراساني فلما اصبحتُ من غد ذلك اليوم دخل اليّ الغلام فقال
الخراساني الذي كان عندك امس بالباب يستاذن فقلت ائذن له فدخل
فقال اني كنت عازمًا على ما اعلمتك ثم ورد عليّ الخبر بوفاة والدي وقد ﻫ
عزمتُ على الخروج الى بلدي فتامر لي بالمال الذي اعطيتك امس فورد عليّ
امر لم يرد عليّ قط مثله وتحيّرت فلم ادر بما اجيبه وفكّرتُ ماذا اقول للرجل
ان جحدته قدّمني واستحلفني وكانت الفضيحة في الدنيا والآخرة والهتكة
وان دافعته صاح وهتكني فقلتُ له نعم عافاك الله هذا منزلي ليس
بالحريز ولمّا اخذت مالك وجّهتُ به الى من هو قبله فتعود في غدٍ فتاخذه
فانصرف وبقيت متحيّرًا لا ادري ما اعمل وغلظ عليّ الامر جدًّا وادركني
الليل ففكرت في الخراساني وبكوره اليّ فلم ياخذني النوم ولا قدرت على الغمض
فقمتُ الى الغلام فقلت اسرج البغلة فقال يا مولاي هذه العتمة بعدُ وما ﻫ
مضى من الليل شيءٌ فالى اين تمضي فرجعت الى فراشي فاذا النوم ممتنعٌ فلم ازل
اقوم الى الغلام وهو يردّني حتى فعلتُ ذلك ثلاث مرّات وليس ياخذني القرار
فطلع الفجر واسرج الغلام البغلة فركبتُ وانا لا ادري الى اين اتوجّه وطرحتُ
عنان البغلة واقبلتُ افكر وهي تسيرُ الى ان بلغت الجسر فعدلتُ اليه وتركتها
فعبرتُ ثم قلت الى اين اعبرُ الى اين امضي ولكني ان رجعت وجدت الخراساني
على بابي فاتركها تمضي حيث شاءت ومضت البغلة فلما عبرت الجسر اخذتْ يمنة
ناحية دار المامون والدنيا بعدُ مظلمة فاذا فارس قد تلقاني فنظر في وجهي
ثم سار وتركني ثم رجع اليّ فقال الست ابا حسّان الزيادي قلتُ بلى قال
بعثتُ اليك قلت وما تريد رحمك الله ومن بعث بك فقال الامير الحسن بن سهل
فقلت في نفسي وما يريد مني ثم قلت فها انا ذا امضِ بنا اليه فمضى حتّى استاذن
لي عليه فدخلتُ عليه فقال ابا حسّان ما خبرك وكيف حالك لِمَ انقطعت عنّا
فقلت لأسباب وذهبتُ لاعتذر من التخلّف فقال لي دع هذا عنك انت في لوثة
او في امرٍ ما هو فانّي رايتك البارحة في النوم في تخليط كثير فابتدأت فشرحت له
قصّتي من اوّلها الى ان لقيني صاحبه ودخلت عليه فقال لا اغمّك الله يا ابا
حسّان قد فرّج الله عنك هذه بدرة الخراساني وبدرة اخرى لك تتّسع بها
فاذا نفدتا اعلمنا فرجعتُ من ساعتي فقضيتُ الخراساني واتّسعتُ وفرّج الله عنّي

فلله الحمد ۞ وحدثنا بهذا الحديث ايضا ابو الفرج محمد بن جعفر من ولد
صالح صاحب المصلى قال حدثنا ابو القاسم علي بن محمد بن ابي حسان الزيادي
وكان محدثا ببغداد مشهورا ثقة قال حدثني ابي عن ابيه قال كنت قد وليت
القضا من قبل ابي يوسف القاضي رحمه الله ثم صرفني فتعطلت سنين فاضقت
اضاقة شديدة وركبني دين فادح لخباز وقصاب وبقال وعطار ۞
وبزاز وغيرهم حتى قطعوا معاملتي لكثرة ما لهم علي وثابتهم من ان اقضيهم
فتضاعفت اضاقتي واشتدت حيرتي فاني يوما في مسجدي قد صليت
باهله الغداة ثم اقبلت ادرس اصحابي الفقه اذ جاء رجل خراساني وذكر
الحديث على ما ذكر طلحة الا انه قال فلما بلغ بي حماري الى مربعة الحربي استقبلني
موكب فيه الشموع والنفاطات ما قد اضاء منه الطريق فصار كالنهار فطلبت
زقاقا استخفي فيه حتى يجوز الموكب فلم اجد واذا رجل من الموكب يقول ابو ۞
حسان والله فتاملته فاذا هو دينار بن عبد الله فسلمت عليه فقال
اليك جئت ارسل الي امير المؤمنين الساعة وامرني ان اركب اليك بنفسي واحضر
بك اليه قال فادخلني على المامون فقال لي المامون قصتك فاني رايتك
في منامي البارحة وامرني النبي صلى الله عليه وسلم باعانتك فحدثته بحديثي
فقال المامون اعطوا ابا حسان ثلاث بدر وولاني الري وامرني بالخروج
اليها فعدت الى بيتي وما طلع الفجر فلما كان وقت صلاتي في مسجدي خرجت
فاذا الخراساني فلما قضيت الصلاة حملته الى البيت فاخرجت البدرة فلما
راها قال ما هذا فقصصت عليه الخبر واعطيته بدرة فاخذها وانصرف
وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء في اخبار دينار بن عبد الله
ان رسوله لقي ابا حسان في الطريق فقال له قمت شيئا على عيالنا وذكرت
عيالك فانفذت اليك عشرين الف درهم فاخذها ورجع من الطريق وباكر
الخراساني فاعطاه اياها كلها لانه كان قد انفق جميع مال الخراساني ثم عاد
الى دينار بن عبد الله من غد فشكره وعرفه الحديث فقال كانا انا
قضينا حق الخراساني ما لك ثم امر له بعشرين الف درهم اخرى ولم يذكر ابن
عبدوس خبر المنام ولا المامون وحدثني بهذا الحديث في المذاكرة
قال حدثني شيخ قد ذكره ابي رحمه الله وقد انسيته انا عن ابي حسان الزيادي

بنحو ما ذكره محمد بن جعفر في حديثه الا انه قال فيه ان الخراساني قال
لابي حسان ان رجع الحاج ولم ترني قد رجعت فاعلم اني قد هلكت والبدرة
هبة مني لك وان رجعت فهي لي ثم يتقارب لفظ الحديثين ان لقيه في
الجانب الشرقي قوم فلما راهم تنحى عن طريقهم فلما راوه بطيلسان بادروا
اليه وقالوا اتعرف منزل رجل يقال له ابو حسان الزيادي فقال انا هو
فقالوا اجب امير المؤمنين محمد فلما دخل على المامون قال له من انت قال
رجل من اصحاب ابي يوسف القاضي رحمه الله من الفقهاء واصحاب الحديث
فقال باي شيء تكنى قال بابي حسان قال بمن تعرف قلت بالزيادي ولست
منهم انما سكنت بينهم فنسبت اليهم قال قصتك فشرحت له خبري قال فبكى
بكاء شديدا او قال ويحك ما تركني رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة
انام بسببك اتاني في اول الليل فقال اغث ابا حسان الزيادي فانتبهت
ولم اعرفك فاعتقد السؤال عنك فاثبت اسمك ونسبك ثم نمت فاتاني فقال
كما له فانتبهت منزعجا فاتاني وقال ويحك اغث ابا حسان فما جاسرت
على النوم فانا ساهر منذ ذلك وقد بثثت الناس في طلبك ثم اعطاني عشرة
الاف درهم وقال هذه للخراساني واعطاني عشرة الاف درهم اخرى وقال
اتسع بهذه واصلح امرك واعمر دارك واشتر مركبا سريا وثيابا حسنة
وعبدا المشي بين يدي دابتك ثم اعطاني ثلاثين الف درهم وقال جهز بهذه
بناتك وزوجهن فاذا كان يوم الموكب فصر الي اقلدك عملا واحسن اليك
قال فخرجت والمال محمول معي فصرت الى مسجدي وصليت الغداة فالتفت
فاذا الخراساني فادخلته البيت واخرجت بدرة وقلت خذ هذه فلما ۞
راها قال ليس هي عين مالي قلت نعم قال فما سبب هذا الامر فقصصت عليه
القصة فبكى وقال والله لو صدقتني في اول الامر عن خبرك ما طالبتك ۞
بها والان فوالله لا دخلها لي شيء من مال هؤلاء وانت في حل وقام
وانصرف فاصلحت امري وبكرت يوم الموكب الى باب المامون فادخلت عليه
وهو جالس جلوسا عاما فلما مثلت بين يديه استدناني ثم اخرج عهدا من
تحت مصلاه وقال هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربي
من مدينة السلام وقد اجريت عليك كذا وكذا في كل شهر فاتق الله عز وجل

تدم لك عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعجب الناس من كلامه وسالوني
عن معناه فاخبرتهم الخبر وانتشر فما زال ابو حسان قاضي الشرقية الى ان مات
في اخر ايام المامون اخبرني محمد بن الحسن بن المظفر عن بعض الهاشميين
قال حبس المهدي يعقوب بن داود وزيره فطال حبسه قال فاتاني ات
في منامي فقال قل يا رفيق يا شفيق يا سيد بالتحقيق ادفع عني المضيق
انك على كل شيء قدير قال فما شعرت الا بالابواب تفتح قال فدخل على الرشيد
وقال قد اتانا الذي اتاك فاحمد الله عز وجل وخلى سبيلي وقد روي
هذا الخبر على خلاف هذا بالاسناد عن عبد الله بن يعقوب بن داود
قال قال لي ابي حبسني المهدي في بئر وبنيت عليها قبة مكثت فيها خمس
عشرة سنة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد وكان يدلى لي في كل يوم
رغيف وكوز ماء واوذن باوقات الصلاة فلما كان راس ثلاث عشرة حجة
اتاني ات في منامي فقال
حنا على يوسف رب فاخرجه ۞ من قعر جب وبيت حوله غمم
قال فحمدت الله عز وجل وقلت اتى الفرج
قال فمكثت حولا لا ارى شيئا فلما كان في راس الحول الثاني اتاني ذلك الاتي فقال
عسى فرج ياتي به الله انه ۞ له كل يوم في خليقته امر
ثم اقمت حولا لا ارى شيئا ثم اتى الاتي بعد الحول فقال
عسى الكرب الذي امسيت فيه ۞ يكون وراءه فرج قريب
فيامن خائف ويفك عان ۞ وياتي اهله النائي الغريب
فلما اصبحت نوديت فظننت اني اوذن بالصلاة فدلي الي حبل وقيل لي
شد به وسطك فاخرجوني فلما تاملت الضوء غشي بصري فانطلقوا بي ۞
فدخلت على الرشيد فقيل لي سلم على امير المؤمنين فقلت السلام عليك يا امير
المؤمنين المهدي وبركاته قال لست به فقلت السلام عليك يا امير المؤمنين
الهادي ورحمة الله وبركاته قال لست به قلت السلام عليك يا امير المؤمنين
الرشيد ورحمة الله وبركاته فقال الرشيد يا يعقوب بن داود والله
ما شفع فيك الي احد غير اني حملت الليلة صبية الى عنقي فذكرت حملك اياي
على عنقك ورثيت لك من المحل الذي كنت فيه فاخرجتك قال واكرمني وقرب
مجلسي ثم ان يحيى بن خالد مكر لي كانه خاف ان اغلب على امير المؤمنين دونه

فخفته فاستاذنت في الحج فاذن لي فلم يزل مقيما بمكة حتى مات بها ۞
اخبرني ابو بكر محمد بن يحيى الصولي قال حدثني احمد بن يوسف المهلبي
قال كنا ليلة بين يدي المعتمد على الله فحمل عليه النبيذ فجعل يخفق نعاسا
وقال لا يبرحن احد ثم نام مقدار نصف ساعة وانتبه وكانه ما شرب
شيئا وقال احضروني من الحبس رجلا يعرف بمنصور الجمال فاحضر
فقال له منذ كم انت محبوس فقال منذ ثلاث سنين قال فاصدقني
عن خبرك قال انا رجل من اهل الموصل كان لي جمل اعمل عليه واعود
بكراه على عيلتي فضاق الكسب علي بالموصل فقلت اخرج الى سر من راى
فان العمل ثم اكثر فخرجت فلما قربت منها اذا جماعة من الجند قد ۞
ظفروا بقوم يقطعون الطريق وكتب صاحب البريد بعددهم وكانوا
عشرة فاعطاهم واحد من العشرة مالا على ان يطلقوه فاطلقوه
واخذوني مكانه واخذوا جملي فسالتهم بالله عز وجل وعرفتهم
خبري فابوا ثم حبسوني فمات بعض القوم واطلق بعضهم وبقيت
وحدي فقال المعتمد احضروني خمسمائة دينار فجاؤوا بها فقال ادفعوها
واجرى عليه ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوا امر جمالنا
الينا ثم اقبل علينا فقال رايت الساعة النبي صلى الله عليه وسلم في
النوم فقال يا احمد وجه الساعة الى الحبس واخرج منصورا الجمال
فانه مظلوم واحسن اليه ففعلت ما رايتم قال ثم نام من وقته فانصرفنا
حدثني ابو الحسن احمد بن يوسف انه خرج يقصد اخاه ابا ۞
يعقوب اسحاق بن يوسف وهو حينئذ بمصر ومعه زوجة كانت
لابي يعقوب ببغداد وصبية منها فلما عاد حدثني انه سلك في
قافلة كثيرة من هيت على طريق السماوة يريد دمشق قال فلما حصلت
في اعماق السماوة احتفرتنا خفراؤنا وجاء قوم من الاعراب فطابقوهم
علينا واظهروا انهم من غيرهم وقطعوا علينا واستاقوا ركابنا فبقيت
انا والناس مطرحين على الماء الذي كنا نزلنا عليه بلا جمل ولا دليل
ولا زاد فايسنا من الحياة فقلت للناس ان الموت لابد منه على كل حال
اقمنا في اماكننا او سرنا فلان نسير في طلب الخلاص فلعل الله يرحمنا

وتخلصنا أولى من أن نموت ههنا فان متنا في سيرنا كان أعذر فساعدوني
وسرنا يومنا وليلتنا وأنا احمل الصبية بنت اخي لان امها عجزت
عن حملها فلما طال الطريق ولا نرى محجة ولا انسانا احسسنا بالهلاك
ومات منا قوم قال وانا في خلال هذا قد بدات بختمة وانا متشاغل
بها وبالدعاء الى ان وقعنا في اليوم الثاني في حلة اعراب فانكرونا
ولم احمل انا عملا حتى ولجت بيت امراة منهم فامسكت ذيلها وكنت قد
سمعت ان هذا اذا عمله انسان فهو آمن شرهم وقد وجب حقه عليهم
فتفرقنا في البيوت واختلفت احوال الناس فاما انا فان صاحب
البيت الذي نزلت عليه لما راى هيأتي ودرسي القرآن ولم ازل
احادثه وارفق به قال ما تشاء قلت تركبني هذه المراة وهذه الطفلة
داخلة لك وتسير معي الى دمشق حتى اعطيك ثمن راحلتك واهبها لك
ولاقضي حقك بعد هذا قال فتذمم واستحيى وقدرت اني اذا دخلت
دمشق وجدت بها من اصدقاء اخي من آخذ منه كلما اريده قال فكساني
الاعرابي وكسا المراة والصبية ووطا الي راحلة وحمل معنا من الزاد
والماء كفايتنا وركب معنا راحلة وكان اكثر من وصل معنا الى ذلك
الموضع قد تاتى له مثل ما تاتى لي قال فسرنا ونحن رفقة صالحة العدد
فلما كان بعد ايام شارفنا دمشق مع طلوع الفجر فاذا باهلها قد خرجوا
يستقبلون الناس وكل من له صديق او معرفة يسال عنه وقد
بلغهم خبر القطع فما شعرت الا بانسان يسال عني وكنيتي ونسبي
فقلت ها انا ذا فقال انت ابو محمد الازرق الانباري فقلت نعم فقال
الي واخذ بخطام راحلتي ومعي الاعرابي برواحله حتى دخلنا مع
الرجل دمشق فجاء بنا الى دار حسنة فانزلنا فلم اشكك في انه صديق
لاخي فنزلت وانزلت الاعرابي معي واخذت جماله وادخلنا الحمام
والبست خلعة حسنة وفعل بالمراة والصبية مثل ذلك واقمت
يومي وغده عنده في خفض عيش لا اساله عن شيء ولا يسألني فلما كان
في اليوم الثالث قال لي ما صورة هذا الاعرابي فاخبرته بما اخذنا منه
فقال خذ ما تريد من الدنانير فقلت كذا وكذا دينارا فاعطانيها ودفعتها

الى الاعرابي وسلمت اليه جماله وسالته ان يزوده زادا لا يكون في البادية
فاصلح لي شيئا كثيرا وخرج الاعرابي شاكرا فقال لي الرجل اين تريد
الآن من البلاد وكم يكفيك من النفقة فلما قال لي هذا ارتبت به
وقلت لو كان هذا من اصدقاء اخي الذين كاتبهم بنفقتي لكان قد
علم مقصدي فقلت له بكم كاتبك اخي ان تعطيني فقال ومن
اخوك قلت ابو يعقوب بن الازرق الانباري الكاتب المقيم بمصر قال
والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا اعرفه فورد علي اعجب
مورد فقلت له يا هذا اني ظننتك صديقا له وان ما عاملتني به
من الجميل من اجله فانبسطت اليك بالطلب ولو لم اعتقد هذا
لا انقبضت فما السبب فيما عاملتني به قال امر هو اوكد من احنك
يجب ان يكون انبساطك اتم فقلت ما هو قال ان خبر الوقعة بالقافلة
التي كنت فيها بلغنا يوم كذا وكذا فما بقي بدمشق احد الا ورد
عليه مصيبة عظيمة اما بذهاب مال او هم على صديق غيري فانه
لم يكن لي بشيء من ذلك تعلق واستعد الناس للخروج الى تلقي المنقطع
بهم واصلاح احوالهم فلما كان في الليل رايت النبي صلى الله عليه وسلم
وكانه يقول لي ادرك ابا محمد بن الازرق الانباري واغثه واصلح
شانه بما يبلغه مقصده فلما اصبحت خرجت مع الناس اسال عنك
فكان ما رايت فات فاذكر الآن ما تريده قال فبكيت بكاء شديدا الم
اقدر معه على خطابه ثم نظرت ما يبلغني مصر فطلبته منه
واصلحت امري وسالت الرجل عما يعرف به فقال فلان بن فلان
المعروف بالصابوني وذكره ابو محمد ونسبه ابو الحسن قال فلما بلغت
مصر حدثت اخي بالحديث فعجب منه وبكى قال ابو الحسن وضرب الدهر
من ضربه وورد اخي ابو يعقوب الى بغداد بعد سنين كثيرة فتذاكرنا
هذا الحديث فقال لي لما عرفني ابو محمد اخي ما عامله به ابن الصابوني
الدمشقي هذا جعلته صديقا فكنت اكتب اليه فلما وردت الى دمشق
وجدت حال الرجل قد اختلت لمحن لحقته فوهبت له ضيعتي بدمشق
وكانت جليلة الغلة والقيمة فسلمتها اليه مكافاة لما عامل به اخي ابا محمد

قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء حدثني الحسين بن علي الباقطائي
قال حدثني ابي قال قال احمد بن مدبر لما امر محمد بن عبد الملك بحبسي
ادخلت محبسا فيه احمد بن اسرائيل وسليمان بن وهب وهما يطالبان
قال فجعلت في بيت ثالث فكنا نتحدث وناكل جميعا وربما ادخل لنا
النبيذ فنشرب وكان احمد بن اسرائيل شديد الجبن وكان يكسر علينا
ويمنعنا ان نتحدث بشيء او نرجف بشيء لا نفسنا فجاءني يوما سليمان
ابن وهب فقال لي رايت البارحة في نومي كان قائلا يقول لي يموت
الواثق الى ثلاثين يوما فقم بنا الى جعفر حتى نحدثه فقلت والله
لئن سمع ابو جعفر بهذا ليشقن ثوبه وليسدن اذنه خوفا فقال لي
قم على كل حال فقمنا ودخلنا الى ابي جعفر فاخبره سليمان
بالخبر فقال انت احسن الناس نظرا لك واشدهم تحننا على نفسك
وعلينا وانما تدور على ان يشيع هذا فنقتل فقال له فتكتب هذه
الرؤيا عندك لنمتحن صدقها فنفر وقال انا لا اكتب مثل هذا
وكتبت انا في رقعة صغيرة اليوم فلما كان يوم الثلاثين دخل علي
احمد بن اسرائيل فقال لي يا ابا الحسن هذا اليوم الثلاثون فاخرجت
الرقعة فاذا هو قد حفظ اليوم ومضى يومنا الى آخره فلما كان في الليل
لم اشعر الا بالباب يدق دقا شديدا ويصاح بنا البشرى قد مات
الواثق فاخرجوا فقال احمد بن اسرائيل قوموا بنا فقد حقق الله
عز وجل الرؤيا واتى بالفرج فقال سليمان بن وهب كيف نمشي مع
بعد منازلنا ولكن نوجه من يجيئنا بما نركب فاغتاظ احمد بن اسرائيل
وقال نعم نقعد حتى يجلس خليفة اخرى ويقال في الحبس جماعة
من الكتاب عليهم اموال فيامر بالتوثق بنا الى ان ينظر في امورنا قم
عافاك الله حتى نخرج فخرج وخرجنا على اثره فقبل ان نخرج من
باب الدار رايت رجلين يقول احدهما لصاحبه سال امير المؤمنين
جعفر عمن في الحبس فقيل له فيه جماعة من الكتاب فقال يكونون
فيه الى ان ننظر في امورهم فجددنا في المشي وقصدنا غير منازلنا
فاستترنا وبحثنا عن الاخبار فبلغنا اقرار الخليفة محمد بن عبد الملك

فكتبت رقعة عن جماعتنا نعرفه خبرنا واتساع آمالنا ونسأله الاذن
فيما نعمل فلما وصلت اليه وقع على ظهرها ولم استخفيتم وليس فيكم
الا من عنايتي تخصه ورايي فيه اما ابو ايوب فقد تكلم في امر ابو
منصور ايتاخ واستوهبه فوهبته له وامرت باحضاره ليخلع
عليه فليحضر واما ابو جعفر فانه طولب بما لا يلزمه وقد وضحت
حجته في بطلانه فليصر الي واما ابو الحسن فانه قذف بباطل فاظهروا
جميعا واثقين بما عندي من حياطتكم ورعاية حرماتكم فصرنا
اليه جميعا وزال عنا ما كنا فيه وخلع على سليمان بن وهب خاصة
قال وفي هذه الحبسة كتب سليمان بن وهب الى اخيه الحسن فيما حكاه محمد بن

داوده

هل رسول وكيف لي برسول ... ان ليلي ان مت غير طويل
هل رسول الى اخي وشقيقي ... ليت اني مكان ذاك الرسول
يا اخي لو ترى مكاني في الحبس ... وحالي وزفرتي وعويلي
وعثاري اذا اردت قياما ... وقعودا في مثقلات الكبول
لرايت الذي يغمك في الاعداء ... ان يسلكوا جميعا سبيلي
هذه جملة اراك غنيا ... معها ان تكون بالتفصيل
ولعل الاله ياتي بصنع ... وخلاص وفرجة عن قليل

وذكر ابياتا اخر تماما لهذه الابيات لم اذكرها لانها ليست من هذا
المعنى ثم قال وقد ذكر محمد بن داود في كتابه المسمى كتاب الوزراء امر
خروج سليمان بن وهب من حبس الواثق غير هذا قال في كتابه حدثني
ابو القاسم عبيد الله بن سليمان واقتص محمد بن عبدوس قصة طويلة
ليس فيها ذكر منام فذكرتها انا في كتابي هذا في باب من خرج من حبس
او اسر او اعتقال الى سراح وسلامة وصلاح حال حدثني
علي بن محمد الانصاري الخطمي قال حدثني ابو عبد الله الحسن بن محمد
الشمري كاتب الديوان بالبصرة قال كان ابو محمد المهلبي في وزارته
قد قبض علي بالبصرة وطالبني واطال حبسي حتى ايست من الفرج
فرايت ليلة في المنام كان قائلا يقول لي اطلب من ابن الزاهبوني
دفترا خلقا عنده على ظهره دعاء فادع به فان الله جل وعز يفرج عنك

قال وكان ابن الزاهبوني هذا الحد اصدقائي من اهل تناة واسط وهو بالبصرة
فلما كان من غد قلت له عندك دفتر عتيق فيه دعاء قال نعم قلت فجئني
به فجاءني به فرايت على ظهره مكتوبا هذا الدعاء اللهم انت
انت انقطع آمال الرجا الا منك وخابت الآمال الا فيك صل اللهم على
محمد وعلى آل محمد ولا تقطع اللهم منك رجائي ولا رجا من يرجوك
في شرق الارض ولا في غربها يا قريبا غير بعيد يا شاهدا لا يغيب
ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وارزقني رزقا
واسعا من حيث لا احتسب انك على كل شيء قدير قال فواصلت الدعاء
بذلك فما مضت الا ايام يسيرة حتى وجه المهلبي الي فاخرجني من الحبس
وقلدني الاشراف على ابي الحسين احمد بن محمد الطويل في اعماله باسافل
الاهواز حدثني ابو الربيع سليمان بن داود وكانت جدته تعرف
بشمسة قهرمانة كانت في دار القاضي ابي عمرو محمد بن يوسف رحمه الله
قال كان في جوار القاضي قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده
مال جليل بعد فقر طويل وكنت اسمع ان ابا عمرو حماه من السلطان
فسالت عن الحكاية فدافعني طويلا ثم حدثني فقال ورثت مالا جليلا
فاسرعت فيه واتلفته حتى افضيت الى ان بعت ابواب داري وسقوفها
ولم يبق لي في الدنيا حيلة وبقيت مدة لا قوت لي الا من بيع امي ما تغزله
فتطعمني ونفسها منه فتمنيت الموت فرايت ليلة في منامي كان قائلا يقول
لي غناك بمصر فاخرج اليها فبكرت الى ابي عمرو القاضي وتوسلت اليه
بالجوار وبخدمة كانت من ابي لابيه وسالته ان يزودني كتبا الى مصر
لاتصرف فتفعل وخرجت فلما حصلت بمصر واوصلت الكتب وسالت
التصرف فسد الله عز وجل علي الوجوه كلها حتى لم ادر ايش اعمل
ولا لاح لي شغل ونفدت نفقتي فبقيت متحيرا ثم فكرت في ان اسال
الناس وامد يدي على الطريق فلم تسمح نفسي بذلك فقلت اخرج ليلا
واسال الناس فخرجت بين العشائين فما زلت امشي في الطريق وتابى
نفسي المسالة ويحملني الجوع عليها وانا ممتنع الى ان مضى من الليل هدء
صالح فلقيني الطائف فقبض علي فوجدني غريبا فانكر حالي فسالني فقلت

رجل غريب ضعيف فلم يصدقني ولطمني وضربني مقارع فصحت وقلت
انا احدثك فقال هات فقصصت عليه قصتي من اولها وحديث المنام فقال
ما رايت احمق منك والله لقد رايت منذ كذا وكذا سنة في النوم كان رجلا
يقول لي ببغداد في الشارع الفلاني في المحلة الفلانية قال فذكر شارعي
ومحلتي فسكت واصغيت واتم الشرطي الحديث فقال دار يقال لها دار فلان
فذكر داري واسمي وفيها بستان فيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون الف
دينار فامض وخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت اليه وانت
احمق فارقت وطنك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوي قلبي بذلك
واطلقني الطائف فبت في مسجد وخرجت من غد من مصر فقدمت
بغداد وقطعت السدرة واثرت مكانها فوجدت قمقما فيه ثلاثون
الف دينار فاخذتها وامسكت يدي ودبرت امري فانا اعيش من تلك
الدنانير من فضل ما ابتعت منها من ضيعة وعقار الى الآن وجدت
في كتاب ابي الفرج عبد الواحد المخزومي الحنظلي عن علي بن العباس
النوبختي قال حدثني احمد بن عبد الله الثعلبي قال كان من بقايا
شيوخ خراسان ممن يلزم دار العامة بسر من راى في ايام النوائب وغيرها
شيخ يكنى ابا عصمة وكان يحدثنا كثيرا باخبار الدولة واهلها فحدثنا
ان خزيمة بن حازم كان يجلس في داره للناس في كل يوم ثلاثا فلا يحجب
عنه احد ولا يستاذن لمن حضر انما يدخلون ارسالا بغير اذن فمن
كان من اشراف الناس ووجوههم سلم وانصرف ومن كان من طلاب
الحوائج او خطاب التصرف دفع رقعته الى الحاجب وكان قد افرد لهذا
كاتبا حصيفا يقال له الحسن بن سلمة يتصفح الرقاع قبل عرضها عليه
فمن كان يجوز ان يوقع عنه وقع وسلمه الى اربابه وما كان لا بد من
وقوفه عليه وتوقيعه فيه بخطه عرضه عليه ومن كان في الناس
من زائر او مسترفد عرضت رقعته عليه فيكون هو الموقع فيها انما
يراه فلا يكاد ينصرف احد من ذلك الموضع من الجمع العظيم المفرط الا وهو
مسرور بقضاء حاجته قال ابو عصمة وكان ممن يتصرف في الاعمال رجل
من العرب ذو لسان وفصاحة يقال له حامد بن عمر الحراني وكان فيه

الحاح شديد وملازمة تامة اذا تعطل فيوذي ذلك ويبرم ولا يقنع
بذلك حتى يلازم بابه كل يوم واذا ركب خاطبه على الطريق وربما
يعرض له في دار الخليفة فيخاطبه ولم يكن في طبع خزيمة احتمال
مثل هذا قال ابو عصمة فحدثني الحسن بن سلمة كاتب خزيمة قال
نظر خزيمة يوما الى هذا الرجل في داره وكان قد لقيه وخاطبه
قبل ذلك اليوم واضجره ووافق من خزيمة ضجرا بشيء حدث من امور
المملكة مع ما فيه من الجبروت والكبرياء فحين خاطبه الرجل صاح عليه
وامر باخراجه من داره اخراجا عنيفا ثم دعاني فقال والله
ان دخل هذا داري لاضربن عنقك ولئن وقف على طريق او كلمني
في دار سلطان لاضربن عنقه فاخبره بذلك وحذره وتقدم الى
البوابين والحجاب بذلك وكان خزيمة اذا وعد او توعد فليس الا
الوفاء فخرجت الى الحجاب والبوابين واصحاب المقارع فبالغت في
تحذيرهم وتهديدهم وعرفتهم ما قال وانه حلف انه يضرب
اعناقهم واكثرت الوصية بجهدي مستظهرا لنفسي ومضيت
الى خارج الدار فاذا بالرجل واقف فاعلمته ان دمه مرتهن
بنظرة ينظرها اليه خزيمة في دار السلطان او على بابه او في بعض
الطريق وحذرته تحذيرا شديدا وخوفته بالله عز وجل في دمه
لا يجعل عليه سبيلا قال فشكرني على تحذيره وانصرف كئيبا فلما
اصبحنا من غد غدوت الى دار خزيمة على رسمي في الملازمة فلما
دنوت من الباب اذا انا بالرجل واقف كما كان يقف منتظرا
لركوبه فعظم ذلك علي فقلت يا هذا اما تخاف الله اتحب ان
تقتل نفسك اما تعرف الرجل فقال والله ما اتيت هذا جهلا مني
ولا اغترارا بل ابتنيه على اصل قوي وسبب وثيق وسترى من
لطف الله عز وجل ما يسرك وتعجب منه قال الحسن بن سلمة فزاد
عجبي به ودخلت الدار فصادفت خزيمة في صحن الدار وهو يريد
الركوب فحين نظر الي قال ما فعل حامد بن عمر قلت رايته تلك الساعة
بالباب وتهددته فلما رايته اليوم تعجبت من جهله وعوده مع ما اغلظت

اليه من الوعيد وامرته بالانصراف فاجابني بجواب لا ادري ما هو وانا بريء
من فعله فقال باي شيء اجابك فاخبرته فسكت خزيمة وخرج فركب فحين
راى حامدا ترجل له حامد فصاح خزيمة لا تفعل والحقني الى دار امير المؤمنين
قال وسرنا ودخل خزيمة الى دار الرشيد ودخلنا معه الى حيث جرت
عادتنا ان نبلغ من الدار وجلسنا فيه ومضى خزيمة يريد حيث الخليفة وجاء
حامد فجلس الي فقلت اصدقني عن خبرك والسبب في جراتك على خزيمة
ولينه لك بعد الغلظة وعرفته ما جرى بيني وبين خزيمة في امره
ثانيا فقال طب نفسا فما ابدي لك شيئا الا بعد بلوغ آخر الامر فبينا
نحن كذلك اذ دعي حامد بن عمر فادخل الى حيث كان مرسوما ان يدخل
اليه من يخلع عليه فتحيرت فلم يكن باسرع من ان خرج وعليه خلع
الخليفة وبين يديه لواء قد عقد له وقد ولي طريق الفرات باسره
فقمت اليه فهناته وقلت ولا الساعة تخبرني بالخبر فقال ما فات
شيء وودعني ومضى واقمت مكاني الى ان خرج خزيمة فسرت معه
الى داره فلما استقر فيها دعاني فسالني عن امور من خدمته ثم قال
اظنك انكرت ما جرى من امر حامد بن عمر قلت اي والله ايها الامير
قال فاسمع الخبر اعلم اني كنت في نهاية الغلظة عليه فامرت فيه بما
عرفت امس فلما كان البارحة رايت فيما يرى النائم كانه قائم يصلي
وقد رفع يديه الى الله عز وجل ويدعو وكانه قد وقع في نفسي
انه يريد ان يدعو علي فصحت به لا تفعل وادن مني فانفتل من
صلاته وجاء فوقف بين يدي فقلت له ما يحملك على ان تدعو علي
فقال لانك اهنتني واستخففت بي وهددتني بالقتل ظلما وقطعت
املي في طلب رزقي فانا اشكوك الى الله عز وجل واستعينه عليك
فكاني اقول له طب نفسا ولا تدع فاني احسن اليك غدا واوليك عملا
واستعطفته فجئت من المنام وعلمت اني قد ظلمت الرجل وقلت في
نفسي له شرف وسن اسات اليه بغير جرم ورعبته ماذا عليه اذا
الح في طلب الرزق وعلمت ان الذي رايته في منامي موعظة في امره
وحث على حفظ النعم وان لا انفرها بقلة الشكر واستعمال الظلم فاعتقدت

ان اوليه كما اوعدته في المنام فكان ما رايت قال الحسن بن سلمة فصوبت
رايه في هذا ودعوت له وانصرفت فجاءني من العشي حامد بن عمر مسلما
ومودعا ليخرج الى عمله فقلت الآن خبرك فقال نعم انصرفت من باب
خزيمة موجع القلب قلقا مرتاعا فاخبرت عيالي بما جرى فكان في داري
ماتم وبكاء عظيم ولم اطعم يومي وليلتي ولا هم طعاما وامسيت على
ذلك فلما هدأت العيون توضأت واستقبلت القبلة فصليت ما شاء الله
وتضرعت الى الله عز وجل ودعوته باخلاص نية وصدق طوية
واطلت فحملتني عيني وانا ساجد في القبلة فرايت في منامي كاني على
حالي في الصلاة والدعا وكان خزيمة قد وقف علي وانا ادعو فصاح
بي لا تفعل لا تفعل واعد علي فاني احسن اليك واوليك فانتبهت
مرعوبا وقد قويت نفسي فقلت ابكر اليه لعل الله عز وجل ان
يطرح في نفسه لي الرقة فغدوت اليه فكان ما رايت قال الحسن فكثر
تعجبي لاتفاق المنامين وقلت لحامد لقد اخبرني الامير بمثل ما ذكرته
لم يخرم منه حرفا فبكرت الى خزيمة فحدثته الحديث فعجب منه ۞
واحضر حامدا حتى سمع ذلك منه وامر له بصلة وكسوة وحملان
ولم يزل بعد ذلك يتعهد اكرامه ولا يدعه يتعطل ولا يتظلم ۞ ۞
ويقارب هذا الحديث حديثان احدهما حدثني به غير واحد
من اهل بغداد ان عطارا من اهل الكرخ كان مشهورا بالستر والامانة
فارتكبه دين فقام عن دكانه ولزم منزله مستترا واقبل على الدعاء
والصلاة الى ان صلى ليلة جمعة صلاة كثيرة ودعا ونام قال فرايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول اقصد علي بن
عيسى وكان اذ ذاك وزيرا فقد امرته لك باربعماية دينار فخذها
واصلح بها امرك قال وكان علي ستماية دينار فلما كان من غد قلت
قد قال النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في منامه فقد رآني فان
الشيطان لا يتمثل بي فلم لا اقصد الوزير قال فقصدته فلما صرت
ببابه منعت من الوصول اليه فجلست الى ان ضاق صدري وهممت
بالانصراف وخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني معرفة ضعيفة فاخبرته

الخبر

الخبر فقال يا هذا الوزير في طلبك منذ السحر الى الآن وقد سالني عنك
وانسيتك وما عرفك احد والرسل مبثوثة في طلبك فكن مكانك قال
فرجع ودخل الى ابي الحسن علي بن عيسى فما كان باسرع من ان دعي بي
فدخلت فقال علي بن عيسى ما اسمك قلت فلان بن فلان العطار قال
من اهل الكرخ قلت نعم قال يا هذا احسن الله جزاك في قصدك ۞
اياي فوالله ما تهنأت بعيش منذ البارحة فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءني البارحة في منامي فقال اعط فلان بن فلان العطار
في الكرخ اربعماية دينار يصلح بها شانه فكنت اليوم طول نهاري في
طلبك وما عرفك احد فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني البارحة في منامي فقال لي كيت وكيت فبكى علي بن عيسى وقال
ارجو ان تكون هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وستماية دينار هبة مني لك فقلت ايها الوزير ما احب ان ازاد
على عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فاني ارجو البركة
فيه لا فيما عداه فبكى علي بن عيسى وقال هذا هو اليقين خذ ۞
ما بدا لك فاخذت الاربعماية دينار وانصرفت فقصصت قصتي على
صديق لي واريته الدنانير وسالته ان يقصد غرمائي ويخبرهم
ويتوسط بيني وبينهم ففعل ذلك فقالوا نؤخره بالمال ثلاث سنين
فليفتح دكانه فقلت لا ولكن ياخذون مني الثلث وفي كل سنة اعطيهم
الثلث فاعطيتهم مايتي دينار ففتحت دكاني وادرتها بالمايتي دينار ۞
الباقية فما حال الحول الا ومعي الف دينار فقضيت منها ديني
كله ولم تزل حالي تزيد وتصلح **والآخر ما حدثني** به ابو الحسن
احمد بن يوسف الازرق التنوخي قال حدثني ابو القاسم بن ماجور
المنجم قال حججت فرايت عند طاهر بن يحيى العلوي بالمدينة رجلا
خراسانيا كان يحج في كل سنة فاذا دخل المدينة جاء الى طاهر ۞
فاعطاه مايتي دينار من ماله كانت كالجراية له منه فلما كان سنة ۞
قبل ذلك جاء يريد داره ليعطيه فاعترضه رجل من اهل المدينة فتبع
طاهرا فقال تضيع دنانيرك التي تدفعها اليه وهذا ياخذ منك ومن غيرك

فيصرفها فيما يكرهه الله عز وجل ويفعل ويصنع وتكلم فيه بقبيح
قال الخراساني فوقفت نفسي عن دفع شيء اليه وتصدقت بالدنانير
وخرجت من المدينة ولم الق طاهرا فلما كان في العام الثاني دخلت
المدينة ولم الق طاهرا وتصدقت بما كنت اريد ان اتصدق به فلما كان
في العام الثالث تاهبت للحج فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي
وهو يقول ويحك قبلت في طاهر ابني قول اعدائه فقطعت عنه ما كنت
تبره به لا تفعل واقصده واعطه ما فاته ولا تقطعه عنه ما استطعت
قال فانتبهت فزعا ونويت ذلك واخذت صرة فجعلت فيها ستماية
دينار وحملتها معي فلما صرت في المدينة بدأت بطاهر فدخلت اليه ۞
وجلست في مجلسه حافل فحين رآني قال يا فلان لو لم يبعث بك الينا
ما جئت فقلت كلمة وافقت امرا اليس الان اتغافل فقلت ما معنى هذا
الكلام اصلحك الله قال قبلت في قول عدو لي ولرسوله ولي وقطعت
عادتك حتى لامك رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك وامرك
ان تعطيني الستماية دينار هاتها ومد يده الي فتداخلني من الدهش
ما ذهلت معه فقلت اصلحك الله هكذا والله كانت القصة فما ۞
علمك بذلك قال بلغني خبر دخولك المدينة في السنة الاولى فلما دخل
الحاج ولم يجئني اثر ذلك في حالي وسالت عن القصة فعرفت
ان بعض اعدائنا لقيك فسبني عندك فالمني ذلك فلما كان في الحول الثاني
بلغني دخولك وخروجك وانك قد عملت على قوله في فازداد بذلك غمي فلما
كان منذ شهور ازدادت اضاقتي وامتنع النوم علي غما بما دفعت اليه ۞
ففزعت الى الصلاة فصليت ما قضي ثم اقبلت ادعو الله عز وجل بالفرج
مما انا فيه وحملتني عيني في المحراب فنمت فرايت النبي صلى الله عليه وسلم
في منامي وهو يقول لي لا تغتم فقد لقيت فلانا الخراساني وعاتبته على ۞
قبوله فيك قول اعدائك وامرته ان يحمل اليك ما فاتك للسنتين ولا ۞
يقطع بعدها عنك وظيفتك ما استطاع فانتبهت فحمدت الله عز وجل
وشكرته فلما رايتك الآن علمت ان المنام جاء بك قال فاخرجت الصرة
التي فيها الستماية دينار فدفعتها اليه وقبلت يده وراسه وعينيه ۞

وسالته

وسالته ان يحلني من قبول قول ذلك الرجل فيه **حدثني** ابو القاسم
طلحة بن محمد بن جعفر المقرئ الشاهد قال حدثني ميمون بن مهران
عن موسى بن عبد الملك انه قال رايت في الحبس في النوم قائلا يقول

لا زلت تعلو بك الجدود ۞ ثم وحقت بك السعود
ابشر فقد آن ما تريد ۞ يبيد اعداءك المبيد
لم يمهلوا انهم تغالوا ۞ والله ياتي بما يريد
فاصبر فصبر الفتى حميد ۞ واشكر ففي شكرك المزيد

قال فما مضى علي هذا الا اياما يسيرة حتى اطلقت **ذكر القاضي**
ابو الحسين في كتابه كتاب الفرج ان وهب بن منبه قال املقت
حتى قنطت او كدت اقنط فاتاني آت في منامي ومعه شبيه ۞
بالفستقة فدفعها الي وقال افضض ففضضتها فاذا حريرة
فقال انشرها فنشرتها فاذا فيها ثلاثة اسطر بياض الاول لا ينبغي
لمن عرف من الله عدله الثاني او عقل عن الله امره الثالث ان
يستبطئ الله في رزقه قال فاعطاني الله عز وجل بعدها واكثر
وذكر ايضا عن الواقدي انه قال ضقت ضيقة شديدة وهجم
شهر رمضان وانا بغير نفقة فضاق ذرعي بذلك وكتبت الى
صديق لي علوي اساله ان يقرضني الف درهم فبعث الي بها في كيس
مختوم فتركتها عندي فلما كان عشية ذلك اليوم وردت علي رقعة
صديق لي يسالني اسعافه لنفقة شهر رمضان بالف درهم فوجهت الكيس
بختمه فلما كان من الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني والعلوي الذي
اقترضت منه فسالني العلوي عن خبر الدراهم فقلت صرفتها في مهم
فاخرج الكيس بختمه وضحك وقال اعلم انه قد قرب هذا الشهر وما ۞
عندي الا هذه الدراهم فلما كتبت الي وجهت بها اليك ووجهت
الى صديقك هذا اقترض منه الف درهم فوجه الي الكيس فسالته عن
القصة فعرفتها لي وقد جئناك لنقتسمها والى ان ننفقها ما قد اتى
الله بالفرج قال الواقدي فقلت لهما لست ادري اينا اكرم قال فقسمناها
ودخل شهر رمضان فانفقت اكثر ما حصل لي منها وضاق صدري ۞

فجعلت افكر في امري فبينا انا على ذلك اذ بعث الي خالد البرمكي في سحر
يوم فقال يا واقدي رايتك البارحة في النوم وانت على حال دلني انك في
غم شديد فاشرح لي امرك فشرحته الى حديث العلوي وصديقي والالف
درهم فقال ما ادري ايكم اكرم وامر لي بثلاثين الف درهم ولهما بعشرين
الف درهم وقلدني القضاء

الباب السابع من استنقذ من كرب وضيق خناق باحد حالتي عمدا واتفاق

وجدت في بعض الكتب عن الاصمعي قال كنت بالبصرة اطلب
العلم وانا مقل وكان على بابنا بقال اذا خرجت بكرة يقول لي الى
اين فاقول الى فلان المحدث واذا عدت مساء يقول لي من اين فاقول
من عند فلان الاخباري واللغوي فيقول يا هذا اقبل وصيتي
انت شاب فلا تضيع نفسك واطلب معاشا يعود عليك نفعه واعطني
جميع ما عندك من الكتب اطرحها في الدن واصب عليها من الماء للعشرة
اربعة وانبذه وانظر ما يكون منه والله لو طلبت مني بجميع كتبك
جوزة ما اعطيتك فضيق صدري بمداومة هذا الكلام حتى كنت اخرج
من بيتي ليلا وادخله ليلا وحالي في خلال ذلك يزداد ضيقا حتى افضيت
الى بيع اجر اساسات داري وبقيت لا اهتدي الى نفقة يومي وطال
شعري واخلق ثوبي واتسخ بدني وانا كذلك متحيرا في امري اذ جاءني
خادم للامير محمد بن سليمان فقال اجب الامير فقلت ما يصنع
الامير برجل قد بلغ به الفقر الى ما ترى فلما راى سوء حالي وقبح
منظري رجع فاخبر الامير بخبري وعاد الي ومعه تخوت ثياب ودرج
فيه بخور وكيس فيه الف دينار وقال قد امرني الامير ان ادخلك
الحمام والبسك من هذه الثياب وادع باقيها عليك واطعمك من هذا
الطعام واذا بخوان كبير فيه صنوف الاطعمة وابخرك لترجع اليك
روحك ثم احملك اليه فسررت بذلك سرورا شديدا ودعوت له
فقمت ففعلت ما قال ومضيت معه حتى دخلت على محمد بن سليمان
فسلمت عليه فقربني ورفعني ثم قال يا عبد الملك قد اخترتك لتاديب
ولد امير المؤمنين فاعمل على الخروج الى بابه وانظر كيف يكون فشكرته

ودعوت له وقلت سمعا وطاعة اخرج شيئا من كتبي واتوجه فقال ودعني
وكن على الطريق فقبلت يده واخذت جميع ما احتجت اليه من كتبي
وجعلت باقيها في بيت وسددت بابه واقعدت في الدار عجوزا من اهلنا
تحفظها وباكرني رسول محمد بن سليمان فاخذني الى زلال قد اتخذ لي
وفيه جميع ما احتاج اليه وجلس معي ينفق علي حتى وصلت الى
بغداد ودخلت على امير المؤمنين الرشيد فسلمت عليه فرد علي
السلام وقال انت عبد الملك بن قريب الاصمعي قلت نعم انا عبد امير
المؤمنين ابن قريب الاصمعي قال اعلم ان ولد الرجل مهجة قلبه وثمرة
فؤاده وهو ذا اسلم اليك ابني محمدا بامانة الله فلا تعلمه ما يفسد
عليه دينه فلعله ان يكون للمسلمين اماما قلت السمع والطاعة فاخرجه
الي وحولت معه الى دار قد اخليت لتاديبه فيها من اصناف الخدم
والفرش واجرى علي في كل شهر عشرة الاف درهم وامر بان يخرج
الي في كل يوم مائدة فلزمته وكنت مع ذلك اقضي حوائج الناس واخذ
عليها الرغائب وانفذ جميع ما يجتمع اولا اولا الى البصرة فابني داري
واشتري ضياعا وعقارا فاقمت معه حتى قرا القرآن وتفقه في
الدين وروى الشعر واللغة وروى ايام الناس واخبارهم واستعرضه
الرشيد فاعجب به وقال يا عبد الملك اريد ان يصلي بالناس في يوم
جمعة فاختر له خطبة تحفظه اياها فحفظته عشرا وخرج وصلى
بالناس وانا معه واعجب الرشيد به فاخذه نثار الدراهم والدنانير
من الخاصة والعامة واتتني الجوائز والصلات من كل ناحية فجمعت
مالا عظيما ثم استدعاني الرشيد فقال يا عبد الملك قد احسنت
الخدمة فتمن فقلت ما عسيت ان اتمنى وقد حزت اماني فامر لي بمال
عظيم وكسوة كثيرة وطيب فاخر وعبيد واماء وظهر وفرش والة
فقلت ان راى امير المؤمنين ان ياذن لي بالالمام بالبصرة والكتاب الى
عامله بها ان يطالب الناس الخاصة والعامة بالسلام علي ثلاثة ايام
واكرامي بعد ذلك فكتب لي عنه بما اردت وانحدرت الى البصرة وداري
قد عمرت وضيعتي قد كثرت ونعمتي قد فشت فما تاخر عني احد فلما كان في

اليوم الثالث تاملت اصاغر من جاءني فاذا البقال وعليه عمامة وسخة
ورداء نظيف وجبة قصيرة وقميص طويل وفي رجله جرموقان
وهو بلا سراويل فقال لي كيف انت يا عبد الملك فاستضحكت من
حماقته وخطابه لي بما كان يخاطبني به الرشيد فقلت بخير وقد
قبلت وصيتك وجمعت ما عندي من كتب العلم وطرحتها في الدن
كما امرت وصببت عليه من الماء للعشرة اربعة فخرج ما ترى ثم
احسنت اليه بعد ذلك وجعلته وكيلي

اخبرنا القاضي ابو القاسم
علي بن المحسن بن محمد بن ابي الفهم التنوخي قال اخبرني القاضي ابو
علي المحسن بن علي قال مسرور الكبير استدعاني المامون فقال
قد اكثر علي اصحاب الاخبار بان شيخا ياتي خرائب البرامكة فيبكي
وينتحب طويلا ثم ينشد شعرا يرثيهم به وينصرف فاركب انت
ودينار بن عبد الله واستترا بالجدران فاذا جاء الشيخ فامهلاه
حتى تشاهدا ما يفعل وتسمعا ما يقول فاذا اراد الانصراف فاقبضا
عليه وائتياني به قال مسرور فركبت انا ودينار مغلسين فاتينا
الموضع وتخفينا فيه وابعدنا الدواب فلما اصبحنا اذا بخادم اسود
قد اقبل ومعه كرسي من حديد فطرحه وجاء على اثره كهل بهي
فجلس على الكرسي وتلفت فلم ير احدا فبكى وانتحب حتى قلت
قد فارق الدنيا ثم مسح عينيه وانشا يقول

بيت

ولما رايت السيف جلل جعفرا ... ونادى مناد للخليفة في يحيى

وذكر ابياتا طويلة لا تدخل في كتابي هذا فاروها فلما قام قبضنا
عليه فقال ما تريد ان قلت هذا دينار بن عبد الله وانا مسرور خادم
امير المؤمنين وهو يستدعيك فابلس ثم قال اني لا امنه على نفسي
فامهلني حتى اوصي فقلت شانك فسرنا معه حتى اتى بعض دكاكين
العلافين بعرصة الفيل فاستدعى دواة وبياضا وكتب فيها وصية
ودفعها الى الخادم الذي كان معه وانفذه الى منزله وسيرته حتى
ادخلته دار الخليفة فلما مثل بين يديه زبره وانتهره ثم قال له من
انت وبما استحق منك البرامكة هذا افعال غير هائب ولا محتشم يا امير المؤمنين

ان للبرامكة عندي ايادي خضرة فان راى امير المؤمنين حدثته باحدها
فقال هات فقال انا المنيقة بن المغيرة الدمشقي من ذوي الحسب فيها نشات
في ظل نعمة قديمة فزالت عني كما تزول النعم عن الناس حتى افضيت الى بيع
مسقط راسي وروس اباي واملقت حتى لا غاية فاشير علي بقصد البرامكة
فخرجت من الشام الى بغداد ومعي نيف وعشرون امراة وصبيا وصبية
فدخلت بهم مدينة السلام فانزلتهم في مسجد ثم عدت الى ثوبيات
كنت اعددتها للقاء الناس والتذرع بها الى البرامكة فلبستها وسلكت
الطريق لا ادري الى اين اقصد وخليت عيالي جياعا لا نفقة لهم ولا
ما يباع فافضيت الى مسجد مزخرف فيه شيوخ باحسن زي واجمل
هيئة وطمعت في مخاطبتهم وصعدت الى المسجد فجلست معهم اردد
في صدري كلاما اخاطبهم به فيحصرني النشوز ويخجلني ذل المسالة
ويحبسني عن الكلام انه لم يكن لي عادة بالخوض في مثله فانا كذلك
اذ جاء خادم فازعج القوم فقاموا وقمت معهم فادخلوا دارا ذات دهليز
طويل فدخلت معهم فامضينا الى صحن واسع فاذا بيحيى بن خالد
فيه على دكة في وسط بستان قد نصب عليها سرير من ابنوس
واقبل القوم فجلسوا وجلست معهم وتامل الخدم القوم فاذا نحن
مائة رجل ورجل ثم غابوا وخرج مائة خادم وخادم في يد كل واحد
مجمرة ذهب فيها قطعة كالفهر من عنبر والخدم بافخر اللباس
عليهم مناطق الذهب المرصعة بالجوهر وهم يطوفون بغلام حالك
اخضر شاربه حسن الوجه فسجروا العنبر واقبل يحيى على الزريقي
القاضي وقال له زوج ابن عمي هذا بابنتي عايشة فخطب وعقد
النكاح واخذنا النثار من فتات المسك وبنادق العنبر وتماثيل
الند الصغار فالتقط الناس والتقطت ثم جاءنا مائة خادم وخادم
في يد كل واحد منهم صينية فضة فيها الف دينار فخلطوه بالمسك
فوضع بين يدي كل واحد منا صينية فاقبلت الجماعة تكور الدنانير
في اكمامها وتاخذ الصواني تحت اباطها وينصرف الاول فالاول حتى بقيت
وحدي لا اجسر على اخذ الصينية وما فيها والاسف والحاجة يمنعاني

ان اقوم وادعها وانا مطرق مفكر حتى ضاق صدري فرفعت راسي
فغمزني بعض الخدم على اخذها والقيام فاخذتها وقمت وانا
لا اصدق فجعلت امشي والتفت خوفا من ان يمنعني احد باخذها
ويحيى يلحظني من حيث لا افطن فلما قاربت الستر رددت
فايست من الصينية فجئت وهي معي حتى قربت منه فامرني
بالجلوس فجلست وسالني عن حالي وقصتي ومن انا فقصصته
حتى بلغت الى حديث تركي عيالي في المسجد فبكى ثم قال علي
بموسى فجاؤه به فقال يا بني هذا رجل من اولاد النعم قد رمته
الايام بصرو فها والنوايب بجنو فها فخذه واخلصه لنفسك
واصطنعه لها فاخذني موسى الى داره فخلع علي من افخر ثيابه
وامر بحفظ الصينية لي ووصف علي يومي وليلتي ثم استدعى
لي اخاه العباس من غد وقال له ان الوزير سلم الي هذا الفتى
وامرني فيه بكذا وكذا واريد اليوم الركوب الى دار امير المومنين
فليكن عندك اليوم حتى ارتجعه منك غدا قال فاخذني العباس
وكان يومي عنده مثل امس واقبلوا يتداولوني كل يوم واحد
وانا قلق بامر عيالي الا اني لا اذكرهم لهم اجلالا لهم فلما كان في
اليوم العاشر ادخلت على الفضل بن يحيى فاقمت في داره يومي
وليلتي فلما اصبحت جاءني خادم من خدمه فقال يا هذا قم
الى عيالك وصبيانك فقلت انا لله احصل لنا وهولاء القوم
على الاكل والشرب والصينية وما فيها وما حصلته من النثار
حسب فليت هذا كان من اول يوم وكيف اتوصل الآن الى يحيى واي
طريق لي اليه وتلاعبت بي الظنون فاظلمت الدنيا في عيني وقمت
اجر رجلي والخادم يمشي بين يدي حتى اخرجني من الدار فازداد
ياسي وما زال يمشي بين يدي حتى ادخلني الى دار كانت الشمس
تطلع من جوانبها وفيها من صنوف الآلات والفرش ما يكون في
مثلها فلما توسطتها رايت عيالي يرتعون فيها في الديباج والسجوف
وقد حمل اليهم مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار وسلم الي الخادم

صكا بضيعتين جليلتين وقال هذه الدار وما فيها والضياع بغلتها
لك فاقمت مع البرامكة في اخفض عيش واجل حال حتى نزلت بهم
النازلة فانا اعيش في فضلهم الى الآن ثم قصدني عمرو بن مسعدة
في الضيعتين والزمني بخراجهما ما لا يفي به دخلهما فكان كلما لحقتني
نائبة واشتدت بي نازلة قصدت دورهم فبكيتهم ورثيتهم
وشكرتهم ودعوت لهم لما كان منهم الي وشكوت ما حل بي بعدهم
فاجد لذلك راحة فاستدعى المامون عمرو بن مسعدة وامره ان
يرد على الرجل كلما استخرج منه ويقرر خراجه على ما كان عليه في
ايام البرامكة وان يقضي حقه ويكرمه فبكى الشيخ بكاء شديدا
فقال له المامون الم استانف بك جميلا قال بلى والله وزدت على
كل فضل واحسان ولكن هذا من بركة البرامكة علي وبقية احسانهم
الي فقال له امض مصاحبا فان الوفاء مبارك وان حسن العهد
من الايمان **وبلغني** انه كان رجل من اهل الكوفة من ذوي
الادب والظرف يعاشر الناس وتاتيه الطافهم فيعيش بها متسعا
ثم انقلب الدهر عليه فامسك الناس عنه وجفوه حتى قعد في
بيته والتجا الى عياله وشاركهن في فضل مغازلهن فاستمر ذلك
عليه ونسيه الناس ولزمه الفقر قال فبينا انا ذات ليلة في منزلي
على اسوء حال واذا بوقع حافر دابة ورجل يدق بابي فكلمته من
وراءه وقلت له ما حاجتك قال ان اخا لك لا اسميه يقرا عليك السلام
ويقول اني مستتر وليس آنس بكل احد فان رايت ان تصير الي
لنتحدث ليلتنا فقلت لعل جدي ان يكون قد تحرك ثم لم اجد ما البسه
فاشتملت بازار امراتي وخرجت فقدم الي فرسا مجنوبا كان معه
فركبته الى ان ادخلني الى فتى من اجمل الناس فقام الي وعانقني
ودعا بالعشا فاكلنا وبالشراب فشربنا واخذنا في الحديث فما
خضت في شيء الا وسبقني اليه حتى اذا صار السحر قال ان رايت
ان لا تسالني عن شيء من امري او تجعل هذه الزيارة بيني وبينك
اذا ارسلت اليك فعلت فههنا دراهم تقبلها ولا تردها واخرج الي

جرابا مملوا دراهم ودنانير فدخلتني اريحية الشراب فقلت اخترتني
على الناس لسرك فآخذ على ذلك جزاء لا حاجة لي في المال فجهد بي فلم آخذه
وقدم الي الفرس فركبت وعدت الى منزلي فدخلته مخفقا وعيالي
يتطلعون الى ما اجيء به فاخبرتهم بخبري فاصبحت نادما على فعلي
وقدور دعلي وعلى عيالي ما لم يكن في حسابنا فمكثت حينا اياتي
رسول الرجل الى ان جاءني بعد مدة فصرت اليه فعاودني مثل ذلك
الفعل وعاودته الامتناع وانصرفت مخفقا فاقبلت امراتي علي
باللوم والتوبيخ فقلت لها انت طالق ثلاثا ان عاودني فلم اخذ
ما يعطيني فمكثت على ذلك مدة اطول من الاولى ثم جاءني رسوله
فلما اردت الركوب قالت لي امراتي يا مشوم اذكر يمينك وبكاء
بناتي وسوء حالك وصرت الى الرجل فلما افضينا الى الشرب قلت له
ان بي علة تمنعني منه وانما اردت ان يكون رايي معي فاقبل الرجل
يشرب وانا احادثه الى ان بلج الفجر واخرج الي الجراب وعاودني في
الكلام فاخذته فقبل راسي وشكرني على قبول بره وقدم الي الفرس
وانصرفت عنه الى منزلي فالقيت الجراب فلما راه عيالي سجدن لله
شكرا وفتحناه فاذا هو مملو دنانير فاصلحت منه حالي واشتريت
مركوبا وثيابا حسنة واثاثا وضيعة قدرت ان غلتها تفي بي
وبعيالي بعدي واستظهرت على زماني ببقية الدنانير واعمال الناس
علي يظهرون الفرح بما تجدد لي وظنوا اني كنت غائبا في انتجاع ملك
فعدت مثريا وانقطعت رسل الرجل عني فبينا انا اسير بالقرب من منزلي
واذا ضوضاء شديدة وجماعة مجتمعة فقلت ما هذا فقالوا رجل من بني
فلان يقطع الطريق فطلبه السلطان الى ان عرف خبره ههنا فهجم عليه
فخرج على الناس بالسيف يمنع عن نفسه وقربت من الجميع وتاملت الرجل
فاذا هو صاحبي بعينه وهو يقاتل العامة والشرط فينكشف الناس عنه
ويكرون عليه وبيضا يقوته فنزلت عن فرسي واقبلت اقوده حتى
دنوت منه وقد انكشف الناس عنه فقلت بابي وامي شانك والفرس
والنجا فاستوى على ظهره فلم يلحق فقبض علي الشرط واقبلوا يتهروني

ويشهروني حتى جاوا الى عيسى بن موسى وكان بي عارفا فقالوا ايها الامير
كان قد كدنا ان ناسر الرجل فجاء هذا فاعطاه فرسا فنجا عليه فاشتد
غضب عيسى بن موسى وكاد ان يوقع بي وانا منكر وشرحت له ما كان
افضت بي الحال اليه وما عاملني به الرجل من الجميل واني كافاته
فقال لي سرا احسنت لا باس عليك ثم التفت الى الناس فقال يا حمقى
هذا مستقتل بسيف ماض قد نكلتم عنه باجمعكم فكيف كان هو يدفعه
عن فرسه انصرفوا ثم خلى سبيلي فانصرفت الى منزلي وقد قضيت
ذمام الفتى وحصلت النعمة بعد الشدة وامنت عواقب الحال وكان
آخر عهدي به والسلام **سرق** لجعفر بن سليمان الهاشمي
جوهر بالبصرة وهو اميرها فجهد ان يعرف له خبر فخفي عليه
ناقله فاغاظه فجاء بالشرط فضربهم فجدوا في الطلب فلما كان بعد ذلك
بشهور اتاه بعضهم برجل وجده يبيع في سفط درة فاخرة من ذلك
الجوهر وقد قبض عليه وضربه ضربا عظيما الى ان اقر فاخبر جعفرا
بخبره فاذن له في دخوله فلما راى الرجل جعفرا استغاث به وبكى
فرحمه جعفر فقال الم تكن طلبت مني هذه الدرة في وقت كذا
فوهبتها لك فقال بلى فقال للشرط خلوا عنه واطلبوا الصناع
وروت الفرس قريبا من هذا ذكروا ان بعض ملوكهم سخط على
حاجب له سخطا عظيما فالزمه بيته وكان فيه كالمحبوس وقطع عنه
ارزاقه وجراياته واقام على ذلك سنين حتى تهتك ولم يبق له حال
ثم بلغه ان الملك قد اتخذ سماطا عظيما يحضره الناس في غد ذلك اليوم
فارسل الى اصدقائه فاعلمهم ان له حقا يحضره بعض ولده واستعار
منهم دابة بسرجه ولجامه وغلاما يسعى بين يديه وخلعة يلبسها وسيفا
ومنطقة فاعير ذلك فلبسه وركب الدابة وخرج من بيته حتى جاء
الى دار الملك فلما راه البوابون لم يشكوا في انه ما اقدم على ذلك الا باذن
الملك وتذمموا التقدم رياسته عليهم فاشفقوا من عودها وان يحجبوه
حتى يستاذنوا فدخل وهو مظهر لقوة امر نفسه ولم يزل حاله مع
طائفة طائفة منهم يقوى الى ان وصل الى الملك وقد اكل وهو جالس

يشرب فلما رآه الملك قطب وانكر حضوره وهمّ ان يامر به وبالحجاب
والبوابين فكره ان ينغص يومًا قد افرده بالسرور على نفسه واقبل
الرجل يخدم فيما كان يخدم فيه قديمًا فازدادت الحال تمويهًا على
الحاجب والحاشية الى ان كاد المجلس ينصرم وغفل الكثير من كان
حاضرًا عنده فتقدم الى صينية ذهب فيها الف مثقال مملوءة
مسكا فاخذها بخفه وجعل المسك في كمه والصينية في خفه
وخرج فركب وعاد الى منزله ورد العواري على اهلها وباع المسك
وكسر الصينية وجعلها دنانير واتسع بها وافاق الملك في غد
من سكرته ومن سمع من يخدم في الشراب يطلب الصينية وقهرمان
الدار يطالب بها ويضرب قومًا من اجلها فذكر حديث الحاجب
وعلم انه ما حمل نفسه على الغرر الشديد في ذلك الامر الا من وراء
شدة وضر فقال لقهرمانه لا تطلب الصينية فما لاحد في ضياعها
ذنب قد اخذها من لا يردها وراءه من لا ينم عليه فلما كان بعد
سنة عاد ذلك الحاجب الى شدة الاضاقة بنفاذ الدنانير وبلغه
خبر سماط يكون عند الملك في غد يومه فاحتال بحيلة اخرى حتى دخل
الى الملك فلما رآه الملك قال يا فلان قد نفدت تلك الدنانير فقبل
الارض بين يديه وبكى ومرغ خديه وقال ايها الملك قد احتلت
مرتين في ان تقتلني فاستريح مما انا فيه من عظم الضر الذي اعانيه
او تعفو عني كما يليق بك وتتذكر حرمتي فاعيش في ظلك وليس لي
بعد هذه الكرة حيلة فرق له الملك وعفى عنه وامر برد ارزاقه
ونعمته ورده الى حاله الاولى في خدمته وذكر القاضي ابو الحسين
ان ابن خالد بن عبد الله القسري اضاق اضاقة شديدة فبينا
هو ذات يوم في منزله اذ اتاه رسول هشام بن عبد الملك يدعوه
لولاية العراق فتلوم فاستحثه الرسول فقال له ابن خالد رويدًا
حتى يجف قميصي وقد كان غسله قبل موافاة الرسول ولم يكن بقي
له غيره فقال له الرسول يا هذا اسرع الاجابة فانك تدعى الى قمص كثيرة
فجاء الى هشام فولاه العراق وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه

عن علي

عن علي بن الهيثم قال رايت شيئًا قل ما رايت مثله رايت ثقل الفضل بن
الربيع على الف بعير ثم رايت ثقله في زنبيل ونحن مستترون وفيه ادوية
لعلته وهو ينقله من موضع الى آخر ورايت الحسن بن سهل وكان مع طريف
خادمي في بيت الدهليز وثقله زنبيل فيه نعلان وقميصان وازار
واصطرلاب وما اشبه ذلك ثم رايت ثقله على الف بعير وذكر
القاضي ابو الحسين في كتابه قال نالت عمرو بن هبيرة اضاقة شديدة
فاصبح ذات يوم في نهاية الكسل وضيقة الصدر والضجر مما هو فيه
فقال له اهله ومواليه لو ركبت فلقيت امير المؤمنين فلعله اذا راك
ان يجري لك شيئًا فيه محبة او يسالك عن حالك فتخبره فركب ودخل
على يزيد بن عبد الملك بن مروان فوقف بين يديه ساعة فخاطبه ثم
نظر يزيد وجه عمرو وقد تغير تغيرًا شديدًا انكره فقال له اتريد
الخلاء قال لا قال ان لك لشانًا قال يا امير المؤمنين اجد بين كتفي اذى
لا ادري ما هو قال عبد الملك انظروا ما هو فنظروا فاذا بين كتفيه
عقرب قد ضربته عدة ضربات فلم يبرح حتى كتب عهده على العراق
وجعل عبد الملك يصفه بالرجلة وشدة القلب وذكر القاضي
ابو الحسين في كتابه قال حدثنا ميمون بن موسى قال خرج رجل من
المتصرفين في عسكر المعتصم بالله مصرًا قال فحدثني عنه بعض المتصرفين
قال نزلت في دار بالقرب منه فحدثني الرجل بما كنت وقفت على بعضه
قال اصبحت ذات يوم وقد نفدت نفقتي وتقطعت ثيابي وانا من
الهم والغم على ما لا يوصف عظما فقال لي غلامي اي شيء تعمل اليوم
فقلت له خذ لجام الدابة فبعه فانه محلى وابتع مكانه لجامًا جديدًا
واشتر لنا خبزًا سميذًا وجديًا سمينًا فقد قرمت نفسي الى اكلها وعجل
ولا تدع ان تبتاع فيما تبتاعه كوز نبيذ مسروري فمضى الغلام وجلست
مفكرًا في امري وما القى وكيف اعمل فاذا باب الدار قد دق دقًا
عظيمًا حتى كاد ان يتكسر فاذا رهج شديد فقلت لغلام كان واقفًا بين
يدي اخرج فانظر ما هذا فالى الي ان لم يفتح الباب كسر وامتلات الدار
بالغلمان بالاتراك وغيرهم واذا باشناس وهو حاجب المعتصم ومحمد بن عبد الملك

الزيات وقد دخلا وقد طرحت لهما زولية فجلسا عليها واذا معهما حفارون
قال فلما رايت ذلك بادرت فقبلت ايديهما فسالاني عن خبري فخبرتهما
اياه واني خرجت في جملة اهل العسكر طمعًا في التصرف وذكرت حالي
وما قد آلت اليه فوعدت وعدًا جميلًا والحفارون يحفرون فالتفت
اشناس الى محمد بن عبد الملك فقال انا والله جائع فقال له محمد وانا
والله جائع فقلت عند ذلك يا سيدي عند خادمكما شيء قد اتخذ له
فان اذنتما في احضاره حضر فقالا هات فقدمت الجدي وما كان
ابتيع فاكلا واستوفيا وغسلا ايديهما ثم قال لي اشناس عندك
من ذلك الفن شيء قلت نعم فسقيتهما من الكوز ثلاثة اقداح ثلاثة
اقداح وجعل احدهما يقول للآخر ظريف وما ينبغي لنا ان نضيع هذا
البائس فبينا الحال على تلك اذ ارتفع تكبير الحفارين فاذا هم قد
كشفوا عن عشرين مرجلًا دنانير فوجهوا بالبشارة الى المعتصم
واخرجت المراجل فلما نهضوا قال احدهما للآخر وهذا الشيخ الذي
اكلنا طعامه وشربنا شرابه ندعه هكذا فقال الآخر فنعمل ماذا
فقال له نحفن له من كل مرجل حفنة لا تؤثر فيه فنكون قد اغنيناه
ونصد قاامير المؤمنين عن الحديث ثم قالا بحرك فجعل كل واحد منهما
يحفن لي حفنة من كل مرجل ثم حملا المال وانصرفا فنظرت فاذا قد
حصلا لي عشرون الف دينار فانصرفت بها الى العراق فابتعت بها ضياعًا
وتركت التصرف وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه قال حدثني ابي عن
ابي قلابة المحدث قال ضقت ضيقة شديدة فاصبحت ذات يوم
والمطر يجيء كافواه القرب والصبيان يتضورون جوعًا وما معي حبة واحدة
فما فوقها فبقيت متحيرًا في امري فخرجت فجلست في دهليزي وفتحت
بابي وجعلت افكر في امري ونفسي تكاد تخرج غمًا مما انا فيه وليس
يسلك الطريق احد لشدة المطر فاذا بامراة على حمار فاره وخادم
اسود آخذ بلجام الحمار والحمار يخوض في الوحل فلما صار بحذائي سلم
فقال اين منزل ابي قلابة فقلت هذا منزله وانا هو فسالتني المراة عن
مسئلة بلوى فافتيتها فيها فصادف ذلك ما احبت فاخرجت من خفها

خريطة

خريطة فدفعت الي منها ثلاثين دينارًا ثم قالت يا ابا قلابة سبحان خالقك
لقد تنوق في قبح وجهك وانصرفت حدثني ابو القاسم التنوخي في المذاكرة باسناد
ذهب عن حفظي قال كان لاحمد بن ابي خالد بغيضًا قبيح التجهم وكان مع ذلك
حرًا وكان يلزمه رجل متعطل من طلاب التصرف يقال له علي بن صالح الاضخم
من وجوه الكتاب فحدث قال طالت بي العطلة في ايام المامون والوزير اذ
ذاك احمد بن ابي خالد وضاقت حالي حتى خشيت التكشف فبكرت يومًا
الى احمد بن ابي خالد مغلسًا لاكلمه في امري فرايت بابه قد فتح وخرج
وبين يديه بريد المامون فلما نظر الي انكر بكوري علي وعبس وجهه
وقال في الدنيا احد يبكر هذا البكور ليشغلنا عن امرنا فلم تصبر نفسي
ان قلت ليس العجب منك اصلحك الله فيما استقبلتني به وانما العجب مني
كيف قد اسهرت نفسي ليلتي واسحرت من داري تاميلًا لك وتوقعًا للصبح
لاصير اليك وابثك امري فاستعين بك على صلاح حالي وحلفت يمينًا غليظة
ان وقفت ببابك او سالتك حاجة حتى تصير الي معتذرًا مما كلمتني به
وانصرفت مغمومًا مكروبًا بما لقيني به متندمًا على ما فرط مني غير شاك في
العطب اذ كنت لا اقدر على الحنث وكان ابن ابي خالد لا يلتفت الى تبرية قسمي
فاني لكذلك وقد طلعت الشمس اذ دخل بعض غلماني وقال احمد بن ابي خالد
مقبل في الشارع ثم دخل آخر فقال قد دخل دربنا ثم دخل آخر فقال قد
وقف على الباب ثم تبادر الغلمان يدخلون الدهليز فخرجت مستقبلًا له
فلما استقر في مجلسه من داري ابتدات اشكره على ابراره قسمي فقال ان امير
المؤمنين كان امرني بالركوب اليه في بعض مهماته فدخلت اليه وقد غلبني
السهو عما فرط مني اليك حتى انكر ذلك علي فقصصت عليه قصتي معك
فقال اسات بالرجل قم فامض اليه واعتذر مما قلته له فقلت فامضي اليه فارغ
اليد قال فتريد ماذا قلت لم تقض دينه قال كم هو قلت ثلثمائة الف درهم
قال وقع له بذلك قلت يرجع بعد الى الدين قال وقع له بثلثمائة اخرى
قلت وولاية يشرف بها قال وله مصر او غيرها مما يشتهيه قلت معونة
على سفره قال وقع له بمائة الف درهم قال واخرج التوقيع من خفه بالولاية
وسبعمائة الف درهم فدفعها الي وانصرف وذكر ابو الحسين القاضي قال

حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الخياط قال كان في جيراني بالجانب
الشرقي من بغداد رجل من الاتراك له رزق في الجند فتاخر رزقه في ايام
المكتفي و وزارة العباس بن الحسين فساءت حاله و رثت هيئته حتى لزم
الجلوس عند خباز كان بالقرب منا وكان يستشفعه على جماعة يسالهم
و يشفعه ايضا بان يعطيه في كل يوم خمسة ارطال خبزا يتقوت بها هو
وعياله فاجتمع عليه للخباز شيء فضاق به صدر الخباز ان يعطيه بعد شيئا
آخر فمنعه فخرج ذات يوم فجلس وهو عظيم الهم ثم كشف لي حديثه
وقال قد علمت انه لا بد لي من مسلة الناس وقد عملت على مسالة كل من
يشتري من الخباز ان يتصدق علي فقد حملني الجوع على هذا كله فكلما ذكرت ما في
ذلك من الذل منعتني نفسي فبينا هو معي اذ جاء رجل في زي نقيب يسال
عنه فدل عليه فوجده جالسا عند الخباز فقال له قم فقال الى اين قال
الى الديوان حتى تقبض رزقك فقد خرج لك ولاصحابك رزق شهرين
فمضى معه فلما كان بعد ساعة جاءني وقد قبض مائتين واربعين دينارا
فرم منزله واصلح حاله وحال عياله وابتاع دابة وسلاحا وخرج مع قائد
كان برسمه وحسنت حاله **وذكر القاضي** ابو الحسين في كتابه باسناده
عن الفضل بن عياض قال حدثني رجل ان رجلا خرج بغزل له فباعه بدرهم
ليشتري به دقيقا فمر على رجلين كل واحد منهما آخذ براس صاحبه قال
ما هذا قال يصطخبان في درهم فاعطاهما ذلك الدرهم وليس له شيء غيره
فجاء الى امراته فاخبرها فجمعت له شيئا من البيت فذهب يبيعه فكسد
عليه فمر عليه رجل ومعه سمكة قد اروحت فقال له ان معك شيء قد كسد
ومعي شيء قد كسد فهل لك ان تبيعني هذا بهذا فبايعه وجاء الرجل
بالسمكة الى البيت فقامت المراة تصلحها واذا بلؤلؤة في جوفها فقالت تعرف
قدر اللؤلؤ فقال لا ولكن اعرف من يعرفه فانطلقت بها الى صديق لي
وهو في سوق الجوهر فقلت بكم هي قال لك بها علي اربعون الفا فان شئت
فاذهب بها الى فلان فهو اثمن لك بها مني فذهب بها اليه فقال لك بها ثمانون
الفا وان شئت فاذهب بها الى فلان فهو اثمن لك بها مني فذهب بها اليه
فقال لك بها مائة وعشرون الفا ولا ارى احدا يزيدك قال فحمل اثني عشر بدرة

في كل بدرة عشرة الف درهم فذهب بها الى منزله ليضعها فيه فاذا رجل في
الباب يسال فقال هذه قصتي التي كنت عليها ادخل فدخل فقال خذ نصف
هذا المال فاخذ الرجل الفقير ست بدر ثم تباعد غير بعيد ثم رجع اليه فقال
ما انا بمسكين ولا فقير ولكن ارسلني اليك ربك تعالى الذي اعطاك بالدرهم
عشرين قيراطا فهذا الذي اعطاك قيراطا وذخر لك الباقي **وذكر** ابو
الحسين القاضي في كتابه باسناد كثير قال القرطبلي كان في جيراني رجل
من اهل البيوتات وكانت له نعمة فزالت عنه وساءت حاله وكانت له زوجة
واربع بنات فحبلت زوجته فاخذها الطلق في الليل قال فلم يكن لي حيلة
في شيء من الدنيا فخرجت ليلا هاربا على وجهي امشي حتى اتيت جسر النهروان
فاملت ان العمل عاملها وكان يعرفني فاساله تصريفي في شيء وتعجيل رزق
بعض شيء لانفذه الى زوجتي فوصلت الى الموضع وقد ارتفع النهار فجلست
استريح بالقرب من بقال فاذا فيج قد جاء فوضع مخلاته وعصاه ثم قال
للبقال اعطني كذا وكذا من خبز وتمر وادم فاعطاه فاكل ووزن له الثمن ثم فتح
مخلاته فقبضها وميز ما فيها من الكتب فرايت فيها كتابا الي وعليه صفته مهري
فقلت هذا الي فقال اتدري ما تقول قلت نعم قال افتعرف من كتبه قلت
لا قال فان فيه سفتجة بمال وبسبب هذا الكتاب من دون جميع ما معي استوجرت
وخرجت من الدينور فقلت له قد قلت لك وان مضيت الى بغداد لم تجد
صاحب الكتاب غيري فقال اما هنا انسان يعرفك قلت نعم قال قم بنا اليه
فجئت فلما دخلت على العامل قال لي ما اقدمك يا ابا فلان علينا فقلت له قبل
كل شيء من انا اعزك الله واين منزلي ببغداد قال انت ابو فلان بن فلان الفلاني
ومنزلك بمدينة السلام مدينة المنصور منها في سكة كذا فقلت للفيج
عرفت صدقي قال نعم فحدثت العامل بحديثي واخذت الكتاب من الفيج واذا
هو من بعض المستورين من الدينور يذكر ان عما كان لي فيها قد توفي بعد ان
اوصى اليه ابي وارثه واسماني له ووصف سكني ببغداد قال وكتب الرجل يذكر
ان عمي اوصى بالثلث من ماله في وجوه البر وان يسلم باقي تركته الي وانه باع
اثاث منزله وما خاف فساده من تركته وصرف الثلث منه في بعض ما كان اوصى
به وانفذ الي سفتجة بالثلثين من ذلك مبلغها سبعمائة دينار وكذا وكذا دينارا

باجل اربعين يوما على تاجر في دار القطن بالكرخ وقال الموجران تبادر الى الدينور
لتبيع العقار والضياع او تبيع الثلث منها التصرف فيهم وتتمسك بالباقي ان
شئت قال فورد علي من السرور ما لا عهد لي بمثله وحمدت الله تعالى وقلت للفيج
قد وجب حقك وساحسن اليك وشرحت له قصتي وانه لا حبة فضة معي فاتى بي
فجاء بي الى البقال فقال زن لاستاذي بكذا وكذا خبزا وادما وما يريد غيرهما
فتغديت و وزن الفيج ثمن ذلك من عنده واستاجر حمارين فاركبني احدهما
وركب هو الآخر و وزن الاجرة من عنده وجئنا في بقية يومنا الى بغداد
وقصدنا دار القطن وفي النهار بقية صالحة فاوصلت السفتجة الى التاجر
فقال صحيحة اذا حل الاجل فاحضر للقبض فقلت له خذ حديثي وافعل بعد
ذلك ما يوفقك الله تعالى له وترى في مروتك وقصصت عليه قصتي فقال
بالله الذي لا اله الا هو انت صادق فحلفت له فاخرج كيسا كان بقربه فوزن
منه مال السفتجة فاخذ بقبض بذلك وصرت من وقتي الى السوق فاشتريت
عسلا وسكرا وشيرجا وخبزا كثيرا وحملا مشويا وما يصلح للنساء النفاس
ومهدا وقشوة وعطرا صالحا وشيئا من الثياب وصرت الى منزلي وقد قربت
عشاء الآخرة فوجدت كل من فيه من النساء يدعو علي ويلعنني فقدمت
الحمالين ودخلت منزلي فانقلبت الدار وانقلب الدعاء علي فصار دعاء لي
وصار الغم سرورا ووجدت زوجتي قد ولدت ابنا وعرفت الصبيان خبر
السفتجة والميراث والفيج واعطيت الزوجة والقابلة من الدنانير واقام الفيج
عندي اياما حتى اصلحت امري وامر عيالي ما وجب وخلفت لهم نفقة واعطيت
الفيج منها واجزلت واكتريت حمارين لي وله واستصحبته الى الدينور فوجدت فيها
ما يخصني مما خلفه ابن عمي نحو عشرة الاف دينار فبعت ذلك كله واخذت
بحصتي سفاتج الى بغداد وعدت وقد فرج الله عز وجل عني واصلح حالي فانا
اعيش في بقية تلك الحال الى الآن **وذكر** ابو الحسين القاضي قال حدثني ابي عن
بعض اخوانه احسبه ابو يوسف بن يعقوب بن ثابت قال املق بعض الكتاب
في ايام الرشيد حتى افضى الى بيع دابته ونقض داره فلم يبق فيها الا بيت كان
ياوي اليه هو و ولده فانقطع عن الناس وانقطعوا عنه دهرا وكان
الرشيد يولي اعمال اذربيجان وارمينية في كل سنتين او ثلث رجلا من بني هاشم

فولاها سنة من السنين رجلا منهم فاضلا فطلب كاتبا فارها يصطنعه وشاور
فيه صديقا له من الكتاب فوصف له هذا الرجل المتعطل ووعده باحضاره
وصار اليه فطرق الباب عليه فوجده لما دخل اليه على حال من العسر لا يتهيا
له معها لقاء احد فبعث اليه من منزله بخلعة من ثيابه ودابة وغلام وبخور
ودراهم وركب معه الى الهاشمي فلقيه بها فامتحنه الهاشمي فوجده بارعا
في صناعته فاستكتبه وقرر جرايته وامر له بمال معجل معونة له على سفره
وامره بتقدمه في اذربيجان فعاد الرجل الى منزله واصلح من حاله وخلف
نفقة لعياله وشخص فلما بلغ المصروف الخبر رحل عن البلد واخذ غير الطريق
الذي بلغه ان الكاتب قد سلكه وخلف كاتبه لرفع الحساب فلما شارف كاتب
الوالي الناحية خرج اليه كاتب المعزول ولقيه فساله عن صاحبه فلما اعلمه
شخوصه الى مدينة السلام انكر ذلك فقال له كاتب المعزول مل بنا الى موضع
نجلس فيه ونتحدث وترى رايك فمالا ونزلا وطرح لهما ما جلسا عليه فقال
اعزك الله لا تنكر انصراف صاحبي فانه رجل كبير المقدار وكان في مقامه الى ان
يصير والى العمل مهانة تلحقه وقد خلف قبلي مائة الف درهم لصاحبك وفرشا
ورقيقا بقيمة ثلاثمائة الف درهم فاقبض ذلك واكتب لنا كتابا بازاحة علته
وانفصال ما بيننا وبينك ونحن ننصب لك من يرفع الحساب رفع من لا يعيب
ولا يستقصى عليه فقبل كاتب الوالي ذلك وركبا وقد زال الخلاف بينهما الى البلد
فقبض تلك الاشياء النفيسة لنفسه ولصاحبه وكتب الكاتب الكتاب الى
الرشيد بازاحة علته وانفصال ما بينهم وبينه وخرج الكاتب لاحقا بصاحبه
وخلف من يسلم الحساب فاتصل ظاهر الخبر بالهاشمي الوالي فكتب الى كاتبه ينكر
عليه فكتب اليه اني قد بلغت في الامر مبلغا مرضيا اذا وقفت عليه فلما
صار الى الناحية عرفه ما جرى فحسن موقعه منه وتبرك بالكاتب وغلب على
عقله فكسب مالا عظيما فلما مضت عليه ثلث سنين صرف الهاشمي الرجل الذي
كان قبله واليا وبلغ الهاشمي الخبر فقال لكاتبه ما الراي فقال نفعل به مثل ما فعل
بنا واقيم انا ومعي مثل ما كان اعطانا فاعطيه اياه واخذ كتابه بانفصال ما بيننا
وبينه والحق بك ففعل ووافى كاتب الصارف الذي كان صرف فاستقبله الكاتب
في الموضع الذي لما كان مصروفا لقيه فيه فعدلا ونزلا وعرض عليه ما خلفه

صاحبه له وسأله قبول ذلك والكتاب مثل ما كان كتب له الى الرشيد فامتنع من قبول
ذلك وكتب له بانفصال ما بينهما الى الرشيد كتاباً وكيداً وقال اراك فاضلاً
فطناً وارى صاحبك عاقلاً وقبول هذا لا يكون مكافاة بل يكون كالبيع والشراء
ولكن قد ذكرت في امر اجمع لنا ولكم من هذا قال ما هو قال اعقد بيننا وبين
صاحبك صهراً ونكون اخوة واصدقاء قال فعل الله بك وصنع فما في الدنيا
اكرم ولاية منك ولا اصرفاً فعقدا بينهما الصهرين وسارا الى مقصدهما
ودخل الكاتب بغداد وقد حصل الهاشمي صاحبه بها فاخبره الخبر فاحمد
رايه وامضى عقده في المصاهرة فصار الكاتب من ارباب الاحوال وعاد
الى افضل ما كان عليه قبل محنته **وذكر** ابو الحسين القاضي في كتابه
قال روى شيخ من اهل الكوفة قال املقت وبلغت بي الحال حتى نقضت
منزلي فلما اشتد علي الامر وتجرد عيالي من الكسوة وجاءتني الخادمة فقالت
والله ما لنا دقيق ولا معنا ثمنه فما نعمل قلت اسرجي حماري قال وكان قد
بقي لي حمير ما اكل شعيراً منذ ثلاث ليال قالت فكيف تركبه قلت اسرجيه
على كل حال فاسرجته فركبته ادب عليه هارباً مما انا فيه حتى انتهيت الى
البصرة فلما شارفتها فاذا انا بموكب مقبل فلما انتهوا الي دخلت في جملتهم
فرجعت الخيل تريد البصرة فسرت معهم حتى دخلتها وانتهى صاحب الموكب
الى منزله فنزل ونزل الموكب ونزلت معهم ودخلنا فاذا المنزل مفروش والناس
جلوس مع الرجل فدعي بغداء فجاؤا باحسن غداء فتغديت مع الناس ودعي
بالغالية فتغلفنا بها ثم قال هاتوا يا غلمان سفطاً فجاؤا بسفط ابيض
مشدود ففتحه فاذا فيه اكيسة بيض في كل كيس الف درهم فبدا يعطي من
كان على يمينه فامرها عليهم ثم انتهى الي فاعطاني كيساً ثم ثنى فاعطاني آخر
ثم ثلث فاعطاني واخذت الجماعة وبقي في السفط كيس واحد فاخذه بيده
وقال هاك يا هذا الذي لا نعرفه فاخذت اربعة اكياس وخرجت فقلت
لانسان ممن في الدار من هذا قال هذا عبيد الله بن ابي بكر **وذكر القاضي**
ابو الحسين في كتابه قال حدثتني جدتي ام ابي قالت كان زوجي يعقوب بن علي
قد نهض الى مصر وتصرف بها وعمل وتعطل واقام هناك فاضقنا اضاقة
شديدة وعرضنا بعض ضيعة لنا فلم نجد لها ثمناً وتاخر كتابه عنا وانقطع

خبره حتى توهمنا ان حادثاً حدث عليه وكان اولادي اصاغر فكنت احتال
واتحمل وانفق حتى لم يبق لي في المنزل شيء وحضر وقت عمارة الضيعة
فاحتجنا الى بذر ونفقة فتعذر ذلك علينا حتى كدنا ان نتعطل ويفوت
وقت الزراعة فاصبحت يوماً وبي من الغم من اجتماع هذه الاحوال امر عظيم
فوجهت الى بعض من كنت اثق به واتوهم اني لو سالته اسعفنا بالكثير من
ماله اني لا الجا الفنا لاقترض منه شيئاً لذلك فرد رسولي واعتذر وعرفني
الرسول انه قال اذا بعثت لهم ما طلبوا والضيعة لم تعمره ولم يحصل لهم
غلة وزوجهم لم يعرف له خبر فمن اين يردونه علي قالت فكدت اموت غماً
وامتنعت من الطعام يومي وليلتي فاصبحت فما انتصف النهار حتى ورد
علي كتاب زوجي بسلامته وذكر السبب في تاخر كتابه وبسفتجة انفذها في
طي كتابه بالفي دينار وذكر شيئاً انفذها مع آخر من اهل البصرة مبلغها
خمسون ديناراً فقبضت ذلك وعمرنا الضيعة وزرعت في تلك السنة
وحسنت حالي **وذكر القاضي** ابو الحسين في كتابه قال روي ان
سعيد بن العاص قدم الكوفة عاملاً لعثمان بن عفان وكان ممن يتعشى
عنده من القراء رجل قد ساءت حاله فقالت له امراته ويحك قد
بلغنا عن اميرنا هذا كرم فاذكر له حالك فلعله ان ينيلنا شيئاً ﻫ
فلم يبق للصبر فينا بقية فقال ويحك لا تخلقي وجهي قالت فاذكر له ما نحن
فيه على كل حال فلما كان بالعشي اكل عنده فلما انصرم الناس ثبت الرجل
فقال له سعيد اظن جلوسك لحاجة فاذكرها فحصر الرجل فقال سعيد
لغلمانه تنحوا ثم قال يرحمك الله انما انا وانت فاذكر حاجتك فنفخ سعيد المصباح
فاطفاه ثم قال رحمك الله لست ترى وجهي فاذكر حاجتك قال اصلح الله
الامير اصابتنا حاجة فاحببت ذكرها لك قال فاذا اصبحت فالق فلاناً ﻫ
وكيلي فلما اصبح الرجل لقي الوكيل فقال له ان الامير قد امر لك بشيء فهات
من يحمله معك فقال ما عندي من يحمل معي وما اظن الامير قد امر لي الا ﻫ
بقوصرة تمر وقفيزين وذهب ماء وجهي ولو كانت دراهم او دنانير لاعطانيها
بيدي فلما كان بعد ايام قالت له امراته يا هذا قد بلغ بنا الامر ما ترى ومهما
اعطاك الامير فخذه نتقوت به اياماً فالق وكيله فلقيه فقال اين تكون اخرت

الامير ان ليس لك من يحمل ما امر به لك فامرني ان اوجه معك من يحمل ذلك
قال ثم اخرج اليه ثلاثة من السودان على راس كل واحد منهم بدرة دراهم
فقال امضوا معه فلما بلغ الرجل باب منزله فتح بدرة واخرج منها دراهم
فدفعها الى السودان وقال انصرفوا فقالوا الى اين نحن عبيدك انه ما حمل
مملوك للامير هدية الى احد فرجع المملوك الى ملكه قال فصلحت حال الرجل
واستظهر على امر دنياه **وذكر القاضي** ابو الحسين في كتابه عن الاصمعي
قال لزمت باب الرشيد وكنت اقيم عليه طول نهاري وابيت بالليل مع
الحراس اسامرهم واتوقع طالع سعد حتى كدت اموت ضراً او هزالاً
وان اصير الى ملالة ثم اتذكر ما في عاقبة الصبر من الفرج واؤمل صلاح
حالي باتفاق محمود فاصبر فبينا انا ذات يوم وقد اثر في السهاد خرج
بعض الحجاب فقال هل بالباب احد يحسن الشعر فقلت الله اكبر رب مضيق فكه
اليسر انا ذاك الرجل فاخذ بيدي وقال ادخل فان ختم لك بالسعادة والتصويب
لرأيه فلعلها ليلة تكون تعرس فيها بالغنى فقلت بشرك الله بخير ودخلت
فواجهت الرشيد في البهو جالساً والخدم وقوف على راسه وجعفر بن يحيى
البرمكي الى جانبه فوقف بي الحاجب حيث يسمع تسليمي فسلمت ثم قال تنح قليلاً
لتسكن ان كنت وجدت للروعة حساً فقلت في نفسي فرصة تفوتني آخر الدهر
بعارض شغل فلا اعتاض عنها الا كمداً حتى يضيق علي الضريح فقلت في نفسي
اضاءة كرم امير المؤمنين وبهاء مجده مجيران لمن نظر اليه من اذية النقص يسالني
ايده الله فاجيب ام ابتدئ فاصيب فتبسم الي جعفر وقال ما احسن ما استدعى
الاحسان واحرى به ان يكون محسناً ثم قال لي اشاعر انت ام راوية للشعر
قلت راوية قال لمن قلت لكل ذي جد وهزل بعد ان يكون محسناً قال انصف
القارة من راماها قال ما معنى هذه الكلمة قلت لها وجهان زعمت النابغة
انه كان لها رماة لا يقع سهامها في غير الحدق فكانت تكون في الموكب الذي يكون
فيه الملك على الجياد البلق فخرج فارس معلم بعذبات سمور قلنسوته فنادى
اين رماة الحدق فقالت العرب انصف القارة من راماها والوجه الآخر
الموضع المرتفع من الارض والجبل الشاهق فمن ضاهاه بفعاله فقد راماه
وما احسب هذا هو المعنى لان المراماة كالمعاطاة فكان المعاطاة للنديم

هو ان ياخذ كاساً كذلك المراماة ترميها وترميه قال اصبت اروريت للعجاج شيئاً
قلت الاكثر قال انشدني قوله ﻫ ارقني طارق هم طرقا ﻫ فمضيت فيها مضي
الجواد تمدر اشداقي فلما بلغت مدحه لبني امية ثنيت عنان اللسان لامتداحه
للمنصور فقال اعن عمد او عن غير عمد فقلت بل عن عمد تركت كذبه الى
صدقه فيما وصف المنصور من مجده قال جعفر بارك الله عليك مثلك يؤهل
لمثل هذا الموقف ثم التفت الي الرشيد وقال ارويت لعدي بن الرقاع قلت
الاكثر قال انشدني قوله ﻫ بانت سعاد فاخلفت ميعادها ﻫ فابتدرت
بها تمدر اشداقي فقال لي جعفر يا هذا انشد على مهل لن تنصرف الا غانماً
فقال الرشيد اما اذ قطعت علي لتشركني في الجايزة قال فطابت نفسي فلا
البس اردية التيه على العرب وانا ارى الخليفة والوزير يتشاطران المواهب
لي فتبسم ومضيت فيها ثم قال ارويت لذي الرمة شيئاً قلت الكثير قال
انشدني قوله ﻫ امن حذر الهجران قلبك يطمح ﻫ فقلت هي عروس شعره
قاية الجبين قلت قوله ﻫ ما بال عينك منها الماء ينسكب ﻫ قال امض فيها
فمضيت فيها حتى انتهيت الى وصفه جمله قال جعفر تغني علينا ما اتسع
من مسامرة الشهر بجمل اجرب فقال الرشيد اسكت فهي التي سلبتك
تاج ملكك وازعجتك عن قرارك ثم جعلت جلودها سياطاً تضرب بها
انت وقومك عند الغضب فقال جعفر الحمد لله عوقبت عن غير ذنب
قال الرشيد اخطأت في كلامك لو قلت استعين الله قلت صواباً انما يحمد الله
عز وجل على النعم ويستعان على الشدائد ثم قال اني لاجد ملالاً وهذا
جعفر ضيف عندنا هنا فسامره في ليلتك فاذا اصبحت فان رضي بلغاك
بثلاثين الف درهم ثم قام وقربت اليه النعل فجعل الخادم يصلح عقب
النعل في رجله فقال ارفق ويلك احسبك قد عقرتني فقال جعفر قاتل
الله العجم لو كانت سندية ما احتاج امير المؤمنين الى هذه الكلفة فقال
هذه نعلي ونعل آبائي ولا تدع نفسك والتعرض لما تكره ومضى فقال
لي جعفر لولا انه مجلس امير المؤمنين ولا يجوز ان آمر فيه بمثل ما امر لك
لامرت لك بثلاثين الف درهم ولكن قد امرت لك بتسعة وعشرين الف
فاذا اصبحت فاقبضها فما صليت من غد الظهر الا في منزلي وامر لي به ﻫ

بلغ

فايسرتُ ولزمتُها وزال ما كنت فيه من الضرّ واتى الاقبال وذكر القاضي ابو
الحُسين في كتابه قال بلغني عن عمرو بن مسعدة انه قال كنت مع
المامون عند قدومه من بلاد الروم حتى اذا نزلت الرقة قال يا عمرو
ما ترى الرخجي قد احتوى على الاهواز وهي سلّة الخبز وجمع المال قبله
وطمع فيها وكتبي متصلة بحملها وهو يتعلّل ويتربّص بي الدوائر فقلت
انا اكفي امير المؤمنين هذا وانفذ من يضطره الى حمل ما عليه فقال
ما يقنعني هذا فقلت فيامر امير المؤمنين بامره فقال تخرج اليه بنفسك
حتى تصفده بالحديد وتحمله الى بغداد وتقبض على جميع ما في يده من
اموالنا وتنظر في اعمالنا وترتب فيه عمالا فقلت السمع والطاعة فلما
كان من غدٍ دخلتُ عليه فقال ما فعلت فيما امرتك به قلت انا على ذلك
قال اريد ان تجي في غدٍ مودّعًا قلت السمع والطاعة فلما كان من غدٍ جئته
مودّعًا فقال اريد ان تحلف لي انك لا تقيم ببغداد الا يومًا واحدًا فاضطربت
من ذلك الى ان حضّ علي واستحلفني ان لا اقيم فيها اكثر من ثلاثة ايام
فخرجتُ حتى قدمتُ بغداد ولم اقم بها الا ثلاثة ايام وانحدرتُ في زلال
اريد البصرة وجعل لي فيها خيش واستكثرت من الثلج لشدة الحرّ فلما
صرتُ بين جرجاي وجبّل سمعتُ صوتًا من الشاطي يصيح يا ملاح فرفعت
سجف الزلال فاذا شيخ كبير السن جالس حاسر الراس حافي القدمين خلق
القميص فقلت للغلام اجبه فاجابه فقال يا غلام انا شيخ كبير السن على
هذه الصورة التي ترى وقد احرقتني الشمس وكادت تتلفني واريد
جبل فاحملوني معكم فان الله يحسن اجر صاحبكم قال فشتمه الملاح وانتهره
فادركتني رقة عليه فقلتُ للغلام خذوه معنا فقدم الى الشط وصحنا
به وحملناه فلما صار معنا في الزلال وانحدرنا تقدّمتُ فدفعتُ اليه قميصًا
ومنديلًا وغسل وجهه واستراح فكانه كان ميتا عاد الى الدنيا وحضر
وقت الغداء فتذمّمت وقلت للغلام هاته ياكل معنا فجاء فقعد على الطعام
فاكل اكل اديب غير ان الجوع قد بيّن عليه فلما رفعت المائدة اردت ان
يقوم فيغسل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل
فغسلتُ يدي وتذمّمتُ من ان آمر باقامته فقلت قدّموا اليه الطست

خاسر

فغسل يده واردتُ بعدها ان يقوم فاقام فلم يفعل فقلت يا شيخ اي شيء
صناعتك فقال حائك اصلحك الله فقلتُ في نفسي هذا عمل الحاكة فتناومت
عليه ومددت رجلي فقال فانت اعزك الله فاي شيء صناعتك فاكبرتُ ذلك
فقلتُ انا جنيت هذه الجناية على نفسي اتراه ما يرى زلالي وغلماني ونعمتي
وان مثلي لا يقال له مثل هذا فقلت له ليس الا الهزال بهذا فقلت كاتب فقال
لي اصلحك الله ان الكتاب خمسة فايّهم انت فسمعتُ كلمة اكبر منها وكنت
متكيًا فجلستُ ثم قلت له فصّل الخمسة قال نعم كاتب خراج يحتاج ان يكون
عالما بالشروط والطسوق والحساب والمساحة والبثوق والفتوق والرتوق
وكاتب احكام يحتاج الى ان يكون عالما بالحلال والحرام والاختلاف والاجماع
والاصول والفروع وكاتب معونة يحتاج الى ان يكون عالمًا بالقصاص
والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات وكاتب جيش يحتاج الى
ان يكون عالمًا بحلى الرجال وشيات الدواب ومداراة الاولياء وشيء
من العلم بالنسب والحساب وكاتب رسائل يحتاج الى ان يكون عالمًا
بالصدور والفصول والاطالة والايجاز وحسن الخط والبلاغة فايّهم
انت فقلت له اني كاتب رسائل فقال اصلحك الله لو ان رجلا من اخوانك
تزوج امّك واردت ان تكاتبه مهنّئًا فكيف كنت تكاتبه فتفكرت في
الحال فلم يخطر ببالي شيء فقلت له ما ارى للتهنية وجهًا قال فكيف تكتب
اليه تعزّيه فتفكرت فلم يخطر ببالي شيء فقلت اعفني فقال قد فعلت ولكن
لستَ كاتب رسائل فقلت فانا كاتب خراج قال لو ان امير المؤمنين ولّاك
ناحيةً وامرك فيها بالعدل والانصاف واستيفاء حق السلطان فتظلم اليك
بعضهم من مسّاحك فاحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيتك فحلف المسّاح
بالله لقد انصفوا وما ظلموا وحلفت الرعية بالله لقد جاروا وظلموا
فقالت الرعية قف بنا على ما مسحوه وانظر من الصادق من الكاذب
فخرجت لتقف على ذلك فوقفوك على قراح شكله قاتل قثا كيف كنت تمسحه
قلت كنت آخذ طوله على انفراده وآخذ عرضه ثم اضربه في مثله قال ان
شكل قاتل قثا ان تكون زاويتاه محدودتين في تحديبه تقويس قلت
فآخذ الوسط فاضربه في العرض قال اذًا اينتني عليك العمود فاسكتني وقال

لستَ كاتب خراج قلت فانا كاتب قاضٍ قال ارايت لو ان رجلا توفي وخلف امراتين
حاملتين احداهما حرّة والاخرى سرّية فولدت السرّية غلامًا والحرة جارية
فعدت الحرّة الى ولد السرّية فاخذته فاختصمتا في ذلك كيف الحكم بينهما قلت
لا ادري قال فلستَ كاتب قاضٍ قلت فانا كاتب جيش قال لو ان رجلين جاءا
اليك لتحليهما وكل واحد اسمه واسم ابيه كاسم الآخر واسم ابيه الا ان احدهما
مشقوق الشفة العليا والآخر مشقوق الشفة السفلى فكيف كنت تحليهما
قلت فلان الاعلم وفلان الاعلم رزقهما فيجي مختلف كل واحد منهما في دعوة
الآخر قلت لا ادري قال فلستُ بكاتب جيش قلت انا كاتب معونة قال لو ان
رجلين رفعا اليك قد شج احدهما الآخر شجة واضحة وشج الآخر صاحبه شجة
مامومة كيف تفصل بينهما قلت لا ادري قال لست اذًا كاتب معونة اطلب
لنفسك ايها الرجل شغلا فقصرت نفسي الي واغاظني قلت قد سالت عن
هذه الامور ويجوز ان لا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندي فان كنت
عالمًا بالجواب فقل قال نعم اما الذي تزوج امك فتكتب اما بعد فان
الامور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم بل هو تعالى يختار
لهم ما احب وقد بلغني تزويج الوالدة خار الله لك في قبضها فان القبور
اكرم الازواج واستر للعيوب والسلام واما قراح قاتل قثا فتمسح العمود
حتى اذا اصار عدادًا في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو مساحة
واما الجارية والغلام فيوزن اللبنان فايهما كان اخف فللجارية له واما الجنديان
المتفقا الاسمين فانه اذا كان الشق في الشفة السفلى كتب فلان الافلح واذا
كان الشق في الشفة العليا كتب فلان الاعلم واما صاحب الشجتين فلصاحب
الموضحة ثلث الدية ولصاحب المامومة نصف الدية فقلت يا شيخ الست
زعمتَ انك حائك فقال انا اصلحك الله حائك كلام ولستُ حائك
لنساجة ثم انشا يقول
ما مرّ بؤسٌ ولا نعيمٌ … الا ولي فيهما نصيبُ
فذقتُ حلوًا وذقتُ مرًّا … كذاك عيش الفتى ضروبُ
نوائبُ الدهر ادّبتني … وانما يوعظ الاديبُ
قلتُ فما الذي ارى بك من سوء الحال قال انا رجل
كاتب دامت عطلتي وكثرت عيلتي وتواصلت محنتي فخرجتُ لطلب التصرف

فقطع علي الطريق فتركت كما ترى فمشيت على وجهي فلما لاح لي الزلال استغثت
بك قلت فاني قد خرجتُ الى متصرّف جليل احتاج فيه الى جماعة مثلك وقد
امرت لك عاجلًا بخلعة حسنة تصلح لمثلك وخمسمائة درهم تصلح بها امرك
وتنفذ منها الى عيالك وتقوي نفسك بباقيها وتصير معي الى عملي فاوليك
اجلّه فقال احسن الله جزاك اذًا تجدني بحيث اسرّك ولا اقوم مقام معتذرٍ
اليك ان شاء الله تعالى فامرت له بتقبيض ما رسمت له فانحدر معي الى
الاهواز فجعلته المناظر للرخجي والمحاسب له بحضرتي والمستخرج لما له عليه
فقام بذلك احسن قيام واوفاه وحسنت حاله معي وعادت نعمته الى
احسن ما كانت عليه قال مؤلف الكتاب وقد بلغني حديث
لعمرو بن مسعدة في زلاله بخلاف هذا حدّثني به عبيد الله بن محمد بن الحسين
الحنقا العنقسي وهو يذكر ان اهل امه اقرباء لبني مازمة الذين كانوا
تنّا البصرة واهل النعم بها قال حدّثني ابي قال سمعتُ شيوخنا بالبصرة
واهلها يتحدّثون ان عمرو بن مسعدة كان مصعدًا من واسط الى بغداد
في حرّ شديد وهو جالس في زلال فناداه رجل يا صاحب الزلال بنعمة
الله عليك الا ما نظرت الي قال فكشف الزلال فاذا شيخ ضعيف حافي
حاسر فقال له قد ترى ما انا فيه ولست اجد من يحملني فابتغ الاجر فيّ وتقدم
الى ملاحيك يطرحوني بين مجاذيفهم الى ان ابلغ بلدًا تطرحوني فيه قال فقال
عمرو بن مسعدة فرحمته وقلت خذوه فاخذوه فغشي عليه وكاد يموت لما
لحقه من الشمس والمشي فلما افاق قلت يا شيخ ما حالك وقصتك فقال قصتي
طويلة وبكى فسكّنته وطرحت عليه قميصًا ومنديلًا وامرت له بدراهم وسمشك
فشكر وقلت لابد ان تحدثني بقصتك فقال انا رجل كانت علي لله عز وجل
نعمة جليلة وكنت صيرفيًا فابتعتُ جارية بخمسمائة دينار فعشقتها عشقًا
عظيمًا فكنت لا اقدر ان افارقها ساعة فاذا خرجتُ الى الدكان اخذني كالجنون
والهيمان حتى اعود الى منزلي فاجلس معها يومي كله فدام ذلك علي حتى تعطل
دكاني وكسبي واقبلتُ انفق من راس المال حتى لم يبق منه قليل ولا كثير
وانا مع هذا لا اقدر ان افارقها بقدر ما اقعد في الدكان اتعيّش وجلست
الجارية واقبلت انقض داري وابيع نقضها حتى فرغت من ذلك كله ولم يبق لي

حيلة وضربها الطلق فقالت يا هذا اني هوذا اموت فاحتل بما تبتاع به عسلا
ودقيقا وشيرجا والا مت فبكيت وخرجت على وجهي الى النهروان وما زلت
امشي من قرية الى قرية حتى بلغت الى خراسان فصادفت بها من عرفني
وتصرفت في صناعتي ورزقني الله مالا عظيما واثريت واتسعت حالي
وكتبت ستة وستين كتابا لأعرف خبر منزلي فلم يعد الي جواب فلم اشك
ان الجارية ماتت وقطعت المكاتبة وتراخت السنون حتى صار معي ما قيمته
عشرون الف دينار فقلت قد صار لي نعمة فلو رجعت الى وطني وابتعت
بالمال كله متاعا من خراسان واقبلت اريد العراق من طريق فارس
والاهواز فخرج على القافلة اللصوص فاخذوا جميع ما فيها فنجوت
بثيابي وعدت فقيرا كما خرجت من بغداد فدخلت الاهواز وبقيت
بها متحيرا حتى كشفت خبري لبعض اهلها ممن لا اعرفه فاعطاني ما تحملت
به الى واسط ونفدت نفقتي فمشيت الى هذا الموضع وقد كدت اتلف ٥
فاستغثت بكم ولي منذ فارقت بغداد ثمان وعشرون سنة فعجبت من محبته
ورفقته له وقلت اذا صرنا الى بغداد فاعرف خبر اهلك وصر الي فاني
اتقدم بتصريفك فيما يصلح لمثلكما تعيش به فشكر ودعا ودخلنا بغداد
ومضت على ذلك مدة انسيته فيها فبينا انا ذات يوم قد ركبت اريد
المامون فاذا انا بشيخ على بابي راكبا بغلا فارها بمركب محلى ثقيل وغلام
اسود بين يديه كانه من الملوك له وثياب حسنة مرتفعة فلما رايته رحبت
به وقلت ما الخبر قال طويل فقلت عد الي فلما كان من الغد جاءني
فقلت عرفني خبرك فقد سررت بحسن ظاهر حالك فقال اني اصعدت
من زلالك فقصدت داري فوجدت حائطها الذي يلي الطريق كما خلفته
غير ان باب الدار مجلو نظيف وعليه دكان وبغال مع شاكرية فقلت
انا لله ماتت جاريتي وتملك الدار بعض الجيران فباعها على رجل من اصحاب
السلطان ثم تقدمت الى بقال كنت اعرفه في المحلة فاذا في دكانه غلام
حدث فقلت من يكون فلان البقال منك فقال ابي فقلت ومتى مات ابوك
فقال منذ عشرين سنة قلت هذه الدار لمن قال لابن داية امير المؤمنين
وهو جهبذه وصاحب بيت ماله قلت بمن يعرف قال بابن فلان الصيرفي

قال

قال فاسمه قلت هذه الدار ممن باعها عليه قال هذه دار ابيه قلت وهل يعيش
ابوه قال لا قلت اتعرف من حديثهم شيئا قال نعم حدثني ابي ان هذا الرجل
كان صيرفيا جليلا فافتقر وان ام هذا الرجل ضربها الطلق فخرج ابوه يطلب
لها شيئا ففقد وهلك وقال لي ابي فجاءني رسول ام هذا يستغيث بي فقمت
لها بحوائج الولادة ودفعت اليها عشرة دراهم ما انفقتها حتى قيل قد ولد ٥
لامير المؤمنين مولود ذكر وقد عرض عليه جميع الدايات فلم يقبل ثديهن وقد
طلب له الحرائر فجاؤوا بغير واحدة فما اخذ ثدي احد منهن وهم في طلب مرضع
فارشدت الذي طلب الداية الى ام هذا فحملت الى دار الرشيد فحين وضع فم
الصبي على ثديها قبله فارضعته وكان الصبي ولده المامون وصارت عندهم
في حال جليلة ووصل اليها خير كثير منهم ثم خرج المامون الى خراسان فخرجت
هذه المرأة وابنها معه ولم نعرف اخبارهم الا منذ قريب لما عاد المامون
فحمدت الله تعالى على هذه الحال وجئت حتى دخلت الدار مع الناس فرايت
الصحن في نهاية العمارة والحسن وفيه مجلس كبير مفروش بفرش فاخرة
في صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يتوفيه عليهم
وفي صفاف الدار وبعض مجالسها جهابذة بين ايديهم الاموال والتخوت
والشواهين يقبضون ويقبضون وبصرت بالفتى فرايت شبهي فيه فعلمت
انه ابني فجلست في غمار الناس الى ان لم يبق في المجلس غيري فاقبل علي وقال
يا شيخ هل من حاجة تقولها قلت نعم ولكنها لا يجوز ان يسمعها غيرك فاومى الى
غلمان كانوا حوله قياما فانصرفوا وقال قل اعزك الله قلت انا ابوك فلما سمع
ذلك تغير وجهه ولم يكلمني بحرف ووثب مسرعا وتركني في مكاني فلم اشعر
الا بخادم جاءني فقال قم يا سيدي فقمت امشي معه حتى بلغنا الى ستارة
منصوبة في دار لطيفة وكرسي بين يديها والفتى خارج الستارة على كرسي
آخر فقال اجلس ايها الشيخ فجلست على الكرسي ودخل الخادم فاذا الحركة
خلف الستارة فقلت اظنك تريد تعتبر صدقي في قولي من جهة فلانة ٥
وذكرت اسم جاريتي امه فاذا بالستارة قد هتكت والجارية قد خرجت الي
فجعلت تقبلني وتبكي وتقول مولاي مولاي والله قال فرايت الفتى قد
تشور وبهت وتحير فقلت للجارية ويحك ما خبرك فقالت دع خبري ففي

مشاهدتك لما تفضل الله عز وجل علي كفاية الى ان اخبرك فقل ما كان من خبرك
انت فقصصت عليها خبري منذ يوم خروجي من عندها الى يومي ذلك وقصصت
ما كان قصته على البقال وشرح كل ذلك بحضرة من الفتى وسمع منه فلما
استوفى الحديث خرج وتركني في مكاني فجاء الخادم وقال يا مولاي ولدك
يسالك ان تخرج اليه قال فخرجت فلما رآني من بعيد قام قائما على رجليه
وقال المعذرة الى الله تعالى واليك يا ابتي من تقصيري في حقك فانه جاءني
ما لا اظن مثله يكون فالآن فهذه النعمة لك وانا ولدك وامير المؤمنين ٥
يجتهد بي منذ دهر ان ادع الجهبذة واتوفر على خدمته فلا افعل طلبا
للتمسك بصنعتي والآن فانا اساله ان يرد عليك عملي واخدمه انا
في غيره فقم عاجلا فاصلح امرك فادخلت الحمام ونظفت وجاءني بخلعة
فلبستها واخرجت الحجرة والدته فجلست فيها ثم انه ادخلني على امير
المؤمنين وحدثته حديثي فامر لي بخلعة وهي هذه ورد الي العمل الذي
كان مع ابني واجرى لي من الرزق في كل شهر كذا وكذا وقلد ابني اعمالا
هي اجل من عمله واضعف له ارزاقه وامره بحضرته في اثناء شغله وفيها
من خاص امر داره فجئت لاشكرك على ما عاملتني به من الجميل فاعرفك ٥
بتجدد النعمة قال عمرو فلما اسماني الفتى عرفته وعلمت انه ابن داية امير
المؤمنين المامون كما قال حدثني عمر بن عبد الملك بن يوسف السقطي
قال وكان ابوه من قدماء الشهود ببغداد قال حدثني ابو الخطاب محمد بن
زكريا الانصاري الشاهد بالبصرة وانا قد رايته كثيرا وكان لي صديقا
وما اتفق ان اسمع هذه الحكاية منه قال غلست يوما اريد مسجد الزياديين
بشارع المربد لوعد كان علي فيه وكانت الريح قوية وبين يدي رجل
شيخ يمشي فلما بلغنا دار رباح قلعت الريح سترة آجر وجص على راس
حائط فرمت بها عليه فلم اشك في هلاكه وارتفعت غبرة عظيمة افزعتني
فرجعت اسلك الطريق فلم ار الرجل فعجبت وتممت طريقي حتى دخلت
مسجد الزياديين فرايت اهل المسجد مجتمعين فحدثتهم بما رايت في طريقي
متوجعا للرجل وشاكرا لله تعالى على سلامتي فقال رجل منهم يا ابا الخطاب
انا الذي وقعت عليه السترة وذاك اني قصدت هذا المسجد لما وعدت له

فلما سقطت

الكراس الثاني عشر

فلما سقطت السترة لم احس بها الضرر لحقني ووجدت نفسي
سالمة فحمدت الله تعالى وتحيرت ووقفت حتى انجلت الغبرة فتاملت
الصورة فاذا في السترة باب عظيم وقد اتفق ان وقع راسي وسائر
جسدي في موضع الباب فخرجت منه وسقطت باقي السترة حولي
فلم يضرني شيء فتخبطت على المتهدم وسبقتك الى هاهنا ٥ ٥

وجدت بخط جحظة حدثني عبد الله بن عمر البازيار نديم
المتوكل قال لما نفاني الواثق من سر من رأى الى النهروان من
اجل خدمتي لحقتني اضاقة شديدة وغموم متصلة فاستبعدت
الفرج وكنت ابكر في كل يوم بباشق على يدي الى الصحراء فارجع
بالدراجة والدراجتين فيكون ذلك قوتي لاضاقتي فدخلت يوم
جمعة فقربت المنبر وليس عندي خبر واذا الخاطب يقول
اللهم اصلح عبدك وخليفتك عبد الله جعفر الامام المتوكل
على الله امير المؤمنين فداخل قلبي من ذلك من السرور ما لم
ادر معه في اي مكان انا وسقطت مغشيا علي وظن من حولي
اني صرعت فاخرجوني فمضيت الى الموضع الذي اسكنه فاذا
البريد على بابي فطلبوني فركبت معهم الى المتوكل فكان من امري
معه ما كان وزادني على الغنى بدرجات اجتاز الفتح بن خاقان
على قنطرة نهر و وهو يتصيد وقد انقطع من عسكره فانخسفت
القنطرة من تحته فغرق ورآه اكار وهو لا يعرفه فطرح ٥
نفسه ورآه وخلصه وقد كاد يتلف ولحقه اصحابه فامر
للاكار بمال عظيم وتصدق بمثله ودخل البحتري عليه فانشده
قصيدته التي اولها: متى لاح برق او بدا طلل قفر: فقال فيها

لقد كان يوم النهروان عظيمة ... اطلت ونعماء جرى بهما الدهر
اجزت عليه عابرا فتشاعبت ... اواديه لما ان طمى فوقه البحر
وزالت اواخي الجسر فانهدمت به ... قواعده العظمى وما ظلم الجسر
تحمل حلما مثل قدس وهمة ... كرضوى وقدرا ليس بعده قدر
فما كان ذاك الهول الا غيابة ... بدا طالعا من تحت ظلمتها البدر

فان نكفر نعمي الله فيك فخطانا اضعنا وان نشكر فقد وجب الشكر
فقال له الناس يهنونا بنثر وانت بنظم وبراحة وانت بتعب والجزل
صلته حدثني ابو بكر محمد بن عبد الله الرازي المعروف بابن
حمدون قال حدثني ابو علي الحسين بن محمد الانباري الكاتب قال كان
لي ايام مقامي بارجان رجل يعرف بجعفر بن محمد وكنت آنس به
فحدثني قال كنت احج دائما وانزل بالكوفة على رجل علوي حسيني
فقير مستور فالطفه واتفقده فتاخرت عن الحج سنة ثم عاودته
فوجدته مثريا فسررت وسالته عن سبب ذلك فقال كان قد
اجتمعت معي دريهمات على وجه الدهر فذكرت عام اول في ان
اتزوج فاني كنت عزبا كما علمت فرايت ان اقدم اداء الفرائض واتوكل
على الله تعالى فلعله يسهل لي ما اتزوج به فلما حججت طفت
طواف الدخول فاودعت رحلي وما كان معي بيتا في خان واقفلت
بابه وخرجت الى منى فلما عدت وجدت البيت مفتوحا فارغا
فتحيرت ونزلت بي شدة ما رايت مثلها قط فقلت هذا اعظم لنوائبي
فما وجه الغم فاستسلمت لامر الله عز وجل فجلست في البيت
لا حيلة لي ولا تسمح نفسي بالمسلة فاتصل مقامي ثلاثة ايام
ما طعمت فيها شيئا فلما كان في اليوم الرابع بدا بي الضعف سحرا
وخفت على نفسي من التلف وذكرت قول جدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له فخرجت اريدها حتى شربت
منها ورجعت اريد باب ابراهيم لاستريح فيه وكانت في الطريق بقية
من سدفة فعثرت في الطريق بشيء اوجع اصبعي فاكببت عليه
لامسكه فوقعت يدي على هميان احمر من ادم كبير فاخذته فلما
حصل في يدي ندمت وعلمت ان اللقطة حرام وقلت ان تركته
الان كنت مضيعا له وقد لزمني ان اعرفه ولعل صاحبه اذا رجع
اليه ان يهب لي شيئا اقتاته حلالا فجئت الى بيتي فحللته في
المصباح فاذا هو دنانير صفر يزيد على الف دينار فشددته ورجعت
الى المسجد وجلست على الحجر وناديت من ضاع منه شيء فلياتني بعلامته

ويأخذه فانقضى يومي انادي ما جاءني احد وانا على حالي في الجوع وبت
في بيتي ليلتي كذلك وغدوت الى الصفا والمروة فعرفته عندهما
يومي حتى كاد ان ينقضي فلم ياتني احد فضعفت ضعفا شديدا
فجئت نفسي فرجعت متحاملا متمهلا حتى جلست على باب ابراهيم
وقلت قبل انصرافي للمسلمين اني قد ضعفت عن الصياح وانا ماض
اجلس على باب ابراهيم فمن رايتموه يطلب شيئا ضاع منه فارشدوه
الي فلما قربت المغرب وانا في الموضع اذا انا بالخراساني مجتاز
ينشد ضالة فصحت به وقلت له صف لي ما ضاع منك فاعطاني
صفة الهميان بعينه ووزن الدنانير وعددها فقلت ان
ارشدتك الى من يعطيك اياه تعطيني منه مائة دينار
قال لا فقلت خمسين دينارا قال لا فلم ازل انازله الى ان بلغت
دينارا واحدا فقال لا ان اراد من هو عنده رده ايمانا واحتسابا
والا فهو ابصر وولى لينصرف فعظم علي اعظم وارد
وهممت بالسكوت وخفت الله عز وجل واشفقت ان يفوتني
الخراساني فصحت به ارجع واخرجت الهميان فدفعته اليه
فمضى وجلست ليس في قوة على المشي الى البيت فما غاب عني حينا
حتى عاد فقال من اي البلاد والناس انت فاغتظت منه غيظا عظيما
فقلت وما عليك هل بقي لك عندي شيء فقال لا ولكن اسالك بالله
العظيم من اي البلاد والناس انت فعرفني ولا تضجر فقلت من العرب
واهل الكوفة فقال من ايهم انت واختصر قلت من ولد الحسين بن
علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فقال ما حالك وما لك قلت ما املك
من الدنيا كلها الا ما تراه علي وقصصت قصتي وما كنت طمعت
فيه من صلاحها بما يعطينيه من الهميان وما قد انتهيت اليه
من الجوع وشدة الضعف فقال اريد من يعرفني صحة نسبك
وحالك حتى اقوم بامرك كله قلت له ما اقدر على المشي للضعف
ولكن اعترض الطواف وصح يا كوفيين وقل رجل من بلدكم علوي بباب
ابراهيم يريد ان يجيئه منكم من ينشط لحال هو فيها فمن جاء

معك فاتني به فغاب غير بعيد وجاء ومعه من الكوفيين جماعة اتفق
ان كلهم يعرفون باطن حالي فقالوا اما تريد ايها الشريف فقلت
هذا رجل يريد ان يعرف حالي ونسبي فوصفوا له طريقتي وعدمي
فمضى وجاء واخرج الهميان بعينه كما كنت سلمته اليه فقال
خذ هذا باسره بارك الله لك فيه فقلت يا هذا ما كفاك ما عاملتني
حتى تستهزئ بي وانا في حال الموت فقال معاذ الله هو لك فقلت
ولم بخلت علي بدينار منه ثم وهبت لي الجميع فقال ليس الهميان
لي فكان يجوز ان اعطيك منه شيئا قل او كثر وانما اعطانيه
رجل من بلدي وسالني ان اطلب بالعراق او بالحجاز رجلا علويا
او حسينيا مستورا فاذا علمت هذا من حاله اعطيته بالهميان
فيصير اصلا لنعمة تنعقد له فلم تجتمع لي هذه الصفة قبلك في
احد فلما اجتمعت فيك لما شاهدته من الامانة والفقر والعفة
والصبر وصح عندي نسبك اعطيتك اياه فقلت ان كنت تحب
استكمال الاجر فخذ منها دينارا وابتع لي به دراهم واشتر لي منه
ما آكله وصر به الساعة الي فقال ولي اليك حاجة فقلت قل
قال انا رجل موسر والذي اعطيتك ليس لي فيه شيء كما عرفتك
وانا اسالك ان تقوم معي الى رحلي فتكون في ضيافتي الى الكوفة
وتتوفر دنانيرك عليك فقلت ما في حركة فاحتل في حملي كيف شئت
فغاب عني وجاء بمركوب فاركبني الى رحله واطعمني في الحال
ما كان عنده وقطع لي من الغد ثيابا وكان يخدمني بنفسه وعادلني
في عماريته الى الكوفة فلما بلغتها اعطاني من عنده دنانير اخر
وقال لي زدها على البضاعة قال وفارقته وانا ادعو له واشكره
ولم امس الهميان واخذت انفق من الدنانير التي اعطانيها
الرجل باقتصاد الى ان اتفقت ضيعة رخيصة فابتعتها بالهميان
فاغلت واثمرت وانا من الله عز وجل بخير كثير ونعم حسنة

الباب الثامن من اشفى على ان يقتل وكان الخلاص من القتل اعجل

وجدت في كتاب ابي الفرج المخزومي

الحنظلي ان ابراهيم بن المهدي لما طال استتاره من المامون ضاق
صدره فخرج ليلة من موضع كان فيه مستخفيا يريد موضعا
آخر في زي امراة وكان عطرا فعرض له حارس فلما شم رائحة
الطيب ارتاب به فكلمه فلما علم انه رجل ضبطه فقال للحارس
خذ خاتمي فقيمته ثلاثون الف دينار وخلني فابى وعلق به
وحمله الى صاحب الشرطة فاتى به المامون فلما دخل داره وعرف
خبره امره ان يدخل عليه اذا ادعي به على الحال التي اخذ عليها
ثم جلس مجلسا عاما وقام خطيبا بحضرة المامون يخطب
بفضله وما رزقه الله من الظفر بابراهيم وادخل ابراهيم اليه
بزيه فسلم على المامون بالخلافة فرد المامون عليه السلام فقال
ابراهيم يا امير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو
اقرب للتقوى ومن تناولته يد الاغترار بما مد له من اسباب
الرجا امن عادية الدهر وقد جعلك الله عز وجل فوق كل
ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دوني فان تواخذ فبحقك وان
تعفو فبفضلك ثم قال

ذنبي اليك عظيم ... وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا ... واصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالي ... من الكرام فكنه

وانشد ايضا

اذ نبت ذنبا عظيما ... وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن ... وان جزيت فعدل

فرق له المامون واقبل على اخيه ابي اسحاق وابنه العباس والقواد
فقال ما ترون في امره فقال بعضهم تضرب عنقه وبعضهم قال تقطع
لحمه الى ان يتلف وبعضهم قال تقطع اطرافه وتتركه الى ان يموت فكل اشار
بقتله فقال المامون لاحمد بن ابي خالد ما تقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين
ان قتلت وجدت مثلك قد قتل مثله كثيرا وان عفوت عنه لم تجد
مثلك من عفى عن مثله فايما احب اليك تفعل فعلا يكون لك فيه شريك
او تتفرد بالفضل فاطرق المامون طويلا ثم رفع راسه فقال اعد ما قلت
يا احمد فاعاده فقال بل تتفرد بالفضل ولا راي لنا في الشركة

فكشف ابراهيم المقنعة عن راسه وكبّر تكبيرةً عاليةً وقال عفى
الله امير المؤمنين عني بصوتٍ كاد الايوان يتزعزع منه وكان
طويلا آدم اجعد الشعر جهير الصوت فقال له المامون لا باس عليك
يا عمّ وامر بحبسه في دار احمد بن ابي خالد فلما كان بعد شهر احضره
وقال اعتذر من ذنبك فقال يا امير المؤمنين ذنبي اجلّ واعظم
من ان اتفوّه به بعذرٍ وعفو امير المؤمنين اعظم من ان
انطق معه بشكره ولكني اقول ٥ شعر

تفديك نفسي ان تضيق بصالحٍ ... والعفو منك بفضل خلقٍ واسعٍ
انّ الذي خلق المكارم حازها ... في صلب آدم للامام السابعِ
مُلئت قلوب الناس منه مهابةً ... وتظلّ تكلؤهم بقلبٍ خاشعِ
فعفوت عمّا لم يكن عن مثله ... عفوٌ ولم اشفع اليك بشافعِ
ورحمت اطفالاً كافراخ القطا ... وحنين والدةٍ بقلبٍ جازعِ

فقال المامون لا تثريب عليك يا عمّ وقد عفوت عنك فاستانف
الطاعة متحرزاً من الظنّة وصف عيشك وامر باطلاق ورد
ماله وضيعته عليه فقال ابراهيم يشكره ٥ شعر

رددت مالي ولم تبخل عليّ به ... وقبل ردّك مالي ما حقنت دمي
فابتُ عنك وقد خوّلتني نعماً ... هما الحياتان من موتٍ ومن عدمِ
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به ... والمال حتى اسلّ النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عاريةٍ رجعت ... اليك لو لم تعدها كنت لم تُلَمِ
وقام علمك بي فاحتجّ عندك لي ... مقام شاهد عدلٍ غير متّهمِ

فقال المامون انّ من الكلام كلام كالدرّ وهذا منه وامر لعمّه ابراهيم
بخلع ومال قيل انه الف الف درهم وقال انّ ابا اسحاق ولدي وابا
العباس اشارا عليّ بقتلك فقال ابراهيم فما قلت لهما يا امير المؤمنين قال
قلت لهما انّ قرابته قريبة ورحمه ماسّة وقد ابتدانا بامرٍ ينبغي ان
نستتمّه فان نكث فالله مغيّر ما به قال ابراهيم اما ان يكونا نصحاك
فقد لعمر الله قد فعلا ولكن ابيت الا ما انت اهله ودفعت ما خفت بما
رجوت فقال المامون قد مات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك

واعظم من عفوي عنك انني لم اجرّعك مرارة الشافعين ووجدت
في بعض الكتب قال ركب كسرى انوشروان يوماً فرسه الشبديز فتلكأ
عليه فجذب عنانه فانقطع فاستحضر صاحب السروج وقال له
يكون عنان مثلي ضعيفاً ينقطع اضربوا عنقه فقال ايها الملك اسمع
وانصف قال قل قال ما بقاء جلدة يتنازع بها ملكان ملك الناس وملك
الدواب قال اطلقوا عنه حدثني ابراهيم بن علي بن سعيد
بن علي بن روبعة النصيبي المتكلم رحمه الله قال حدثني جماعة من
اهل نصيبين انه كان بها اخوان ورثا عن ابيهما مالاً جليلاً
فاقتسماه فاسرع احدهما الى انفاق حصته فلم يبق له شيء حتى
احتاج الى ما في ايدي الناس وثمّر الآخر حصته فزادت وعرض
له سفر في تجارة فقال اخوه الفقير له يا اخي انك تحتاج الى ان
تستاجر غلاماً في سفرك وانا احتاج ان اخدم الناس فاجعلني بدل
غلام تستاجره فيكون ذلك اصون لي ولك فلم يشك الاخ انّ اخاه
قد تادّب وانّ هذا اوّل اقباله وآثر ان يصون اخاه ورقّ له
فاخذه معه وكان للاخ الغني حمارٌ فارهٌ يركبه وقد استاجر بغلاً
لاحماله فاركب اخاه احدهما والمكاري احدهما وساروا فلما استمرّ
بهم السير حصلوا في جبل في الطريق فيه عين ماء فقال الاخ الفقير
للاخ الغني لو نزلت ههنا واسترحنا وابتا وسقيناها من هذا الماء
واكلنا نحن ثم ركبنا قال افعل فنزل التاجر على باب كهفٍ في الجبل
فادخل متاعه اليه وبسط السفرة لياكل واخذ اخوه الفقير والمكاري
الدواب ومضيا ليسقياها وانتظر التاجر اخاه فاحتبس عليه طويلا
وجاء وحده فشدّ الدواب فقال له اخوه اين المكاري قال قد نام في
الجبل فقال تعال حتى ناكل فتركه ومضى ثم عاد يسعى اليه ومعه احجارٌ
يرميه بها فقال له استكتف يا ابن الفاعلة فقال ويحك وما تريد
قال اريد اقتلك اخذت مال ابي وجعلته تجارةً لك وجعلتني غلاماً
لك قال ورفسه فالقاه على ظهره ثم اوثقه كتافاً واثخنه ضرباً بالحجارة
وصاح الرجل فلم يجبه احدٌ فبرك اخوه الفقير على صدره واخرج من وسطه

سكيناً عظيمةً في قرابه ليذبحه فرام استخراجها من القراب فعسرت عليه
فقام عن صدر اخيه وامسك القراب بيده اليسرى وجذب السكين
بحميّة فذبحته فوقع يخور في دمه وينزف الى ان مات وجفّت يده
بعد موته على السكين وحصل على تلك الصورة واخوه الغني مشدودٌ
والسفرة منشورة والطعام عليها والدواب مشدودة على الجادّة
فاقام على تلك الحالة بقيّة يومه وليلته وقطعةً من غدٍ فاجتازت
قافلة على المحجّة وكان بينها وبين الكهف بُعد فاحسّت البغال بالدواب
فهاجت ونهق الحمار وجذب الرسن وجذبت البغال ارسانها فاقبلت
تطلب الدواب فلما رآى اهل القافلة الدواب غائرة ظنّوا انّ القوم
قد اسرهم اللصوص وكانوا في منعة فتسارعوا الى البغال تطلب
موضعها وتبعها قومٌ من اهل القافلة فانتهوا الى التاجر وشاهدوه
مكتوفاً والسفرة منشورة والاخ مذبوح بيده سكين فشاهدوا
عجباً واستنطقوا التاجر فاومى اليهم انه لا قدرة له على الكلام
فحلّوا كتافه وسقوه ماءً واقاموا عليه الى ان افاق وقدر على الكلام
فاخبرهم الخبر فطلبوا المكاري فوجدوه غريقاً في الماء فحملوا ثقل الرجل
التاجر على بغاله واركبوه حماره معهم وسيّروه الى المنزل الآخر ٥
حدثني ابراهيم بن علي النصيبي قال حدثني ابو القاسم الصفار
شيخ كان نجاراً لي بنصيبين قال خرجت من نصيبين لسيف نفيس كنت
قد ورثته من ابي اقصد به عباس بن عمرو امير ربيعة وهو براس عين
لاهديه له فاستجديه لذلك فصحبني في الطريق سلخٌ من الاعراب
فسايلني عن امري فانست به وحدّثته الحديث وكنّا قد قربنا من
راس عين فدخلناها وافترقنا فكان يجيئني يراعيني ويظهر لي انه
مسلّم عليّ واشير بالقصد ويسالني عن حالي فاخبرته انّ الامير عباس
قبل هديتي واجازني بالف درهم وثياب وانّي اريد الخروج يوم كذا
فلما كان ذلك اليوم خرجت عن البلد راكباً حماراً لي فلما صرت خارج
البلد اذا انا بالسلخ على دويبة ضعيفة متقلّداً سيفاً فلما رايته
استربته وايقنت بالشرّ في عينيه فقلت ما تصنع ههنا قال قد قضيت

فلما قصدوا اليها رجعت البغال

حوايجي واريد الرجوع وصحبتك عندي آثر من صحبة غيرك فقلت على اسم
الله وما زلت متحذّراً منه وهو يجتهد ان اؤمنه واوانسه فلا افعل
وكلما دنا مني بعدت عنه الى ان سرنا شيئاً كثيراً وليس معنا ثالث
فقصّر عني وحثثت الحمار لافوته فاحسست الابركضه فالتفتّ فاذا
هو قد جرّد سيفه وقصدني فرميت بنفسي عن الحمار وعدوت فلما
خاف ان افوته صاح يا ابا القاسم انما مزحت معك قف فلم التفت اليه
فترع دابته وزاد في التحريك ورفع لنا ناووس فطلبته وكاد ٥
الاعرابي يلحق بي فدخلت الناووس ووقفت وراء بابه قال ومن
صفة تلك النواويس انها مبنية بالحجارة وباب كل ناووس حجرٌ
واحدٌ عظيمٌ قد نقر وخفّف وملس فلا تتمكن اليد منه وله في
وجهه حلقة وليس له من داخله شيء تتعلّق به اليد وانما يدفع
من داخله فينفتح فيدخل اليه فاذا اخرج منه وجذبت الحلقة
انغلق الباب وتمكّن ارداه من ورائه فلم يمكن فتحه من داخل قال
فحين دخلت الناووس ووقفت خلف بابه وجاء الاعرابي فشدّ دابته
في حلقة الباب ودخل يريدني والناووس مظلم فلم يرني ومشى الى
صدر الناووس فخرجت انا من خلف الباب وجذبته ونفرت
الدابة فجذبته معي حتى صار الباب مردماً وجعلت الحلقة في رزّة
هناك وحللت الدابة وركبتها وجاء الاعرابي الى باب الناووس فراى
الموت عياناً فقال لي يا ابا القاسم اتق الله في امري فانني اتلف فقلت
تتلف انت خير من ان اتلف انا قال فاخرجني واعطيك اماناً
واستوثق مني بالايمان انّي لا اعرض لك بسوءٍ ابداً واذكر الحرمة التي
بيننا قلت لم ترعها انت وايمانك فاجرة لا اثق بها في تلف نفسي
فاخذ يكرر القول فقلت له لا تهذي هوذا اركب دابتك واجنب
حماري والوعد بعد ايام ههنا فلا تبرح حتى اجيء اهزؤا به في هذا
القول فاخذ يبكي ويستغيث ويصيح ويقول قتلتني فقلت الى لعنة
الله وركبت دابته وجنبت حماري فوجدت دابته عليها خرج
فيه ثياب يسيرة فجئت الى نصيبين فبعت الثياب وكانت دابته اشهب

فصيرته ادهم وبعته لئلا يعرف على رجل مجتاز وكفيت امره فانكتمت
القصة فلما كان بعد اكثر من سنة عرض لي خروج الى راس عين فخرجت
في تلك الطريق فلما لاح لي الناووس فاذا انا به كما تركته وذكرت السلخ
فقلت اعدل فانظر الى ما صار امره فجئت الى الناووس فاذا انا به كما
تركته ففتحته ودخلته فاذا انا بالاعرابي قد صار رمة فلم ازل احمد
الله عز وجل على السلامة ثم حركته برجلي وقلت على سبيل العبث
ما خبرك يا فلان فاذا بصوت يتخشخش ففتشته فاذا هميان فاخذته
واخذت سيفه وخرجت ففتحت الهميان فاذا فيه خمسمائة درهم
وبعت السيف بعد ذلك بعدة دراهم حدثني ابو المغيرة محمد
ابن يوسف بن يعقوب الاسدي الشاعر البصري قال كنت قاصدا
الرملة وحدي وما كنت دخلتها قط فانتهيت اليها وقد نام الناس
ليلا فعدلت الى المقبرة ودخلت بعض القباب التي على القبور وطرحت
نفسي متكئا على درقة كانت معي وعانقت سيفي واضطجعت اريد
النوم لادخل البلد نهارا فاستوحشت من الموضع فارقت فلما طال ارقي
احسست بحركة فقلت لصوص مجتازون فان نصرت بهم لم امنهم ولعلهم
ان يكونوا جماعة فلا اطيقهم فما تحركت من مكاني واخرجت راسي
من بعض ابواب القبة على تخوف مني شديد فرايت دابة كالذئب
تمشي فاخفيت نفسي فاذا به قد قصد الى قبة حيالي قريبة مني فما زال
يلتفت طويلا ويدور حواليها ثم دخلها فارتبت به وانكرت امره وتطلعت
بنفسي الى علم ما هو فدخل القبة وخرج غير طويل ثم جعل يبصر
ثم دخل وعيني اليه وضرب بيده الى قبر في القبة يبعثره قلت نباش
لا شك فيه وتاملته يحفر بيده فعلمت ان فيها آلة من حديد يحفر
بها فتركته الى ان اطمأن واطال وحفر شيئا كثيرا ثم اخذت سيفي
ودرقتي ومشيت على اطراف انامل حتى دخلت القبة فاحس بي
فقام الي بقامة انسان واومى الي ليلطمني بكفه فضربته بالسيف
فابنتها فطارت فقالت آه قتلتني لعنك الله وعدا من بين يدي
فعدوت وراءه وكانت ليلة مقمرة حتى دخل البلد وانا اراه ولست

الحقه الا انه بحيث يقع بصري عليه الى ان اجتاز في طرق كثيرة وانا في
خلال ذلك اعلم على الطريق لئلا اضل حتى جاء الى باب فدفعه ودخل
وكانت ليلة مقمرة واغلق الباب وانا اسمع فعلمت على الباب ورجعت
اقفوا اثر العلامات التي علمتها في طريقي حتى انتهيت الى القبة التي كان
فيها النباش فطلبت الكف فاخرجتها الى القمر فبعد جهد انتزعت الكف
من الآلة الحديد فاذا هي كالكف قد ادخل اصابعه في الاصابع الحديد
فاذا الكف فيها نقش حناء وخاتمان ذهب فحين علمت انها امراة اغتممت
وتاملت الكف فاذا هي احسن كف في الدنيا نعمة ورطوبة وسمنا
وملاحة فمسحت الدم عنها ونمت في القبة التي كنت فيها الى ان
اصبحت فدخلت البلد اطلب العلامات حتى انتهيت الى الباب فسالت
لمن الدار فقالوا القاضي البلد واجتمع عليها خلق كثير وخرج منها شيخ
بهي نصلي الغداة بالناس وجلس في المحراب فازداد عجبي من الامر
وقلت لبعض الحاضرين بمن يعرف هذا القاضي فقال بفلان واطلت
الحديث في معناه حتى علمت ان له بنتا عاتقا فلم اشك في ان النباشة
ابنته فتقدمت اليه وقلت له بيني وبينك ايها القاضي حديث
لا يصلح الا على خلوة فقام الي داخل المسجد وخلا بي وقال قل فاخرجت
الكف فقلت اتعرف هذه فتاملها طويلا ثم قال اما الكف فلا واما
الخواتيم فخواتيم ابنة لي عاتق فما الخبر فقصصت عليه القصة باسرها
فقال قم معي فدخلت واغلق بابه واستدعى طبقا وطعاما فاحضر
واستدعى امراته فقال له الخادم تقول لك كيف اخرج ومعك رجل
غريب فقال لا بد من خروجها تاكل معنا فهذا من لا احتشمه فابت عليه
فحلف بالطلاق لتخرجن فخرجت وهي باكية فجلست معنا فقال لها
اخرجي ابنتك فقالت له يا هذا قد جننت فالذي حل بك قد فضحتني
وانا امراة كبيرة كيف تهتك صبية عاتقا فحلف بالطلاق
لتخرجنها فخرجت فقال كلي معنا فرايت صبية كالدينار ما مقلت
عيناي احسن منها الا ان لونها قد اصفر جدا وهي مريضة فعلمت
ان ذلك للنزف من يدها فاقبلت تاكل بيمينها وشمالها مخبوة فقال

لها اخرجي يدك اليسرى فقالت قد خرج فيها خراج عظيم فقالت امراته
يا رجل استر على امراتك ونفسك فوالله وحلفت بايمان غليظة
ما اطلعت لهذه الصبية على سوء قط الا البارحة فانها جاءتني بعد
نصف الليل فايقظتني وقالت يا امي الحقيني والا تلفت فقلت ما لك
فقالت انه قد قطعت يدي وهوذا انزف الدم والساعة اموت
فعالجيني فاخرجت يدها مقطوعة فلطمت فقالت لا تلطمي فتفضحي
ونفسك بالصياح عند ابي والجيران وعالجيني فقلت لا ادري بما
اعالجك فقالت اغلي زيتا واكوي بها يدي ففعلت ذلك وكويتها
وشددتها وقلت حدثيني ما دهاك فامتنعت فقلت والله ان لم
تحدثيني لاكشفن امرك لابيك فقالت انه قد وقع في نفسي منذ سنين
ان انبش الموتى فتقدمت الى هذه الجارية فاشترت لي جلد ماعز
غير مدبوغ واستعملت لي كفا من حديد وكنت اذا نام اصيح بها
وافتح الباب وآمرها ان تنام في الدهليز ولا تغلق الباب والبس
الكف والجلد وامشي على اربع فلا يشك من يراني من سطح او غيره
انني كلب ثم اخرج الى المقبرة وقد عرفت من النهار خبر من يموت من
الجلة والمياسير واين يدفن فاقصد قبره فانبشه وآخذ الاكفان
فادخلها في الجلد معي وامشي مشيتي فاعود والباب مفتوح فادخله
واغلقه وانزع تلك الآلة وادفعها الى الخادمة معها قد اخذت فخباه
في بيت لا تعلمون به وقد اجتمع معي ثلثمائة كفن او مقاربها لا ادري ما اصنع
بها الا انني كنت اجد لذلك الخروج والفعل لذة لا سبب لها اكثر من
ان اصابتني هذه المحنة فلما كان الليلة سلط علي رجل احس بي كانه
حارسا لذلك القبر فقمت لاضرب وجهه بالكف الحديد ليشتغل عني واعدوا
فداخلني بالسيف ليضربني فتوقيت الضربة بشمالي فابان كفي فقلت لها
اظهري انه قد خرج على كفك خراج وتعالي لي فان الذي بك من الصفار
لبصد فتوهمه فاذا مضت ايام قلنا لابيك ان لم تقطع يدك خبث جميع جسدك
وتلفت فياذن لنا في قطعها فنظهر انا قد قطعناها ويشيع الخبر حينئذ
ويستر ابوك وكنت عولت على بيع الجارية والخادم وارا عي ميتة الصبية

وابيتها الى جانبي ففضحتنا ونفسك فقال لها القاضي ما تقولين فقالت
صدقت امي وانا تائبة فوالله لا عدت الى ذلك ابدا فقال لها القاضي
هذا صاحبك الذي قطع يدك فكادت تتلف جزعا ثم قال لي القاضي
من انت قلت من العراق قال ففيم وردت قلت اطلب الرزق فقال
قد جاءك حلالا طيبا نحن قوم مياسير ولله عز وجل علينا نعمة
وستر فلا تهتكه وازوجك ابنتي هذه واغنيك بمالي عن الناس
فتكون معنا في دارنا فقلت نعم فرفع الطعام ثم خرج الى المسجد
والناس مجتمعون ينتظرونه فخطب وزوجني وقام فرجع
وادخلني الدار ووقعت الصبية في نفسي حتى كدت اموت
عشقا لها واقترعتها فاقامت معي شهورا وهي نافرة عني
وانا اوانسها وابكي حسرة عليها وعلى يدها الى ان كنت ليلة
فاستثقلت في نومي على رسمي فاحسست بثقل على صدري شديد
فانتبهت جزعا فاذا انا بها باركة على صدري وركبتاها على يدي
مستوثقة منهما وفي يدها موسى وقد اهوت لتذبحني قال
فاضطربت ورمت الخلاص فتعذر وخشيت ان تبادرني فسكنت
وقلت لها كلميني واعملي ما شئت قالت قل ما بدا لك قلت ما يدعوك
الى هذا قالت ظننت انك تقطع يدي وتهتكني ويزوجوني بمثلك
وتتجوسا لها والله لا كان هذا ابدا فقلت اما الذبح فقد فاتك
ولكن تتمكنين من جراحات توقعينها بي ولا تامني ان افلت
فاذبحك واهرب واكشف هذا عليك واسلمك الى السلطان
فتنكشف جنايتك الاولى والآخرة فيتبرا منك ابوك وامك
وتقتلين فقالت افعل ما شئت فلا بد من ذبحك وقد استوحش
الآن كل واحد منا من صاحبه فنظرت فاذا الخلاص منها يتعذر
علي ولا بد ان تجرح الموضع فيكون فيه تلفي فقلت الحيلة اعمل او
غير هذا فقالت قل قلت اطلقك الساعة وتفرجين عني واخرج
غدا عن البلد فلا تريني ولا اراك ابدا ولا ينكشف لك حديث في
بلدك ولا فضيحة وتزوجي بمن شئت فقد شاع عند الناس ان

يدك قد قطعت لخراج خبثها وتربعين الستر قالت لا الا انك تحلف
لي انك لا تقيم في البلد ولا تفضحني وتعجل لي بالطلاق وطلقتها
وحلفت لها اني اخرج ولا افضحها بالايمان المغلظة فقامت عن
صدري تعدو واخوفا من ان اقبض عليها حتى رمت الموسى بحيث
لا ادري اين هو وعادت واظهرت ان الذي فعلته مزاح ولاعبتني
فقلت اليك عني فقد حرمت علي ولا تحل لي ملامستك وفي غد
اخرج عنك فقالت الآن علمت صدقك ووالله لئن لم تفعل ه
لا تجوت مني وقامت وجاءتني بصرة وقالت هذه مائة دينار
خذها نفقة واكتب رقعة بطلاقي واخرج غدا فاخذت الدنانير
وخرجت في سحر ذلك اليوم بعد ان كتبت الى ابيها انني قد طلقتها وانني
خرجت حياء منه ولم التق معهم الى الآن **حدثنا** ابو الحسن محمد
ابن احمد الكاتب البغدادي المعروف والده بابي الليث الهمداني قال
حدثنا محمد بن برقع العقيلي احد ساداتهم ووجوههم في الحي وكان
قد ورد الى معز الدولة فاكرمه وقوده واحسن اليه واعظم
اقطاعه قال رايت رجلا من بني عقيل في ظهره كله شرط كشرط
الحجام الا انها اكبر فسالته عن سبب ذلك فقال اني كنت هويت
ابنة عم لي وخطبتها فقالوا لا نزوجك الا ان تجعل الصداق
الشبكة وهي فرس سابقة كانت لبني بكر بن كلاب فتزوجتها على
ذلك وخرجت احتال في ان اسال الفرس من صاحبه لا تمكن من الدخول
بابنة عمي قال فاتيت الحي الذي فيه الرجل كاني سائل الى ان عرفت
مبيت الفرس من الخباء ورايت لهم مهرة فاحتلت حتى دخلت البيت
من كسره وحصلت خلف النضد تحت عهن لهم كانوا قد نفشوه
ليغزل فلما جاء الليل وافى صاحب البيت وقد اصلحت له المراة عشاء
فجعلا ياكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم وكنت ساغبا
فاخرجت يدي الى القصعة فاحس الرجل بيدي فانكرها وقبض
عليها فقبضت على يد المراة بيدي الاخرى فقالت للمراة مالك
وبيدي فظن انه قابض على يد امراته فخلى يدي فخليت يد المراة

واكلنا ثم انكرت المراة يدي فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل فقالت
لها مالك فخلت يدي فخليت عن يده وانقضى الطعام واستلقى الرجل
ونام فلما استثقل وانا مراصدهم والفرس مقيدة في جانب البيت
وابنتها في البيت غير مقيدة ومفتاح قيد الفرس تحت راس المراة
فوافى عبد له اسود فنبذ بحصاة فانتبهت المراة وقامت اليه
وتركت المفتاح في مكانها وخرجت الى ظهر البيت فتبعتها بعيني
واذا هو قد علاها فلما حصلا في شانهما دببت فاخذت المفتاح
وفتحت القفل وكان معي لجام شعر فاوجرته الفرس وركبتها
وخرجت عليها من الخباء الى الصحراء فقامت المراة من تحت الاسود
ودخلت الخباء ثم صاحت وذعر الحي فاحسوا بي وركبوا في طلبي
وانا اكد الفرس وخلفي خلق عظيم منهم فاصبحت ولست ارى
الا فارسا واحدا برمح فلحقني وقد طلعت الشمس فاخذه
يطعنني فلا يصل الي اكثر مما تراه في ظهري لا فرسه يلحق بي
فيتمكن مني ولا فرسي يتعدى حتى لا يلحقني الرمح حتى وافينا الى
نهر فصحت بالفرس فوثبته وصاح الفارس بفرسه فلم يثب
فلما رايت عجزها عن العبور نزلت عن فرسي استريح واريحها فصاح
بي الرجل فقلت مالك فقال يا هذا انا صاحب الفرس التي تحتك
وهذه ابنتها فاذ قد اخذتها فلا تخدعن عنها فانها تساوي
عشر ديات وعشر ديات وما طلبت عليها شيئا الا ادركته وكانت
كالشبكة في التعلق به فقلت اما اذ قد نصحتني فوالله اني لانصحنك
ولا اكذبك انه كان من صورتي البارحة كيت وكيت حتى قصصت
عليه قصة المراة والعبد وحيلتي في الفرس فاطرق راسه ساعة
وقال لا جزاك الله من طارق خيرا اخذت فرسي وعدتي وقتلت
عبدي وطلقت امراتي **حدثني** عبيد الله بن محمد بن الحفار
قال حدثني رجل من الجند قال خرجت من بعض بلدان الشام
وانا على دابتي معي خرج فيه دراهم وثياب فلما سرت في عدة فراسخ
لحقني المساء فاذا الحصن عظيم فيه راهب في صومعة فنزل

واستقبلني وسالني المبيت عنده وان يضيفني ففعلت فلما دخلت
الدير لم اجد فيه غيره فاخذ دابتي فطرح لها شعيرا وعزل رحلي
في بيت وجاءني بماء حار وكان الزمان شديد البرد واوقد بين يدي
نارا وجاءني بطعام طيب من اطعمة الرهبان فاكلت وبنبيذ فشربت
ومضت قطعة من الليل فاردت النوم فقلت ادخل المستراح ه
فسالته عنه فدلني على طريقه وكنا في غرفة فمشيت فلما صرت
على باب المستراح فاذا بارية مطروحة على غير سقيف فحين وضعت
رجلي عليها لم احس بروحي الا وانا في الطريق وكان الثلج في تلك
الليلة قد سقط سقوطا عظيما فصحت وقدرت ان ذلك تم علي من
غير قصد فما كلمني فقمت وقد تجرح بدني الا اني سالم فجئت ه
فاستظليت بطاق باب الحصن من الثلج فما وقفت فيه الا قليلا حتى
رايت براخ فيه من فوق راسي قد جاءني منها حجارة لو تمكنت من راسي
لطحنته فخرجت اعدو وصحت به فشتمني فعلمت ان ذلك من حيلته
طمعا في رحلي فلما خرجت وقع الثلج علي فعلمت اني تالف ان دام ذلك
فولد لي فكري ان طلبت حجرا فيه مقدار ثلثين رطلا وعدوت وهو
على قفاي شوطا طويلا حتى اذا تعبت وحميت طرحت الحجر وجلست
استريح فاذا انالني البرد اخذت الحجر وعدوت الامد حتى بلغت خلف
الحصن فاجلس من حيث يقع لي ان الراهب لا يراني فاذا احسست ان
البرد بدا ياخذني تناولت الحجر وسعيت الى الحصن الى ذلك الامد على
هذا الى الغداة فلما كان قبل طلوع الشمس وانا خلف الحصن سمعت حركة
باب الدير فتخفيت فاذا بالراهب قد خرج فجاء الى موضع سقوطي فلم
يرني فقال وانا اسمعه يا قوم ما فعل ترى ظن المشوم انه تورية في
فقام يمشي اليها فاتبع سلبه واقبل يطلب اثري قال فخالفته الى
باب الحصن فدخلته وقد مشى هو من ذلك المكان يطلبني حول الحصن
فحصلت انا خلف باب الحصن وقد كان في وسطي سكين فوقفت خلف
الباب فطاف الراهب ولم يبعد فلما لم يقف لي على اثر عاد ودخل
واغلق الباب فحين بداء ليرده خفت ان يراني فثرت به فقبضت

عليه ووجاته بالسكين وصرعته وذبحته واغلقت باب الحصن وصعدت
الغرفة فاصطليت بنار كانت موقدة هناك فدفيت وطرحت تلك
الثياب عني وفتحت خرجي فلبست منه ثيابا جافة واخرجت كساء
الراهب فنمت فيه فما افقت الى قريب من العصر ثم انتبهت
وانا سالم غير منكر شيئا من نفسي فطفت الحصن حتى وقعت
على طعام فاكلت منه وسكنت نفسي ووقعت مفاتيح الحصن بيدي
واقبلت افتح بيتا بيتا فاذا بمال من ورق وثياب وآلات ورحالات
اقوام واخراجهم فاذا عادته مع كل من يجتاز به وحيدا ويتمكن منه
هكذا فلم ادر كيف اعمل في نقل المال وما وجدته هناك فلبست
من ثياب الراهب شيئا واقمت في موضعه اياما اترايا لمن يجتاز
في الموضع من بعيد فلم يشكون انني هو واذا قربوا لم ابرز اليهم
وجهي الى ان خفي خبري ثم نزعت تلك الثياب واخذت جوالقين مما
كان في الدير وملاتهما مالا وجعلتهما على الدابة ومشيت وسقته
الى اقرب قرية فاكتريت فيها منزلا ولم ازل انقل اليه كلما وجدته
حتى لم ادع شيئا له قدر الا حصلته في القرية ثم اقمت بها
حتى اتفقت لي قافلة فحملت من تلك الامتعة كلما اقدر عليه
ورفعته على المحمل وسرت في القافلة وهي عظيمة واكثر ما فيها
لي والغنيمة هائلة حتى قدمت بلدي وقد حصلت ما قيمته
عشرة الوف وسلمت من الموت **حدثني** ابو القاسم عبيد الله
ابن محمد بن الحسين العنقشي الشاعر قال كان لابي مملوك يسمى
مقبلا فابق منه ولم يعرف له خبر سنين كثيرة ومات ابي وتغربت
عن بلدي ووقعت الى نصيبين وانا حدث حتى اتصلت لحيتي
فانا مجتاز يوما في السوق وعلي لباس فاخر وفي كمي منديل
فيه دراهم كثيرة حتى رايت غلاما معتبلا فحين راني اكب على
يدي يقبلها واظهر سرورا شديدا واقبل يسايلني عن ابي واهلي
فاعرفه من مات ومن بقي ثم قال لي يا سيدي متى دخلت ههنا
وفي اي شيء وردت فعرفته فاخذ يعتذر من هربه منا ثم قال

انا مستوطن ههنا وانت مجتاز فلو انعمت علي وجئت في دعوتي
فاني احضر لك عنبا حسنا ونبيذا طيبا فاغتررت به ومضيت
معه حتى بلغ بي آخر البلد ودور خراب ثم انتهى بي الى دار عامرة
مغلقة الباب فدقه ففتح له ودخل ودخلت معه فحين حصلت
في الدهليز اغلق الباب بسرعة واستوثق منه وتنكرت ذلك
ودخلت الدار فاذا بثلاثين رجلا بسلاح وهم جلوس على بارية
فلم اشك في انهم لصوص وايقنت بالشر وبادر بي احدهم
فلطمني وقال انزع ثيابك فطرحت كلما كان معي وعلي حتى بقيت
بالسراويل فحلوا الدراهم التي كانت معي واعطوا مقبلا منها شيئا
وقالوا امض فهات بهذا ما ناكله ونشربه فانا جياع فطارت
روحي فقال لهم الغلام منظهرا للكلام ما اذهب او تقتلوه فقلت
لهم يا قوم ما ذنبي حتى اقتل قد اخذتم ثيابي وليس ترثوني اذا
قتلتموني وما لي حال غير ما اخذتموه فالله الله في ثم اقبلت
استعطف مقبلا وهو لا يجيبني ويقول لهم ان قتلتموه والا افلت
فدل السلطان عليكم فقتلكم قال فوثب الي احدهم بسيف مسلول
وسحبني الى البالوعة من الموضع الذي كنت فيه ليذبحني وكان
يقرب مني غلام امرد فعلقت به وقلت يا فتى ارحمني واجرني فان
سنك قريبا من سني واستدفع البلا من الله تعالى بخلاصي فوثب
الغلام فطرح نفسه علي وقال والله لا يقتل وانا حي وجرد سيفه
وقام استاذه لقيامه وقال لا يقتل من اجاره غلامي واختلفوا
وصار مع الغلام واستاذه جماعة منهم فانتزعوني وجعلوني
في زاوية من البيت الذي كانوا فيه ووقفوا بيني وبين اصحابهم
وقال رئيسهم كفوا عن الرجل الى ان ننتظر امره وشتم مقبلا
وقال امض هات ما ناكل قبل كل شيء فانا جياع وليس يفوتنا
قتل هذا ان اتفقنا عليه فمضى مقبل وجاءهم بماكول كثير
فجلسوا ياكلون وترك جماعة منهم الاكل حراسة لي لئلا يغتالني
بعضهم اذا اشتغلوا بالاكل فلما اكلوا انفرد بعض من كان يتعصب لي

واكل من لم يكن اكل منهم ثم افضوا الى الشراب فقال لهم مقبل الآن قد
اكلتم وترك هذا يؤدي الى قتلكم فدعوا الخلاف في امره واقتلوه
فوثب من يريد قتلي ووثب الغلام ومن معه للمنع عني وطال الكلام
بينهم وانا في الزاوية قد اجتمع الي من يمنع قتلي فصرت بينهم وبين
الحايط الى ان جرد السيوف بعضهم على بعض فقال رئيسهم هذا
الذي انتم فيه يؤدي الى قتلكم وقد رايت رايا فلا تخالفوني فقالوا
كما تامر فقال اغمدوا السلاح واصطلحوا ونشرب الى ان نريد ان
نخرج من هذه الدار ثم نكتفه ونشد فاه وندعه في هذه الدار
وننصرف فانه لا يتمكن ان يخرج وراءنا يصيح والى ان يصبح من غد
فنحن على بلاد ولا يجرح بعضكم بعضا فتفترق كلمتكم فقالوا هذا
صواب وجلسوا يشربون وجاء الغلام ليشرب فقلت له الله الله
في تمم ما قد فعلت ولا تشرب واحرسني لئلا يثب علي واحد منهم
على خلسة فيضربني ضربة يكون فيها تلف نفسي ولا تتمكن انت
من ردها ولا ينفعني ان تقتل قاتلي فرحمني وقال اقبل وقال
لاستاذه احب ان تهب لي شربك الليلة وتفعل كما افعل وجاءا
جميعا فجلسا قدامي وانا في الزاوية اتوقع الموت ساعة بساعة
الى ان صليت العتمة ونام الناس فتحزموا ولبسوا سلاحهم
وخرجوا وبقي الغلام واستاذه معي فقالا يا فتى قد علمت انا قد
حقنا دمك فلا تكافينا بقبيح وهوذا نخرج وما نستحسن ان
نكتفك فاجلس الى ان نصبح فاخذت اقبل ايديهما وارجلهما
واقول انما خلصتماني واحييتماني بعد الله عز وجل فكيف
اكافيكما بالقبيح فقالا قم معنا فقمت ففتشا الدار حتى علما انه لم
يبق بها احد ممن يريد قتلي ولا غيره ثم قالا لي قد امنت فاستوثق
من الباب ثم وراءه فليس يكون الا خير وخرجا فاستوثقت من
اغلاق الباب ثم جزعت جزعا عظيما ولم اشك في انه يخرج من تحت
الارض من يقتلني منهم وزاد علي الفزع حتى جعلت امشي في الدار
وادعو واسبح حتى كدت ان اتلف عياء وانست باستمرار الوقت على

السلامة فحملتني عيني فنمت فلم احس الا بالشمس وحرارتها علي من
باب البيت فقمت وخرجت امشي عريانا بسراويلي الى ان حصلت
في الموضع الذي كنت اسكنه وما حدثت احدا بالحديث حتى خرجت
من البلد لبقية الفزع الذي داخلني منهم حدثني عثمان بن
محمد السلمي المعروف بابي القاسم الاصغر غلام ابي الحسن بن عبد السلام
الهاشمي البصري قال حدثني استاذي ابو الحسن براهيم بن عبد السلام
قال كان عندنا بالمربد رجل من خول محمد بن سليمان الهاشمي يسمى
عبادا مؤنثا وكان يحمل السلاح فاجتمع يوما مع قوم من الخول على
شراب لهم فجاروا واحديث الشجاعة فعابوه بما فيه من التانيث
فخاطرهم في شيء يجعلوه يعرضونه عليه تبين به شجاعته فقالوا الله
تخرج الساعة بغير سلاح الى صهاريج الحجاج فتدخل منها الصهريج
الفلاني وتسمر في ارضه وتدا او نعود قال القاضي ابو علي وقد
رايت هذه الصهاريج وهي على اكثر من فرسخ من البصرة في البرية موحشة
المكان خالية يجتمع فيها الماء كان الحجاج بن يوسف عملها مادة لشرب
اهل الموسم والقوافل رجعنا الى الخبر قال فاخبرني عباد قال خرجت
وليس معي الا وتد ومطرقة حتى بلغت الصهاريج الذي خاطرت عنه
وكان اعظمها واوحشها فدخلته وكان جافا فجلست فضربت بالمطرقة
الوتد في ارضه فطن الصهريج فسمعت صوت سلسلة شديدة
وسلسلة فقطعت الدق فسكن الصوت فاعدت الدق فعاد الصوت
وظهرت حركة وانا ساكن القلب اتامل فلا ارى شيئا من الظلمة الى ان
احسست بالحركة والصوت وقد قربا مني فتاملت فاذا انا بشخص
لا يشبه قدر خلقة الانسان قال فاستوحشت وثبت نفسي وانا ادق
والشخص يقرب مني حتى وثبت فالقيت نفسي عليه وقبضت عليه فاذا
هو قرد في عنقه سلسلة فظننت انه قد افلت من قافلة او من قراد
فتعرب هناك فسحبته وانسته فلان في يدي وانس فاخذته على ساعدي
وجئت اريد باب الصهريج فلما بلغته سمعت كلاما فخشيت ان يكون بعض من
يطلبني من العصبية هناك فوقفت اسمع فاذا كلام امراة مع رجل وهي تقول

ويحك يا فلان اتقتلني اتذبحني اتبلغ بي الموت من العصبية هناك اي ذنب
لي ويحك اتق الله وهو يقول لها الذنب كله لك وانت اذنت لهم في ان
يزوجوك ولو ابيتي ما قدر ابوك ان يزوجك وانما فعلتيه مللا لي وانا
تالف عشقا وانت تتمتعين والله لاذبحنك لتستكفيني افاعلة قال فخرجت
فاذا ظهره الى باب الصهريج فصحت عليه صيحة عظيمة وضربت قفاه بالوتد
فنزع القرد على نفسه فقبض القرد على عنق الرجل وتمكن على ظهره فورد
على الرجل ما حيره وافزعه واذهب بعقله فخر مغشيا عليه ووقع سيفه
من يده قال فاسرعت الى السيف فاخذته ورايت جحفة هناك فاخذتها
وقصدت الرجل فثاب اليه عقله ورمى بالقرد عن ظهره وسعى هاربا
فقصدت المراة وطلبت كتافها وقلت ما قصتك فقالت انا بنت فلان
وذكرت رجلا من اهل المربد وهذا ابن عمي وكان يعشقني فخطب الى ابي
فامتنع من تزويجه اياي وزوجني من رجل غريب ودخل بي منذ شهور
فلما كان امس خرجت انا وجماعة من نسا الجيران ننظر الى الصحراء وبلغه
خبرنا فكبسنا في الصحراء وقت العصر ومعه عدة رجال بسلاح فاخذ
كل رجل امراة فانفرد بها وحملني هذا الى هذا الصهريج فجرني طول
الليل فلما كان الآن عزم على قتلي فاعانني الله عز وجل بك ولم يعرف
للنسوة الباقيات خبر فقلت امشي لا باس عليك فمشت بين يدي الى ان
دخلت البصرة فدققت باب والدها ففتح لها ودخلت وعدت الى اصحابي
فحدثتهم بالحديث واريتهم القرد وخرجنا من الغد فراوا الوتد وجئت
الى باب المراة فاريتهم اياه وحدثتهم الحديث واخذت خطري حدثني
ابو علي احمد بن علي المدايني المعروف بالمائم قال كنت سائرا اريد الواق
فلما انتهيت الى قرية في بعض الطريق لقيني رجل خراساني ومعه مخلاة
فقال اين تريد قلت بغداد قال انا رفيقك فاصطحبنا وسرنا حتى بلغنا
قرية خرابا على شاطئ الفرات في برية الشام فراينا على باب القرية
رجلا اسود منكر الخلق عريانا لا يتوارى بشيء البتة فغدا مجفلا عنها
فدخلنا القرية فجلسنا الى دار خراب منها ولخرجنا زادا كان معنا
واقبلنا ناكل فاذا بحجارة تجيئنا متداركة حتى خفنا ان نهلك بها وما تمالكنا

ان نقوم الا بجهد وتاملنا امرنا فراينا الاسود يرمينا فطلبناه وطلبنا
فلما تداخلنا رام الاسود ان يقبض علي ففزعت منه فقبض على الخراساني
وكان الخراساني ايدا فجعلا يتهارشان ثم راكب الاسود على الخراساني فعض
كتفه فصاح الخراساني يا بغدادي ادركني فقد قتلني قال فدنوت من خلف
الاسود فعلقت خصيته ثم كمشتها كمشات شديدة كثيرة فخر مغشيا عليه
وقام الخراساني فجلس على صدره وخنقه بيده حتى تلف وسرنا والخراساني
يصيح من الم العضة فانتهينا الى حيال قرية عامرة فصحنا بالملاح فقدم
زورقه الى القرية فطرح الخراساني نفسه على الشط كالتالف
فجسسته وقلت له ما لك اي شيء قدر عضة فقال ويحك انظر اليها فرايتها
فاذا هي قد اخذت كتفه كله واسودت وقد احمر بدنه كله فحملته انا
والملاح حتى حصلنا في الزورق وعبرنا فلما حصلنا بقرب الشط تلف
فاخرجناه ميتا فاجتمع اهل القرية وسالونا عن حاله فعرفناهم وقالوا
قد فحتم فتحا عبد آل فلان اصابه داء الكلب وتغرب في تلك الخرابات
وقد قتل خلقا بالعض قال وبادر قوم منهم يريدون الموضع للنظر الى
الاسود وسرت انا في طريقي وحمدت الله تعالى على سلامتي من الاسود

حدثني الحسين بن محمد الجبائي قال قرات في بعض كتب الفرس المنقولة
الى العربية ان ملكا من ملوكهم قدم اليه صاحب مائدته غضارة
اسفيذباج فنقطت منها نقطة على ساعد الملك فامر بقتله فقال
الرجل اعيذ الملك ان يقتلني ظلما بغير ذنب قصدته فقال له الملك قتلك
والله واجب ليتعظ غيرك بك فلا يهمل الخدمة فاخذ الرجل الغضارة
فصبها باسرها على الملك وقال له ايها الملك كرهت ان يشيع عنك انك
قتلتني ظلما ففعلت هذا لاستحق القتل فيزول عنك قبح الاحدوثة بظلم
الخدم فشانك الآن وما تريد فقال له الملك ما احسن الاحتجاج قد عفوت
عنك

وجدت في بعض الكتب قال احمد بن ابي داود ما رايت
رجلا قط اشرف على الموت فما شغله ولا اذهله عما اراده حتى بلغه
وخلصه من القتل الا تميم بن جميل فاني رايته بين يدي المعتصم
بالله وقد بسط له النطع وانتضي له السيف وكان رجلا جسيما وسيما

فاحب المعتصم ان يستنطقه لينظر اين منظره من مخبره فقال له تكلم فقال
اما اذا اذن لي امير المؤمنين في الكلام فالحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه
وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا امير
المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين ان الذنوب
تخرس الالسنة وتخلع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت
الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك وانتقامك ثم انشا يقول

ارى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيث لا اتلفت
واكثر ظني انك اليوم قاتلي ... واي امرئ مما قضى الله يفلت
واي امرئ يدلي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من ان اموت فانني ... لاعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... واكبادهم من حسرة تتفتت
كاني اراهم حين انعى اليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة ... اذود الردى عنهم وان مت موتوا

قال فاستعبر المعتصم ثم قال يا تميم قد عفوت عن الهفوة ووهبتك
للصبية ثم امر به ففك حديده وخلع عليه وعقد له على سقي الفرات

وجدت في بعض الكتب عن عمرو بن [illegible] انه اتي معن بن زائدة
بثلثمائة اسير فامر بضرب اعناقهم فاحضر سيفا ماضيا وسيافا
ونطعا وقدم واحد منهم فقتل ثم قدم غلام آخر منهم فقال يا معن
لا تقتل اسراك عطاشا فقال اسقوهم ماء فشربوا فقام الغلام فقال ايها
الامير لا تقتل اضيافك فقال خلوا عنهم فاطلقوهم كلهم

عن بعضهم قال حضرت العرض في المجلس بالجانب الشرقي ببغداد ايام نازوك
فاخرج خليفة نازوك على المجلس جماعة فقتل بعضهم ثم اقبل غلام
حدث السن مقبل الشباب فرايته يبتسم لما وقف بين يدي خليفة
نازوك فقلت يا هذا احسبك رابط الجاش لاني اراك تضحك في مقام
يوجب البكاء فهل في نفسك شيء تشتهيه قال نعم اريد راسا حارا
ورقاقا فالوذجا فسالت صاحب المجلس ان يؤخر قتله الى ان اطعمه
ذلك ولطفت به ولم ازل الاطفه الى ان اجاب وهو يضحك مني ويقول

اي شيء ينفع هذا وهو يقتل بعد ساعة قال وانفذت من احضر الجميع
بسرعة فاقعد الفتى فجلس ياكل غير مكترث بالحال والسياف قائم
والقوم يقدمون ويضرب اعناقهم فقلت يا فتى اراك تاكل بسكون
جاش وقلة فكر فاخذ خرقة من الارض رافعا يده وهو يضحك
ويقول يا هذا الى ان تسقط هذه الى الارض مائة فرج فوالله ما استتم
كلامه حتى وقعت صيحة عظيمة وقيل قتل نازوك واغارت العامة على
الموضع فوثبوا بصاحب المجلس وكسروا الحبس واخرجوا جميع من كان
فيه واشتغلت انا عن الفتى وجميع الناس والانسان بنفسه حتى ركبت
دابتي وصرت الى الجسر اريد منزلي في الجانب الغربي فوالله ما توسطت
حتى احسست بانسان قد قبض على اصبعي من ورائي برفق وقال يا هذا
ظننا بالله عز وجل اجمل فكيف رايت لطيف صنعه واخذ يشكرني
على ما صنعته وحال الناس بيني وبينه وكان آخر العهد به

قرات في بعض الكتب كان موسى الهادي قد طالب اخاه هرون بخلع نفسه
من العهد ليصيره موسى لابنه من بعده ويخرج هرون من الامر فلم يجب
الى ذلك فاحضر يحيى بن خالد البرمكي ولطف به وداراه ووعده
ومناه وساله ان يشير على هرون بالخلع فلم يجب يحيى الى ذلك
ودافعه وتهدده وتوعده وجرت بينهما في ذلك خطوب طويلة
واشفى يحيى معه على الهلاك وهو مقيم على مدافعته عن صاحبه الى
ان اعتل الهادي علته التي مات فيها واشتدت به فدعا يحيى وقال
ليس ينفعني معك شيء وقد افسدت اخي وقويت نفسه حتى امتنع
مما اريده ووالله لاقتلنك ثم دعا بالسيف والنطع وابرك يحيى ليضرب
عنقه فقال له ابراهيم بن ذكوان الحراني يا امير المؤمنين ان ليحيى عندي
يدا اريد ان اكافيه عليها واحب ان تهبه لي الليلة وانت في غد اعلى
عينا وما تراه في امره قال وما فائدة ليلة فقال اما ان يقود صاحبه
الى ارادتك يا امير المؤمنين او يعهد في امر نفسه وولده فاجاب
قال يحيى فاقمت من النطع وقد ايقنت بالموت وايقنت انه لم يبق من
اجلي الا بقية تلك الليلة فما اكتحلت غمضا الى السحر ثم سمعت صوت

القفل يفتح علي فلم اشك ان الهادي قد استدعاني للقتل لما انصرف ابراهيم كاتبه
وانقضت الليلة فاذا بخادم قد دخل وقال اجب السيدة فقلت ما لي وللسيدة
قال قم فقمت واتيت الخيزران فقالت ان موسى قد مات ونحن نساء فادخل
واصلح شانه وانفذ الى هرون فجئ به فدخلت فاذا به ميت فوق فراشه
وامة العزيز تبكي عند راسه فغمضته وشددت لحييه وحمدت الله عز
وجل على لطيف صنعه وتفريجه ما كنت فيه وبادرت الى هرون فوجدته
نائما فايقظته فلما رآني عجب وقال ويحك ما الخبر قلت قم يا امير المؤمنين
الى دار الخلافة فقال امات موسى فقلت نعم فقال الحمد لله هاتوا ثيابي
فالى ان لبسها جاءني من عرفني سرا انه قد ولد له من مراجل ابن فقلت
اقر الله عينك يا امير المؤمنين بابن من مراجل ولم يكن عرف الخبر فحمد الله
عز وجل وسماه عبد الله وهو المامون فركب وانا معه الى دار الخلافة

حدثني الشريف ابو الحسن محمد بن عمر العلوي الزيدي قال لما حصلت
محبوسا بقلعة خشب بنواحي بلاد سابور من فارس حين حبسني بها
عضد الدولة كان صاحب القلعة التي انا مسلم اليه يونسني بالحديث
فحدثني ان هذه القلعة كانت في يد رجل كان راعيا بهذه الديار ثم صار
لصا فاحتوى عليها وصارت له معقلا وانضم اليه اللصوص فصار
يغزو بهم الى النواحي فيخرجون ويقطعون الطرق وينهبون القرى
ويقتلون ويفرون ويعودون الى القلعة فلا يمكن فيهم حيلة الى ان
قصدهم ابو الفضل ابن العميد وحاصرهم مدة وافتتحها وسلمها الى عضد
الدولة قال فكان في محاصرة ابي الفضل لهم ربما نزلوا فحاربوه فظفر منهم
في وقعة كانت بينه وبينهم بنحو خمسين رجلا فاراد قتلهم بقتلة يرهب
بها من في القلعة قال وهي على جبل عظيم حيالها بالقرب جبل آخر عظيم
عليه نزل ابو الفضل فامر بالاسرى فرقي بهم الى راس الجبل الذي هو عليه
وقيدوا وكتفوا ثم رمي بواحد واحد منهم من راس الجبل الى الموضع الذي
بينه وبين الجبل الذي عليه القلعة فيصل الواحد منهم الى القرار قطعا
قد قطعته الاضراس الخارجة في الجبل والحجارة ففعل ذلك بجميعهم حتى
بقي غلام حين بقل وجهه فلما طرح وصل الى الارض سالما ما لحقه مكروه البتة

وقد تقطع حبل كتافه فقام الغلام يمشي في قيده يطلب الخلاص فكبر الديلم
واهل العسكر استعظامًا للصورة وكبر اهل القلعة واغتاظ ابو الفضل فامر
برد الغلام فنزل من جاء به فامر ان يكتف ويرمى به ثانية فسالهُ من حضره
من الوجوه ان يعفو عن الغلام فلم يفعل فحلف انه لابد ان يطرح ثانية
فامسكوا فطرح الغلام فلما بلغ الى القرار قام يمشي سالمًا فارتفع من التكبير
والتهليل والصياح اضعاف ما ارتفع اولا وقال الحاضرون عنده هل بعد
هذا شيء وسالوه العفو عنه وبكى بعضهم فاستحيا ابو الفضل وعجب وقال
ردوه آمنًا فردوه فامر بقيوده فنزعت وبثياب فطرحت عليه ۞
وقال له اصدقني عن سر بينك مع الله عز وجل اليه نجاك بهاهذه
النجاة الظريفة قال ما اعلم حالا يوجب هذا انا كنت غلامًا امرد مع
استاذي فلان الذي هو احد من قتل الساعة وكان ياتي مني الفاحشة
ويخرجني معه فيقطع الطريق ويخيف السبل ويقتل الانفس وينتهب
كلما يجد وينتهك الحرم ويفجر بي ما اعرف غير هذا قال له ابو الفضل
هل كنت تصوم وتصلي فقال ما صمت قط ولا صليت فقال ويلك وايش
هذا الامر هل كنت تتصدق قال ومن كان يحيينا حتى نتصدق عليه
قال فكر وتذكر شيئًا ان كنت عملته لله عز وجل قط وان قل فافكر
الغلام ساعة ثم قال نعم سلم الي استاذي منذ سنين رجلا كان اسره
من بعض الطرق بعد ان اخذ جميع ما وجد معه فاصعدت به هذه القلعة
فقال له اشتر نفسك مني بمال تستدعيه من بلدك واهلك والا قتلتك
فكان في يده قوم هذه سبيلهم من المطالبة فقال الرجل ما املك في الدنيا
شيئًا غير ما اخذته مني فعذبه بانواع العذاب اياما وهو لا يزيد عن شيء
ثم جد به في العذاب فحلف بالله وبالطلاق وبايمان غليظة انه لا يملك
في الدنيا غير ما اخذ منه وانه ليس له في الدنيا الا نفقة خلفها للصبيانه
قدرها نفقة شهر الى ان اعود اليهم وان الصدقة الآن تحل لهم
واستسلم الرجل للموت فلما وقع في نفس استاذي انه صادق قال لي
انزل به وامض الى الموضع الفلاني واذبحه وجئني براسه فاخذت
الرجل وحدرته من القلعة فلما راني اعسفه قال الى اين تمضي بي واي

شيء تريد مني فعرفته ما امرني به صاحبي فجعل يبكي ويلطم ويتضرع
ويسالني ان لا افعل ويناشدني بالله ويذكر ان له بنات اطفالا لا كاد لهن
سواه ويخوفني بالله عز وجل ويسالني ان اطلقه فاوقع الله عز وجل
رحمته في قلبي فقلت له ان لم ارجع الى صاحبي براسك قتلني ولحقوك
فقتلت فقال يا هذا اطلقني ولا تعد الى صاحبك ساعتين او ثلاثًا فاني
اعدو وان لحقوني كنت انت بريئًا من دمي وصاحبك لا يقتلك مع محبته
لك وتكون قد اجرت في فازدادت رحمته في قلبي فقلت له خذ حجرًا
واضربني حتى يسيل دمي واجلس ههنا حتى اعلم انك قد صرت على فراسخ
ثم اعود انا الى القلعة فقال لا استحسن ان اكافيك على خلاصي بان
اشجك فقلت لا طريق الى خلاصك وبراءتي الا هكذا فافعل وتركته
وطار عدوًا وجلست في موضع حتى وقع لي انه على فراسخ كثيرة وجئت
الى صاحبي غريقًا بدمائي فقال مالك اين الراس فقلت سلمت اليَّ شيطانا
لا رجلا ما هو الا ان حصل معي في الصحراء حتى صارعني فطرحني الى
الارض وشدخني بالحجارة كما ترى وطار عدوًا وغشي علي فكنت في موضع
الى الآن فلما رقى دمي ورجعت قوتي جئتك فانزل بخلق وبذل لهم
على حصول الرجل اشياء فعادوا من غد وما وقفوا له على اثر فان يكن
ما خلصني الله منه لاجل شيء فعلته فلعله لهذا فجعله ابو الفضل رجلا
على بابه برزق له قدر وقريب من هذا ما حدثني به
ابو الحسن ايضًا قال كان بالكوفة رجل اسماه باسمه مشهور بها يحيى اصبع
خفان وهو بناء قديم مشهور بنواحي الكوفة كالقائم ويقال انه من
بناء الاكاسرة على العرب وهو مجوف وفي داخله درجة فيصعد ها
الى ان يصير منه على تسعين ذراعًا ثم لا يبقى موضع صعود لاحد
وهناك سطح كراس المنارة يقف الانسان فيه وله منافذ يرى منها
البر وتكون المنافذ الى اسفل وعلى باقي البناء كالبيضة لتظل من يكون
هناك كما يكون رؤس المنابر فكان هذا الرجل يخرج نفسه بالاختراع
والفضيلة التي لم يسبق اليها والهندسة التي لم يتقدمه غيره الى مثلها
من قديم الزمان من نقض المنافذ وينقلب فيصير فوق البيضة بجذق

قد سودهما وكان قد جعل قديمًا فوق البيضة حجر مدور كالرحى له سفود
حديد لا يعرف الغرض في تصييره هناك لطول الزمان فيقلب الرجل نفسه
من النافذة ويقعد فوق الرحى وكان القائم مبنيا على حرف النجف اكثر من
الف ذراع او نحوه فيصير الرجل عاليا علوًا عظيما ويعجب الناس من ذلك
وياخذ عليه منهم البر وان رجلا اتاه وهو منتبذ فاعطاه شيئًا ليصعد
القائم ففعل ذلك جاريا على عادته فلغلبة النبيذ عليه لم يتحرز التحرز
التام لما اخرج نفسه من بعض المنافذ لينقلب على الرحى فانقلبت
الرحى معه وهو ياجيعًا من ذلك العلو المفرط الى بطن النجف ولان الرجل
لم يكن تحته ما سبق الحجر الى الارض فراه الناس فكبروا وصاحوا عجبًا
والريح تحمل الرجل على مهل حتى طرحته في قرار النجف فقام يمشي ما اصابه
شيء البتة حتى صعد في موضع سهل امكنه الصعود وعاش بعد ذلك
سنين كثيرة لا يتعرض للصعود الى اصبع خفان وحدثني ان هذا
شائع ذائع بالكوفة ولم يكن في عمره ولكن اخبره به جماعة كثيرة من شيوخ
الكوفة وجدت في بعض الكتب ان الحجاج جلس يومًا يستعرض
قومًا من اصحاب عبد الرحمن بن الاشعث فقتل منهم جماعة ثم جيء برجل
فامر بضرب عنقه فقال ايها الامير ان لي عليك حقا قال وما حقك
قال سبك عبد الرحمن يومًا فرددت عليه قال ومن يعلم هذا قال
الرجل انشد الله رجلا سمع ذلك الا شهد به فقام رجل من الاسرى فقال
قد كان ذلك فقال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك ان تنكر شيء كما
انكر هذا قال قديم بغضي لك قال خلوا عنهما هذا لحقه وهذا لصدقه
وعن ابي الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال لما انصرف الطالبيون
عن البصرة تفرقوا فتوارى بعضهم ببغداد وبعضهم بالكوفة وصار
بعضهم الى المدينة وكان ممن توارى زيد بن موسى بن جعفر بن محمد
فطلبه الحسن بن سهل طلبا حثيثا حتى دل على موضعه فارسل اليه
من هجم عليه فاتى فحبسه ثم جلس مجلسًا عامًا من اجله فدعى به
فانبه ووبخه وقال افنيت الناس وسفكت دماء المسلمين وفعلت
وفعلت ثم اقبل على من حضر من الهاشميين وغيرهم فقال ما ترون فيه

فامسكوا جميعًا فانبرى قثم بن جعفر بن سليمان فقال ايها الامير ان تضرب
عنقه ودمه في عنقي فامر به الحسن فشد راسه بالحبل وانتضى السيف ولم
يبق الا ان يؤمر بالضرب فيضرب اذ صاح الحجاج بن خيثمة وقد حضر المجلس يومئذ
وهو رجل من اهل البصرة له قدر وامه اخت عبد الله بن سالم وكان الرشيد
جعل اليه امر الصواري والبازياريين والاشراف على الجوارح كلها وكانت له
في نفسه هيئة وحال جميلة وشرف فاحتمل ان ولي هذا ووضع من نفسه
لانه راه اعفى واطيب من غيره وكانت له حال جميلة وقدره غير وضيع فقال
ايها الامير ان رايت الا تعجل وان تدعوني اليك فافعل وعندي لك نصيحة
ففعل الحسن وامسك الذي في يده السيف واستدناه فلما دنى قال ايها
الامير اتاك بما تريد فعله امر امير المؤمنين قال لا قال فكان عهد اليك
اذا ظفرت بهذا الرجل ان تقتله واستامرت فيه بعد ظفرك فامرك بذلك
قال لا ذا ولا ذا قال فعلام تقتل ابن عم امير المؤمنين عن غير امره ولا استطلاع
رايه فيه قال ثم حدثه بحديث عبد الله بن الافطس وان الرشيد حبسه
عند جعفر بن يحيى فاقدم عليه فقتله عن غير امره وبعث براسه
اليه في جونة مع هدايا النيروز وان الرشيد لما امر مسرور الكبير ۞
بقتل جعفر قال له اذا سالك عن ذنبه الذي اقتله من اجله فقل انما
اقتلك بابن عمي ابن الافطس الذي قتلته عن غير امري ثم قال الحجاج للحسن
افتامن ايها الامير حادثة تحدث بينك وبين امير المؤمنين وقد قتلت
هذا الرجل فيحتج عليك بمثل ما احتج عليه الرشيد فجزاه خيرًا وامر بان
يدفع عن زيد وان يرد الى محبسه فلم يزل محبوسًا حتى ظهر امر ابراهيم
ابن المهدي قال وحبس معه احمد بن محمد بن عيسى الجعفري اخو العباس
ابن محمد صاحب البصرة فضيق عليهما محبسهما جدًا جعلهما في سفينة واطبق
عليهما الواحًا وجعل فيها فتحًا يدخل منه الطعام والشراب وعندهما دن
مقطوع الراس كانا يحدثان فيه واذا كاد يمتلي اخرج فرمي بما فيه ثم رد
ولم تزل تلك حالهما حتى بايع المامون لعلي بن موسى الرضا رضي الله عنهما فكتب
الى الحسن في اطلاقهما وان يحمل اليه زيدًا مكرمًا ففعل ذلك الحسن ۞
عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني ابي ان بدو سعي يحيى بن خالد

البرمكي على موسى بن جعفر رضي الله عنهما كان بسبب وضع الرشيد
ابنه في حجر جعفر بن محمد بن الاشعث فساء ذلك يحيى وقال اذا مات
الرشيد وافضى الامر الى محمد انقضت دولتي ودولة ولدي وتحرك الامر
الى جعفر وولده وقد كان عرف مذهب جعفر في التشيع فاظهر له
انه على مذهبه فلما انس به جعفر افضى اليه بجميع امره وذكر ما هو عليه
في موسى ابن جعفر وسعى به الى الرشيد وكان الرشيد يرعى له موضعه
وموضع ابيه من الخلافة فكان يقدم في امره ويؤخر ويحيى لا يألو
جهداً ان يخطب عليه الى ان دخل يوماً على الرشيد وجرى بينهما حديث
مت فيه جعفر بحرمته وحرمة ابيه فامر له بعشرين الف دينار فامسك
يحيى اياماً ثم قال للرشيد قد كنت اخبرك عن جعفر ومذهبه فتكذب
عنه وهيهنا امر فيه الفصل انه لا يصير اليه مال الا اخرج خمسه
فوجه به الى موسى بن جعفر ولست اشك انه قد فعل ذلك في العشرين
الف دينار التي امرت له بها فارسل هرون الى جعفر ليلاً يستدعيه وقد
كان جعفر علم سعاية يحيى عليه فتباينا بالعداوة فلما طرق جعفر
رسول الرشيد ليلاً لم يشك انه قد سمع من يحيى فيه وانه دعاه ليقتله
فافاض عليه ماء ودعا بمسك وكافور وتحنط بهما ولبس برده واقبل
الى الرشيد فلما دنى منه ليخاطبه شم رائحة الكافور ورأى البردة فقال
ما هذا يا جعفر قال يا امير المؤمنين قد علمت انه قد سعي على عبدك فلما
جاءني في هذه الساعة رسولك علمت انك تريد قتلي قال كلا ولكن اخبرت
انك تبعث الى موسى بن جعفر من كل ما يصير اليك خمسه وانك فعلت ذلك
في العشرين الف واحببت ان اعلم ذلك قال جعفر الله اكبر يا امير المؤمنين
مر لبعض خدمك يذهب فيأتيك بها بخواتيمها فقال الرشيد لخادم له خذ
خاتم جعفر وانطلق حتى تأتيني بهذا المال واسمى له جعفر جاريته التي المال
عندها فدفعت اليه البدر بخواتيمها فاتى بها الرشيد فقال له جعفر يا امير
المؤمنين هذا اول ما تعرف به كذب من سعى بي اليك فقال صدقت انصرف
آمناً فاني لا اقبل بعد هذا فيك قول احد **عن ابن ابي الدنيا** قال بلغني
عن العريان بن الهيثم عن ابيه ان عبيد الله بن زياد وجهه الى معاوية

في حاجة فدخل اليه فاذا خارجي بين يدي يزيد يخاطبه فقال له الخارجي في
بعض ما يخاطبه يا شقي فقال والله لاقتلنك فرآه يحرك شفتيه فقال
يا حرسي ما تقول قال اقول ﴿ عسى فرج يأتي به الله انه ﴿
له كل يوم في خليقته امر ﴿ قال اخرجاه واضربا عنقه فدخل الهيثم بن الاسود
فقال ما هذا فاخبر عنه فقال كفا عنه قليلاً فدخل فقال يا امير المؤمنين
هب مجرم قوم لوافدهم قال هو لك فاخذ الهيثم بيده فاخرجه والخارجي
يقول الحمد لله عز وجل على العافية تأتى على الله عز وجل فاكذبه وغالب
الله فغلبه **ذكر المدايني** في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة عن
محمد بن خالد القرشي قال وفد ابو العريان الهيثم بن الاسود على عبد الملك
ابن مروان فدخل عليه وقد اتي برجل من الخوارج من قوم ابي العريان فخاطبه
عبد الملك فاغتاض الخارجي فحلف عبد الملك ليقتله فلما احضر السيف والنطع
قال له ابو العريان يا امير المؤمنين هب جاني قوم لوافدهم قال خلوا عنه فقال
الخارجي للمخرج تألى على الله عز وجل فكذبه وغالب الله تعالى فغلبه
وذكر المدايني في كتابه يرفعه الى رجل كان من اسراء الحجاج من اصحاب ابن
الاشعث قال جعل الحجاج يقتل عامة يومه الاسرى وبقيت منا جماعة قليلة
واتي برجل ليضرب عنقه فقال يا حجاج والله لئن كنا اسأنا في الفعل فما
احسنت في العقوبة ولئن كنا الزمنا في الجناية فما كرمت في العفو فقال ردوه
يا حرسي كيف قلت فاعاده فقال الحجاج صدقت والله اف لهذه الجيف
والجثث اما كان فيها احد ينبهنا كما نبهنا اطلقوا عنه **وروى المدايني**
في كتابه عن معمر بن المثنى قال اتي الحجاج بقوم ممن كانوا خرجوا عليه
فامر بهم فقتلوا واقيمت الصلاة وقد بقي منهم رجل واحد فقال الحجاج
لعنبسة انصرف بهذا معك واغد به علي غداً قال عنبسة فخرجت به فلما
كنا في الطريق قال هل فيك خير قلت وما ذاك قال اني والله ما خرجت على
المسلمين ولا استحل قتالهم وعندي ودائع واموال فتخلي عني حتى آتي اهلي
وارد على كل ذي حق حقه واجعل الله لك علي اني ارجع اليك من غد ﴿
فتعجبت منه وتضاحكت به ومضينا ساعة فاعاد علي القول فقلت له
اذهب فذهب فلما توارى عني شخصه سقط في يدي فاتيت اهلي فاخبرتهم فقالوا

لقد اجترأت على الحجاج وبتنا باطول ليلة فلما طلع الفجر اذا به قد جاءني فقلت
ارجعت فقال سبحان الله جعلت الله عز وجل لك ثم لا ارجع قال فانطلقت
به الى الحجاج فقال اين اسيرنا قلت اصلح الله الامير هو بالباب وقد كانت لي
وله قصة قال وما هي فاخبرته الخبر وادخلته عليه فقال لي اتحب ان اهبه
لك قلت نعم قال هو لك قال فاخرجته معي وقلت خذ اي طريق شئت فرفع
بصره الى السماء وقال الحمد لله وانصرف وما كلمني بكلمة فقلت في نفسي هذا
مجنون فلما كان من غد اتاني فقال يا هذا جزاك الله خيراً اني والله ما جهلت
ما صنعت ولكن كرهت ان اشرك في حمد الله احداً **وذكر محمد بن عمر القاضي ابو
الحسين في كتابه** قال حبس رجل وقد وجب عليه حد فلما رفع خبره امر
بضرب عنقه فقال المخبر فدخلت الحبس الى رجل بيني وبينه سبب اعرف
خبره فرايت الذي امر بضرب عنقه يلعب بالنرد فقلت للذي دخلت اليه
وانا اعلم انه امر بضرب عنق ذلك الانسان ما افرغ قلب هذا يلعب بالنرد
وهو محبوس قال اظرف من هذا انه قد امر بضرب عنقه وقد علم بذلك
وهو ذا ترى حاله قال فازددت تعجباً وفطن الرجل لما نحن فيه فاخذ
بيده فصاً من فصوص النرد فرفعه فقال الى ان يسقط هذا من يده الى
الارض ما قد حدثت امور قال فخرجت وانا متعجب منه متفكر في قوله
فما امسينا ذلك اليوم حتى شغبت الجند وفتحت السجون وخرج من كان ﴿
فيها والرجل فيهم وسلم من القتل ﴿ **الباب التاسع من شارف
الموت بحيوان مهلك رآه فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه**
عن ابراهيم الخواص قال ركبت البحر مع جماعة من الصوفية فكسر بنا
فنجى منا قوم على خشب من خشب المركب فوقعنا الى مكان لا ندري اي
مكان هو فاقمنا فيه اياماً لا نجد ما نقتاته فاحسسنا بالموت فقال
بعضنا لبعض تعالوا حتى نجعل لله على انفسنا ان ندع له شيئاً فلعله
يرحمنا فنخلص من هذه الشدة فقال بعضنا لا افطر الدهر وقال
بعضنا اصلي كل يوم كذا وكذا ركعة وقال بعضنا ادع اللذات الى ان قال
كل واحد منا شيئاً وانا ساكت فقالوا لي قل شيئاً فلم يجئ على لساني الا ان
قلت لا اكل لحم فيل ابداً فقالوا الهزل في مثل هذه الحال فقلت والله ما تعمدت

بلغ مقابلة

الهزل ولكني منذ بدأتم اعرض على نفسي شيئاً ادعه لله عز وجل فلا تطاوعني
ولا يخطر على قلبي غير الذي لفظت به وما اجرى هذا على لساني ولا الهمه قلبي
الا لامر فلما كان بعد ساعة قال بعضنا لم لا نطوف في هذه الارض متفرقين
فنطلب قوتاً فمن وجد شيئاً انذر به الباقين والموعد هذه الشجرة قال فتفرقنا
في الطرق فرجع احدنا بولد فيل صغير فلوح بعضنا البعض فاجتمعنا فاخذه
اصحابنا فاحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا ياكلون فقالوا تقدم فكل فقلت
انتم تعلمون انني منذ ساعة تركته لله عز وجل وما كنت لارجع في شيء
تركته له ولعله انما جرى ذلك على لساني لسبب موتي من بينكم لاني ما اكلت
شيئاً منذ ايام وما اطمع في شيء آخر وما يراني الله انقض عهده ولو مت
فاعتزلتهم واكل اصحابي واقبل الليل فتفرقنا الى مواضعنا التي كنا فيها نبيت
واويت الى اصل شجرة فكنت ابيت عندها فلم يكن الا لحظة فاذا الفيل عظيم
قد اقبل وهو ينعر والصحراء تندكدك بنعيره وشدة شخبه وهو
يطلبنا فقال بعضهم قد حضر الاجل فاستسلموا وتشهدوا واخذنا في
الاستغفار والتسبيح وطرح القوم نفوسهم على وجوههم فجعل الفيل يقصد
واحداً واحداً فيشمه من اول جسده الى آخره فاذا لم يبق فيه موضع الا
شمه اشال احدى قوائمه فوضعها عليه ففسخه فاذا علم انه قد اتلفه
قصد آخر ففعل به مثل فعله بالاول الى ان لم يبق غيري وانا جالس منتصب
اشاهد ما جرى واستغفر الله واسبح فقصدني الفيل فحين قرب مني
رميت بنفسي على ظهري ففعل بي من التشمم كما فعل باصحابي ثم اعاد تشممي
مرتين او ثلاثاً ولم يكن فعل باحد منهم ذلك وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج
فزعاً ثم لف خرطومه علي فاشالني في الهوى فظننته يريد قتلي بقتلة ﴿
اخرى فجهرت بالاستغفار فنحى خرطومه حتى جعلني فوق ظهره فانتصبت
جالساً واجتهدت في حفظ نفسي لموضعي وانطلق الفيل يهرول تارة ويسعى اخرى
وانا تارة احمد الله عز وجل على تاخير القتل واطمع في الحيوة وتارة اتوقع ان
يثور بي فيقتلني فاعاود الاستغفار وانا اقاسي في خلال ذلك والجزع من الالم
الشديد بسرعة سير الفيل امراً عظيماً فلم ازل على ذلك الى ان طلع الفجر واشتد
ضوءه فاذا به قد لف خرطومه علي فقلت قد حضر الاجل فاستكثرت من الاستغفار

فاذا به قد انزلني من ظهره وتركني على الارض ورجع الى الطريق التي جاء منها
وانا لا اصدق فلما غاب عن عيني ولم اسمع له حسًّا خررت ساجدًا لله سبحانه
ثم رفعت راسي حتى احسست بالشمس فاذا انا على ظهر محجة عظيمة قد مشيت
عليها نحوًا من فرسخين فانتهيت الى بلد كبير فدخلته فعجب اهله مني وسالوني
عن قصتي فاخبرتهم فزعموا ان الفيل سار في تلك الليلة مسيرة ايام واستطرفوا
سلامتي واقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدائد التي قاسيتها وتندى
بدني ثم سرت عنه مع التجار الى بلد على شاطئ البحر فركبته ورزق الله السلامة
الى ان عدت الى بلدي حدثني ابو بكر البسطامي صاحب ابن دريد وكان
زوج ابنته وكان شيخًا من اهل الادب والحديث وقد استوطن الاهواز سنين
وكان ملازمًا لابي رحمه الله يتفقده ويبره قال كان لامراة ابن غاب عنها
غيبة طويلة منقطعة وايست منه فجلست يومًا تاكل فحين كسرت لقمة
واهوت الى فيها وقف بالباب سائل مستطعم فامتنعت من اكل اللقمة
وحملتها مع تمام الرغيف فتصدقت بها وبقيت جائعة يومها وليلتها فما مضت
الا ايام يسيرة حتى قدم ابنها فاخبر بشدائد عظيمة مرت به وقال اعظم شيء
جرى علي اني كنت منذ ايام اسلك اجمة عظيمة في الموضع الفلاني اذ خرج علي
اسد فقبض علي من ظهر حمار كنت اركبه وغار الحمار ونشبت مخالب الاسد في
مرقعة كانت علي وثياب تحتها وجبة فما وصل الى بدني كثير شيء من مخالبه الا
اني تحيرت وذهب اكثر عقلي فادخلني الاسد الاجمة وبرك ليفرسني فرايت رجلا
عظيم الخلق ابيض الوجه والثياب وقد جاء حتى قبض بيده من غير سلاح على
قفا الاسد فشاله فخبط به الارض وقال قم يا كلب لقمة بلقمة فقام الاسد
هاربًا يهرول وثاب الي عقلي وطلبت الرجل فلم اجده وجلست ساعات
الى ان ثابت الي قوتي ثم نظرت الى نفسي فلم اجد بها باسًا فمشيت حتى لحقت
بالقافلة التي كنت فيها فتعجبوا لما راوني فحدثتهم حديثي ولم ادر معنى القول
من الرجل لقمة بلقمة فنظرت المراة فاذا هو وقت اخرجت اللقمة من فيها وتصدقت
بها ووجدت في دفتر عتيق عن بعضهم قال خرجت الى الحائر في ايام
الحنبلية انا وجماعة مختفين فلما صرنا في اجمة بر قال لي رفيق منهم يا فلان
ان نفسي تحدثني ان السبع يخرج فيفترسني من بين الجماعة فان كان ذلك فخذ

حماري وما عليه فاده الى عيالي في منزلي فقلت له ما هذا الاستشعار يجب
ان تتعوذ بالله منه وتضرب عن الذكر فيه قال فما مضى على هذا الا يسير حتى
خرج الاسد فحين رآه الرجل سقط عن حماره واقبل يتشهد وقصده الاسد
من بين الناس كلهم فاخذه ودخل به الاجمة وسقت الحمار واسرعت مع
القافلة وبلغنا الحائر وزرنا ورجعنا الى بغداد واسترحت في بيتي يومًا
او يومين ثم اخذت الحمار وجئت الى منزله لاسلمه الى عياله فدققت الباب
فخرج الي الرجل بعينه فحين رايته طار عقلي جزعًا وفرحًا وتشككت حتى
مسحت عيني فعانقني وبكا وبكيت وقلت حديثك فقال ان السبع ساعة
اخذني وجرني الى الاجمة وانا لا اعقل امري ثم سمعت صوت شيء ورايت
السبع قد خلاني ومضى ففتحت عيني فاذا الذي سمعت صوت خنزير
واذا السبع لما رآه عن له ان تركني ومضى فصاده وبرك عليه يفرسه وانا
اشاهده الى ان فرغ منه ثم خرج السبع من الاجمة وغاب عن عيني فسكنت
وتاملت حالي فوجدت مخالبه قد وصلت الى فخذي قليلا وقوتي قد عادت
فقلت لاي شيء جلوسي فقمت امشي في الاجمة اطلب الطريق فاذا الجيف ناس
وبقر وغير ذلك وعظام بالية ومخالي الفيوج وآثار من قد فرسهم الاسد
فما زلت اتخطاها حتى انتهيت الى رجل قد اكل الاسد بعض جسده وبقي اكثره
وهو طري وفي وسطه هميان قد تخرق بعضه وظهرت منه دنانير فقمت
فجمعتها وقطعت الهميان واخذت جميع الدنانير وتتبعتها حتى لم يفتني منها
شيء وقويت بفضل قوة فاسرعت في المشي وطلبت الجادة فوقفت عليها واقمت
امشي الى بعض القرى واستاجرت حمارًا وعدت الى بغداد ولم امض الى
الزيارة لاني خشيت ان يسبقوني ويذكروا خبري فيصير عند عيالي ما تم
فسبقتكم وانا اعالج فخذي واذ امن الله عز وجل بالعافية عدت الى الزيارة
وحدثني بهذا الحديث غير واحد من اهل بغداد بتقريب وبلغني
عن ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن مقلة انه قال كنت بالموصل مع
المتقي لله وانا آزر له اذ ذاك فاتاني سلامة اخو نجح الطولوني بفيج معه كتب
وقال اسمع ما يقول فدعوته وقلت له قل قال خرجت من بغداد اريدكم ومعي

رفيق لي فيج من اهل بلد فاعطاني لما صرت بين تكريت والسن دراهم كانت معه
وقال ان نفسي تحدثني ان السبع يخرج فيفترسني وذكرا في الحديث حدثني
ابو جعفر اصبغ بن احمد بن شيخ وكان يصحب ابا محمد المهلبي رحمه الله قبل وزارته فلما
ولي الوزارة كان يصرفه في الاستحثاث على العمال وفي الاعمال التي يتصرف فيها العمال
الصغار قال كنت بشيراز مع ابي الحسن علي بن خلف بن طباث وهو يتولى عمالتها يومئذ
فجاء مستحث من الوزير يطالبه بحمل الاموال وكان احد الغلمان الاكابر قد كوتب
باكرامه فاحضره اول يوم لطعامه وشرابه فامتنع من مواكلته وذكر ان له عذرًا
فقال لابد من ان تاكل فاكل باطراف اصابعه ولم يخرج يده من كمه وكادكمه يدخل
في الغضاير وينالها الغمر فلما كان من غد قال علي بن خلف ليدع كل يوم واحد منكم
فكانوا يدعونه ويدعوا بعضهم بعضًا فتكون صورته في الاكل واحدة فنقول لعل به
برصًا او جذامًا الى ان بلغت النوبة الي فدعوته ودعوت الحاشية وجلسنا ناكل
وهو ياكل معنا على هذه الصورة فسالته لاخراج يده والانبساط في الاكل فامتنع من
اخراج يده فقلت له ليحقك تنغص بالاكل هكذا فاخرجها على اي شيء كان بها فانا
نرضى به قال فكشفها فاذا فيه وفي ذراعيه دون المائة ضربة وبعضها فيه بقية
وعليها الادوية يابسة وهي على اقبح ما يكون من المنظر فاكل معنا غير محتشم وقدم
الشراب فشربنا فلما اخذ منا الشراب سالته عن سبب تلك الضربات فقال هو امر
طريف اخاف ان لا اصدق فيه ولا يحل لي الحديث به فقلت لابد من ان تتفضل
فقال كنت عام اول من قريب من هذا الوقت قائمًا بحضرة الوزير فسلم الي كتابا الى
عامل دمشق ومنشورًا وامرني بالتعرض اليه وارهاقه بالمطالبة بحمل
المال ورسم ان اخرج على طريق السماوة لا تعجل وكتب الى عامل هيت بانفاذي مع
خفارة فلما حصلت بهيت استدعا العامل جماعة عدة من احياء العرب وضمني اليهم
واعطاهم مالا على ذلك واشهد عليهم بتسليمي واحتاط في امري وكانت هناك قافلة
تريد الخروج منذ مدة وتتوقى البرية فانسوا بي وسالوني ان آخذ منهم لنفسي ما لا
وللاعراب مالا وادخلهم في الخفارة ويسيرون معي ففعلت ذلك فصرنا قافلة عظيمة
وكان معي من غلماني من يحمل السلاح شبيه بعشرين غلامًا وفي جمالي القافلة والتجار
جماعة يحملون السلاح فرحلنا عن هيت ودخلنا في البرية ثلاثة ايام بلياليها

فبينما نحن نسير اذ لاحت لنا خيل فقلنا للاعراب ما هذه الخيل فتسرع منهم قوم ثم
عادوا كالمنهزمين فقال قوم من بني فلان بيننا وبينهم طوائل ونحن طلبتهم لا ثبات
لنا معهم ولا يمكننا خفارتكم منهم وركضوا متفرقين وبقينا نحن متحيرين ولم اشك
انهم كانوا بعض اهلهم وان ذلك فعل على مواطاة فجمعت القافلة والطفت بها وغلماني
ومن كان من تاجر وجمال ومن يحمل السلاح فصرنا حول القافلة من خارجها
متساندين اليها كالدائرة وقلت لمن كان معي لو كان هؤلاء ياخذون اموالنا
ويدعون جمالنا لنجوا عليها كان هذا اسهل ولكن الجمال والدواب اول ما توخذ
ونتلف في البرية ضعفًا وعطشًا فاعملوا على ان نقاتل فان هزمناهم سلمنا
وان قتلناهم كان اسهل من الموت فقالوا نفعل وغشينا القوم فقاتلناهم
منذ انتصاف النهار الى ان حجز الليل بيننا وما قدروا علينا فقتلنا لهم عدة
خيل وجرحنا منهم غير جزع وما ظفروا منا بعودة فباتوا قريبًا منا حنقين
علينا وتفرق الناس للاكل والصلاة واجتهدت بهم ان يجتمعوا ويبيتوا تحت
السلاح خافا النوبي وكانوا قد املوا وملوا ونام بعضهم فغشينا الخيل فلم يكن عندنا
امتناع فوضعوا فينا السيوف وكنت انا المطلوب خاصة لما شاهدوه من تدبير
القوم برايي وعلموه من كوني رئيس القافلة فقطعوني بالسيوف ولحقتني هذه
الجراحات وفي بدني اضعاف اضعافها قال وكشف لنا عن اكثر جسده فاذا به
امر عظيم هالنا لم نره في بشر قط قال وكان في اجلي تاخير فرميت بين القتلى لا اشك
في تلفي قال واستيقت الدواب والغلمان والجمال والامتعة فلما كان بعد ساعة
افقت فوجدت في نفسي قوة والعطش بي شديد فلم ازل اتحامل حتى قمت اطلب
في القافلة سطيحة قد افلتت اشرب منها فلم اجد ورايت من القتلى والمجروحين
الذين هم في آخر رمق وسمعت من انينهم ما اضعف نفسي وايقنت بالتلف وقلت
غاية ما اعيش الى ان تطلع الشمس فتحاملت اطلب شجرة او محلا قد افلت لاجعله
ظلا لي من الشمس اذا طلعت فاذا بي قد عثرت بشيء عظيم لا ادري ما هو في الظلمة
واذا انا منبطح عليه بطولي وطوله فثار من تحتي ففرقته وقدرته رجلا من الاعراب
فاذا هو اسد فحين علمت ذلك طار عقلي وقلت ان استرخيت افترسني فما نفقت
رقبته بيدي ونمت على ظهره والصقت بطني بظهره وجعلت رجلي تحت
مخصاه وكانت دمائي تجري فحين داخلني ذلك الفزع الشديد بدر في دمي وعلق

شعر الاسد بافواه الجراحات فصار سدادًا لها وعونًا على ان امسك نفسي
فوقه لاني حصلت كالمتصل فوقه وورد على الاسد مني اظرف مما ورد علي منه
فاقبل يجري كما يجري الفرس على سمت واحد لا يعرج عنه وانا احس بروحي
واعضائي تتقصف من شدة سيره فلم اشكك في انه يقصد اجمة بالقرب
فيلقيني الى لبوته فيفرسني الا اني اضبط نفسي مع ذلك واؤمل الفرج وادافع
بالموت وكلما هم ان يربض ضربت مخصاه برجلي فيطير وانا اعجب من نفسي
ومطيتي وادعو الله عز وجل وارجو مرة وايأس اخرى الى ان ضربني
نسيم السحر فقويت نفسي واقبل الفجر يضيء فتذكرت طلوع الشمس فجزعت
ودعوت الله عز وجل فما كان باسرع من ان سمعت صوتًا ضعيفًا لا ادري ما هو
ثم قوي فتبينته ناعورة قال والاسد يجري وقوي الصوت فلم اشك في انه
ناعورة ثم صعد بي الاسد الى تل فرايت منه بياض ماء الفرات جاريًا وناعورة
تدور والاسد يمشي على شاطئ الفرات برفق الى ان وجد شريعة فنزل منها
الى الماء واقبل يسبح ليعبر فقلت في نفسي ما تعودي لئن لم اتخلص ههنا
لا تخلصت ابدًا فما زلت ارفق حتى خلصت شعره من افواه جراحاتي وسقطت
وسبحت منحدرًا واقبل يشق الماء عرضًا فلما سبحت اذا بجزيرة فقصدتها
وحصلت فيها وقد بطلت قوتي وذهب عقلي وطرحت نفسي عليها كالتالف
فلم احس الا بحمي الشمس قد انبهتني فرحت اطلب شجرة رايتها في الجزيرة
لاستظل بها من الشمس فرايت السبع متمعكًا على ذنبه بشاطئ الفرات حيال
الجزيرة فقل فزعي منه واقمت مستظلا بالشجرة اشرب من ذلك الماء الى العصر
فاذا انا بزورق منحدر فصحت به فوقفوا فقلت يا قوم احملوني فقالوا انت
رئيس اللصوص فاريتهم جراحاتي وحلفت لهم انه ما بالجزيرة احد سواي
واومأت لهم الى الاسد وقلت لهم قصتي ظريفة طويلة وان تجاوزتموني
كنتم انتم قد قتلتموني فالله الله في فرقوا لي ودخلوا الي يحملوني فلما حصلت
في الزورق ذهب عقلي فما افقت الا في اليوم الثاني فاذا علي ثياب نظاف
وقد غسلت جراحاتي وجعل فيها الزيت وادوية وانا بصورة الاحياء فسالني
اهل الزورق عن حالي فحدثتهم وبلغنا الى هيت فانفذت الى العامل من
عرفه خبري فجاءني من حملني اليه فتوجع لي وقال ما اظن انك افلت فالحمد لله

فحدثته كيف كان هذا فعجب وقال بين الموضع الذي قطع عليكم وبين الموضع الذي
حملك اهل الزورق منه كان مسافة اربعين فرسخًا على غير محجة فاقمت عنده اياما ثم
اعطاني نفقة وثيابًا وزورقًا فجئت الى بغداد فكنت انعالج عشرة اشهر حتى صرت
هكذا ثم خرجت وقد افتقرت وانفقت جميع ما كان في بيتي فلما اقمت بين يدي
الوزير رق لي واطلق لي مالًا واخرجني اليكم حدثني علي بن نظيف
المعروف بشهدانجه وسعيد بن عبد الله السمرقندي الفقيه ممن حدثهما انه
بات في سطح خان في بعض الاسفار ومعه قراد معه امراة وقرد له فنام الناس
فارقت فلما هدأت العيون رايت القرد قد قلع المسمار الذي فيه السلسلة ومشى
نحو المراة ولم اعلم ما يريد فعمت فحين رآني القرد رجع الى مكانه فجلست ففعل
ذلك دفعات وفعلت فلما طال على الامر جاء الى خرج القراد ففتحه واخرج منه
صرة دراهم ظننت ان فيها اكثر من مائة درهم ورمى بها الي فعجبت من ذلك وقلت
امسك لانظر ما يعمل فامسكت فجاء الى المراة فمكنته من نفسها فواقعها وافتهمت
بتمكيني اياه من ذلك وحفظت الصرة فلما كان من الغد صاح القراد يطلب
ما ذهب منه وقال لصاحب الخان قردي يعرف من اخذ هذه الصرة فضبط
باب الخان واقعد انا وانت وتخرج الناس فمن علق به القرد فهو خصمي ففعل
ذلك واقبل الناس يخرجون والقرد ساكن وخرجت فاعرض لي فوقفت خارج
الخان انظر ما يجري فلما لم يبق احد خرج رجل يهودي فعلق به القرد فقال القراد
هو خصمي وجذبه ليحمله الى صاحب الشرطة فلم استحل حينئذ السكوت فقلت يا قوم
ليس اليهودي صاحبكم وانما انا صاحبكم والصرة معي ولي قصة ظريفة في
اخذها فاخرجتها وقصصت عليهم القصة فحملنا الى صاحب الشرطة وحضرت
الرفقة فعرفوا صاحب الشرطة محلي ومنزلي ويساري واقبل القراد يحيد عن القرد
فما برحت حتى امر صاحب الشرطة بقتل القرد وطلبت المراة فهربت وسلم اليهودي
حدثنا الحسن بن صافي مولى محمد بن المتوكل القاضي قال حدثنا غلام ابق
منه قال كنت اسير ماشيًا من واسط الى بغداد فلما صرت بين دير العاقول
والسيب وانا وحدي في يوم صائف له ريح شديدة ورايت بالبعد غيضة
عظيمة وقد خرج منها سبع فحين رآني وحدي اقبل الي يهرول فذهب علي امري
وايقنت بالهلاك وخدر بدني كله وربا لساني في فمي وتحيرت الا اني اخذت منديلي

فجعلته في راس قصبة كانت معي فظننت اني افزعه بذلك وانا في تلك الحال من
الاياس وقد حصلت بيني وبينه نحو المائتي ذراع اذ قلعت الريح اصل حشيش يقال
له بارق عينه والتف بشوك كالكارة العظيمة والريح تدحرجه نحو السبع وقد تمكنت
منه فجاء لها فيه حفيف شديد فحين رآني السبع وسمع الصوت رجع منصرفًا وقد
فزع فزعًا شديدًا وبقي يحول وجهه في كل عشر خطوات فاذا رآني وذلك الاصل في
اثره يتدحرج عدا فلم يزل كذلك الى ان بعد عني بعدًا شديدًا ودخل الغيضة
وعادت الي نفسي ومشيت في طريقي وافلت حدثني القاضي ابو بكر
احمد بن سيار قال حدثني شيخ من اهل البر ومكران رايته بعمان ووجدتهم
يذكرون ثقته ومعرفته بالبحر وانه دخل الهند والصين قال كنت ببعض البلدان
وقد خرج على ملكها خارجي فانفذ اليه الجيوش فطلب منه الامان فامنه
فسار ليدخل الى بلد الملك فلما قرب اخرج الملك الجيش لتلقيه والالات وخرجت
العامة تنتظر دخوله فخرجت معهم فلما قعدنا في الصحراء ووقف الناس
ينتظرون طلوع الرجل فطلع وهو راجل في عدة رجالة من اصحابه وعليه ثوب
حرير ومئزر في وسطه جري على زي القوم والجري مدية معوجة الراس
من سلاح الهند فتلقوه بالاكرام ومشوا معه حتى انتهوا الى فيلة عظيمة قد
اخرجت المزينة عليها الفيالون وفيها فيل يخصه الملك لنفسه ويركبه في
الاوقات فقال له الفيال لما قرب منه تنح عن طريق الفيل فسكت عنه فاعاد
عليه فسكت فقال يا هذا احذر على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك فقال له
الخارجي قل لفيل الملك يتنح عن طريقي فغضب الفيال واغرى الفيل به بكلام
كلمه به فغضب الفيل وعدا الى الخارجي فلف خرطومه عليه فقبض الخارجي
بيده على الخرطوم واشاله الفيل اشالة عظيمة والناس يرونه وانا فيهم فخبط
به الارض فاذا هو قد انتصب قائمًا على قدميه فوق الارض ولم ينح يده عن
الخرطوم فزاد غضب الفيل فاشاله اعظم من تلك وعدا ثم رمى به الى الارض
فاذا هو قد حصل عليها مستويًا على قدميه منتصبًا قابضًا على الخرطوم تلك
المدة منه من التنفس فقتله قال فوكل به وحمل الى الملك وحدث بالصورة
فامر بقتله قال فاجتمع القحاب بهذا اللفظ وهن النساء الفواجر يعملن ذلك
بالاستظهار عند البد تقربًا اليه بذلك عندهم قال وهن العدول يشهدن

فسقط الفيل ميتا لان قبضه على الخرطوم صرصح

في الحقوق ويقبل من الشهادة فيقطع بها حاكمهم في سائر الامور ويعترض في الآراء لان
عندهم انهن بذلن انفسهن عند البد بغير اجر فقد صرن في حكم العباد والزهاد فقال
القحاب للملك نحب ان تستبقي مثل هذا فان فيه جمالًا للمملكة ويقال ان للملك خادمًا
قتل فيلا بقوته وحيلته من غير سلاح فعفي عنه عن ابي بكر محمد بن سهل
الشاهد الواسطي القاضي بلغني قال اخبرني وكيلان كانا في ضيعتين بنواحي
الخامدة ونهر جعفر ثقتان عندي انهما كانا من ضياع قد اخرجوهما الى
اجمة يقطعان قصبًا فراوا شبلًا كالسنور فقتله احد قطاعي القصب فقالوا اقتلنا
الساعة يجيء السبع واللبوة فاذا لم يرياه طلبانا ونحن نبيت في الصحراء وبين
القصب فيفترساننا قال فما كان باسرع من ان سمعنا صوت السبع فطرنا
على وجوهنا واجتمعنا فلجأنا الى دار خراب خارج الاجمة وعلونا على سطحها
وكان فيها غرفة عليها باب كنا ناوي اليها ليلا فلما راى السبع ولده قتيلا
قصدنا فصار في صحن الدار الخراب وكان بين يدي الغرفة سطحين فاخذ
السبع يطفر ليصير معنا فما قدر على ذلك فولى وعلا اكمة في الصحراء فصاح
فجاءته اللبوة فطفرت فما وصلت فاجتمعا وصاحا فجاءهما عدة اخر من
السباع فطفروا فما قدروا علينا فلم يزالوا كذلك حتى اجتمع بضعة عشر سبعًا
فكلما جاء واحد منها طفر الينا فلا يبلغنا ونحن كالموتى خوفًا من ان يصل الينا
واحد منهم فبينا نحن كذلك اذ اجتمعت السباع كلها كالحلقة وجعلت افواهها
في الارض وصاحت صيحة واحدة فراينا حفيرة قد انحفرت في التراب من
انفاسها فما كان الا ساعة حتى جاء سبع اسود هزيل منجرد الشعر طويل
فتلقته السباع كلها وبصبصت بين يديه وحوله وجاء يقدمها وهي خلفه
حتى رآنا في الغرفة وكنا قد اغلقنا الباب واجتمعنا كالحلقة لندافعه عن
الدخول فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر بعض الواحه وادخل مؤخره الينا
فعمد احدنا الى ذنبه فقطعه بمنجل كان معنا فصاح صيحة عظيمة منكرة
وهرب فرمى بنفسه الى الارض فلم يزل ينهش السباع وينهشها بمخالبه حتى
قتل منها غير واحد وتهاربت السباع الباقية من بين يديه وهلم في الصحراء
يتبع احدها ونزلنا نحن لما لم يبق منها شيء فلحقنا بالقرية فاخبرناهم خبرنا
فقال لنا شيخ منهم هذا مثل الجرد العتيق اذا قطع ذنبه اكل الفار حدثنا

قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمداني قال كان رجل
من أهل أذربيجان له على رجل دين فهرب منه وطالت غيبته فلقي صاحب الدين
المدين بعد مدة في الصحراء منفردا فقبض عليه وطالبه فحلف بالله أنه
معسر وسأله الانظار وقال لو أني أيسر الناس لما تمكنت ههنا من دفع شيء
اليك فأبى عليه وأخرج قيدا كان معه ليقيده حتى لا يهرب فضرع وسأله
أن لا يفعل وبكى فلم ينفعه فقيده بالقيد ومشى إلى قرية بقرب الموضع الذي
التقيا فيه فجاءها مساء وقد أغلق أهلها سورها واجتهدا في فتحها لهما فأبى
أهل القرية ذلك عليهما فباتا في مسجد خراب على باب القرية وأدخل صاحب
الدين رجله في حلقة من حلقتي القيد لأن يبيته أن هرب منه فجاء السبع
وهما نائمان فقبض صاحب الدين فافترسه وجره فانجر الغريم معه لمكان
الحلقة في إحدى رجليه فلم يزل تلك حاله إلى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين
وشبع وانصرف وترك المدين وقد تجرح بدنه وبقيت ركبة الغريم في القيد
فحملها الرجل مع قيده إلى أهل القرية فأخبرهم الخبر فحلوا قيده وسار لوجهه
ذلك حدثني أبو جعفر مسعود بن عبد الله الضبي شيخ من التناء
البصريين كان قد انتقل عنها إلى قرية له وضيعة بقرب نهر الدير فاستوطنها
قال كان في هذا البستان وأشار إلى بستان إلى جانب داره كثير الأشجار أفعى يسمى
الجراب وذلك أنه كان يشبه الجراب الكبير طولا وسعة وانتفاخا فكثرت
جناياته حتى أخرب علي هذه القرية فانتقلت عنها إلى النهر الآخر وبطلت
ضيعتي فصار هذا البستان كالأجمة لا يجسر أحد على دخوله فطلبت حواء من
البصرة ليصيده وبذلت على ذلك بذلا فجاء الحواء فتبخر بدخنة معه فحين
رأى الأفعى هاله أمره وقصده الأفعى فنهشه فتلف في الحال فصار لي حديث
بذلك وشاع الخبر فامتنع الحواؤون من المجيء إليه وتخربت على الضيعة
وبطلت معيشتي فيها فكنت يوما جالسا في النهر الآخر إذ جاءني رجل فسلم
علي وقال بلغني خبر أفعى عندك قد قتل فلانا الحواء وأخرب عليك ضيعتك
فجئت لتدلني عليه حتى آخذه فقلت ما أحب تعريضك لهذا وقد صار لي
بتلف ذلك الحواء حديث فقال إن ذلك الحواء كان أخي وأنا أريد أن آخذ
ثأري أو اللحاق بأخي وإراحة النفس بهذا الملعون قلت فتشهد على نفسك

أهل الأنهار المجاورة أن هذا باختيارك لا بمسألة مني فأريته البستان فقال أريد شيئا
آكل فجئناه بطعام فأكل ثم أخرج دهنا كان معه فطلى به جميع بدنه وقال لغلام
كان معه انظر هل بقي موضع لم أطله فقال له الصبي لا فجلست أنا فوق السطح الذي
كان في داري أنظر فأخرج دخنة فتبخر بها فما كان بأسرع من أن ظهر الأفعى كأنه
دن فحين قرب من الحواء هرب منه وتبعه الحواء فلحقه وقبض عليه فالتفت
الأفعى فعض يده فتركه الحواء فأفلت وذهب عليه أمره وحملناه فمات في الليل
وانقلبت الناحية بحديث الأفعى ومضى على هذا مدة فجاءني رجل يشبه الرجل
وسألني عما سألني عنه الأخوان فأخبرته بالخبر فقال الرجلان أخواي ولا بد لي
من الأخذ بثأرهما أو اللحاق بهما فأشهدت عليه وأريته الموضع وصعدت إلى
السطح وشربت أقداحا كثيرة وأخرج دهنا كان معه واطلى به دفعات كل ذلك
يسأل غلامه فيقول هل بقي موضع لم يبلغه الطلاء فيقول الغلام لا فيقول أعد الطلاء
فيعيده الغلام حتى أطلاه ثلاث دفعات وصار الدهن يسقط عن بدنه وتبخر
فخرج الأفعى فطلبه للحواء فأخذ الأفعى يحاربه وتمكنت يد الحواء من قفاه وأنشب
عليه فعض إبهامه فبادر الحواء فخزم فاه وجعله في سلة وأخرج سكينا كان
معه فقطع إبهام نفسه وأغلى زيتا وكواها به وخر كالتالف فحملناه إلى القرية
فإذا الصبي من غلماني قد جاءني وبيده ليمونة وكان الليمون إذ ذاك قليلا بالبصرة
جدا وعندي منه شجرة واحدة فحين رأى الليمون قال يا سيدي هذا موجود
عندكم فقلت نعم قال أغثني بكل ما تقدر عليه فإنا نعرفه في بلدنا يقوم
مقام الترياق قلت وأين بلدك قال عمان فأتيته بكل ما كان عندي فأقبل
يقضمه ويسرع في أكله وعمد إلى بعضه فاستخرج منه ماء وأقبل يحتسي منه
ويطلي به الموضع وجاذربه وقت موت أخويه فأصبح من غد سالما فسألناه
عن خبره فقال ما خلصني بعد الله عز وجل غير ماء الليمون وأظن أن أخوي
لو اتفق لهما ما تلفا فقلت له ذلك الدهن الذي اطليت به ما هو قال الطلق
الذي لو طرح معه النار على الجسم حتى لا يكون فيه خلل ما ضرت النار الجسم وإنما
تلف أخواي لأن بعض أبدانهما خلا من الطلاء وجف بعض الدهن فقلت
وكيف تمكن منك الحية قال بطول الزمان حتى صدته جف بعض الدهن فتمكن
مني ولولا الليمون لتلفت فتعلمت منه استخراج ماء الليمون وكنت أول من استخرجه

بالبصرة ونبه الناس على منافعه وجربته في الطبيخ فوجدته طيبا وتداولته
الناس قال ثم أخرج الأفعى فقطع رأسه وذنبه وأغلاه في طنجير واستخرج
دهنه وجعله في قوارير وانصرف حدثني عبد الوهاب بن محمد بن مهدي
المعروف بأحمد بن أبي سلمة الشاهد الفقيه المتكلم العسكري في سنة خمس وخمسين
وثلاثمائة بعسكر مكرم أنه شاهد رجلا مفلوجا حمل من أصبهان إلى عسكر
مكرم ليعالج قال فطرح على باب خان في جواره في الجانب الشرقي منها قد هجر
وفرغ أكثر العمارات لكثرة العقارب والجرارات فيه وفي خانين في جواره
وطلب له موضع يسكنه فلم يوجد في الحال فأنزل غلمانه في الخان وهم لا يعلمون
حاله أنه أخلي لكثرة الجرارات فيه وصعد أصحاب الرجل إلى السطح وتركوه
في أسفله لما وصف لهم أن المفلوج لا يجب أن يبيت على السطح قال فلما كان
من الغد وجدوه جالسا وكان طريحا لا يمكنه أن ينقلب من جنب إلى جنب
ووجدوا له لسانا فصيحا صحيحا وكان منكسرا بالعلة حتى أن الرجل مشى
من يومه ذلك فأحضر بعض الأطباء وسأل عن حاله ففتشه فوجد أثر لسع
الجرارة في إبهام رجله اليسرى فقال له انتقل الساعة من هذا الخان فإنه مشهور
بكثرة الجرارات وقد لسعتك واحدة منهن فأبرأتك وعشت بشيء ما عاش به
أحد قط وقامت حرارة سمها ببرد الفالج فأزالته ولم تتجاوزه فتقتلك وسيعقبك
ذلك حدة وحرارة فاصبر لها حتى أعالجك باليسير من الرطوبة فلا يرجع
إليك برودة الفالج وانتقل لئلا تلسعك أخرى فتتلف فانتقل الرجل ونقاهه
الطبيب فحمى المفلوج من غد فلطف به في علاجه حتى برأ حدثني عبيد
الله بن محمد الصروي قال كنت أتصرف مع المختار بن الغيث بن حمدان أحد قواد
بني عقيل فسار وأنا في جملته مع دكين الشيرازي لما تغلب على الموضع
بطلب ناصر الدولة وصار العسكر منتشرا عجلا فقطع الناس وكان تحتي
حجرة فصرت في أخريات الناس ثم انقطعت عن العسكر حتى صرت وحدي
ثم أوردت الدابة ماء كان في الطريق وحر فلم يمكنه أن يسير خطوة
واحدة فخفت أن يدركني من يأسرني فنزلت عن الدابة أمشي وفي عنقي
سيف بحمائل والمقرعة في يدي فمرت فراسخ حتى صعدت جبل سنجار وكنت
أحتاج أن أمشي فيه نحو الفرسخ ثم أنزل إلى سنجار فأجنني الليل واستنفد

المشي جلدي فخفت الوحوش في الجبل فطلبت موضعا أسكن فيه ليلتي فلم أجد ورأيت
جبابا منقورة في الجبل الحمر وطلبت أقربها قعرا ورميت فيه بحجر فظننت أن
قعره قامة أو نحوها فرميت بنفسي فيه وكان البرد شديدا فنمت ليلتي لا أعقل
من التعب والجوع فلما كان من الغد انتبهت وعندي أن الجب محفور كالآبار
وأني أضع رجلي في جوانبه فأتسلق وأصعد فتأملت فإذا هو محفور كالتنور
رأسه ضيق وأسفله شديد السعة وجوانبه منقوشة فقمت في وسط
الجب فإذا هو أعلى من قامتي وبسطتي فتحيرت في أمري ولم أدر كيف السبيل
إلى الصعود وطلعت الشمس وأضاء الجب وإذا فيه أفعى مدور كالطبق بين
حجرين وقد سدر من شدة البرد فليس ينتشر فتنحيت مكانه وهممت أن
أجرد السيف وأقطع الأفعى ثم قلت أتعجل شرا لا أدري ما عاقبته ولا منفعة لي
في قتله لأني سأتلف في هذه البئر وهي قبري فما معنى قتل الأفعى أدعه فلعله
أن يبتدئني بالنهش فأتعجل التلف ولا أرى نفسي تخرج بالجوع والعطش فأقمت
يومي كله على ذلك وما يتحرك الأفعى وأنا أبكي وأنوح على نفسي وقد يئست من
الحياة فلما كان من الغد أصبحت وقد ضعفت فحملني حب الحياة على الفكر في
الخلاص فقمت فجمعت من حجارة رقيقة كانت في الجب شيئا كثيرا وعبيتها في
وسط الجب وعلوتها لتنال يدي طرف البئر فأحل نفسي إلى رأسها فحين حصلت
رجلي على الحجارة تذكرت تلك الحجارة لرقتها وملاستها فلم أزل أعيد تعبيتها
وركوبها وتزلت من تحت رجلي وأنا متشاغل بذلك يومي كله وجاء الليل
فلم يمكني أن أقوم من الجوع والضعف وأنكرت نفسي ثم حملني النوم فلما كان من
الغد فكرت في حيلة أخرى ووقع لي أن شددت المقرعة بعلاقتها في حمايل
السيف ودليت المقرعة إلى داخل البئر وقد أمسكت بإحدى يدي نحصل جفن
السيف فوق الجب معترضا لرأسه وهي مدلاة إلي ثم سللت السيف ولم أزل
أقلع من الأرض في البئر ما يمكن نحته وقلعه من تراب قليل ثم غيبت ذلك الأرض
وتعلقت على السيف المعترض وطرحت فصار السيف معترضا في جفنه تحت صدري
وظهرت يداي من البئر فحصل جوانبها تحت إبطي وأسلت نفسي فإذا أنا قد
خرجت منها بعد أن أعوج السيف وكاد يندق ويدخل في بطني لتثقلي عليه فوقفت
خارج البئر مغشيا علي من هول ما نالني ووجدت أسناني قد اصطكت وقوتي

قد بطلت عن المشي فما زلت احبو واطلب المحجة حتى وقفت عليها ورأيت قوما
مجتازون فاخذوا بيدي وقوي قلبي فمشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار وقد
بلغت روحي الى حد التلف فدخلت مسجدا فطرحت نفسي فيه وانا لا اشك في الموت
وحضرت صلاة المغرب واجتمع اهل المسجد فيه وسألوني عن خبري فلم يكن في
فضل للكلام فحملوني الى بيت احدهم فلم يزالوا يصبون في حلقي الماء ثم المرقة والثريد
الى ان فتحت عيني بعد العتمة فتكلمت وبت ليلتي بحال عظيمة من الالم فلما كان من
الغد دخلت الحمام واقمت عندهم اياما حتى برأت واخرجت نفقة كانت في
وسطي فاستاجرت منها مركوبا ولحقت بصاحبي وسلم الله عز وجل عن
ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية المتغلب كان باذربيجان لما ورد
حضرة سيف الدولة يستنجده على المرزبان بن محمد بن مسافر السلار لما هزمه عنها
انه بناحية اذربيجان واديا يقال له الراس شديد الجرية حاد
وفي ارضه حجارة كثيرة بعضها ظاهر عن الماء ومنها ما يغطيه الماء
فليس للسفن فيها مسلك وفيها اجراف هائلة وحجارة كثيرة بعضها
على بعض لا مشارع لها وعليها قنطرة يجتاز عليها السابلة قال كنت
مجتازا عليها في عسكري فلما صرت في وسط القنطرة رايت امراة تمشي
قد حملت ولدا طفلا في القماط فزحمها بغل محمل فطرحت نفسها على القنطرة
فزعا وسقط الطفل من يدها الى النهر فوصل الى الماء بعد ساعة لبعد
ما بين القنطرة وصفحة الماء ثم غاص وارتفعت الضجة في العسكر ثم راينا
الصبي قد طفا على وجه الماء وقد سلم من تلك الحجارة والموضع كثير العقبان
لها اوكار في اجواف ذلك النهر ومنه يصاد افراخها قال فحين صعد
الطفل في قماطه وافق ذلك عقابا طائرا فرآه فظنه طعمة فانقض عليه
وشبك مخاليبه في القماط وطار به وخرج الى الصحراء فطمعت في تخليص
الطفل فامرت جماعة ان يركضوا تحت العقاب ففعلوا وتبعت نفسي
مشاهدة الحال فركضت فاذا العقاب قد ترجل الى الارض وابتدأ يخرق
قماط الصبي ليفترسه فحين رأوه صاحوا باجمعهم وقصدوه وشغلوه
عن الصبي فطار وتركه على الارض فلحقنا الصبي فاذا هو سالم ما وصل اليه
جرح وهو يبكي فقمطناه حتى خرج الماء من جوفه وحملناه سالما

حدثنا ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب المعروف بالحاتمي قال رايت
بمصر رجلا يعرف بابن التمساح فسألت جماعة من اهل مصر عن ذلك فقالوا هذا
وطئ التمساح امه فولدت وكذبت ذلك وبحثت عن الخبر فاخبرني جماعة من عقلاء
اهل مصر ان التمساح ربما ياخذ الناس في الماء ومن الشطوط القريبة من الماء
فيفترسهم وربما اخذهم وهو مسافة وهي جبال حجارة فيها مغارات الى النيل
لا يصل اليها الماشي ولا سالك الماء لبعدها عن الجهتين فيتسلق التمساح الى بعض
المغارات فيدع الانسان الذي اخذه اما حيا واما ميتا بحسب الاتفاق ويمضي فاذا
جاع ولم يظفر بشيء عاد الى الموضع فافترس الانسان الذي قد خباه هناك قالوا
وقد كان قبض على امراة في بعض الاوقات فحملها الى المغار فذكرت المراة انها
حين استقرت في المغار وانصرف التمساح رات رجلا حيا وآثار جماعة قد فرسهم
التمساح وانها سالت الرجل عن امره فذكر ان التمساح تركه هناك منذ يومين
قالت واخذ الرجل يؤانسني الى ان طالبني بنفسي فقلت يا هذا اتق الله فقال
التمساح قد مضى ومن ساعة الى ساعة فرج ولعله ان يجتاز بنا سفينة قبل
عوده فنطرح انفسنا اليها وننجو فوعظته فلم يلتفت الى كلامي واغتصبني
نفسي فواقعني وانزل في فرجي ولم ينزل عني حتى جاء التمساح فاخذه من
فوقي ومضى فبقيت كالميتة فزعا فاني لكذلك اذ سمعت وقع حوافر الخيل
وصليل اللجم وصوت اقوام كثيرين فاخرجت راسي من المغار وصحت واستغثت
فاطلع بعضهم وقالوا ما انت قالت حديثي طويل ارموا الي حبلا اتخلص به
اليكم فرموا الي حبالا فشددت نفسي بجميعها واستظهرت جهدي واطراف
الحبال بايديهم فقلت اجذبوا فجذبوني فصرت معهم على ظهر المغار بعد ان
توهنت وتسلخ بعض جسدي فسالوني عن خبري فاخبرتهم فاركبوني شيئا
حتى دخلت البلد فلما كان في وقت حيضي تاخر عني ثم ظهر الحمل فولدت ابني هذا
بعد تسعة اشهر وكرهت ان اخبر الناس بالحديث فنسبته الى التمساح فاستتر
امري بذلك حدثني ابو القاسم بن الاعلم العلوي الفيلسوف قال
خرجت من بغداد اريد الكوفة فلما صرت بينها وبين حمام عمر وقريبا من الكوفة
افضيت الى اجمة هناك وكنت قد تقدمت الرفقة وكنت راكبا حمارا الي وراي
مسافة قريبة وغلام لي مملوك راكب بغلة فسرنا حتى بعدنا من الرفقة فلما

حصلنا في الاجمة رايت مسناة دقيقة في وسط الاجمة عليها المسلك يوصل اليها
في هبوط فرمت النزول اليها فوقف الحمار تحتي فضربته ضربا شديدا فلم اجده يبرح
فالتفت الى كفله اتامل ما يقوم امامه فوجدت اسدا واقفا بينه وبين كفل الحمار نحو
ذراع واقل واذا الحمار قد شم رائحته فاصابته رعدة عظيمة فرسخت قوائمه
في الارض ولم يتحرك فلم اشك في التلف وان الاسد سيمد يده فيجذبني عن
الحمار فغمضت عيني لئلا ارى كيف احصل في مخالبه وفمه واقبلت اتشهد
واقرأ ومع هذا الحد عقلي ثابتا ثم ذكرت في الحال حكاية كنت اسمعها ان الاسد
لا يفترس الانسان وهو مواجهه فاستدرت اليه وفتحت عيني في عينه واقبلت
اتشهد خفيا والاسد فاتح فاه وانا اتامل اسنانه ويصل الي النفس واعرف
من فيه منتنة واني لكذلك اذ لحقني الصبي المملوك على البغلة ومعه رجل
راكب دابة وقوم مشاة فحين رآني والاسد على تلك الصورة جزع جزعا
شديدا وصاح باعلى صوته يا معشر المسلمين ادركونا فقد افترس الاسد
مولاي العلوي فحين سمع الاسد صياحا من ورائه التفت فرأى الصبي فتناوله
من السرج وعار البغل وحصل الصبي في فم الاسد كالفارة في فم السنور وانا
كالميت الا انني احصل ما ارى من ذلك واقبل الاسد يحمل على راكب الدابة
والمشاة والصبي في فمه بين انيابه ودخل الاجمة فقلت في نفسي قد فداني الله
عز وجل بمملوكي وخلصت نفسي بيسير من ذلك وقوي فرميت نفسي عن الحمار
وسرت اعدو على المسناة فلقيني قوم قد جاءوا من الكوفة وراجلين
وفزعي فسالوني عن امري فاخبرتهم فتقدموا يطلبون الاسد وقويت
نفسي فزدت في العدو الى ان خرجت من الاجمة ولحقتني الرفقة التي كنت
فيها وقد علقوا البغلة التي تحت مملوكي وساقوا الحمار فركبته ودخلت الكوفة
قال وكان هذا يوم الثلاثا غرة المحرم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة فصمت
يومي واعتقدت ان اصومه ابدا فانا كل يوم ثلاثا صائم الى الآن وجاءني
ابو علي عمر بن يحيى وهناني بالسلامة وبقدومي وقد كان خبري شاع وقال
في جملة كلامه كيف خفت الاسد او ما علمت ان لحومنا بني فاطمة رضوان الله
عليهم محرمة على السباع فقلت له مثل سيدنا اطال الله بقاه لا يقول مثل هذا
فما الذي كان يؤمنني ان يكون هذا الخبر باطلا فاتلف وكيف كانت نفسي مع طبع

البشرية تطيق هذا في مثل ذلك الوقت احتمال هذا الحديث قال ولم لا يطيق
وكيف يجوز ان يكون هذا الخبر باطلا مع ما رويناه من خبر زينب الكذابة مع علي
ابن موسى الرضا رضي الله عنه قال فقلت له بلى قد رويت ذلك ولكن لم
يحضرني فكري من هذا شيء في تلك الحال قال مؤلف هذا الكتاب
فقلت انا لابي القاسم الاعلم وما خبر زينب الكذابة فاني ما سمعته قال هذا
خبر مشهور عند الشيعة يروى باسناد لهم لا احفظه ان امراة يقال
لها زينب ادعت انها علوية فجيء بها الى علي بن موسى الرضا رضي الله
عنهم فدفع نسبتها فخاطبته بكلام دفعت به نسبه ونسبته الى مثل
ما نسبها اليه من الادعاء وكان ذلك بحضرة سلطان فقال الرضا اخرج
انا وهذه الى بركة السباع فاني رويت عن ابائي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان لحوم ولد فاطمة رضي الله عنها محرمة على السباع فمن اكلته السباع
فهو دعي فقالت المراة لا ارضى بهذا فدفعت الخبر فاجبرها السلطان على
ذلك فقالت فلينزل هو قبلي فنزل الرضا رضي الله عنه بركة السباع
بحضر من خلق عظيم فلما راته السباع اقعت على اذنابها فدنى منها ولم
يزل يمسح راس سبع ويمر يده على راسه الى ذنبه والسبع يبصبص له حتى
مسح جميعها وولى وكرهت المراة النزول وابته فاجبرت على ذلك فحين
نزلت وثب اليها بعض السباع فافترسها ومزقها فعرفت بزينب الكذابة
عن جماعة من شيوخ البحريين الذين ترددوا الى بلد الهند انهم سمعوا
هناك حكاية مستفيضة ان رجلا كان معاشه صيد الفيلة قال اختفيت
مرة في شجرة عالية كثيرة الورق في غيضة كانت تجتاز بها الفيلة من
شرائع الماء التي تردها الى مراتعها فاجتاز بي قطيع منها وكان عادتي ان
ادع القطعان تجوز الى ان يبلغ آخر فيل فارميه بسهم مسموم في بعض مقاتله
فتفزع الفيلة وتمضي فاذا مات المجروح نزلت فاقلعت انيابه وسلخت جلده
واخذت ذلك وبعته في البلاد فلما اجتاز بي هذا القطيع رميت آخر فيل
كان فيه فخر فاضطربت الفيلة واسرعت اليه فاذا اعظمها قد عاد فوقف
عليه وتامل السهم والجرح ورجعت معه الفيلة ووقفت بوقوفه فما زال
قائما والفيل المجروح يضطرب الى ان مات فضج ذلك الفيل ضجيجا عظيما و

الفيلة وانتشرت في الغيضة ففتشوها شجرة شجرة فايقنت بالهلاك
وانتهى الفيل الاعظم الى الشجرة التي انا عليها فاذا هي قد انكسرت على عظمها
وضخامتها وسقطت الشجرة الى الارض فلم اشك ان الفيل سيدوسني فاذا
به قد جاء حتى وقف يتاملني واحجمت الفيلة عني فلما رآني الفيل الاعظم
ونظر الى قوسي وسهامي لف خرطومه علي برفق واشالني من غير اذى حتى
طرحني على ظهره ورجع يريد الطريق الذي كان اقبل منه وهرولت الفيلة
فاذا قد خرج عليها ثعبان عظيم ينفخ فاحجمت الفيلة عنه واشال الفيل
العظيم خرطومه فلواه علي وانزلني على الارض واخذ يومي بخرطومه الى الثعبان
برفق وتملق فسددت سهما الى الثعبان ورميته فاصبته وتابعت
رميه فانضر فنحيتنا فتقدم الفيل اليه فداسه ثم عاد فاخذني بخرطومه
وحطني على ظهره وجعل يهرول والفيلة خلفه فجاء الى غيضة لم اكن
اعرفها اعظم من تلك الذي اخذني منها فاذا هي فراسخ وفيها فيلة ميتة
لا يحصيها الا الله عز وجل واكثرها قد بلي جسده وبقيت عظامه فما زال
يتتبع الانياب ويجمعها ويومي الى فيل فيجي اليه فيعبي عليه ما يمكنه ان
يعبيه عليه من ذلك الى ان لم يدع هناك نابا الا جمعه واوقر تلك الفيلة
ثم اركبني على ظهره واخذني على الطريق العامرة واتبعته الفيلة فلما شارف
القرى اومى الى الفيلة فطرحت احمالها حتى لم يبق منها شي ثم انزلني بخرطومه
برفق وتركني عند الانياب وقد صارت تلا عظيما هائلا فجلست عندها
متعجبا من سلامتي ورجع الفيل يريد الصحرا ورجعت الفيلة برجوعه وانا
لا اصدق بسلامتي ولا بما شاهدت من عظم فطنة الفيل وذكائه فلما غابت
الفيلة عن عيني مشيت الى اقرب القرى مني واستاجرت خلقا كثيرا حتى
حزجوا معي وحملوا تلك الانياب في ايام الحرب وما زلت ابيعها في تلك المدة
حتى حصل لي مال عظيم كان سبب يساري وغناي عن صيد الفيلة ۞
عن مروان بن شعيب العدوي عن عدي بن ربيعة قال كنت في حداثتي
شديد القوة وكانت نفسي لما يحدث بذلك تدل على ذلك قال كانت عندي
زوجة لي من عبد القيس بنارة وهي قريبة من تل اهواز على اربع فراسخ
وعندي قوم من اهل المراة ونحن نشرب فتفاخرنا حتى انتهينا الى التجريد

السيوف فحجز بيننا مشايخ القرية وبدر لساني ان حلفت بالطلاق ان لا ابيت
بنارة فخرجت منها اريد منزلي بتل اهواز ومعي سيفي وجحفتي وكان ذلك
ليلا فسرت في الطريق وحدي وبلغت الى اجمة لا بد من سلوكها فلما سرت فيها
قليلا سمعت ضجة من ورائي فبهتة فجردت سيفي ورجعت اطلب الصوت فوجدت
اسدا قد فرس رجلا هو الذي صاح وهو في فم الاسد عرضا بجنابه فصحت
بالاسد فرمى بالرجل ورجع الي فقاتلته ساعة ثم وثب علي وثبة شديدة
فلطيت بالارض جمعت نفسي في جحفتي فلشدة وثبته جازني فصار ورائي
فاسرعت الوثوب وبعجته بالسيف في فيه وكان سيفا ماضيا فدخل في فيه
وخرج من لبته فخرص بما يضطرب فتداركته بضربات كثيرة حتى تلف
وعدت الى الرجل فوجدته يتنفس ولا يعقل فحملته الى الجادة وكانت
ليلة مقمرة وتاملته فاذا هو تاجر من تل اهواز اعرفه فلم تطب نفسي بتركه
اصلا فحملته على الجادة وعدت فاخذت راس السبع وحملته والرجل ۞
وحصلتهما في صبيغة كانت علي والصبيغة ازار احمر يتشح به العرب في
تلك الناحية وكان الاسد في خلال قتالي قد ضرب فخذي بكفه فاحسست
به في الحال كغرز الابرة لما كنت فيه من الهول فلما حصلت امشي حاملا
لراس الاسد والرجل احسست بالالم ورايت الدم يجري وقوتي تضعف
فصبرت نفسي حتى بلغت تل اهواز وقد اصبحت فنكر اهل القرية الجراح
وسالوني عن خبري فالقيت الصبيغة التي فيها الرجل والراس فاستهولوا
الحال لما حدثتهم بها وفتشوا الرجل فوجدوا في بدنه خدوشا كثيرة
فاخذوه ورمت ان امشي يسيرا الى بيتي فلم اقدر حتى حملت وكنت اعالج
من تلك الجراح مدة وعولج الرجل فبرا قبلي وهو حي الى الآن يسميني
مولاي ومعتقي قال وجراحاتي لصعوبتها تنتقض علي في الاوقات قال
صاحب الحكاية واراني الجرح وكان عظيم الفتح فلم اكن اعلم سبب سكرنا
وعربدتنا الا نجاة ذلك الرجل من السبع عن رجل يعرف بعبد العزيز
ابن الحسن الازدي من تجار القصباء بالبصرة قال كنت يوما جالسا
في القصباء وقد اخرج من التمر قصب رطب فعمل كالقباب على العادة فيما
يراد تخفيفه من القصب وكان يوما صائفا وكدني الحر فدخلت احدى

تلك القباب القصب وهي تكون باردة جدا وعادة التجار ان يستكنوا بها
فنمت في القبة فلبردها ما استثقلت في النوم فانتبهت بعد العصر وقد انصرف
الناس من القصباء وهي موضع بالبصرة في اعلاها معروف صحراء وبساتين
فاستوحشت للوحدة وعملت على القيام فاذا بافعاء غلظ الساعد طويل
متدور على باب القبة كالطبق ولم اجد سبيلا الى الخروج ويئست من
نفسي وتحيرت وجزعت جزعا شديدا فاخذت في التشهد والتسبيح
والفزع الى الله تعالى فاني لكذلك اذ جاء ابن عرس من بعيد فلما راى الافعى
ابن عرس وقف يتاملها ثم رجع من حيث جاء ومعه ابن عرس آخر فوقف
احدهما يتاملها عن يمين القبة والآخر عن يسارها وصار احدهما عند راس
الحية والآخر عند ذنبه والحية غافلة عنهما ثم وثبا عليه في حال
واحدة فعضاه واضطرب ولم يفلت منهما وجراه حتى بعدا عن عيني
فخرجت من القبة سالما عن الحسن بن علي الانصاري المقري بالرملة
وكان فارسا فاتكا شجاعا جلدا قال خرجت في قافلة من الرملة صاحبها
ابن الحداد وانا على مهري وعلي سلاحي فبلغنا في ليلة ظلماء الى واد وهو
واد عميق جدا اعمقه مخوف سبخ وفي بطنه ماء يجري وعليه شجر كثير وهو مشهور
بالسباع والطريق على جنبته في مضيق فازدحمت القافلة فسقط جمل عليه
بز فرايت صاحبه يلطم ويبكي وكان موسرا فدعاه ابن الحداد وقال له انت
رجل موسر فما هذا الجزع فقال له على الجمل اكثر من عشرة الاف دينار فنادى
في القافلة من ينزل لتخليص الجمل ورده الى صاحبه وله حكمه فلم يجسر على
ذلك احد فلما كرر النداء اجبته فقلت عجل لي الدنانير فقال له ولكن اكتب
لك بها الساعة كتابا واشهد في القافلة فاذا حصل الجمل وحمله مع ما فيه
من المال فالمال لك وكتبنا كتابا واشهدنا فاعطيتهم دابتي ورحلي
واخذت سيفا وجحفة وشمعة فدنوت للنزول ورايت منزلا غرني ۞
فاستعجلت بسلوكه فنزلت ساعة حتى صرت على جانب الوادي فاذا واد
مشتجر واذا فيه اثر الرعاة والغنم ثم لم اجد طريقا الى اسفل وكان
سبيلي ان ارجع وارتاد المنزل اليه من جهة اخرى فحملني ضيق الوقت
والحرص على الدنانير ان جعلت اتوغل وانتقل من شجرة الى شجرة

ومن حجر الى حجر حتى حصلت في جنب الوادي على صخرة ملساء كالرف
وليس لها الى اسفل طريق البتة فاطلعت بالشمعة فاذا بيني وبين القرار
نحو عشرين ذراعا وفي اسفل الوادي بردي كثيف يجري بينه الماء وله
خرير شديد فاجمعت على ان القي نفسي واطفات الشمعة وشددتها
مع حمائل السيف مع الجحفة والقيت ذلك في موضع علمته عن يميني
ثم جمعت نفسي فوثبت في وسط البردي فوقعت على شي ثار من تحتي ۞
ونفضني فصاح صيحة ملأ بها الوادي فاذا هو اسد فاشتق الوادي
وسعى هاربا فوقف بازائي من جانب الوادي الآخر فطلبت سيفي وجحفتي
حتى اخذتهما ووقفت انتظران يجي فاطلب الجمل فاقبل يريدني فمشيت
بين يديه في ذلك البردي وهو في اثري يخوض الماء ويشق البردي وانا
احاتله من موضع الى موضع فطلع القمر فابصرت بناء خفيا فقصدته
فاذا هو بيت رحى يديرها الماء فدخلت ثم فكرت فقلت هذا ماوى للسبع
والساعة يجيئني فخرجت فجئت الى شجرة كبيرة فقطعتها بالسيف من نصف
ساقها وجررتها ودخلت بيت الرحى فامتلأ الباب بها وفضلت عنه ۞
باكثر ما قدرت عليه وانا جالس وساق الشجرة في يدي فما كان الا مقدار
جلوسي حتى احسست بالاسد يزحم الشجرة يروم الدخول الي فاستندت
الى الحائط وامسكت ساق الشجرة ادافعه بها حتى ملني ومللته ثم ربض
بالباب الى ان اسفر الصبح فلما كادت الشمس تطلع مضى فاقمت الى ان
انبسطت الشمس حتى امنته ثم خرجت فما زلت اطلب اثر الجمل حتى انتهيت
اليه فاذا هو قد تقطع والعدلان مطروحان وكانوا امروني بفتقهما واستخراج
المال منهما وحمله ان لم اقدر على تخليص الجمل وحمل العدلين ففعلت ذلك
وحملت المال على ظهري وطلبت المصعد وقد علت الضحى فصعدت فيه
فلما صرت براس الوادي اذا ببادية مجتازين فقصدوني فمانعتهم عن
نفسي بالسيف فلم اطقهم وضربوني بالسيوف فقلت لشيخ رايتهم كالرئيس
لهم لي الذمام على ما معي حتى اصدقك وانفعك نفعا كثيرا فقال اصدقني
حتى اعطيك الذمام فحدثته بالحديث فاخذوا المال وساروا بي معهم
حتى وقفوا على العدلين فاحتملوهما وضرب الشيخ يده في المال فحثى منه ثلاث

حتوات فقلت ان هذا لا ينفعني ان لم تبلغوني مأمني فاناخ جملاً فحملني
عليه وسار بي سيراً حثيثاً حتى اتى بي القافلة على بعد ثم انزلني وقال الحق
رفقتك فما عليك من احد باس فمشيت حتى لحقت القافلة وقد خبات
تلك الدنانير في سراويلي فعرفتهم انه قد اخذته البادية وكتمتهم ما اعطوني
واريتهم آثار الضرب فصد قوني ولم يفتشوني فركبت دابتي وسرت معهم حتى
دخلت طبرية فشكوا الى اميرها ابي عثمان مليهم مولى بني عقيل فاسرى الى
الاعراب فارتجع منهم اكثر المال والثياب ورده الى صاحبه وكنت انا لما دخلت
طبرية فارقتهم ودخلت مصر ولحقوني وبلغني ما رد عليهم فقلت لصاحب المال
قد بذلت مهجتي وافلت من الاسد ومن الموت مراراً ومن الاعراب حتى وصل
اليك بعض مالك فلا اقل من ان توصلني الى بعض ما كنت وعدتني به فاعطاني
ماتي دينار فاضفتها الى ما اعطانيه الاعراب فاذا الجميع ستمائة دينار مع
السلامة من تلك الشدائد **وجدت** في بعض الكتب عن بعضهم وكان
صالحاً قال كنت بالزاز وهو موضع بين الفرما وبين جزيرة تنيس ليلة
لا توضأ في النيل فلما صرت في الماء اذا بتمساح قد قبض على عضدي واخذني
حتى ذهب الى الماء الكثير ليغوصني ليفرسني ففزعت الى الله عز وجل
بنيتي وذهب علي امري ولا اعلم كيف كانت الا اني احسست بالتمساح قد خلى
عني فبعثت الى الشط وصعدت سالماً لا قلبة بي الا الخدش في اعضائي
فرابعد ايام **وجدت ايضاً** ان رجلاً وفد على هشام فقال
يا امير المؤمنين لقد رايت في طريقي عجباً قال وما هو قال بينا انا اسير
بين جبلي طي اذ نظرت فاذا عن يميني اسد كالبغل وعن يساري
ثعبان كالجبل وهما مقبلان نحوي فرفعت راسي الى السما فقلت

يا دافع المكروه قد تراهما ... فنجني يا رب من اذاهما
ومن اذى من كان في سواهما ... لا تجعلن شلوي من قراهما

قال فتراجعا عني فتسمانى حتى لم اشك في الموت ثم صدرا عني ونجوت
والله الحمد **بلغني** عن قاضي القضاة ابي السايب ولم اسمع ذلك منه
قال وافيت من همدان الى العراق وانا فقير وزرت قبر الحسين بن علي
رضي الله عنهما فلما انصرفت اريد قصر ابن هبيرة قيل ان الارض مسبعة

واشير علي ان الحق قرية فيها حصن سميت لي فآوي اليها قبل المساء
وكنت ماشياً فاسرعت وكددت نفسي الى ان لحقت القرية فوجدت
باب الحصن مغلقاً فدققته فلم يفتح لي وتوسلت بمن قصدت لزيارته
فقالوا قد اتانا منذ ايام من ذكر مثل ما تذكره انت فادخلناه وآويناه
وكان عيناً للصوص وفتح الباب ليلاً فادخلهم وسلبونا ولكن الحق بذلك
المسجد فكن فيه لئلا تمسي فياتيك السبع فمضيت الى المسجد فدخلت
بيتاً كان فيه وجلست فلم يكن باسرع من ان جاء رجل على حمار منصرفاً
من الحاير فدخل المسجد وشد حماره في غلق كان في البيت ودخل الي
ومعه كرز فيه خرج فاخرج منه سراجاً فاصلحه وقدح فاوقدها واخرج
خبزه واخرجت خبزي فاجتمعنا على الاكل فما شعرنا الا بالسبع قد
حصل في المسجد فلما رآه الحمار دخل الى البيت الذي نحن فيه ودخل السبع
وراه فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن فاغلقه علينا وعلى السبع
فحصلنا فيه في اخبث محصل وقدرنا ان السبع لا يفترسنا بسبب السراج
وانه اذا انطفى اخذنا واكلنا وما طال الامر ان فني ما كان في السراج
من الدهن وطفى وحصلنا في الظلمة والسبع معنا فما كان عندنا من
حاله شيء الا اذا تنفس فانا كنا نسمع نفسه وراث الحمار من فزعه فملا
المسجد روثاً ومضى الليل ونحن على حالنا وقد كدنا نتلف فزعاً
ثم سمعنا صوت الاذان من داخل الحصن ثم جاء المؤذن فدخل الى المسجد
فلما رآى ما فعله الحمار لعن وشتم وحل رسن الحمار من الغلق فطير في الصحراء
وفتح المؤذن باب البيت لينظر من في البيت فوثب السبع اليه فدقه
وحمله الى الاجمة وقمنا نحن وانصرفنا سالمين **بلغني** عن ابي عيسى
محمد بن محمد بن علي بن مقلة قال كنت عند ابي الحسن علي بن عمر بن يحيى
العلوي بالكوفة اذ دخل عليه غلام له فقال يا مولاي اخذ الاسد فلاناً
وكيلنا فانزعج وقال اين قال في موضع كذا وادخله الاجمة الفلانية
فقال العلوي لا اله الا الله في هذا الموضع بعينه اخذ الاسد اياه
وادخله الى هذه الاجمة بعينها منذ كذا وكذا سنة فاغتم فاخذنا
نسليه فعاد الى شانه في الحادثة وانا قاعد احدثه اذ دخل عليه

غلمانه مبادرين فقالوا قد وافى فلان لذلك الوكيل وذلك الرجل قد دخل فبش
به العلوي وساله عن خبره فقال نعم لحقني السبع كما شاهد من حد ثكم
به وكنت راكباً فحملني بغيه كما يحمل السنور بعض اجزائها الا انه ما كلمني فادخلني
الاجمة وقد زال عقلي فما اعرف من امري شيئاً الا اني افقت فلم اره ووجدت
اعضائي سالمة ووجدت حولي من الجماجم والعظام امراً عظيماً ولم تزل قوتي
تعود الى ان قمت فعثرت بشيء فاذا هو هميان فاخذته وشددته على وسطي
ومشيت الى ان بعدت عن الموضع فوصلت الى سبخة بوهدة فجلست فيها
وغطيتها بما امكنني من القصب بقية ليلتي فلما طلعت الشمس احسست بكلام
المجتازين وحوافر بغالهم فخرجت وعرفتهم قصتي وركبت بغل احدهم فلما بعدت
عن الاجمة وامنت على نفسي فتحت الهميان فاذا فيه رقعة بخط ابي باصل ما كان
في الهميان من الدنانير وما انفقه فاذا هو هميان ابي الذي كان في وسطه
الذي افترسه الاسد معه فحسبت الخرج ووزنت الدنانير فاذا هي بازاء
ما بقي من الاصل ما انقصت شيئاً قال واخرج الهميان وفتحه واخرج
الثبت فقال العلوي نعم هذا خط ابيك وعجبت الجماعة من ذلك **بلغني**
عن رجل من اهل الانبار قال خرجت الى ضيعة لي في ظاهر الانبار راكباً
دابة كانت معي ومعي مملوك في نهاية الشجاعة فلما صرنا في بعض الطريق
بالقرب من الموضع اذ نشأت سحابة فامطرت وكان الماء قد ادركنا فملنا
الى قباب كانت الاكاسرة بنتها على الطريق وعلى السابلة فلجانا اليها
وقوي المطر جداً حتى منعنا من الحركة فاشار علي الغلام بالمبيت وترك
التعرض للغرر فقلت له نخاف ويلك اللصوص فقال لي اتخاف وانا معك
فقلت فالسبع قال نصير الدابة في داخل القبة وانت تليها وانا عند الباب
واشد وسطي بالحبل الذي معنا واشد طرفه برجلك حتى لا ياخذني النوم
فان جاء الاسد اخذني دونك فقلت لا والله ما ادري ما تقول ولا عمل
ما تريد فعمل ما قال فلا والله ما مضت قطعة من الليل حتى وافى السبع فاخذ
الاسود وقد واحتمله وجر رجلي المشدودة معه في الحبل فلم يزل
يجرني على الشوك والحجارة والدكادك الى ان صار الى اجمته وانا لا اعقل شيئاً
من امري ولا احس باكثر مما يجري ولا تمييز لي يؤديني الى الاجتهاد في حل الحبل

من رجلي ثم رمى بالاسود وربض عليه وما زال ياكل منه حتى شبع وترك
ما فضل منه وليس من حس الحياة غير النظر فقط ثم مضى فنام بالقرب من مكاننا
وبقيت زماناً على تلك الحال ثم سكن روعي وثاب فهمي ورجعت الى نفسي
فحللت رجلي من الحبل المشوم وقمت لادب فعثرت بشيء لا ادري ما هو
فاخذته بيدي فاذا هو هميان ثقيل فشددته في وسطي وخرجت من
الاجمة وقد قارب الصبح ان يسفر وصرت الى القبة التي فيها دابتي فاذا هي
واقفة بحالها فاخرجتها وركبتها وانصرفت الى منزلي فوجدت في الهميان
جملة دنانير فحمدت الله عز وجل على السلامة وبقي الرعب في قلبي والتالم في
جسدي

الباب العاشر من اشتد بلاؤه بمرض ناله فعافاه الله سبحانه بايسر سبب واقاله

روي باسناد آخره عثمان بن ابي العاص الثقفي قال شكوت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعاً قد كاد يبطلني قال فقال لي يا عثمان ضع
يدك عليه وقل اعوذ بعزة الله وقدرته من شر هذا الوجع ومن
شر ما اجد سبع مرات قال ففعلته فشفاني الله **ونحوه عن ابن
جعدبة** قال مرض ابو عزة الجمحي الشاعر فكانت قريش لا تواكله
ولا تجالسه فقال الموت خير من الحياة مع هذا فاخذ حديدة ودخل بعض
شعاب مكة فطعن بها في معده والمعد موضع عقبي الراكب من الدابة
قال ابن جعدبة فمرت الحديدة بين الجلد والصفاق فسال منه ماء
اصفر فقال

لاهم رب نائل ونهد ... والمهمات والجبال الجرد
من بعد ما طعنت في معد

قال مؤلف الكتاب كذا في كتاب الطوسي
والصواب عندي:

لاهم رب من رعى بياض نجد ... اصبحت عبدك وابن عبدك
ابراتني من وضح بجلدي ... من بعد ما طعنت في معدي

حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي قال كان
ينزل باب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد
والعبادة يقال له لجنيب العابد لا يعرف الا بهذا وكان الناس ينتابونه
وكان صديقاً لابي فحدثني لجنيب قال كنت مملوكاً ومتاً لبعض الجند
فرباني وعلمني بالسلاح فضربت رجلاً ومات مولاي وتزوجت بامراته

وقد علم الله اني ما اردت بذلك الا صيانتها واقمت معها مدة ثم اتفق لي
اني رايت حية داخلة الى حجرها فامسكت ذنبها لاقتلها فانثنت علي فنهشت
يدي فشلت ومضى على ذلك زمان طويل فشلت يدي الاخرى بغير سبب
اعرفه ثم جفت رجلاي ثم عميت ثم خرست فكنت على هذه الحال ملقى
سنة كاملة لم يبق لي جارحة صحيحة الا سمعي اسمع به ما اكره وانا طريح
على ظهري ولا اقدر على كلام ولا ايماء ولا حركة اسقى وانا ريان واطعم
وانا شبعان واترك وانا جائع فلما كان بعد سنة دخلت امراة الى
زوجتي فقالت كيف ابو علي فقالت لها زوجتي لا حي فيرجى ولا ميت
فيسلى فاقلقني ذلك والم قلبي الما شديدا وبكيت وضججت الى الله
عز وجل في سري بالدعاء وكنت في جميع تلك العلل لا اجد الما في نفسي
فلما كان بقية الليل ذلك اليوم ضرب على جسدي ضربانا شديدا كاد
يتلفني ولم ازل على ذلك الى ان دخل الليل وانتصف وجاز فسكن
الالم قليلا فنمت فما احسست الا وقد انتبهت وقت السحر واحدى
يدي على صدري فعجبت من ذلك في نفسي وقلت كيف صارت يدي
على صدري ومن رفعها الى صدري وقد كانت طول هذه المدة
مطروحة على فراشي لا تنشال او تشال ثم وقع في قلبي ان اتعاطى
تحريكها فحركتها فتحركت ففرحت فرحا شديدا وقوي طمعي في
تفضل الله عز وجل بالعافية فحركت الاخرى فتحركت فقبضت احدى
رجلي فانقبضت فرددتها فرجعت وفعلت مثل ذلك بالاخرى فرمت
الانقلاب من غير ان يقلبني احد كما كان يفعل بي فانقلبت بنفسي
فجلست ورمت القيام فامكنني فقمت فنزلت عن السرير الذي
كنت مطروحا عليه وكان في بيت من الدار فمشيت اتلمس
الحائط في الظلمة لانه لم يكن هناك سراج الى ان وقعت على
الباب وانا لا اطمع في بصري فخرجت من البيت الى صحن الدار فرايت
السماء والكواكب تزهر وكدت اموت فرحا وانطلق لساني فقلت
يا قديم الاحسان لك الحمد ثم صحت بزوجتي فقالت ابو علي فقلت
لها الساعة صرت ابو علي اسرجي فاسرجت فقلت جيئيني بمقراض فجاءت

به فقصصت شاربا كان لي على زي الجند فقالت زوجتي ما تصنع الساعة
تعيبك رفقاؤك فقلت بعد هذا لا اخدم غير ربي فانقطعت الى الله
عز وجل وخرجت من الدار وطلقت الزوجة ولزمت عبادة ربي
وقال ابو الحسن خبر هذا معروف مشهور قصته وكانت هذه الكلمة
لا تفارقه يا قديم الاحسان لك الحمد وقد صارت عادته يقول في
حشو كلامه وكان يقال انه مجاب الدعوة فقال له ان الناس يقولون
انك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامك فمسح يده
عليك فبرات فقال ما كان لعافيتي سبب غير ما عرفتك حدثني
محمد بن علي الخلال البصري ابو الحسن احد امناء القضاة قال حدثني
بعض الاطباء الثقات ان غلاما من بغداد كان عليلا فقدم الري
وهو ينفث الدم وكان لحقه ذلك وهو في طريقه فاستدعى ابو بكر
الرازي الطبيب المشهور بالحذق صاحب الكتب المصنفة فاراه
ما ينفث ووصف له الحال فاخذ الرازي مجسته وراى قارورته
واستوصف حاله منذ ابتدا ذلك به فلم يقم له دليل على سل ولا
قرحة ولم يعرف العلة فاستنظر الرجل ليفكر في الامر فقامت على
العليل القيامة وقال هذا ياس لي من الحياة لحذق الطبيب وجهله
بالعلة فازداد ما به وولد الفكر للرازي ان عاد اليه وساله
عن المياه التي شربها في طريقه فاخبره انه شرب من مستنقعات
وصهاريج فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة الذهن ان
علقة كانت في الماء وقد حصلت في معدته وان ذلك النفث
للدم من فعلها وقال له اذا كان في غد جئتك فعالجتك ولم انصرف
او تبرا ولكن بشرط ان تامر غلمانك ان يطيعوني فيما آمرهم به
فيك فقال نعم وانصرف الرازي وتقدم وجمع له ملء مركنين
من طحلب فاحضرهما من غد معه فاراه اياهما وقال له ابلع
جميع ما في هذين المركنين فبلع الرجل منه شيئا كثيرا ثم قال
ليس يمكنني بلع شيء آخر اكثر منه فقال له ابلع فقال لا استطيع
فقال للغلمان خذوه فنعلوا ذلك به وطرحوه على قفاه وفتحوا

فاه واقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبسا شديدا
ويطالبه يبلعه شاء او ابى ويتهدده بالضرب الى ان ابلعه كارها
احد المركنين باسره والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء الى ان
قال العليل الساعة اقذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه
فذرعه القيء فقذف فتامل الرازي قذفه فاذا هي علقة واذا هي
لما وصل اليها الطحلب قرمت اليه بالطبع وتركت موضعها والتفت
على الطحلب فلما قذف العليل خرجت مع الطحلب ونهض العليل معافى
عن ابي الحسن علي بن الحسن الصيدلاني قال كان عندنا بسوق
الاربعاء من بنات آذر غلام حدث من اولاد البنا فلحقه وجع في
معدته شديد بلا سبب يعرفه وكانت تضرب عليه في اكثر الاوقات
ضربانا عظيما حتى كاد يتلف وقل اكله ونحل جسمه فحمل الى الاهواز
فعولج في كل شيء فلا ينجع فيه ورد الى بيته وقد يئس منه فاجتاز
بنا بعض الاطبا فعرف حاله والد العليل فاستدعاه واراه ابنه
فقال للعليل اقعد واشرح لنا منذ حال الصحة فشرحها فطاولها
بحديث الى ان قال العليل اني دخلت الى بستان لنا فكان في بيت
البقر منه رمان كثير وقد جمع للبيع فاكلت منه رمانات عدة فقال
له كيف كنت تاكله قال كنت اعض راس الرمانة بفمي واكسرها وارمي
بها واكلها قطعا قطعا فقال له الطبيب في غد اعجل لك العلاج
فتبرا باذن الله وخرج فلما كان من غد جاءه بقدر اسفيذباج
قد طبخها من لحم جرو سمين وقال للعليل كل هذا فقال ما هو قال اذا
اكلته عرفتك قال فاكل العليل فقال له امتل من الطعام ففعل
ثم اطعمه بطيخا كثيرا ثم تركه ساعتين وسقاه فقاعا قد خلط
بماء حار وشبت ثم قال له اي شيء اكلت فقال لا ادري فخبرني فسمح
الغلام ذلك اندفع يقذف فامر بعينيه وراسه فامسكا واقبل يتامل
القذاف الى ان طرح الغلام شيئا اسود كالنواة الكبيرة يتحرك فاخذه
الطبيب وقال له ارفع راسك فقد برات وفرج الله تعالى عنك فرفع
الغلام راسه وانقطع القذف وسقاه الطبيب شيئا يقطع الغثيان

وصب على راسه ماء ورد وسكن نفسه ثم اخذ ذلك الذي يشبه
النواة فاراه اياه فاذا هو قراد فقال له اني قد زكنت ان الموضع
الذي كان فيه الرمان كان فيه قراد من البقر وانه حصلت منهن
واحدة في راس احدى الرمانات التي اقتلعت روسها بفيك
فنزل القراد في حلقك وعلق بمعدتك يمتصها وعلمت ان القراد
يهش الى لحم الكلب فاطعمتك اياه وقلت ان صح ظني سيتعلق القراد
بلحم الكلب تعلقا يخرج معه ان قذفت فتبرا وان لم يكن ما زكنت
صحيحا فما يضرك من اكل هذا اللحم فلما احب الله عز وجل عافيتك
صح ما زكنته فلا تعاود بعدها ادخال شيء في فيك لا تدري ما هو
وبرا الغلام وصح جسمه وحدثنا ابو الحسن علامنا عن ابن الصيدلاني
قال كان لي اكار حدث فانتفخ ذكره انتفاخا شديدا فلم يكن ينام الليل
ولا يهدا النهار وعولج فلم يكن الى برئه سبيل قال فجاء متطبب من الاهواز
يريد البصرة فسالته ان ينظر اليه فقال لي قل له يصدقني عن خبره في
ايام صحته الى الآن قال فحدثه قال فاصدقني فلست ارى شيئا يوجب
هذه العلة وما لي الى علاجك سبيل قال فقال لي الغلام اصدق وانا
آمن من جهتك فقلت افعل فقال له انا غلام حدث وعزب فوطئت
حمارا لي ذكرا في الصحراء قال فقال له الطبيب الآن قد علمت انك صادق
الساعة اعالجك فتبرا ثم امر به فامسك امساكا شديدا والغلام ساكت
الى ان جس منه موضعا فصاح الغلام فاخذ الطبيب خيط ابريسم فشد
الموضع شدا شديدا ولم يزل يرخ ذكر الغلام حتى خرجت الحبة وقد
كبرت وعظمت وجرحت الموضع فسال منه شيء يسير كماء اللحم فاعطاه
مرهما وقال استعمل هذا اياما فانك تبرا وتب الى الله تعالى عن مثل
هذا الفعل واستعمل الغلام المرهم فبرا حدثني ابو عبد الله الحسين
ابن محمد بن عبد الله الدقاق المعروف بابن العسكري قال كان ابي
اذا جلس يفتش دفاتره وانا صبي اجي فآخذ منها الشيء بعد الشيء
والعب به وكنت ارى في دفاتره دفترا فيه خطوط حمر فاستحسنه
واطلبه فيمنعني منه حتى بلغت مبلغ الرجال قال فجلس يوما يفتش

كتبه فرايت الدفتر فاغتفلت ابي واخذته ففتحته اقراه فاذا هو
مولدي قد عمله بعض المنجمين وحكم علي فيه فوجدت انّي اذا بلغت اربعا
وثلثين سنة كان علي قطع فالتفت الي ابي فاخذه من يدي لئلا
يضعف ذلك نفسي ومضت السنون فلما بلغت الى السنة التي ذكرها
المنجم ركبت مهرا كان لي وقد خرجت الى دار الضرب وابي فيها كان
اليه العيار فبلغت الى ساباط في دار الرايع فنفر المهر من كلب كان
في الطريق رابضا فضرب براسي حائطا كان في الساباط ووقعت
عن المهر مغشيا علي ثم حملت الى دار الضرب واحضر طبيب وقد
انتفخ موضع من راسي انتفاخا شديدا فاشار بفصدي وفصدت
فلم يخرج دم فحملت الى بيتنا ولم اشك انّي ميت لشدة ما لحقني
فاعتللت مدة وضعفت نفسي خوفا مما ذكرته من حكم المنجم فكنت
يوما جالسا مستندا على سرير وقد يئست من الحياة وحملتني
عيني فخفق راسي فضربني درابزين السرير فانشج الموضع المنتفخ
وخرج منه ارطال دم فخف ما بي في الحال وصلحت وبرات
وعشت الى الآن وكان ليوم حدثني بهذا الحديث اربع وثمانون
سنة وشهور على ما اخبرني حدثنا ابو الحسن علي بن ابي
محمد الحسن بن محمد الطوسي قال رايت بمصر طبيبا كان بها
مشهورا يعرف بالقطيعي وكان يقال انّه يكسب في كل شهر الف
دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ومن
السلطان ومما ياخذه من العامة قال وكان له دار قد جعلها
شبه بيمارستان من جملة داره ياوي اليها ضعفاء الاعلاء
ويعالجهم ويقوم باغذيتهم وادويتهم وخدمتهم وينفق اكثر
كسبه في ذلك قال ابو الحسن فاسكت بعض الرؤساء بمصر واهداه
لي فذهب عني اسمه فحمل الى الاطباء وفيهم القطيعي فاجمعوا على موته
غير القطيعي وعمل اهله على غسله ودفنه فقال القطيعي دعوني اعالجه
فان برا والا فليس يلحقه اكثر من الموت الذي قد اجمع هؤلاء عليه فخلاه
اهله معه فقال هاتوا غلاما جلدا ومقارع فاتي به فمدّده فضربه

مقارع من اشد الضرب ثم مس مجسته وضربه عشرا اخر شديدة ايضا
ثم مس مجسته فقال للاطبا ايكون للميت نبض يضرب فقالوا لا قال فجسّوا
نبض هذا فجسوه فاجمعوا على انّه نبض متحرك فضربه عشر مقارع اخر
وقال جسوه فقالوا قد زاد نبضه فضربه عشرا اخر فتاوه فضربه عشرا
اخر فصاح فقطع عنه الضرب فجلس العليل يجس بدنه ويتاوه وقد ثابت
قوته اليه فقال له ما تجد قال انا جائع قال اطعموه الساعة فجاؤه بماء
اكل ورجعت قوته اليه وقمنا وقد برا فقالوا له الاطباء من اين لك هذا
فقال كنت مسافرا في قافلة فيها اعراب يخفروننا فسقط منهم فارس
عن فرسه فاسكت فجد اليه شيخ منهم فضربه ضربا عظيما فما رفع عنه
الضرب حتى افاق فعلمت انّ الضرب جلب اليه حرارة وازالت سكتته
فقست عليه امر هذا العليل عن بعضهم قال كان بعض اهلنا قد
استسقى فايس من حياته فحمل الى بغداد فشوور الاطباء فيه فوصفوا
له ادوية كبارا فعرفوا انّه قد تناولها باسرها فلم تنجع فيه وايسوا
منه وقالوا لا حيلة في برئه قال فسمع العليل ذلك قال فدعوني الآن اتزود
من الدنيا واكل ما اشتهي ولا تقتلوني قبل اجلي بالحمية فقالوا كل ما تريد
وكان يجلس على دكان على باب داره فمهما راه مما يجتازه على الطريق مما يؤكل
اشتراه فاكله ولم يلتفت الى ضرورته ومنفعته فمر به رجل يبيع جرادا
مطبوخا فاجلسه فاشترى منه عشرة ارطال فاكلها باسرها فلما كان بعد
ساعة انحل طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة ايام اكثر من ثلثمائة
مجلس وضعف وكاد يتلف وايس منه ثم انقطع القيام وقد زال كل ما في
جوفه وعاد بطنه الى حاله في الصحة وثابت اليه قوته وبرا فخرج برجليه
في اليوم الخامس يتصرف في حوائجه فراه احد الاطباء فعجب من امره
وساله عن الخبر فعرفه فقال ليس هذا من شان الجراد ان يفعل هذا
ولا بد من ان يكون للجراد الذي فعل هذا خاصية واحب ان تدلني على
الذي باعك الجراد قال فما زالوا في طلبه حتى اجتاز بالباب دفعة ثانية
فلما راه الطبيب ساله ممن اشتريت هذا الجراد فقال ما اشتريته انا
اصيده واجمع منه شيئا كثيرا واطبخه وابيعه فقال من اين تصيده

قال فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد فقال له الطبيب اعطيك دينارا
وتدع شغلك وتجيء معي الى الموضع فقال نعم فخرجا وعاد الطبيب من غد
فذكر انّه راى ذلك الجراد في صحراء اكثر نباتها حشيشة يقال لها مازريون
وهي دواء الاستسقا فاذا دفع الى العليل منها وزن درهم اسهله اسهالا
يزيل الاستسقا ولا يؤمن ان لا ينضبط بطنه ولا يقف فيقتله الذرب
والعلاج بها خطر جدا وهي مذكورة في الكتب ولفرط ضررها لا يكاد
يصفها الاطباء واذا وقع الجراد على هذه الحشيشة انطبخت في معدته
ثم طبخ الجراد اضعف فعلها بالطبخين اجتمعا عليه وقضى ان تناولها
بالاتفاق وقد تعدلت بمقدار ما يدفع طبعه دفعا ينقطع بانقطاع العلة
فيبرا حدثني محمد بن احمد بن طوطي الواسطي قال سمعت ابا علي عمر
ابن يحيى العلوي الكوفي رحمه الله يقول كنت في بعض حجي في طريق مكة
فاستسقى رجل كان معنا من اهل الكوفة وثقل في علته وسل الاعراب
قطارا فيه ذلك الرجل العليل وافتقد وجزعنا عليه وعلى القطار
وكنا راجعين الى الكوفة فلما كان بعد مدة جاءني العليل الى داري
معافى فسالته عن قصته وسبب عافيته فقال انّ الاعراب لما
سلوا القطار ساقوه الى محلهم وكان المحجة على فراسخ يسيرة فانزلوني
ورأوا صورتي فطرحوني في اواخر بيوتهم وتقاسموا ما كان في القطار
فكنت ازحف واتصدق من البيوت ما اكله فاطعم فتمنيت الموت وكنت
ادعو الله عز وجل به او بالعافية قال فرايتهم يوما وقد عادوا
من ركوبهم فاخرجوا افاعي قد اصطادوها فقطعوا رؤوسها واذنابها
وشووها واكلوها فقلت هؤلاء ياكلون فلا تضرهم بالعادة التي
قد مرنوا عليها ولعلي ان انا اكلت منها شيئا اتلف واستريح مما انا فيه
فقلت لبعضهم اطعمني من هذه الحيات فرمى الي بواحدة منها مشوية
وزنها ارطال فاكلتها باسرها وامعنت طلبا للموت فاخذني نوم عظيم
فانتبهت وقد عرقت عرقا شديدا عظيما واندفعت طبيعتي وقمت
في بقية يومي وليلتي اكثر من مائة مجلس الى ان سقطت طريحا وجوفي
يجري فقلت هذا طريق الموت واقبلت اتشهد وادعو الله عز وجل

بالمغنرة فلما اضاء الصبح تاملت بطني فاذا هو قد ضمر جدا وزال عنه
ما كان به فقلت اي شيء ينفعني من هذا وانا ميت فلما اضحى النهار
انقطع القيام ووجبت صلاة الظهر فلم احس بقيام وجعت فجئت
لا ازحف على العادة فوجدت بدني خفيفا وقوتي صالحة فتحاملت
فمشيت وطلبت منهم ماكولا فاطعموني وقويت فبت في الليلة الثانية
معافى ما انكر شيئا من امري فاقمت اياما الى ان وثقت من نفسي
انّي ان مشيت نجوت فاخذت الطريق مع بعضهم الى ان صرت على المحجة
ثم سلكتها منزلا منزلا الى الكوفة ماشيا عن القاضي ابي بكر
محمد بن الجعدي الحافظ قال دخلت يوما على القاضي ابي الحسن
وهو مغموم فقلت لا يغم الله قاضي القضاة ما هذا الحزن الذي
اراه به فقال مات يزيد المائي فقلت يبقي الله القاضي ومن يزيد
المائي حتى اذا مات اغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله فقال
ويحك مثلك يقول هذا في رجل اوحد في صناعته حتى مات
وما ترك احدا يقاربه في حذقه وهل فخر البلدان الا بكثرة كون
الرؤساء من اهل الصنائع وحذاق اهل العلوم فيها فاذا مات رجل
لا مثل له في صناعته لا بد للناس منها فهل يدل هذا الا على
نقصان العالم وانحطاط البلدان قال ثم اقبل يعدد فضائله
والاشياء الطريفة التي عالج بها والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره
فذكر من ذلك اشياء كثيرة كان منها ان قال لقد اخبرني منذ مدة
رجل من جلة اهل البلد انّه كان حدث بابنة له علة ظريفة
فكتمت عنه ثم اطلع عليها فكتمها هو مدة ثم انتهى امر
البنت الى حد الموت قال فقلت لا يسعني ترك علاج هذه وكتمانه
اكثر من هذا قال وكانت العلة انّ فرج الصبية كان يضرب عليها
ضربانا عظيما لا تنام معه الليل والنهار وتصرخ اعظم صراخ
ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم وليس هناك
جرح يظهر ولا ورم قال فلما خفت المأثم احضرت يزيد فشاورته
فقال اتاذن لي في الكلام وتبسط عذري فقلت نعم فقال لا يمكنني

ان اصف لك شيئا دون ان اشاهد الموضع بعيني وافتشه بيدي
واسائل المراة عن اسباب لعلها كانت الجالبة للعلة قال فلعظم
الصورة وبلوغها حد التلف مكنته من ذلك فاطال مسائلتها
وحديثها بما ليس من جنس العلة بعد ان جس الموضع من ظاهره
وعرض بقعة الالم حتى كدت اثب به ثم تصبرت ورجعت الى
ما اعرفه من سيره فصبرت على مضض الى ان قال تامر من يمسكها
ففعلت ثم ادخل يده في الموضع دخولا شديدا فصاحت المراة
واغمي عليها وانبعث الدم واخرج في يده حيوانا اقل من الخنفساء
ورمى به فجلست الجارية في الحال فقالت استرني يا ابي قد عوفيت
واخذ بيد الحيوان في يده وخرج من الموضع فلحقته واجلسته
فقلت اخبرني عن هذا فقال ان تلك المسايلة التي لم اشك في
انك انكرتها انما كانت لاطلب دليلا استدل به على سبب العلة
الا انها قالت انها في يوم من الايام كانت جالسة في بيت دولاب
البقر من بستان لكم ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه
فلما كان من غد لم الضربان فتخيلت انه قد دب الى فرجها من
القردان التي تكون على البقر وفي بيوت البقر قراد قد تمكن من
اول داخل الفرج وكلما امتص الدم من موضعه ولد لها الضربان
وانه اذا شبع خف الضربان لانقطاع مصه ونقطت من الجرح
الذي يمتص منه الى خارج الفرج هذه النقطة اليسيرة من الدم
فقلت ادخل يدي وافتش فادخلتها فوجدت القراد فاخرجته
وهو هذا الحيوان وقد تغيرت صورته من كثرة ما امتص من الدم
مع طول الايام قال فتاملنا الحيوان فاذا هو قراد وبراءت المراة
قال مؤلف هذا الكتاب ولم يذكر القاضي ابو الحسن هذا الخبر
في كتابه ولعله اعتقد انه مما لا يجب ادخاله فيه عن بعض
بني عقيل وكان اذا جاء من البادية ينزل في شارع دار الرقيق
بالقرب من درب سليمان قال كانت عندي في البادية جارية
بالغة زمنة مقعدة سنين ومن عادتنا ان ناخذ الحنظل فنقور

راسه ونملاه باللبن الحليب ونرد على كل واحدة راسها وندفنها في
الرماد الحار حتى تغلي فاذا اغلت حسى كل واحد منا ما في الحنظلة الواحدة
من ذلك فتسهله وتصلح بدنه قال فاخذنا في سنة من السنين ثلاث
حناظل لثلاثة انفس يشربونها وجعلنا فيها اللبن على الصفة فراتها
الجارية الزمنة فلغرضها بالحياة وضجرها بالزمانة غدت الى
الحناظل الثلاث فحستها كلها وعلمنا بذلك بعد لما راينا من قيامها
فايسنا من حياتها فباعدناها من الاخبية لئلا نتشم روايحها
فتعدينا ولتموت بالبعد عنا فلما كان في الليل انقطع قيامها فمشت
برجليها الى ان عادت الى البيوت معافاة لا قلبة بها وعاشت بعد
ذلك سنين وولدت قال جبريل بن بختيشوع كنت مع الرشيد
بالرقة ومعه المامون ومحمد وكان رجلا كثير الاكل والشرب
فاكل في بعض الايام اشياء خلط فيها ودخل المستراح فغشي عليه
وقوي عليه الغشي حتى لم يشك غلمانه انه قد مات وحضر ابناه
وشاع عند العامة والخاصة خبره فارسل الي فحضرت وجسست
عرقه فوجدته نبضا خفيا وقد كان قبل ذلك بايام يشكو
امتلاء وحركة الدم فقلت لهم لم يمت والصواب ان يحجم الساعة
فقال كوثر لما يقدر من امر الخلافة وافضائها الى صاحبه محمد
يا ابن الفاعلة تقول احجموا رجلا ميتا لا يقبل قولك ولا كرامة
فقال المامون الامر قد وقع وليس يضر ان يحجمه فاحضر الحجام
وتقدمت الى جماعة من غلمانه بامساكه ففعلوا واقعد فقلت
للحجام ضع محاجمك ففعل فلما مصها رايت الموضع قد احمر فطابت
نفسي بذلك وعلمت انه حي ثم قلت اشرط فشرط فخرج الدم
فسجدت شكرا لله عز وجل وجعل كلما خرج الدم يحرك راسه
ويسفر لونه الى ان تكلم فقال اين انا وطيبت نفسه وغديناه
صدر دراج وسقيناه نبيذا وما زلت اسعطه بالطيب في انفه
حتى تراجعت اليه قوته ودخل الخاصة والقواد اليه فسلموا عليه
من بعد لما كان قد شاع من خبره ثم تكاملت قوته فوهب الله له

العافية فلما خرج من علته دعا بصاحب حرسه وصاحب شرطته وحاجبه
فسال صاحب الحرس عن غلته في كل سنة فعرفه انها الف الف درهم
وسال صاحب شرطته عن غلته فعرفه انها خمسمائة الف درهم
قال لي يا جبريل كم غلتك فقلت خمسون الف درهم فقال ما انصفناك
حيث غلات هؤلاء وهم يحرسوني ويحجبوني عن الناس على ما هي
عليه وتكون غلتك ما ذكرت وامر باقطاعي الف الف درهم فقلت
يا سيدي ما بي حاجة الى الاقطاع ولكن تهب لي ما اشتري به
ضياعا ففعل وتقدم بما وثني على ابتياعها فابتعت بهبته
وصلاته ضياعا غلتها الف الف درهم فجميع ضياعي املاك
لا اقطاع فيها حدثني طلحة بن عبيد الله بن قياس الطائي الجوهري
البغدادي ابو جعفر قال كان في درب مهروية بالجانب الشرقي
ببغداد قديما رجل من كبراء الجزية وكان متبنيا لغلام من غلمانه
رباه صغيرا فاعتل الغلام علة من بلسام وهو الذي تسميه العامة
البرسام فبلغ الى حالة قبيحة وزال عقله فتفرقوا عنه يوما
وهو في موضع فيه خيش ووكلوا صبيا براعاته فسمعوا صياح
الفتى الموكل به فبادروا اليه فقال انظروا الى ما قد اصابه
فاذا عقرب قد نزلت من المسند على راس العليل فلسعته في
عدة مواضع واذا به قد فتح عينيه وهو لا يشكو الما فسالوه عن
حاله فطلب ما ياكل فاطعموه وبرا فلاموا طبيبه فقال علام تلوموني
لو امرتكم ان تلسعوه العقرب اكنتم تفعلون عن ابي بكر بن قارب
الرازي وكان تلميذا لابي بكر محمد بن زكريا الطبيب في الطب
قال سمعت ابا بكر محمد بن زكريا الطبيب بعد رجوعه من عند
امير خراسان لما استدعاه يعالجه من علة صعبة قال اجتزت
في طريقي الى نيسابور ببسطام وهي النصف من طريق نيسابور الى
الري قال فاستقبلني رئيسها فانزلني داره وخدمني اتم
خدمة وسالني ان اقف على ابن له به استسقاء فادخلني الى دار
له قد افردها له فشاهدت العليل ولم اطمع في البرء فعللت القول

لمشهد من العليل فلما انفردت بابيه سالني ان اصدقه فصدقته
وايسته من حياة ابنه وقلت له يمكنه من شهواته فانه لا يعيش
وخرجت الى خراسان وعدت بعد اثني عشر شهرا فاستقبلني
الرجل بعد عودي فلما لقيته استحييت منه غاية الحياء ولم اشك
في وفاة ابنه واني كنت نعيته اليه وخشيت من تثقله بي فلم اجد
عنده ما يدل على ذلك وكرهت مسالته عن ابنه لئلا اجدد عليه
حزنا فقال لي بعد ايام تعرف هذا الفتى واومى الى شاب حسن الوجه
والسحنة كثير الدم والقوة قائم مع الغلمان يخدمنا فقلت لا
فقال هذا ابني الذي ايستني منه عند مضيك الى خراسان فتحيرت
وقلت له عرفني سبب برئه فقال لي انه بعد قيامك من عنده
فطن بانك قد ايستني منه فقال لي لست اشك ان هذا الرجل وهو
اوحد في الطب قد ايسك مني والذي اسالك ان تمنع هؤلاء الغلمان
يعني غلماني الذين كنت اخدمهم اياهم عني فانهم اذوني واذا رايتهم
معافين وقد علمت اني تجدد على قلبي حزن على نفسي فارحني من
هذا باني لا اراهم وافرد لي فلانة تخدمني ففعلت ما سال وكانت
داية له وكان يحمل الى الداية في كل يوم ما تاكله والية ما يطلب على
غير حمية فلما كان بعد ايام يسيرة حمل الى الداية مضيرة لتاكل
فتركها بحيث يقع بصرها عليه ثم انها مضت في شغل لها فذكرت
لما عادت ان ابني نهاها عن المضارة ووجدتها قد ذهب كثير مما كان
فيها وبقي بعضه متغير اللون قالت فقلت له وما السبب قال رايت
افعى عظيما قد خرج من موضع ودب اليها واكل منها ثم قذف فيها
فصار لونها كما ترين فقلت انا ميت وهو ذا يلحقني الم شديد
ومتى اظفر بمثل هذا وجئت فاكلت من الغضارة ما استطعت لاموت
عاجلا واستريح فلما لم استطع زيادة اكل رجعت حتى جئت الى فراشي
وجئت انت قالت ورايت انا المضيرة على يديه وفمه فصحت فقال
لا تعلمي شيئا او تدفني الغضارة بما فيها لئلا ياكلها انسان فيموت او
حيوانا فيلسع انسانا فيقتله ففعلت ما قال وخرجت اليك فلما

عرّفني ذلك ذهب علي امري ودخلت الى ابني فوجدته نائمًا فقلت
لا توقظوه حتى ننظر ما يكون منه فانتبه آخر النهار وقد عرق عرقًا
عظيمًا وهو يطلب المستحمّ فانهض اليه فاندفعت طبيعته وقام من
ليله ومن غدٍ اكثر من مائة مجلس فازداد ياسنا منه وقلّ القيام وقد
صار بطنه مع ظهره مثل بطون الاصحّاء وطلب فراريج فاكل ولم تزل
قوّته تزداد فطمعنا في حياته فمنعناه التخليط وثابت قوّته وتزايدت
الى ان صار كما ترى قال فعجبت من ذلك وذكرت انّ الاوايل قالوا
انّ المستسقي اذا اكل من لحم حيّة عتيقة مزمنة لها مائتي سنة برا
ولو قلت لك هذا علاجه لظننت انّي اداعبك ومن اين يعلم كم سنو حيّة
اذا وجدت فاسكت عنك

الباب الحادي عشر من امتحن من لصوص بسرق او قطع فعوض من الخلف باجمل صنع

عن دعبل بن علي الخزاعي الشاعر قال لما قلت مدارس
آيات خلت من تلاوة قصدت بها ابا الحسن علي بن موسى الرّضا
رضوان الله عليهم اجمعين وهو بخراسان وليّ عهد المامون
فوصلت اليه فانشدته فاستحسنها وقال لا تنشدها احدًا
حتى آمرك واتّصل خبري بالمامون فاحضرني وسايلني عن
خبري ثمّ قال لي يا دعبل انشدني مدارس آيات خلت من تلاوة
فقلت لا اعرفها يا امير المؤمنين فقال يا غلام احضر ابا الحسن
علي بن موسى قال فلم يكن باسرع من ان حضر فقال له يا ابا
الحسن سالت دعبلًا عن مدارس آيات فذكر انه لا يعرفها فالتفت
الي ابو الحسن فقال انشد يا دعبل فانشدت بالقصيدة ولم
ينكر ذلك المامون الى ان بلغت الى بيت فيها وهو هذا

فآل رسول الله هلب رقابهم ❊ وآل زياد غلظ الرّقبات

ثمّ تمّمتها الى آخرها فاستحسنها وامر لي بخمسين الف درهم
وامر لي علي بن موسى بقريب منها فقلت له يا سيدي اريد ان تهب لي
ثوبًا يلي بدنك اتبرّك به واجعله كفنًا فوهب لي قميصًا قد ابتذله
ومنشفة واظنّه قال وسراويل قال ووصلني ذو الرياستين بمال

وحملني على برذون اصفر خراساني فكنت اسايره في يوم مطير وعليه
ممطر خزّ وبرنس منه فامر لي به ودعا بغيره جديدًا فلبسه وقال
انما آثرتك باللبيس لانّه خير الممطرين قال فاعطيت به ثمانين دينارًا
فلم تطب نفسي ببيعه وقضيت حاجاتي وكررت الى العراق فلما صرت
ببعض الطريق خرج علينا اكراد يعرفون بالشّريجان فسلبوني وسلبوا
القافلة وكان ذلك في يوم مطير فاعتزلت في قميص خلق قد بقي علي
وانا متاسّف من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة اللذين
وهبهما لي علي بن موسى الرّضا رضي الله عنهما اذ مرّ بي واحد من
الاكراد تحته الاصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر
الخزّ ثم وقف بالقرب مني وابتدأ ينشد مدارس آيات ويبكي فلما
رايت ذلك عجبت من لصّ يتشيّع ثم طمعت بالقميص والمنشفة
فقلت يا سيدي لمن هذه القصيدة قال وما انت وذاك ويلك
فقلت له فيه سبب اخبرك به فقال هي اشهر بصاحبها من ان يجهل
فقلت من هو فقال دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل رسول الله
صلّى الله عليه وسلم وآله فقلت له يا سيدي فانا والله دعبل
وهذه قصيدتي فقال ويلك ما تقول قلت الامر اشهر من ذلك
فاسال اهل القافلة تخبر بصحّة ما اخبرتك به فقال لا جرم والله
لا يذهب من القافلة خلالة فما فوقها ثم نادى في الناس من
اخذ شيئًا يردّه على صاحبه فردّ على الناس امتعتهم وعلى جميع
ما كان معي حتى ما فقد احد عقالًا ثم بذرقنا الى شاننا فقال
لي راوي هذا الخبر عن دعبل فحدّثت بهذا الحديث علي بن بهزاد
الكردي فقال ذاك والله ابي الذي فعل هذا حدّثني
عبيد الله بن عمرو بن الحارث الواسطي السّراج المعروف بابي
احمد الحارثي قال كنت مسافرًا في بعض الجبال فخرج علينا
ابن سيّار الكردي فقطع علينا وكان بزيّ الامراء لا بزيّ القطّاع
فقربت منه انظر اليه واسمع كلامه فوجدته يدلّ على فهم وادب
فداخلته فاذا برجل فاضل يروي الشّعر ويفهم النحو فطمعت

فيه وعملت في الحال ابياتًا ومدحته بها فقال لست اعلم انّ هذا من
شعرك ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه شعرًا الساعة لاعلم
انك قلته وانشد لي بيتًا قال فعملت في الحال اجازة له ثلاثة ابيات فقال
لي اي شيء اخذ منك لاردّه قال فذكرت ما اخذ مني واستضفت اليه قماش
رفيقين كانا لي فردّ جميع ذلك ثم اخذ من اكياس التجار الذي اخذت
في الحال كيسًا فيه الف درهم فوهبه لي قال فجزيته خيرًا ورددته
عليه فقال لي لم لا تاخذه فورّيت عن ذلك فقال احبّ ان تصدقني
فقلت وانا آمن فقال وانت آمن فقلت لانك لا تملكه وهو من
اموال الناس اخذته منهم الساعة ظلمًا فكيف يحلّ لي اخذه قال
فقال لي اما قرات ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص عن بعضهم
قال انّ هؤلاء التجّار لم تسقط عنهم زكاة النّاضّ ووكلت البادية
اليهم وخانوا اماناتهم ومنعوا الزكاة وتجرّوا فتركت الزكاة عليهم
فصارت اموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء اليها فاذا اخذوا
منهم اموالهم وان كره التجار اخذها كان ذلك لهم مباحًا لانّ عين
المال مستهلك بالزكاة وهم يستحقّون اخذ الزكاة شاء ارباب
الاموال او كرهوا فقلت بلى قد ذكر ذلك الجاحظ ولكن من اين
يعلم انّ هؤلاء ممّن استهلكت الزكاة اموالهم فقال لا عليك انا احضر
هؤلاء التجار الساعة واريد بذلك دليلًا صحيحًا انّ اموالهم لنا
حلال ثمّ قال لاصحابه هاتوا التجار فجاؤا فقال لاحدهم منذ
كم تتّجر في هذا المال الذي قطعنا عليه قال منذ كذا او كذا سنة
قال فكيف كنت تخرج زكاته قال فتلجلج وتكلم بكلام من لا يعرف
الزكوة على حقيقتها فضلًا عن ان يخرجها ثم دعى بآخر فقال اذا
كان معك ثلاثمائة درهم وعشرة دنانير وحال عليك الحول كم تخرج
منها الزكاة فما احسن ان يجيب ثم قال لآخر اذا كان معك للتجارة ولك
دين على نفسين احدهما مليء والآخر معسر ومعك دراهم وكان الحول
حال على الجميع كيف تخرج زكاة الجميع قال فما فهم السؤال فضلًا عن
ان يتعاطى الجواب فصرفهم ثم قال بان لك صدق حكاية ابي عثمان الجاحظ

وانّ هؤلاء ما زكوا قط خذ الآن الكيس قال فاخذته وساق القافلة
لينصرف بها فقلت ان رايت ايها الامير ان تنفذ معنا من يبلغنا
المامن فنفعل ذلك حدّثني ابي رحمه الله قال لما كنت مقيمًا بالكرخ
انقلّد القضاء بها وبالمرج واعمالها وكان معي رجل له ابن صبي
فاقام معي ابوه عشر سنين وكان ذلك الصبي يدخل داري ويمزح مع
غلماني واهب لهم في الاوقات الدراهم والثياب واحمله وارقصه
كما يفعل الناس باولاد غلمانهم ثم صرفت عن الكرخ ورحلت ولم
اعرف للرجل ولا لابنه خبرًا حتى مضت السنون فانفذني ابو
عبد الله اليزيدي من واسط برسالة الى ابي بكر بن رائق فلقيته
في حدود دير العاقول قال وانحدرت اريد واسطًا وقد كان
قيل لي قبل اصعادي انّ في الطريق لصًّا يعرف بالكرخي وكنت
خرجت من واسط بطالع اخترته على موجب تحويل مولدي لتلك
السنة استظهرت فيه عند نفسي وكفاني الله تعالى في اصعادي
امر اللّص فلم ار له اثرًا فلما انحدرت الى واسط وانا في بعض
الطريق خرج علينا اللّصوص في سفن عدّة ونشاب وسلاح
شاك ولهم نحو مائة نفس كالعسكر العظيم وكان معي من غلماني
من يضرب بالنشاب فحلفت انّ من يرمي منهم ضربته اذا صرت في
البلد مائتي مقرعة وذلك انّي خفت ان يقصدنا اللّصوص فلا
يرضون الّا بقتلي وبادرت واخذت ذلك السّلاح الذي كان
معهم فرميت جميعه في الماء واستسلمت للامر طلبًا للسّلامة في نفسي
وجلست افكر في الطالع الذي خرجت به فاذا ليس يوجب عنده
القطع علي والناس قد ادبروا الى الشّط وانا في جملتهم وهو
ذا نفرّغ سفنهم وينقل ما فيها الى الشّط وهم يخبطون بالسيوف
وكنت في وسط الكار فانتهى الامر الي فعجبت من حصول القطع وانّ
الطالع لا يوجبه ولست اتّهم عملي فانا كذلك واذا سفينة فيها رئيسهم
قد طرح على زبزبي كما كان يطرح على سفن التجار ليشرف على ما يؤخذ
منها فحين رآني منع اصحابه من انتهاب شيء من زبزبي وصعد وحده

الي فتاملني طويلاً ثم انكبّ فقبّل يديّ وكان متلثماً فلم اعرفه فارتعت
وقلت يا هذا ما لك فسفر وقال لي ما تعرفني يا سيدي فتاملته وانا
جزع فلم اعرفه فقلت لا والله قال بلى انا عبدك ابن فلان الكرخي حاجبك
وانا الصبي الذي ربّيت في دارك وربيتني وكنت تحملني على كتفك
وتطعمني بيدك قال فتاملته واذا الخلقة خلقته الا ان اللحية غيّرته
في عيني فسكن روعي وقلت يا هذا كيف بلغت الى هذه الحال قال
نشأت فلم اتعلّم غير معالجة السلاح وجئت الى بغداد اطلب الديوان
فما قبلني احد فانضفت الى هؤلاء وطلبت الطريق فلو كان انصفني السلطان
ونزلني بحيث استحق من الشجاعة لانتفع بخدمتي وما فعلت هذا ثم قال
يا سيدي لا يكن بعض هؤلاء القوم اخذ منك شيئاً فقلت ما ذهب مني
الا سلاح رميته في الماء وشرحت له الصورة فضحك وقال والله اصاب
القاضي في الكار ممن تعنى به حتى اطلقه فقلت كلهم عندي بمنزلة
واحدة فلو افرجت عن الجميع كان احسن بك فقال والله لولا ان اصحابي
فرّقوا ما اخذ والنعلت ذلك ولكنهم لا يطيعوني في ردّه الا انني لا ادع
احداً يأخذ من السفن الباقية شيئاً بعد هذا فجزيته الخير فصعد
الى الشط واصعد جميع اصحابه ومنع ان يؤخذ شيء مما في السفن
فما تعرّض لها احد وردّ على قوم ضعفاء اشياء كثيرة كانت أخذت
منهم واطلق الناس وسار معي في اصحابه الى ان صار بيني وبين
المأمن شيء يسير ثم ردّ عني وانصرف الى اصحابه **حُدّثت** عن
بعض تجار البغداديين قال خرجت ببلع لي ومتاع من بغداد
اريد واسطاً وكان اليزيدي بها والدنيا مفتتنة فقطع علي
الطريق وعلى الكار الذي كنت فيه لص كان في الطريق يقال له ابن
حمدون يقطع قريباً من بغداد فافقرني وكان معظم ما املكه معي
فسهل علي الموت وطرحت نفسي له وكنت اسمع ببغداد ابن حمدون
هذا فيه فتوة وظرف وانه اذا قطع لم يعرض لاصحاب البضائع
القليلة التي تكون دون الالف واذا اخذ ممن حاله ضيقة شيئاً
قاسمه عليه فترك شطر ماله في يديه وانه لا يفتش امرأة ولا يسلبها

وحكايات كثيرة فاطمعني ذلك في ان يرقّ لي فصعدت الى الموضع
الذي هو جالس فخاطبته في امري ورققته ووعظته وقلت له
ان جميع ما املكه قد اخذه واني احتاج الى ان اتصدّق من عنده قال
فقال لي يا هذا لعن الله السلطان الذي احوجنا الى هذا فانه قد
اسقط ارزاقنا فاحوجنا الى هذا الفعل ولسنا فيما نفعله نرتكب
اعظم مما يرتكبه السلطان انت تعلم ان ابن شيراز ببغداد يصادر
الناس ويفقرهم حتى ياخذ الموسر المكثر فلا يخرج من حبسه وهو يهتدي
الى شيء غير الصدقة وكذلك يفعل اليزيدي بواسط والبصرة والديلم
بالاهواز وقد علمت انهم ياخذون اصول الضياع والدور والعقارات
ويتجاوز ذلك الى الحرم والاولاد فاحسبونا نحن مثل هؤلاء فقلت
اعزّك الله ظلم الظلمة لا يكون حجة والقبيح لا يكون سنة فاذا وقفت
انا وانت بين يدي الله عز وجل ترضى ان يكون هذا جوابك له قال
فاطرق مليّاً ولم اشك في انه يقتلني ثم رفع راسه فقال كم اخذ
منك فصدقته فقال احضروه فاحضر قال وكان كما ذكرت
فاعطاني نصفه فقلت له الآن قد وجب حقي عليك وصار لي
باحسانك اليّ حرمة فقال اجل فقلت ان الطريق فاسد وما آمن
ان اجاوزك حتى قد اخذ هذا ايضاً فانفذ معي من يؤديني الى
المأمن قال فنفعل ذلك وسلمت بما افلت معي قال فجعل الله عز
وجل فيه البركة واخلف **حدثني الحسن** بن صافي مولى
ابن المتوكل القاضي وكان ابوه يعرف بغلام ابن مقلة قال لما حصل
المتقي بالله بالرقة ومعه ابو الحسن علي بن محمد بن مقلة وزيره
كاتبني بان اخرج اليه فخرجت ومعي جماعة من انسابي وانساب
الخليفة الى هيت وضمّ الينا ابن قتان خفراء يؤدّوننا الى الرقة
فرحلت من هيت ومعنا الخفراء والغلمان ومن انجذب معنا
من هيت فصرنا نحو المائتي مقاتل فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا
ونحن في البر الاقفر وقد حصلنا نستريح اذا بسواد عظيم من
بعيد لا ندري ما هو فلم نزل نرقبه الى ان ابان لنا اذى ونحن

ثمانية مطية على كل مطية رجلان فجمعنا اصحابنا ورجالاتنا وجمالنا
واخذوا يحفهم وسلّوا سيوفهم وتقدمهم رئيس لهم فقال لنا
يا معشر الناس لا يسلّن احد سيفاً ولا يرمين بسهم فمن فعل ذلك
فهو مقتول فنشل من كان معنا وقاتل القوم قتالاً ضعيفاً وخالطنا
الاعراب وخرج جماعة منا واخذونا وجميع ما كان معنا فاقتسموه
وطرحونا في الشمس مجرّحين فنظرت فاذا انا قد عريت وبقي علي
خلق لا يصدّ عني شيئاً وليس معي ماء اشربه ولا ظهر اركبه وليس
بيني وبين الموت الا ساعات يسيرة فقامت علي القيامة واشتد
جزعي ولم يكن لي حيلة فايست من الحياة فانا كذلك اذ وجدت
شنشجة كانت لي فيها خاتم عقيق كبير الفص كثير الماء فوقع لي في
الحال وجه الحيلة فاخذته وجعلته في قطن فخباته معي وقصدت
رئيس القوم وكان هو الذي تولى اخذ مالي وقد عرف موضعي
وقدري فقلت له رايت عظم ما اخذته مني وانا خادم الخليفة
وقد خرجت لامر كبير من خدمته وانك فزت بما اخذته وانا
اعاملك به واسديه اليك حلالاً لا يجري مجرى الغصوب على
ان تؤمّني على نفسي وتردّ علي من ثيابي ودوابي وتسقيني ماء
وتسيرني حتى احصل في مأمني فقال لي ما هو فقلت تعطيني ايمانك
وعهودك وذمامك على الوفاء فنفعل فانفردت به وجعلت يدي
مقابلة للشمس واريته الخاتم واقمت فصه في شعاع الشمس
فكاد يخطف بصره ورأى ما لم ير مثله قط فهاله وقال لي استره
وقل لي خبره فقلت هذا خاتم الخلافة وهذا الفص منه ياقوت
احمر هذا الذي يتداوله الخلفاء منذ العهد الطويل يعرف بالجبل
لا يقوم امر الخلافة الا به وكان مخبوّاً ببغداد وامرني الخليفة ان
احمله في جملة ما حملت وحيث حصل هذا الخاتم من بلاد الله تسبّب
الخلفاء في اخذه بكل ثمن وان حصل عندك حتى تمتنع من اعطائه
الا بمائة الف دينار ولم يقدر عليك لاعطوك والراي ان تأخذه
وتنفذه الى ناحية الشام وتوافقني على موضع حلتك وتخفي

حصول الخاتم معك فاني اذا حصلت بحضرة الخليفة وعرّفته
خبره جاءتك رسله بالرغائب حتى يرتجع منك باي ثمن احتكمته
قال فاذاً خذ من ثيابك ما تريد فاخذت من ثيابي ما احتجت اليه
واخذ الخاتم فخباه في جنبه واركبني راحلة موطّاة واعطاني
اداوتين كبيرتين وسار معي والناس يهلكون عطشاً ولم يزل
يسيرني حتى بلغني الى حصن في البرية يعرف بالزيتونة من بناء
هشام بن عبد الملك فيه رجل من بني امية يكنى بابي مروان معه
في الحصن نحو من مائتي رجل فلما حصلت عنده انصرف الاعرابي
وعرّفت ابا مروان خبري في القطع ومن انا فاعظم امري
واكرمني وانفذ معي من اصحابه من بلّغني الرقة سالماً **عن رجل**
من الدقاقين في دار ابن الزبير بالبصرة قال اورد علي رجل غريب
سفتجة باجل وكان يتردد الى ان حلّت السفتجة ثم قال دعها
عندك حتى آخذها متفرقة وكان يجيء في كل يوم فياخذ بقدر
نفقته الى ان نفدت وصارت معرفة والف الجلوس عندي
وكان يراني اخرج كيساً من صندوقي فاعطيه منه فقال لي يوماً
ان قفل الرجل صاحبه في سفره وامينه في حضره وخليفته
على ماله والذي ينفي الظنة عن اهله وعياله فان لم يكن وثيقاً
تطرقت الحيل عليه وارى قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته
لا بتاع مثله لنفسي فقلت من فلان بن فلان الاقفالي عند باب
الصفارين قال فما شعرت يوماً وقد جئت الى دكاني فطلبت صندوقي
لآخذ شيئاً من الدراهم فحمل الي ففتحته فاذا ليس فيه شيء من
الدراهم فقلت لغلامي وكان غير متهم عندي هل انكرت من
الدار ابات شيئاً قال لا فقلت فتش هل ترى في الدكان نقباً
قال لا فقلت من السقف حيلة قال لا فقلت فاعلم ان دراهمي
قد ذهبت فقلق الغلام فسكنته وقمت لا ادري ما اصنع وتاخر
الرجل عني فلما تاخر اتهمته وذكرت مسالته عن القفل قال فقلت
للغلام اخبرني كيف تفتح دكاني وتغلقه قال رسمي ان ادرب درابتين

والدرابات في المسجد فاحملها في دفعات اثنتين او ثلاثا في كل ساعة
فاشرجها ثم افعل كذا وكذا فتحها فقلت البارحة واليوم فعلت قال نعم
فقلت فاذا امضيت لترد الدرابات او تحضرها على من تدع الدكان قال
خاليًا قلت من ههنا وقع ومضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل
فقلت جاءك انسان اشترى منك مثل هذا القفل قال رجل من صفته
كذا وكذا فاعطاني صفة صاحبي فعلمت انه احتال على الغلام وقت المساء
لما انصرفت انا ومضى الغلام لحمل الدرابات فدخل هو الى الدكان فاختبى
فيه ومعه مفتاح القفل الذي يقع على قفلي وانه اخذ الدراهم وجلس
طول الليل خلف الدرابات فلما جاء الغلام ليفتحها وحمل درابتين او
ثلاثا حملها ليرفعها خرج هو وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج الى بغداد
فسلمت دكاني الى الغلام وقلت له من سال عني فعرّفه اني خرجت الى
ضيعتي قال ثم خرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدئ بطلب الرجل
بواسط قال فلما صعدت من السميرية طلبت خانًا في الكتبيين بواسط
لانزله فارشدت اليه فصعدت فاذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت
فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال قدم رجل من البصرة امس
قلت فاي شيء صفته قال فوصف لي صاحبي فلم اشك انه هو وان
الدراهم في بيته فاكتريت بيتا الى جانبه ورصدت البيت حتى
انصرف قيم الخان ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت
كيسي بعينه فاخذته وخرجت واقفلت الباب ونزلت في الوقت الى
السفينة التي جئت فيها ودعوت الملاح وانحدرت الى البصرة فما اقمت
بواسط الا ساعتين من النهار ورجعت الى منزلي بمالي بعينه ۞
حدثني عبد الله بن محمد البصري قال حدثني الاكار بنهر
سايس يقال له سارج قال خرجت من نهر سايس الى موضع في طرف
يقال له كوخ راذويه فبلغني ان في طريقي رجلا يقطع الطريق وحده
وحذرت منه فلما خرجت من القرية رايت رجلا تدل فراسته على
شدته ونجدته وفي يده زقاية فجسر بي على الطريق فترا فقينا
فانتهينا الى سقاية في البرية فخرج علينا اللص مجردًا متسلحًا

فصاح بنا فطرح رفيقي كارة كانت على ظهره واخذ زقايته وبادر
اللص فلما داخله اللص ليضربه ضرب بعصاه يد اللص فعطل الضربة وضرب
الرجل يد اللص بالعصى فاستقبل اللص العصى بسيفه فقطعها ثم ضرب
بسيفه رجلي الرجل فاقعده ثم وشحه بالسيف حتى قتله وحمل علي
ليقتلني فقلت له ما حاربتك ولا امتنع من اخذ ثيابي فلاي شيء تقتلني
فقال استكتف فاستكتفت وكتفني بتكتي ثم حمل الثياب فانصرف
فبقيت متحيرا مشفيا على التلف بالعطش والشمس والوحوش فما زلت
اتمطى في التكة الى ان قطعتها فقمت امشي الى ان جنني الليل فرايت
في الصحراء على بعد ضوء نار خفيا فقصدته فمشيت الى نصف الليل
فوجدته يخرج من قبة في الصحراء فقربت منها فاطلعت فاذا هو اللص
جالسا في القبة يشرب نبيذا ومعه امراة فلما ابصرني صاح وتناول
السيف وخرج الي فما زلت اناشده الله عز وجل واحلف انني ما علمت
انه هو ولا قصدته وانما رايت النار فقصدتها فلم يعبا بقولي وحلفته
المراة ان لا يقتلني بحضرتها فجذبني الى نهر جارٍ قريب من القبة وطرحني
فيه تحته وجرد سيفه ليذبحني فسمع صوت الاسد قريبا منه ۞
فارتعدت يده وسكن واخذ يكتفني فانشت بالسبع استيحاشا
منه وزدت في الصياح فاستعرت الا والسبع قد تناوله من صدري
فقمت فاخذت السيف وجئت الى القبة فلم تشك الجارية اني هو فقالت
قتلته فقلت لها الله عز وجل قتله وقصصت عليها القصة ۞
وسالتها عن شانها فقالت انا امراة من القرية الفلانية اسرني
هذا الرجل وخباني في هذا الموضع وهو يتردد الي في كل ليلة ۞
فارهبتها فدلتني على دفاين له في الصحراء فاقتلعتها وحملت الجارية
وبلغتها القرية فسلمتها فيها وفزت بمال عظيم اغناني عن مقصدي
فعدت الى بلدي وحدثني ايضا عن ابن الدنانيري
التمار الواسطي قال حدثني غلام لي قال كنت نافذا بالابلة
لرجل تاجر فاقتضيت له من البصرة نحو الخمسمائة دينار عينًا
وورقًا ولففتها في فوطة وامسيت عن المصير الى الابلة فما زلت

اطلب ملاحًا فلم اجد الى ان رايت ملاحًا مجتازًا في خيطية خفيفة
فارغة فسالته ان يحملني فتمحل علي الاجرة وقال انا ارجع الى منزلي
بالابلة فانزل فنزلت قال وجعلت الفوطة بين يدي وسرنا الى
ان تجاوزنا سماران فاذا رجل ضرير على الشط يقرا احسن قراءة
تكون فلما رآه الملاح كبر وصاح هو بالملاح احملني فقد جنني الليل
واخاف على نفسي فشتمه الملاح فقلت احمله فدخل الى الشط فحمله
فرجع الى قراءته فجلب عقلي بطيبها فلما قربنا من الابلة قطع
القراءة وقام ليخرج في بعض المشارع الى الابلة فلم ار الفوطة واستغاث
الملاح وقال الساعة تقلب الخيطية قال وخاطبني بخطاب من لا يعلم
حالي فقلت يا هذا كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار فلما سمع
الملاح ذلك بكى وتعزى وقال لم ادخل الشط ولا الى موضع اخبا فيه
شيئا فتتهمني بسرقته ولي اطفال وانا ضعيف فاتق الله عز وجل
وفعل الضرير مثل ذلك وفتشت السميرية فلم اجد شيئا فوجمت وقلت
هذه محنة لا ادري كيف التخلص منها وخرجنا فعملت على الهرب
واخذ كل واحد منا طريقا وبت ولم امض الى صاحبي وانا بليلة
عظيمة فلما اصبحت عملت على الرجوع الى البصرة لاستخفي فيها
اياما ثم اخرج الى بلد شاسع فانحدرت وخرجت من مشرعة
بالبصرة وانا امشي واتعثر وابكي قلقا على فراق اهلي وولدي
وذهاب معيشتي وجاهي اذ اعترضني رجل فقال لي يا هذا ۞
ما لك فاخبرته فقال انا ارد عليك مالك فقلت يا هذا انا في شغل
عن طنزك فلا تفعل فقال والله ما اقول الا حقا امض الى السجن ببني
نمير واشتر معك خبزا وشواء جيدا وحلوى وسل السجان ان يوصلك
الى رجل محبوس هناك يقال له ابو بكر النقاش وقل له اني زائره
فانك لا تمنع وان منعت وهبت للسجان شيئا يسيرا فانه يدخلك
اليه فاذا رايته فسلم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه
ما معك فاذا اكل وغسل يديه فانه يسالك عن حاجتك فاخبره
خبرك فانه سيدلك على اخذ مالك ويرجعه لك ففعلت ذلك

ووصلت الى الرجل فاذا شيخ مثقل بالحديد فسلمت عليه وطرحت ما معي
بين يديه فدعا رفقاء كانوا له واقبلوا ياكلون فلما استوفى وغسل يديه
قال من انت وما جاء بك فشرحت له قصتي فقال امض الساعة لوقتك
ولا تتاخر الى بني هلال فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهي الى آخره فانك
تشاهد بابا شعثا فافتحه وادخله بلا استيذان فستجد دهليزا ۞
طويلا يؤدي الى بابين فادخل الايمن منهما فيدخلك الى دار فيها اوتاد
وبواري وعلى كل وتد ازار ومئزر فانزع ثيابك والقها على الوتد
واتزر بالمئزر واتشح بالازار فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت الى ان تكاملوا
ثم يوتون بطعام فكل معهم وتعمد ان تفعل في كل شيء كما يفعلون
واذا اتوا بالنبيذ فاشرب معهم اقداحا يسيرة ثم خذ قدحا كبيرا
واملاه وقم فقل هذا اشادي خالي ابي بكر النقاش فيضحكون
ويفرحون ويقولون هو خالك فقل نعم فيقومون ويشربون لي
فاذا تكامل شربهم لي وجلسوا فقل نعم خالي يقرا عليكم السلام
ويقول بحياتي يا فتيان ردوا على ابن اختي الفوطة التي اخذتموها
امس في السفينة بنهر الابلة فانهم يردون عليك فخرجت من
عنده ففعلت ما قال ووجدت الصورة على ما ذكر سواء فردت
الفوطة علي بعينها ولم يحل شدها فلما حصلت لي قلت لهم
يا فتيان هذا الذي فعلتموه بي قضاء لحق خالي ولي حاجة ۞
تخصني فقالوا مقضية فقلت عرفوني كيف اخذتم الفوطة
فامتنعوا ساعة فاقسمت عليهم بحياة ابي بكر النقاش فقام واحد
منهم واومى الى رجل فتاملته جيدا فاذا هو الضرير الذي كان
يقرا واعتمى ويتعامى واومى الى آخر فقال اتعرف هذا فتاملته فاذا
هو الملاح بعينه فقلت كيف فعلتما فقال الملاح انا ادور المشارع
في اول اوقات المساء وقد سبقت بهذا المتعامي فاجلسته حيث
رايت فاذا رايت من معه شيء له قدر ناديته واوجبت الاجرة عليه
وحملته فاذا بلغت الى القاري وصاح بي شتمته حتى لا يشك الراكب
في براءة ساحتي فان حمله الراكب فذاك وان لم يحمله رفقته عليه

حتى يحمله وجلس هذا يقرا بقراءته الطيبة وذهل الرجل كما ذهلت
فاذا بلغت الموضع الفلاني فات فيه رجلا متوقعا لنا يسبح حتى يلاصق
السفينة على راسه قوصرة فلا يفطن به الراكب فيسلب هذا الرجل
فيلقيه الى الرجل الى القوصرة فياخذه ويسبح الى الشط واذا اراد
الراكب الصعود وافتقد ما معه عملنا كما رايت فلا يتهمنا وتفرق
فاذا كان من غد اجتمعنا فاقتسمنا ما اخذناه واليوم كان يوم
القسمة فلما جئت برسالة استاذنا خالك سلمنا اليك الفوطة
قال فاخذتها وانصرفت حدثني عبد الله بن محمد الصروري
قال حدثني بعض اخواني انه كان ببغداد رجل يتلصص في حداثته
ثم تاب وصار بزازا قال فانصرف ليلة من دكانه وقد اغلقه
فجاء رجل لص متزي بزي صاحب الدكان في كمه شمعة صغيرة
ومفاتيح فصاح بالحارس واعطاه الشمعة في الظلمة وقال
اشعلها وجئني بها فان لي هذه الليلة في دكاني شغلا
فمضى الحارس واشعل الشمعة وركب اللص المفاتيح على
الاقفال ففتحها ودخل الدكان وجاء الحارس بالشمعة مشعلة
فاخذها من الحارس وهو لا يتبين وجهه قال فجعلها بين
يديه وفتح سفط الحساب فاخرج ما فيه وجعل ينظر في
الدفاتر ويري بيده انه حاسب واذا الحارس يطالعه في
ترده ولا يشك في انه صاحب الدكان الى ان قارب السحر
فاستدعى اللص الحارس وكلمه من بعيد فقال اطلب لي حمالا
فجاء بحمال فحمل عليه من متاع الدكان اربع رزم واقفل الدكان
وانصرف معه واعطى الحارس درهمين فلما اصبح الناس جاء
صاحب الدكان ليفتحه فقام اليه الحارس يدعو له ويقول
فعل الله بك وصنع كما اعطيتني البارحة الدرهمين قال فانكر
الرجل ما سمع ولم يرد جوابا وفتح فوجد سيلان الشمعة وحسابه
مطروحا وفقد الرزم الاربع فاستدعى الحارس وقال من
كان الذي حمل الرزم من دكاني البارحة معي فقال قد استدعيت

مني حمالا فجئتك به فحملها فمضى الحارس وجاء بالحمال فاغلق الرجل
الدكان واخذ الحمال معه ومشى وقال له الى اين حملت الرزم البارحة
فاني كنت منتبذا فقال الى المشرعة الفلانية واستدعيت لك فلانا
الملاح فركبت معه فقصد الرجل المشرعة وسال عن الملاح فحضر وركب
معه وقال اين رقيت اليوم يا اخي الذي كان معك ومعه الاربع الرزم
فقال الى المشرعة الفلانية فقال فاطرحني اليها فطرحه فقال من حملها
فقال فلان الحمال فدعى به فقال امش بين يدي فمشى واعطاه
شيئا واستدله برفق على الموضع الذي حمل اليه الرزم فجاء به
الى باب غرفة في موضع بعيد من الشط قريب من الصحراء فوجد
الباب مقفلا واستوقف الحمال ففش القفل ففتحه ودخل فوجد
الرزم فيه فدعا الحمال عليه وقصد المشرعة فحين خرج من
الغرفة استقبله اللص وراءه معه فابلس واتبعه الى الشط فجاء
الى المشرعة ودعى بالملاح ليعبر فدعى الحمال من يحط عنه فجاءه اللص
فحط الكساء كانه مجتاز متطوع فادخل الرزم الى السفينة مع
صاحبها وجعل البركان على كتفه وقال يا اخي استودعك الله
قد ارتجعت رزمك فدع كسائي فضحك منه وقال انزل ولا خوف
عليك فنزل معه فاستتابه ووهب له شيئا ولم يسئ اليه
عن رجل يعرف بابي العرب قال كنت من اهل قرية من نواحي
الشام اسكنها انا واسلافي وكنت اطحن مع اهل القرية في رحى
ماء على فراسخ يخرج اليها غلات اهل القرى وتكثر فلا يتمكن من
الطحن الا القوي فالقوي فمضيت مرة ومعي غلة وحملت معي
خبزا ولحما مطبوخا يكفيني لايام وكان الزمان شتاء لا اقيم
الرحا حتى تخف الناس فاطحن فيها على عادتي تلك فلما صرت الى الرحى
حططت اعدالي وجلست في موضع نزه وفرشت سفرتي لآكل
فاجتاز بي رجل عظيم الخلقة فدعوته الى الاكل فجلس واكل جميع
ما كان في سفرتي حتى لم يدع فيها ولا اوقية واحدة فعجبت من
ذلك عجبا بان له مني فامسكت وغسلنا ايدينا فقال على اي شيء

مقامك ههنا قلت لاطحن هذه الغلة قال فلم لا تطحنها فاخبرته بسبب
تعذر ذلك علي فثار كالجمل حتى شق الناس وهم مزدحمون على الرحى وهي
تدور فجعل رجله على الرحى فوقفت ولم تدر فعجب الناس وقال من
يتقدم فجاء رجل يدل بشدته فاخذ بيده ورمى به كالكرة وجعل تحت
رجله الاخرى فما قدر ان يتحرك وقال قدموا غلتي الى الطحن والا كسرت
الرحى وكسرت عظام هذا فقالوا لي هات الغلة فجئت بها فطحنت
وفرغ منها وجعلها في الاعدال وقال لي قم قلت الى اين قال الى منزلك
فقلت لا اسلك الطريق وحدي فهو مخوف ولكن اصبر حتى يفرغ اهل
قريتي فارجع معهم فقال قم وانا معك ولست تخاف باذن الله عز
وجل شيئا فقلت من كانت تلك قوته يجب ان آنس به فقمت وحملت
الغلة على الحمير وسرنا ولم نر في طريقنا احدا فلما بلغت المنزل
عجب قومي من سرعتي وورودي بالغلة وراوا الرجل وسالوني
عن القصة فاخبرتهم وسالناه ان يقيم عندنا اياما في ضيافتنا
ما شاء فنعمل فذبحنا له بقرة واصلحنا له سكباجا وقدمت اليه
فاكل الجميع بنحو المائة رطل خبزا فقال له ابي يا هذا ما رايت مثلك
قط فاي شيء انت ومن اين معاشك قال انا رجل من الناحية الفلانية
وكان لي اخ اشد بدنا وقلبا مني اسمه عاد واسمي شداد وكنا
نبدرق القوافل من قريتنا الى مواضع كثيرة لا نستعين باحد وتخرج
علينا الرجال الكثيرة فالقاهم انا واخي فقط ونهزمهم واشتهر
امرنا حتى كان اذا قيل قافلة شداد وعاد لم يعرض لها احد فكنا
بذلك سنين كثيرة فخرجنا مرة انا واخي نسير قافلة قد خفرناها
فلما صرنا بالفلاة راينا سوادا مقبلا نحونا فاستظرفنا ان يقدم
علينا احد ثم بان لنا شخص رجل اسود على ناقة حمراء ثم خالطنا
فقال هذه قافلة عاد وشداد فقلنا نعم فترجل ودعانا الى البراز
فانفضضنا عليه فضرب ساق اخي بالسيف ضربة اقعدته وعدا
علي فقبض على كتفي فما اطقت الحركة فكتفني ثم كتف اخي وطرحنا على
الناقة كالزاملتين ثم ركبها وسار بعد ان اخذ من القافلة ما كان

فيها من عين وورق وحلي وشيئا من الزاد واوقر الراحلة بذلك
وسار بنا على غير محجة في طريق لا نعرفه بقية يومنا وليلتنا وبعض الثاني
حتى اتى جبلا لا نعرفه فاوغل فيه وانتهى الى مغارات واناخ
الراحلة ثم رمى بنا عنها وتركنا في الكتاف وجاء الى مغارة على
بابها صخرة لا ينقلها الا الجماعة الكثيرة فنحاها عن الباب واستخرج
منها جارية حسناء فسايلها عن خبرها وجلسا ياكلان مما جاء به
من الزاد ثم سرنا ثم قال لها قومي فقامت فدخل الى الغار ثم جاء
الى اخي فذبحه وانا اراه وسلخه وشواه واكله وحده حتى لم
يدع منه الا عظامه ثم استدعى الجارية فخرجت وجعلا يشربان
فلما توسط شربه جرني فلم اشك انه يريد ذبحي فاذا هو قد طرحني
في غار من تلك المغارات وحل كتافي واطبق الباب بصخرة عظيمة قال
فايست من الحياة وعلمت انه انما اخرني لغد فلما كان في الليل
لم احس الا بالمراة تكلمني فقلت ما لك فقالت ان هذا العبد قد سكر
ونام وهو يذبحك في غد كما ذبح صاحبك فان كانت لك قوة فاجتهد
في دفع الصخرة واخرج واقتله وانج بنفسك وبي فقلت وما انت
فقالت انا امراة من اهل البلد الفلاني ذات نعمة خرجت اريد
ارضا بالبلد الفلاني فخرج هذا فعدا على القافلة التي كنت
فيها فاستهلكها واخذني غصبا فانا منذ كذا وكذا شهرا على هذه
الصورة ويرتكب مني الحرام واشاهده يجد الناس واكله لهم
ولا يوصف لانسان بشدة بدن الا قصده ثم يقهره ثم يجيء
فياكله يعتقد ان شدته تنتقل اليه فاذا اخرج حبسني في الغار
وخلف عندي ماكولا وماء لايام ولو اتفق ان يحتبس عني فضل يوم
مت جوعا وعطشا فقلت اني والله ما اطيق قلع الصخرة قالت
ويلك فجرب نفسك قال فجئت الى الصخرة واعتمدتها بقوتي فتحركت
فنظرت فاذا قد وقعت تحت الصخرة حصاة صغيرة وقد صارت
الصخرة متركبة تركيبا صحيحا وذلك لما اراد الله سبحانه من خلاصي
فقلت لها ابشري ولم ازل اجتهد حتى زحزحت الصخرة شيئا امكنني

الخروج منه قال فخرجت واخذت سيف الاسود فاعتمدت بكلتا يدي
فضربت ساقيه فاذا قد ابنت احدهما وكسرت الاخرى فانتبه ورام
الوثوب فلم يقدر فضربته اخرى على حبل عاتقه فسقط فضربته اخرى
فابنت راسه وعدت الى المغارات فاخذت كلما وجدت فيها من عين
وورق وجوهر وثوب فاخر خفيف الحمل والمراة واخذت زادا
لايام وركبت راحلته واردفت المراة ولم ازل اسلك في طريق لا اعرفها
حتى وقفت على محجة سلكتها فافضت بي الى بعض القرى فحملت الراحلة
الى المراة واعطيتها نفقة تكفيها الى بلدها وسيرتها مع خفراء وعدت
الى بلدي بتلك الفوائد الجليلة وعاهدت الله عز وجل الا اتعرض
للطرق ولا للخفائر فانا اتاكر في ضياع اشتريتها من ذلك المال وغيره
واقوم بعمارتها واعيش من غلتها الى الآن **وعن رجل** كردي يعرف
بابي علي اغاز الى عمران بن شاهين من عبد حسنويه بن الحسن
الكردي وكان شجاعا قال خرجنا مرة بالجبال في ايام الموسم عددنا
سبعين رجلا من فارس وراجل فاعترضنا الحاج الخراسانية وكان
لنا عين في القافلة فعاد فعرفنا ان في القافلة رجلا من شاش
وفرغانه معه اثنى عشر جملا وجارية في قبة عليها حلي ثقيل فحملنا
اعيننا عليه حتى وثبنا عليه وهو والجارية في عماريته فقطعنا
قطاره وكتفناه وادخلناه وما معه بين الجبال ووقفنا على ما معه
وفرحنا بالغنيمة وكان للرجل برذون اصفر يساوي مائتي درهم
فلما رآنا نريد القفول قال يا فتيان هناكم الله بما اخذتم ولكنني
رجل حاج بعيد الدار فلا تتعرضوا لسخط الله بمنعي من الحج فاما المال
فيذهب ويجيء وتعلمون انه لا نجاة لي الا على هذا البرذون فاتركوه
علي فليس يبين ثمنه من الغنيمة التي اخذتموها فتشاورنا فقال شيخ
مجرب لا تردوه عليه واتركوه مكتوفا ههنا فان كان له اجل فسيقيض
له من يحل كتافه فكنت فيمن عزم على هذا وقال بعضنا ما مقدار دابة
بمائتي درهم حتى يمنعها رجل حاجا وجعلوا يرققون بقلوب الها قال
حتى سمعنا بذلك فاطلقناه ولم ندع عليه الا ثوبا يستر عورته فقال

يا فتيان انا اعرض هكذا او قد منتم علي ورددتم دابتي واخشى ان
ياخذها غيركم فاعطوني قوسي ونشابي اذب بها عن نفسي وفرسي
فقلنا انا لا نرد سلاحا على احد فقال بعضنا لبعض وما مقدار قوس
قيمتها درهمان وما نخشى من مثل هذا فاعطيناه قوسه ونشابه
وقلنا انصرف فشكرنا وودعنا ومضى حتى غاب عن اعيننا فلما كدنا
نسير والجارية تبكي وتقول انا حرة ولا يحل لكم ان تاخذوني فنحن
في هذا اذا بالرجل قد كر راجعا فقال يا فتيان انا لكم ناصح فانكم
قد احسنتم الي ولا بد لي من مكافاتكم على احسانكم بنصيحتي لكم
فقلنا ما نصيحتك فقال دعوا ما في ايديكم وانصرفوا سالمين
بانفسكم ولكم الفضل فانكم منتم على رجل واحد وانا امن
على سبعين رجلا منكم واذا قد انقلبت عيناه وخرج الزبد من
اشداقه كالجمل الهائج فهزئنا به وضحكنا فاعاد علينا النصيحة
وقال يا قوم قد مننت عليكم لا تجعلوا لي الى ارواحكم سبيلا فزادنا
غيظا عليه فقصدناه فحملنا عليه فانحاز عنا ورمى بخمس
نشابات كانت بيده فقتل بها منا خمسة فاخذ خمسا اخر وقال
ان جماعتكم تموت على هذا ان لم تخلوا عن ما في ايديكم فلم نزل ندافعه
ويقتل منا حتى قتل خمسين رجلا وبقي معه النشاب في جعبته
فقتل منا جماعة اخرى واضطرنا الى ان ترجلنا فحاز دوابنا
وحده وساقها قليلا ثم رجع فقال اطلبكم بحلمكم من رمى بسلاحه
فهو امن ومن تمسك به فهو بصر فرمينا سلاحنا فقال امضوا
آمنين واخذ جميع السلاح والدواب وفاتتنا الغنيمة والخيل
والسلاح وكان ذلك سبب توبتي من قطع الطريق انفة لما
لحقني منه وانا على ذلك الى هذا اليوم

الباب الثاني عشر من الجاه الخوف الى الهرب واستتار فادرك بامن ونجد بنعيم ومسار

عن محمد بن زكريا العلائي قال لغني الرشيد
يوما بهذا الشعر ألا هل الى شم الخزامى ونظرة ... الى قرقرى قبل الممات سبيل
فيا اثلات القاع من بطن توضح ... حنيني الى اطلالكن طويل

اريد نهوضا نحوكم فيصدني ... اذا رمته دين علي ثقيل
قال مؤلف الكتاب وفي غير هذه الرواية
وما اثلات القاع قد مل صحبتي ... صحابي فهل في ظلكن مقيل
احدث نفسي عنك ان لست راجعا ... اليك فحزني في الفؤاد دخيل
رجع الحديث فاستحسن الرشيد الشعر وسال عن قائله فعرف انه
ليحيى بن طالب الحنفي اليمامي فقال هو حي ام ميت فقال بعض الحاضرين
هو حي كميت فقال ولم قال هرب من اليمامة لدين عليه ثقيل فصار الى
الري فامر الرشيد ان يكتب الى عامله بالري يعرفه ذلك وان يدفع اليه
عشرة الاف درهم ويحمل الى اليمامة على دواب من البريد وكتب الى عامله
باليمامة بقضاء دينه فلما كان بعد ايام قال الرشيد لمن حضره ان الكتب
وردت بامتثال ما امرتهما به وعاد يحيى الى وطنه موسرا وقد قضي
دينه عنه من غير سعي منه في ذلك **ذكر محمد بن عبدوس** في كتابه كتاب
الوزراء قال حدثني عبد الواحد بن محمد يعني الحصيني قال حدثني
يموت بن المزرع قال كان العتابي يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد
وكثر عليه في امره فامر عليه بامر غليظ فهرب الى اليمن وكان مقيما
فيها على خوف وتوق فاحتال يحيى بن خالد الى ان سمع الرشيد شيئا
من خطبه ورسائله فاستحسن الرشيد ذلك وسال عن الكلام لمن هو
فقال يحيى بن خالد هذا كلام العتابي وان حضر حتى يسمع منه الامين
والمامون ويضع لهما خطبا لكان في ذلك صلاح لهما فامنه وامر
باحضاره واتصل خبره بالعتابي فقال يمدح يحيى بن خالد
ما زلت في سكرات الموت مطرحا ... قد غاب عني وجه الارض من حيلي
فلم تزل دائبا تسعى لتنقذني ... حتى اختلست حياتي من يد الاجل
ذكر في بعض كتب الدولة ان ابا سلمة الخلال لما قوي الدعاة وشارفوا
العراق وقد ملكوا خراسان وما بينها وبين العراق استدعى بني
العباس فسترهم في منزله بالكوفة وكان له سرداب فجعل فيه جميع
من كان حيا في ذلك الوقت من ولد عبد الله بن العباس وفيهم السفاح
والمنصور وعيسى بن موسى وهو يراعي الاخبار وكان الدعاة يامرون

بقصده اذا ظهروا وغلبوا على الكوفة ليصرفهم الامام فيسلمون الامر اليه
فلما اوقع قحطبة وابن هبيرة الوقعة العظيمة على الفرات وغرق قحطبة
وانهزم ابن هبيرة فلحق بواسط فتحصن بها ودخل ابنا قحطبة الكوفة
بالعسكر كله قالوا لابي سلمة اخرج الينا الامام فدافعهم وقال لم يحضر الوقت
الذي يجوز فيه ظهور الامام واخفى الخبر عن بني العباس وعمل على نقل الامر
عنهم الى ولد فاطمة رضي الله عنهم وكاتب جماعة منهم فتاخروا عنه وساء
ظن بني العباس فاحتالوا حتى اخرجوا مولى لهم اسود كان معهم في السرداب
فقالوا له اعرف لنا الاخبار فصار يعرفهم ان قحطبة غرق وان ابن هبيرة
انهزم وان ابني قحطبة قد دخلا الكوفة بالعسكر منذ كذا فقالوا اخرج
فاعرض لابني قحطبة واعلمهما بمكاننا ومرهما ان يكبسا الدار علينا ويخرجانا
فخرج المولى وكان حميد بن قحطبة عارفا به فتعرض له فلما راه اعظم
رؤيته وقال ويلك ما فعل ساداتنا واين هم فخبره بخبرهم وادى
اليه رسالتهم فركب في قطعة من الجيش وابو سلمة غافل فجاء حتى ولج
الدار واراه الاسود السرداب فدخل ومعه نفر من الجيش فقال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فقالوا وعليكم السلام فقال ايكم ابن الحارثية
وكانت ام ابي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله وكان
ابراهيم بن محمد الذي يقال له الامام لما بث الدعاة قال لهم ان حدث
بي حدث فالامام ابن الحارثية الذي معه العلامة وهي ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين
ونمكن لهم في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون فلما قال ابن قحطبة
ايكم ابن الحارثية فقال ابن قحطبة ابتدرا ابو العباس وابو جعفر
كلاهما يقول انا ابن الحارثية فقال ابن قحطبة فايكم معه العلامة
فقال ابو جعفر فعلمت اني قد اخرجت من العلامة لانه لم يكن معي
علامة فقال ابو العباس ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض وتلا الآية فقال له حميد بن قحطبة السلام عليك يا امير
المؤمنين ورحمة الله وبركاته مد يدك فبايعه ثم انتضى سيفه
فقال بايعوا امير المؤمنين فبايعه اخوته وبنو عمه وعمومته والجماعة

التي كانت معه في السرداب واخرجه الى المنبر بالكوفة واجلسه عليه فحصر ابو العباس عن الكلام فتكلم عنه عمه داود بن علي فقام دونه بمرقاة وجاء ابو سلمة وقد استوحش وخاف فقال حميد يا ابا سلمة زعمت ان الامام لم يقدم بعد فقال ابو سلمة انما اردت ان ادفع بخروجهم الى ان يهلك مروان فان كانت لهم كرة لم يكونوا قد عرفوا بها فيهلكوا وان هلك مروان اظهرت امرهم على ثقة فاظهر ابو العباس قبول هذا العذر منه واقعده الى جانبه ثم دبر عليه بعد مدة حتى قتله وقد دار هذا الخبر على جهة السياقة **قالوا** قدم ابو العباس السفاح واهله على ابي سلمة سرا فستر امرهم وعزم ان يجعلها شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا منهم ما ارادوا ثم قال اخاف ان لا يتفق الامر فعزم ان يعدل بالامر الى ولد علي بني الحسن والحسين رضي الله عنهم ثلاثة نفر منهم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم اجمعين ووجه بكتبه مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة فبدا بجعفر بن محمد فلقيه ليلا فاعلمه انه رسول ابي سلمة وان معه كتابا اليه فقال ما انا وابو سلمة هو شيعة لغيري فقال له الرسول تقرا الكتاب وتجيب عنه بما رايت فقال جعفر لخادمه قرب مني السراج فقربه فوضع عليه كتاب ابي سلمة فاحرقه فقال الا تجيب عنه فقال قد رايت الجواب ثم اتى عبد الله بن الحسين فقبل كتابه وركب الى جعفر فقال جعفر امر جاء بك يا ابا محمد لو اعلمتني لجئتك فقال واي امر هو مما يجل عن الوصف فقال وما هو قال هذا كتاب ابي سلمة يدعوني الى الامر ويراني احق الناس وقد جاءه شيعتنا من خراسان فقال له جعفر رضي الله عنه ومتى صاروا شيعتك انت وجهت ابا مسلم الى خراسان وامرته بلبس السواد تعرف احدا منهم باسمه ونسبه قال لا قال كيف يكونون شيعتك وانت لا تعرف واحدا منهم ولا يعرفونك فقال عبد الله هذا الكلام كان منك لشيء فقال جعفر قد علم الله تعالى اني اوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف ادخره عنك فلا

تمنين نفسك الاباطيل فان هذه الدولة ستتم لهؤلاء القوم وما هي لاحد من ولد ابي طالب وقد جاءني مثل ما جاءك فانصرف غير راض بما قال له واما عمر بن علي بن الحسين فرد عليه الكتاب وقال لا اعرف من كتبه قال وابطا امر ابي سلمة على ابي العباس ومن معه فخرج اصحابه يطوفون بالكوفة فلقي حميد بن قحطبة ومحمد بن صول من مواليهم فعرفاه لانه كان يحمل كتب محمد بن علي وابراهيم بن محمد اليه فسالاه عن الخبر فاعلمهما ان القوم قد قدموا وانهم في سرداب يعرف ببني اود فصارا الى الموضع فسلما عليهم وقالا ايكما عبد الله فقال المنصور وابو العباس كلانا عبد الله فقالا ايكما ابن الحارثية فقال ابو العباس انا فقالا السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فدنوا فبايعوه واحضروه الى المسجد الجامع فصعد ابو العباس المنبر فحصر وتكلم عنه عمه داود بن علي وقام دونه بمرقاة

وعن طارق بن المبارك عن ابيه قال جاءني رسول عمرو بن عتبة فقال لي يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة وانا حديث السن كثير العيال منتشر الاموال فما اكون في قبيلة الا وشهر امري وقد عزمت ان افدي حرمي بنفسي وانا صائر الى باب الامير سليمان بن علي فصر الي فوافيته فاذا عليه طيلسان مطبق ابيض وسراويل وشي مسدود فقلت سبحان الله ما تصنع الحادثة باهلها ايها الانسان تلقى هؤلاء القوم الذين تريد لقاهم وعليك مثل هذا قال والله ما ذهب علي ذلك ولكن ليس عندي ثوب الا اشهر من ذلك فاعطيته طيلساني واخذت طيلسانه ولويت سراويله الى ركبته فدخل ثم خرج مسرورا فقلت حدثني ما جرى بينك وبين الامير قال دخلت اليه ولم يرني قط فقلت ايها الامير لفظتني البلاد اليك ودلني فضلك عليك فاما قبلتني غانما واما رددتني سالما فقال من انت فانتسبت اليه فقال مرحبا اقعد فتكلم غانما مسرورا ثم اقبل علي وقال ما حاجتك يا ابن اخي فقلت ان الحرم اللواتي انت اقرب الناس اليهن قد خفن بخوفنا ومن

خاف خيف عليه فوالله ما اجابني عليه الا بدموعه تسيل على خديه فقال يا ابن اخي يحقن الله دمك ويحفظك في حرمك ويوفر عليك مالك والله لو امكنني ذلك في جميع اهلك لفعلت ولكن كن متواريا كظاهر وآمنا كخائف ولتاتيني رقاعك قال وكان والله يكتب اليه كما كان يكتب الرجل الى ابن عمه قال فلما فرغ من كلامه رددت عليه طيلسانه فقال مهلا فان ثيابنا اذا اخرجت عنا لم ترجع الينا

ووجدت هذا الخبر باسناد ليس هو لي برواية عن العتبي قال حدثنا طارق الزراع البصري ولم يتجاوزه قال قدم جدك عمرو بن معاوية البصري حين نكب بنو امية قال فجعل لا ينزل بحي الا اجهزوه واشتهر وهبته فقال لي اذهب بنا اضع يدي في يد هذا الرجل يعني سليمان بن يحيى وذكر نحوه وقال في آخره فلما صار عمرو الى منزله دفعت اليه ثوبه وطلبت ثوبي فردهما علي جميعا وقال انا لم ناخذ ثوبك لنحبسه ولم نعطك ثوبنا لنرده

عن عبد الله بن قيس الرقيات قال لما خرجت مع مصعب ابن الزبير حين بلغه شخوص عبد الملك بن مروان فلما نزل مصعب مسكن وتبين الغدر ممن معه دعاني ودعا بمال فملا المناطق من ذلك المال والبسني منها وقال امض حيث شئت فاني مقتول فقلت لا والله لا اريم حتى آتي سبيلك فاقمت معه حتى قتل ومضيت الى الكوفة فاول بيت دخلته فاذا فيه امراة معها بنتان لها كانهن ظبيتان فرقيت في درجة لها الى مشرف فقعدت قال فاصعدت لي ما احتاج اليه من الطعام والشراب والفرش والماء والوضوء فاقمت كذلك عندها اكثر من حول تقوم بكل ما يصلحني وتغدو علي في كل صباح فتسالني عن حوائجي فما سالتني من انا ولا انا سالتها من هي وانا في ذلك اسمع الصياح في والجعل فلما طال بي المقام وفقدت الصياح في والجعل وعرضت بمكاني عادت علي تسالني ما الصياح والحاجة فاعلمتها اني قد عرضت بموضعي واحببت الشخوص الى اهلي فقالت لي

ياتيك ما تحتاج اليه ان شاء الله تعالى قال فلما امسيت وضرب الليل بارواقه رقت الي وقالت ان شئت فنزلت وقد اعدت راحلتين عليهما جميع ما احتاج اليه ومعهما عبد واعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراحلتان لك فركبت وركب معي العبد حتى اتيت مكة فدققت منزلي فقالوا من انت يا هذا فقلت عبد الله ابن قيس الرقيات فولولوا وبكوا وقالوا ما رزقنا طلبك الا في هذا الوقت فوقفت عندهم حتى اسحرت فنهضت فقدمت المدينة ومعي العبد فجئت الى عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وهو يعشي اصحابه فجلست معهم وجعلت اتعاجم واقول بار بار ايطيار فلما خرج اصحابه كشفت له عن وجهي فقال ابن قيس عائذا بك فقال ويحك ما اجدهم في طلبك واحرصهم على الظفر بك ولكني اكتب الى ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي زوجة الوليد بن عبد الملك وعبد الملك ارق شيء عليها فكتب اليها يسالها ان تشفع الى عمها عبد الملك كما كان يفعل وسالها هل من حاجة فقالت نعم حاجة قال فقد قضيت كل حاجة وان كانت ابن قيس الرقيات فقالت لا تستثنين علي ونفخ بيده فاصاب حر وجهها فوضعت يدها على خدها فقال لها ارفعي يدك فقد قضيت كل حاجة وان كانت ابن قيس الرقيات فقالت حاجتي ابن قيس الرقيات تؤمنه فقد كتب الي يسالني ان اسالك قال فهو آمن قالت فمره يحضر المجلس العشية فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك قال فاخر الاذن ثم اذن للناس واخر اذن ابن قيس حتى اخذ الناس مجالسهم ثم اذن له فلما دخل عليه قال عبد الملك يا اهل الشام اتعرفون هذا قالوا لا قال ابن قيس الرقيات الذي يقول

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن خدام العقيلة العذراء

فقالوا يا امير المؤمنين اسقنا دم هذا المنافق قال الآن وقد امنته وصار في منزلي وعلى بساطي وقد

اخرت الاذن لتقتلوه فلم تفعلوا فاستاذن له ابن قيس ان ينشده
مديحه فاذن له فانشده قصيدته التي يقول فيها

عاد له من كثيرة الطرب ، فعينه بالدموع تنسكب
كوفية نازح محلتها ، لا امم دارها ولا صقب
والله ما ان صبت الي ولا ، يعرف بيني وبينها سبب
الا الذي اورثت كثيرة في ، القلب وللحب سورة عجب

حتى قال فيها ان الاغر الذي ابوه ابو ، العاصي عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه ، على جبين كانه الذهب

فقال له عبد الملك يا ابن قيس امدحني بالتاج كاني من العجم وتقول
في مصعب بن الزبير انما مصعب شهاب من الله ، تجلى عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رافة ليس فيه ، جبروت منه ولا كبرياء

اما الامان فقد سبق لك ولكن والله لا تاخذ مع المسلمين عطاء ابدا
واخبرني ابو الفرج المعروف بالاصفهاني عن حماد بن اسحاق عن
ابيه ان عبد الله بن قيس الرقيات منعه عبد الملك بن مروان
عطاه من بيت المال وطالبه ليقتله فاستجار بعبد الله بن جعفر
وقصده فالقاه نائما وكان صديقا لسايب خاثر فطلب الاذن
على ابن جعفر فتعذر فجاء سايب خاثر ليستاذن له فقال له
سايب خاثر فجئت من قبل رجل عبد الله بن جعفر فنبحت بنباح
الجرو الصغير فانتبه ولم يفتح وركلني برجله قال فدرت الى عند
راسه فنبحت نباح الكلب الهرم فانتبه وفتح عينه فقال مالك
ويلك فقلت ابن قيس الرقيات بالباب فقال ائذن له فاذنت
له فدخل فرحب به عبد الله بن جعفر وقربه فعرفه ابن قيس
خبره فدعى بظبية فيها دنانير فقال عد لي ما فيها فجعلت اعد
له واطرب واحسن صوتي بجهدي حتى عددت ثلثماية دينار
وسكت فقال عبد الله بن جعفر ويلك سكت ما هنا وقت
قطع الصوت الحسن فجعلت اعد ما في الظبية وفيها ثمانماية دينار
قد فعتها اليه فلما قبضها قال لابن جعفر تسال امير المومنين

في امري قال نعم اذا دخلت ودعا بالطعام فاكل اكلا فاحشا وركب
ابن جعفر فدخل معه الى عبد الملك فلما قدم الطعام جعل يسيء الاكل
فقال عبد الملك لابن جعفر من هذا قال هذا رجل لا يجوز ان يكون
كاذبا ان استبقي وان قتل كان اكذب الناس قال كيف قال لانه يقول

ما نقموا من بني امية الا ، انهم يحلمون ان غضبوا

فان قتلته بغضبك عليه اكذبته فيما مدحكم به قال فهو آمن ولكن
لا اعطيه عطاء من بيت المال قال ولم وهبته لي واحب ان تهب
عطاءه ايضا كما وهبت لي دمه قال قد فعلت وامرت له بذلك عن
حماد الراوية قال كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك وكان
هشام يجفوني لذلك دون سائر اهله من بني امية في ايام يزيد
فلما مات يزيد وافضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي
سنة لا اخرج الا الى من اثق به من اخواني سرا فلما لم اسمع احدا
يذكرني امنت فخرجت فصليت الجمعة عند باب الفيل فاذا
بشرطيين قد وقفا علي فقالا يا حماد اجب الامير يوسف بن عمر
فقلت في نفسي من هذا كنت احذر ثم قلت للشرطيين هل لكما
ان تدعاني آتي اهلي فاودعهم وداع من لا يرجع اليهم ابدا
ثم اصير معكما فقالا ما الى ذلك سبيل فاستسلمت في ايديهما
فصرت الى يوسف بن عمر وهو في الايوان الاحمر فسلمت عليه
فرد علي السلام ورمى الي كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
عبد الله هشام امير المومنين الى يوسف بن عمر اما بعد فاذا
قرات كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من ياتيك به من غير
ان يروع ولا يتعتع وادفع اليه خمسماية دينار وجملا مهريا
يسير عليه اثنتي عشرة ليلة الى دمشق فاخذت الخمسماية دينار
فاذا جمل مرحول فجعلت رحلي في الغرز وسرت اثنتي عشرة ليلة
حتى وافيت دمشق ونزلت على باب هشام فاستاذنت عليه
فاذن لي فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام وبين
كل رخامتين قضيب ذهب وحيطانه كذلك وهشام جالس على

طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر قد تضمخ بالمسك والعنبر وبين
يديه مسك مفتوت في اواني ذهب يقلبه بيده فيفوح روايحه
فسلمت عليه فرد علي واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله
واذا جاريتان لم ار مثلهن قبلهما عنده وفي اذن كل واحدة منهن
حلقتان فيهما لولوتان تتوقدان فقال لي كيف انت يا حماد وكيف
حالك قلت بخير يا امير المومنين قال اتدري فيم بعثت اليك
لبيت خطر في بالي لم ادر من قائله قلت وما هو قال

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت ، قينة في يمينها ابريق

فقلت هذا يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة له قال انشدنيها
فانشدته بكر العاذلون في وضح الصبح ، يقولون لي الا تستفيق

ويلومون فيك يا ابن عبد الله ، والقلب عندكم موهوق
لست ادري اذا اكثر العذل فيها ، اعدو يلومني ام صديق
زانها حسنها وفرع عميم ، واثيث صلت الجبين انيق
وثنايا مفلجات عذاب ، لا قصار ترى ولاهن روق
فدعوا بالصباح يوما فجاءت ، قينة في يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الديك ، صفى سلافها الراووق
ثم كان المزاج ماء سحاب ، لا صرى آجن ولا مطروق

قال فطرب ثم قال احسنت يا حماد والله يا جارية اسقيه فسقتني
شربة ذهبت بثلث عقلي وقال اعد فاعدته فاستخفه الطرب
حتى نزل عن فراشه ثم قال للجارية الاخرى اسقيه فسقتني
شربة ذهبت بثلث عقلي فقلت ان سقيته الثالثة افتضحت
فقال لي سل حوايجك قلت كائنة ما كانت قال نعم قلت احدى
الجاريتين فقال هما جميعا لك بما عليهما وما لهما ثم قال للاولى
اسقيه شربة فسقتني فسقطت منها فلم اعقل حتى اصبحت
فاذا بالجاريتين عند راسي واذا عشرة من الخدم مع كل واحد منهم
بدرة فقال لي احدهم ان امير المومنين يقرا عليك السلام ويقول
لك خذ هذه فانتفع بها في سفرك فاخذتها والجاريتين وانصرفت

بلغ

عن عبد الله بن عمران ابي فروة قال كان عبد الله بن الحجاج
التغلبي من اشراف قيس وكان مع ابن الزبير فلما قتل دخل عبد
الله على عبد الملك بن مروان ليلا وهو يتعشى مع الناس
فجلس واكل معهم ثم وثب فقال

منع القرار فجئت نحوك هاربا ، جيش يجر ومقنب يتلمع

فقال اي الاخابيث انت فقال

ارحم اصيبية هديت كانهم ، حجل تدرج بالشربة جوع

فقال اجاع الله بطونهم فانت اجعتهم فقال

مال لهم مما تظن جمعته ، يوم القليب فحيز عنهم اجمع

وفي رواية اخرى مالي مما جمعته وحزته قال كسب سوء خبيث
فقال ولقد وطئت بنو سعيد وطاة ، وابن الزبير فعرشه متضعضع

وارى الذين رجوا تراث محمد ، افلت نجومهم ونجمك يسطع

فقال الحمد لله على ذلك فقال

ادنو لترحمني وتقبل توبتي ، واراك تدفعني فاين المدفع

فقال الى النار فقال

ضاقت ثياب الملبسين فاولني ، عرفا والبسني فثوبك اوسع

قال فرمى اليه بطرف خز كان عليه ثم قال امنت والله فقال له
عبد الملك كن من شئت الا عبد الله بن الحجاج فقال والله
ما انا الا هو وقد امنتني اكلت طعامك ولبست ثيابك فاي
خوف علي قال اولى ما هناك الا جدك وامضى له الامان
ووجدت في بعض كتبي هذا الخبر ان ابن الزبير لما قتل
اهدر عبد الملك دم عبد الله بن الحجاج هذا فاشتد عليه
طلبه فجاء ليلا ولم يكن عبد الملك يجمع بين اسمه ووجهه فجلس
بين الناس مستخفيا على الطعام الى ان اكل وتحرم وراءه عبد
الملك ثم قام وقال الابيات وموضوع هذا الخبر يدل على هذا
ولعله سقط من الرواية المتقدمة والله اعلم عن ابي طالوت
كاتب ابن طاهر قال سمعت الفضل بن الربيع يقول لما استترت

من المامون اخفيت نفسي على عيالي وولدي وكنت انتقل وحدي
فلما قرب المامون من بغداد ازداد حذري وخوفي على نفسي فتشددت
في الاحتياط والتواري فافضيت الى منزل بزاز كنت اعرفه في
درب على باب الطاق وتشدد المامون في طلبي فلم يعرف لي خبرا
فتذكرني يوما فاغتاظ على اسحاق بن ابراهيم وجد به في طلبي
فاغلظ له فخرج اسحاق من حضرته وجد باصحاب الشرط
واوقع ببعضهم المكاره ونادى في الجانبين من جاء به فله
عشرة آلاف درهم واقطع غلته ثلاثة آلاف دينار في كل
سنة وان من وجد عنده بعد النداء ضرب خمسمائة سوط
واخذ ماله وهدمت داره وحبس طول عمره ونودي بذلك
عشاء فما شعرت بصاحب الدار حتى دخل علي فاخبرني
بخبر النداء وقال والله ما اقدر بعد هذا على حفظ روحك
ولا آمن على زوجي وغلماني وجاريتي ان تشره نفوسهم الى
المال فيدلون عليك واهلك بهلاكك فان صفح الخليفة
عنك لم آمن ان تتهمني اني دللت عليك فيكون ذلك اقبح
وليس الراي لك ولا لي الا ان تخرج فورد علي اعظم وارد
فقلت اذا جاء الليل خرجت عنك قال ومن يطيق الصبر على
هذا وهذا وقت حار وقد طال عهد الناس بك فتنكر واخرج
قلت كيف اتنكر قال تاخذ لحيتك وتغطي راسك وتلبس
قميصا ضيقا وتخرج فقلت افعل فجاء بمقراض فاخذ اكثر
لحيتي وتنكرت وخرجت في اول اوقات العصر وانا ميت خوفا
فمشيت في الشارع حتى بلغت الجسر فوجدته قد رش وهو
متزلق فلما توسطته فاذا بفارس من الجند الذين كانوا ينوبون
في داري ايام وزارتي فقرب مني وقال طلبة امير المؤمنين
والله وعدل الي ليقبض علي فمن حلاوة النفس دفعته
ودابته فزلق ووقع في بعض سفن الجسر وتعادى الناس
لخلاصه وظنوا انه زلق بنفسه وتشاغل بهم وزدت انا

في المشي ولم اعد لئلا ينكر حالي الى ان عبرت الجسر ودخلت درب سليمان
فوجدت امراة على باب دار مفتوح فقلت لها يا امراة انا خائف من
القتل فاجيريني واحفظيني فقالت ادخل واومات الى غرفة فصعدت
اليها فلما كان بعد ساعة فاذا زوجها على الباب ففتحته فدخل
زوجها فتاملته فاذا هو صاحبي على الجسر وهو مشدود الراس
من شجة لحقته وسالته المراة عن خبره فاخبرها بالقصة
وقال لها قد زمن دابتي وانفذتها للتباع في اللحم وقد فاتني الغناء
وجعل يشتمني وهو لا يعلم بحصولي معه في الدار واقبلت المراة
ترفق به الى ان هدا فلما صليت المغرب واختلط الظلام صعدت
المراة الي وقالت اظنك صاحب القصة فقلت نعم قالت قد
سمعت ما عنده فاتق الله واخرج فدعوت لها ونزلت ففتحت
الباب فتحا رفيقا وكانت الدرجة في الدهليز فافضيت الى الباب
فلما انتهيت الى آخر الدرب وجدت الحراس قد اغلقوا فتحيرت
فرايت رجلا يفتح بابا بمفتاح رومي فقلت هذا رومي وهو ممكن
يقبل مثلي فدنوت منه وقلت استرني سترك الله قال ادخل فدخلت
فرايت رجله فقيرا وحيدا فاقمت ليلتي فبكر من غد ثم عاد
نصف النهار ومعه حمالان على احدهما حصير ومخدة وجرار
وكيزان وغضاير جدد وقدر جديد وعلى الآخر خبز وفاكهة
ولحم وثلج فدخل فترك ذلك كله عندي واغلق الباب فنزلت وعذلته
وقلت له لم تكلفت هذا فقال انا رجل مزين واخاف ان تستقذرني
فاطبخ فافردت لك ذلك واطعمني في غضارة اجي بها من عندي
فشكرته على ذلك وكنت عنده ثلاثة ايام فلما كان اليوم الثالث
ضاق صدري فقلت له في ليلة اليوم الرابع الضيافة ثلاثة وقد
احسنت واجملت واريد الخروج فقال لا تفعل فاني وحيد ولا امرك
وخبرك لا يخرج من عندي ابدا فاقم الى ان يفرج الله عنك فلست
اتثاقل بك فابيت للحين قال فخرجت حتى بلغت باب التبن الى دار
عجوز من موالينا فدققت الباب عليها فخرجت فلما راتني بكت وحمدت

الله عز وجل على رؤيتي وادخلتني الدار فلما كان في السحر وانا نائم
بكرت فسعت الى ابواب اسحاق فما شعرت الا باسحاق نفسه بخيله
ورجله قد احاط بالدار فكبسها ثم اخرجني منها حتى وقفت بين
يدي المامون حافيا حاسرا فلما ابصرني سجد طويلا وقال يا فضل
اتدري لم سجدت قلت نعم شكرا لله تعالى اذ اظفرك بعدوك
وعدو دولتك والمغري بينك وبين اخيك قال ما اردت هذا
ولكن سجدت شكرا لله على ما الهمنيه من العفو عنك حدثني بخبرك
فشرحته له من اوله الى آخره فامر باحضار المراة مولاتنا وكانت
في الدار تنتظر الجايزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع انعامه
وانعام اهله عليك قالت رغبت في المال فقال هل لك زوج او ولد
او اخ قالت لا فامر بضربها مائتي سوط وتخليدها في الحبس ثم
قال لاسحاق احضر الساعة الجندي وامراته والمزين فاحضروا
واستثبتني فيهم فعرفته انهم القوم باعيانهم وسال الجندي عن
السبب الذي حمله على فعله قال الرغبة فوالله هو الذي انجعني
في الجيش ولكن رغبت في المال العاجل قال انت بان تكون حجاما
اولى منك بان تكون في اوليائنا وامر بان يسلم الى المزينين ووكل
به من يعسفه حتى يتعلم الحجامة وامر بامراته ان تستخدم في دور
قهرمية وقال هذه امراة عاقلة دينة وامر بتسليم دار الجندي
واطلقني الى داري فرجعت آمنا مطمئنا ووجدت هذا بخلاف
هذا في كتاب ابن عبدوس كتاب الوزراء فانه ذكر ان الفضل بن
الربيع استتر فطال استتاره واستعجمت عليه الاخبار فغير
الزي وخرج في السحر وكان استتر بناحية الحربية من الجانب
الغربي يمشي وهو لا يعلم اين يقصد لحرمته وبعد عهده الطريق
فاداه المشي الى الجسر وقد اسفر الصبح فايقن بالعطب وقصد
منزلا لرجل كانت بينه وبينه مودة بسويقة نصر فلما صار ببعض
المشارع سمع النداء عليه ببذل عشرة آلاف درهم فخفي بجاوزه
الركبان والمنادي ومشى فاتاه رجل وقال له يا فضل فكان في لحد

جابني الطريق غير الجانب الذي كان فيه فاتاه الى الجانب الذي هو فيه
ليقبض عليه فاعترضه حمير وجمال عليها جص ونظر الفضل يمينا
وشمالا فلم يجد مذهبا وبصر بدرب فدخله فوجده لا ينفذ وفي
صدره باب مفتوح فهجم على الدار وفيها امراة فسترته وبادرت
الى الباب ثم اغلقته وناشدها الله ان تستره الى الليل فامرته
بالصعود الى غرفة لها فلم يستقر به الصعود حتى دق الباب
وفتح فدخل الرجل الذي رآه واراد ان يقبض عليه واذا المنزل
له فقال لزوجته فاتني الساعة عشرة آلاف درهم قالت له وكيف
ذاك قال لها مر بي الفضل فقالت له امراته احمد الله عز وجل
الذي كفاك امره وبقي دينك عليك ولم تكن سببا لسفك دمه
او مكروه يلحقه فلما خرج صعدت اليه فقالت له قد سمعت وما
هذا بمنزلك فخرج الى بعض منازل معامليه فلما صار سال له
عن خبره فشرحه له فامر للمراة بثلاثين الف درهم وقال للرسول
قل لها يقول لك الفضل هذا جزاك على ما فعلت فردتها وقالت
لست آخذ على شيء فعلته لله تعالى جزاء الآمنة عن الفضل
ابن هامان السيرافي وكان معروفا بسلوك اقصى البحر قال قال
لي رجل من بعض بياسرة الهند البيسرة والبيسر هو المولود على
ملة الاسلام في بلاد الهند قال كان في بلد من بلاد الهند ملك
حسن السيرة وكان لا ياخذ ولا يعطي بمواجهة وانما كان يقلب
يده الى ظهره فياخذ ويعطي بها اعظاما منهم للملك وسنة لهم
هناك ولاولادهم واتفق في وثب رجل من غير اهل المملكة فاحتوى
على ملكه وهرب ابن له كان يصلح للملك خوفا على نفسه من المتغلب
ورسم ملوك الهند ان الملك اذا قام من مجلسه لاي حاجة عرضت
له كان عليه صدرة قد جمع فيها كل نفيس وفاخر من اليواقيت
والجواهر مضروب بالابريسم في الصدرة ويكون فيها من الجواهر
ما لو اراد ان يقيم به ملكه لاقامه قال ويقولون ليس بملك من ان
قام عن مجلسه وليس له ان حدثت عليه حادثة فهرب ان امكنه

اقامة الملك عنه فلما حدث على الملك تلك الحادثة اخذ ابنه صُدرته
فهرب بها فحكى عن نفسه قال مشيت ثلاثة ايام ولم اطعم طعامًا
ولم يكن معي فضة ابتاع بها ماكولاً ولم اقدر على اظهار ما معي وانفت
ان استطعم قال فجلست على قارعة الطريق فاذا رجل هندي على
كتفه كارة فحطها وجلس حذائي فقلت اين تُريد فقال الحرام ومعنى
الحرام الرستاق فقلت وانا ايضًا اريدُ الحرام فنصطحبُ فقال نعم
وطمعت في ان يعرض علي شيئًا من ماكوله قال فحل الكارة واكل
وانا اراه ولم يعرض علي ولم تقو نفسي على ان ابتدئه بالسؤال
فلما فرغ قام يمشي فمشيتُ معه وبتّ طمعًا في ان تحمله المواساة
على العرض فعمل بالليل كما عمل بالنهار قال واصبحنا في غد فمشينا
فعاملني بمثل ذلك على اربعة ايام قال فصار لي سبعة ايام ما ذقت
فيها شيئًا فاصبحت في الثامن ضعيفًا مرسومًا لا قدرة لي على
المشي فعدلت عن الطريق وفارقت الرجل فرايتُ قومًا يبنون
وقيّمًا عليهم فقلتُ للقيم استعملني مثل هؤلاء باجرة تعطينيها
عشاء فقال نعم ناولهم الطين قلت عجل لي اجرة يوم ففعل فابتعتُ
بها ما اكلته وقلت انا ولهم الطين فكنت كعادة الملوك اقلبُ
يدي الى ظهري فاعطيهم الطين فاذا ذكرت ان ذلك خطأ ينبّهُ على
سفك دمي اباد ربتلا في ذلك فاردّ بسرعة من قبل ان يفطنوا في
قال فلمحتني امراة فاخبرت سيدتها خبري وكانت صاحبة البناء
وقالت لابدّ هذا ان يكون من اولاد الملوك قال فتقدّمت الى
القيّم بحبسي عن المضي الى الصنّاع فحبسني وانصرف الصنّاع
وجاءني بالدهن والعرو قالاغتسل بهما وهذه تقدمة اكرامهم
وسنة لعظمائهم فتغسلت بذلك وجاؤني بالارزّ والسمك
فطعمت فعرضت المراة نفسها على التزويج فاجبتُ وعقد
ودخلت بها من ليلتي واقمت معها اربع سنين اربّ حالها وكانت
لها نعمة متوسطة فانا يومًا جالس على باب دارها فاذا رجل من
بلدي فاستدعيته فجاء فقلت له من اين انت فقال من بلد كذا وكذا

فذكر بلدي فقلتُ ما تصنع ههنا قال كان فينا ملك حسن السيرة
فمات فوثب على ملكه رجل ليس من اهل بيت الملك وكان للملك الاول
ابن يصلح للملك فخاف على نفسه فهرب وان المتغلب اساء عشرة
رعيته فوثبنا عليه فقتلناهُ وانبثثنا في البلدان من يطلب ابن
ذلك المتوفي فنجلسه مكان ابيه فما نعرف له خبرًا فقلتُ له اتعرفني
قال لا فقلت انا طلبتكم قال فاعطيته العلامات فعرف صحة
ما ذكرته له فكفر لي فقلت اكتم امرنا الى ان ندخل الناحية قال
افعل قال فدخلت الى المراة فاعلمتها الخبر وحدّثتها حديثي كله
واعطيتها الصدُرة وقلت هذه قيمتُها كذا ومن حالها كذا
وكذا وانا ماض مع الرجل فان كان ما ذكره صحيحًا فالعلامة ان
يجيئك رسولي بالعلامة فانهضي وان كانت مكيدة فالصدرة
لك قال ومضى الرجل وكان الامر صحيحًا فلما قرب من البلد
استقبلوهُ بالتكفير واجلسوه في الملك وانفذ الى زوجته من
حملها ومعها الصدُرة فحين اجتمع شمله واستقام امره امر
فبنيت له دار ضيافة وامر ان لا يجوز في عمله مجتاز الا حمل عليها
فيضاف فيها ثلاثة ايام ويزوّد لثلاثة ايام اُخر وكان الملك يراعي
ذلك الذي صحبه في سفره مقدرًا ان يقع في يديه فلما كان بعد
حول استعرض الناس وكان يستعرضُ في كل يوم فلا يرى الرجل
فيهم فيفرقهم فلما كان في ذلك اليوم راى الرجل فيهم فحين
وقعت عينه عليه اعطاه ورقة تابول وهذا علامة غاية
الاكرام وغاية الاعظام اذا فعله الملك برعيته قال فحين
فعل الملك ذلك بالرجل كفر له وقبّل الارض فامرهُ الملك بالنهوض
ونظر اليه فاذا هو ليس يعرف الملك بتغيير احواله واحسان
ضيافته فنفعل ثم استدعاهُ فقال اتعرفني فقال وكيف لا اعرف
الملك وهو من علوّ شانه وعظم سلطانه بحيث هُو قال لم ارد
هذا اتعرفني من قبل هذه الحال قال لا فذاكره الملك بالحديث
والقصّة بمنعه اياه الطعام فاطعم الرجل فلما اراد النوم الملك

قال لزوجته امضي فغمزيه حتى ينام قال فجاءت المراة فلم تزل تغمزه الى
ان نام فجاءت الى الملك فقالت له قد نام قال ليس هذا نومًا حرّكوه
فانه ميّت قال فحركوه فاذا هو ميّت قال فقالت له المراة اي شيء
هذه قال يُساق اليك حديثه معي وقال وقع بيدي فتناهيت في
اكرامه والهند لهم اكباد عظام واوهام ظريفة فادخلتُ عليه
حسرة عظيمة اذ لم يحسن الي في ذلك الوقت وكانت مكافاته اعظم
من ذلك وقد كنت اتوقع موته قبل هذا مايتوهم ويستشعره
من الغافلة في نفسه لفرط الحسرة عن ابي جعفر محمد بن يحيى بن
شيرزاد قال لما سعي علي عنده بحكم حتى صرفني عن كتبته
ونكبني للزمن مائتي الف دينار فاديت اكثرها من غير ان ابيع شيئًا
من املاكي الظاهرة قال فلما قاربت استقلالها استحضرني احمد
ابن علي الكوفي واخذ يخاطبني بكلام طويل هو تقدمة واعتذار
لشيء يريد ان يخاطبني به فقلت يقول يا سيدي ما تريد وما بك
حاجة الى التسبب فاني بمودتك واثق فقال ان هذا الرجل يعني
بحكم قد طمع فيك وقد رجع عليك في صلحك وقد طمع في مائتي الف
دينار اُخرى وطالبني بمطالبتك بذلك ووالله ما هذا من رأيي
ولا لي فيه مدخل ولو قدرت على ازالته عنك لفعلت قال فاخذت
احلف اني لستُ اهتدي الى هذا ولا الى بعضه وان النكبة قد
استنفدت مالي ولم يبق الا ضيعتي وداري التي اسكنها واني
لا ابيعها ولا اكتم شيئًا منهما واخرج عنهما لا فتدي رُوحي بهما
قال فطال الخطاب بيننا فلما قام في نفسه صدقي فكر طويلاً
ثم قال يا سيدي هذا رجل اعجمي وعنده ان وراءك اضعاف
هذا وان فيك من الفضل ما يصلح لقلب دولته عليه وانت في
طريق القتل الا ان يكف الله عز وجل والله ما احب ان يجري
مثل هذا على يدي ولا في ايامي فيلزمني عاره الى الابد واجتره
على قتل كتابه فدبر خلاصك فدبر فتحيرتُ من النكبة ثم رجع الي عقلي
فقلت تعطيني ميثاقك وتحلف لي ان سرّك في محبة خلاصي كعلانيتك

بلغ مقابلة

حتى اقول ما عندي ففعل فحلفتُ له اني قد صدقته واني لا امتنع مما
يخرجني به بعد هذا اليمين ولو سامني ان افتح دواتي واكتب بين يديه
وقلت له انت مقبل وانا مدبر وانت فارغ القلب وانا ذاهل بالمحنة
فدبر امري الان كيف شئت فانه ينفتح لك الآن بهاتين الخلتين ما قد
استبهم علي قال ففكر وقال ان ايست هذا الرجل من مالك لم آمنهُ
على دمك وان اطمعته في مالك وليس لك ما تقلده به ادت بك
المطالبة الى التلف ولكن الصواب عندي ان اطمعته في ضيعتك
فاشتريها له منك واقول ان ضياع السواد الخراجية قد اجمع
شيوخ الكتاب بالحضرة قديمًا وحديثًا على ان كل ما كان منها
غلته درهم فقيمته اربعة دراهم وابو جعفر يقول ان غلات
الضياع بعد الخراج خمسة وعشرون الف دينار وانه يغنمها بذلك
حاصلاً خالصًا بعد الخراج والمؤن ويقيم بذلك كفلاء فاشتريها منه
بمائتي الف دينار واستغلها مدة اربع سنين مائة الف دينار فهذه مائتا
الف دينار كملاً ويحصل لعقبك ملك جليل مع هذا وهو يؤدي باقي
المصادرة الاولى وتصير ضامنًا لضيعته فادفع ذلك اليك ايضًا
ومن ساعة الى ساعة فرج وانا احتال بحيلة في ان يكون الكتاب
عندي فلا اسلمه اليه فلعل حادثة تحدث وترجع اليك ضيعتك
وتكون بالعاجل قد تخلصت وسلم دمك في اربع سنين قال فعلمت
انه قد نصحني وآثر خلاصي فاستجبتُ ودخل الى بحكم ولم يزل معه في
محادثات الى ان تقرر الامر على ما قاولني عليه واحضر الشهود
وكتب علي الكتاب بالابتياع والكتاب بالاجارة وقال لي الوجه ان
تقيم كفلاء ببقية المصادرة الاولى فقد استاذنته في صرفك الى
منزلك واذا انصرفت فانضم ولا يراك احد ولكن كن مستترًا ولا
تظهر انك مستتر فتغريه بك قال فشكرته واقمت الكفلاء بالمال
الى ايام معلومة فصرفني فعدتُ الى داري وكنت مستترًا احلس
في كل يوم فيدخل الي بعض الناس مقدار ما يعلم اني في داري فاذا
كان نصف النهار خرجتُ الى منازل اخواني واقمتُ يومًا عند هذا

وعندهذا يوماً وراعيت اخبار داري اتوقع ان يجيئها من يكبسها
فيطلبني فاكون بحيث لا يعرف خبري فانجو فطال ذلك والسلامة مستمرة
والحذر بحكم الى واسط فانست بالجلوس والاستقرار في داري فلما كان
في بعض الايام ضاق صدري ضيقاً لا اعرف سببه واستوحشت
وفكرت في امري وقلت ان كبست على غفلة ما اصنع قال وكان لداري
اربعة عشر باباً الى اربع عشر سكة وشارعاً وزقاقاً نافذاً ومنها
عدة ابواب لا يعرف جيرانها انها تفضي الى داري فضلاً عن غيرهم
واكثرها عليه الابواب الحديد قال فراسلت غلماني المقاتلة وكانوا
متفرقين عني قد صرفتهم عن نفسي لئلا يصير لي حديث قال
فجاؤني واجتمع الي منهم ومن اولادهم نحو ثلاثمائة غلام وقلت لهم
اذا كان الليلة فاحضروني باجمعكم بالسلاح وبيتوا عندي ليلاً
واقيموا عندي نهاراً الى ان ادبر امري قال ففعلوا ذلك وفرقتهم
في الحجر المتقاربة للمجلس الذي كنت اجلس فيه للناس وقلت ان
كبست فتشاغلوا عني من يطلبني لانجو وقال فكنت ادبر كيف
اعمل في قلب الدولة او استصلاح بحكم لم يكن يقع لي الراي ولا اجد
الى ذلك طريقاً قال وكنت وصيت بوابي ان يغلق بابي المشهور ولا
يفتحه لاحد من خلق الله الا بامري واجلست غلاماً كان يحجبني
في ايام الدولة ومعه عشرون غلاماً بسلاح خلف الباب وكان
لا يفتح لاحد فمضى لهذا الا يومان او ثلاثة حتى جاءني حاجبي
فقال قد دق الباب فقلنا من هذا فقال انا غلام محمد بن ينال
البرجمان وهو وابو بكر النقيب بالقرب يستاذنون على سيدنا فقلت
بلية والله وامرت الغلمان فاجتمعوا باسرهم متسلحين في بيت
قبة كبير كنت جالساً في رواق بين يديه وامرتهم ان لا ينشبوا بكلمة
وقلت للحاجب اصعد على السطح فانظر ما ترى واخبرني به
ففعل وعاد وقال رايت الشارع مملوا بالخيل والرجل وقد احاطوا
من جنبات كثيرة عندهم اتماسا ترجنباتهم ولما راوني تحيت
فقال لي البرجمان كلمني وما عليك فاخرجت راسي وقال ويحك

ماجئنا

ماجئنا لمكروه وماجئنا الا ببشارة فعرف سيدنا ذلك فقلت ليس
هو في الدار ولكن اراسله واخبر الامير ايده الله في غد برسول
الى داره فقال انا ههنا واقف ساعة الى ان يرى رايه فتفكرت
ساعة وقلت هذه حيلة للقبض علي لا شك ويجوز ان يكون بحكم
قد تغير على الكوفي ولا يجد لخدمته غيري فاعترضني الطمع وكاد
يفسد رايي ثم قلت للغلمان ان قلت لكم اخرجوا فضعوا على ابي
بكر النقيب والبرجمان فخذوا راسيهما ولا تستاذنون البتة فقالوا
نعم فقلت للحاجب اطلع عليه وقل له اني على حال من اختلال الفرش
والكسوة لا احب معها دخول احد الي فان رضيت ان تدخل انت
وابو بكر النقيب فقط والا فانا اصلح امري واجيء الى دارك الليلة
قال فقاد الغلام وقال كلمة من السطح فقالوا رضينا بذلك فقلت
يا فلان اخرج واحذر ان يفتح الباب كله فتدخل الجماعة فاقول
له ان يتباعد من الباب الى الشارع قليلاً فان ازدحم الناس وتكاثروا
فهي حيلة فدعهم وصح يا هذا فانهم يفضون الى هذا الباب وهو
مقفل ووراءه الغلمان واعلم اعنا حيلة فاخرج من بعض الابواب
وان حصلا وحيدين فقل لهما الشرط ان اقفل الباب من ظهركما
بينكما وبين اصحابكما ثم افتح الباب الذي يلي الشارع حتى يدخلا
ثم اقفله وارم مفاتيحه من تحت الباب الثاني الينا الى الصحن
ودق هذا الباب فاني واقف وراه لا تقدم بفتحه ويدخلان
ففعل الحاجب ذلك وحصل ابو بكر النقيب والبرجمان في الدهليز
وحيدين ولم يجر مزاحمة فلما سمعت صوت قفل الباب الخارج
وانا عند الباب الداخل ودق الحاجب الباب الثاني ورمى بالمفتاح
عدت الى مجلسي فجلست فيه ونحيت من كنت اقمته وراء
الباب الثاني بالسلاح واعدت على الجماعة الوصية بقتلهما ان
صحت يا غلمان اخرجوا ثم تقدمت الى غلام كان واقفاً بلا سلاح
ان يفتح الباب ويدخلهما ففعل ذلك والقيت نفسي كاني عليل
ودخلا فلم اوفهما الحق واخفيت كلامي كما يفعل العليل فقالا ما خبرك

قال

فقلت انا منذ ايام عليل وارتعت لحضوركما فاخذ البرجمان يحلف انه
ما حضر الا ليردني الى منزلتي واستكتابي للامير بحكم فشكرته على
ذلك وقلت اني تائب من التصرف ولا اصلح له فقال قد امرني الامير
بمخاطبتك في الخروج اليه الى واسط لتقرير هذا الامر ولا يجوز
ان اكتب اليه بمثل هذا عنك ولكن ان كنت زاهداً في الحقيقة
فاخرج اليه واحدث لخدمته عهداً واستعفه فانه لا يجبرك
فقلت هل كاتبني بشيء توصله الي فقال اقتصر على ما كتب به الى
العلمة بمودتي لك ولا يفشو الخبر بذلك فقلت تقفني على كتابه
اليك قال لم احمله معي فعلمت انه كوتب بالقبض علي وانه توصل
بالحيلة لتحصيلي فقلت انا عليل كما ترى ولا فضل في للسفر
ولكن نجيب الامير بالسمع والطاعة وان اخرج بعد اسبوع اذا
استقللت قليلاً قال يقبح هذا والوجه ان تخرج فقلت لا اقدر
فراجعني وراجعته الى ان قال لا بد من خروجك فقلت فاني
لا اخرج ولا كرامة لك فاجهد جهدك وهممت ان اصيح بالغلمان
وكان ابو بكر النقيب خبيثاً فقام وقال اسال سيدنا بالله
العظيم ان تكلم بحرف ويدعني وهذا الامر ثم اخذ بيد البرجمان
وقاما الى ناحية من المجلس بعيدة لا اسمع ما يجري بينهما فاطالا
السرار ثم جاءني فاخذ ابو بكر يعتذر الي مما جرى ويخاطبني
باللين ويقول فبعد كم يوم يخرج سيدنا حتى نقنع بوعده وننصرف
فقلت بعد عشرة ايام فقال قد رضينا واخذ بيد البرجمان والبرجمان
يتبرق علي في الكلام وابو بكر يغمزه ويترفق به فلما بلغا الى قريب
من الدهليز رجع ابو بكر ورد البرجمان معه وقال هذا ليس
يعرفك حق معرفتك وعنده انه يقدر ان يستوفي عليك الحجة
فبالله الا عرفته ما كان في نفسك ان تحمل بنا واستوفينا عليك
المطالبة لئلا اقع انا في مكروه معه ومع الامير اطال الله بقاءه
فقلت في نفسي انا اريد الهرب الساعة فما معنى مسارتي لهما
ما اريد ان افعله ولم لا اظهره ليكون اهيب في نفوسهما فقلت

للغلام

للغلام الذي كان واقفاً امض الى اصحابنا ومرهم ان يخرجوا ولا يعملوا
ما كنت تقدمت به اليهم فمضى الغلام وفتح الباب عنهم وقال اخرجوا ولا تحدثوا
حادثة فخرج القوم بالسلاح فقلت هؤلاء اعددتهم لدفعكما عن نفسي
ان رمتما قسري على ما لا اوثره قال فمات البرجمان في جلده واصفر وتحير
وقال له ابو بكر انت تظن انك بالجبل ولست تعلم بين يدي من انت علمت
الآن ان الراي كان في يدي لا في يدك والله لو زدت في المعنى لخرج
هؤلاء فاخذوا راسك وراسي قلت معاذ الله ولكن كانوا يمنعون عني
من اذاي ثم قلت للغلمان كونوا امامهما الى ان يخرجا وتغلقوا الابواب
خلفهما ففعلوا وقت في الحال فلبست خفاً وازاراً على صورة النساء
واستصحبت جماعة من عجائز داري وخرجت من باب من تلك الابواب
الخفية متحيراً لا ادري اين اقصد فقصدت عدة مواضع كلما اتيت
موضعاً علمت انه لا يحملني فتجاوزته الى ان كددت في المشي وقربت
من الرصافة فوقع لي ان اقصد خالة المقتدر واطرح نفسي عليها
فصرفت جميع من كان معي الا واحدة وقصدت دار الخالة ودخلت
دهليزها فقام الي الخادم فقال من اقول فقالت العجوز تقول امراة
لا تحب ان تسمي نفسها فدخل فاذا الخالة قد خرجت الى الدهليز
فقالت لها العجوز يا ستي تامرين الخادم بالانصراف فانصرف وكشفت
وجهي وقلت يا ستي الله الله في دمي فاستريني فقالت يا ابا جعفر
ما الخبر فقلت ادخليني احدثك فقالت كن بمكانك فاني قد حلفت
انه ما جاءني الا مستتر فلهذا خرجت بنفسي وحدي ودخلت
فابطات حتى قلت قد كرهت دخولي وستخرج من يصرفني وتعتذر
وهممت بالانصراف فاذا بها قد خرجت وقالت ارعبتك بالانتظار
وما كان ذلك الا احتياطاً لك فادخل فدخلت فاذا دارها الاولى فارغة
على عظمها ما فيها احد فسلكت بي وبالمراة العجوز التي كانت معي
الى موضع من الدار فدخلنا حجرة واقفلتها بيدها ومشت بين
ايدينا حتى انتهينا الى سرداب فدخلنا فيه ومشينا فيه مشياً
طويلاً وهي بين ايدينا حتى صعدت منه الى درجة افضت بي منها الى

كان في نهاية الحسن والشرف وفيها من الآلات والفرش كل شيء حسن
وقالت انما احتبست عليك حتى اصلحت لك هذه الدار واخليت
الاولى لئلا يراك البوش الذي كانوا فيها فيعرفون خبرك فاجلس
ههنا ما شئت فوالله انك لتسرني بذلك واحفظ نفسك من ان
ينتشر خبرك من جهتك فليس معك من جهتي من يعرف خبرك
فيفشيه ولا اعرفه احدا من اسبابي واحتفظ لنفسك ممن يخرج
من عندك او يدخل عليك او رقعة فتهلك نفسك وتهلكني فانك
تعلم ان هذا الرجل ظالم جاهل لا يعرف حق مثلي وان الطمع
يتعلق فقلت لها ما معي غير هذه العجوز ولست ادعها تخرج
فقالت هذا الصواب واقمت عندها مدة وكانت تجيئني في كل
يوم فتعرفني اخبار الدنيا وتحادثني ساعة وتنصرف وتحمل الي
كل شيء فاخر من الماكول والمشروب والبخور واخدم بما لم اكن اخدم
بمثله في ايام دولتي فلما كان في غد يوم حصولي عندها قالت يا با
جعفر انت وحدك وليس يصلح ان يخدمك كل احد وقد حملت
اليك هذه الجارية واومات الى وصيفة كانت معها في غاية الحسن
والملاحة فاستخدمها فانها تقوم مقام فراشة وقد اهديتها لك
فان احتجت الى ما يحتاج الرجال اليه صلحت لذلك ايضا فقبلتها
وشكرتها وفاتشت الجارية فاذا هي تغني احسن غناء واطيبه
فكان عيشي معها اطيب عيش ومضى على استتاري نحو شهرين
لا يخرج من عندي احد ولا يدخل الا غير الخالة فقلت لها
قد تطلعت نفسي الى معرفة الاخبار وانفاذ هذه العجوز الى
من تعرف ذلك منه قالت افعل واحتط بجهدك فكتبت مع
العجوز كتابا الى وكيل كان لي اثق به آمره ان يتعرف لي الاخبار
ويكتب بها الي مع العجوز ورسمت له ان ينفذ طيورا الى واسط
مع غلام كنت اسميته له واثق به من غلماني ويزيح علته في جميع
ما يحتاج اليه ويامره بالمقام بواسط والمكاتبة على الطيور في
كل يوم بالاخبار ورسمت للعجوز الا تعرف الوكيل موضعي لئلا

يفتشوا شيء من الامر ويقع الوكيل فيطالب بي فيدل علي فعادت الي بالجواب
بما عنده من الاخبار وانه لا ينقضي يومه الا وينفذ الغلام والطيور
وامهلته عشرة ايام ثم رددت العجوز فانفذ على يدها كتابا
ورد على الطيور فقراته ومضت على ذلك مدة وانا على الغاية
من النشاط والسرور من غير سبب اعرفه فقلت للعجوز امضي الى
فلان فاعرفي خبره وهل ورد كتاب من واسط فلما تفق المحمود
مضت العجوز الى الرجل فهي عنده اذ سقط طائر بكتاب ففضه
وسلمه اليها ولم يقف عليه فجاءتني فاذا هو من الغلام المرتب
بواسط بتاريخ يومه واكثره رطبه كما كتب في الحال يذكر فيه ورود
الاخبار الى واسط بقتل الاكراد لبجكم وان الناس قد اختلطوا
وهاجوا فما نالت رجلاي الارض فرحا وسرورا وكتبت في الحال
رقعة الى الكوفي اشكره فيها على فعله واعرفه اني ما طويت
خبري عنه الى الآن الا اشفاقا عليه من ان يسال عني فيكون
مني حلف بالله لا يعرف خبري صادقا وان من حق ما عاملني به
ان اعرفه ما يجب ان يتحرز عنه وذكرت له ما ورد فاشرت عليه
بالاستتار والاستظهار وانفذت رقعتي اليه بذلك في طي رقعتي
الى الوكيل وكتبت الى الوكيل بان يمضي بها اليه في الوقت ولا
يسلمها الا من يده وقلت للعجوز اذا امضى الوكيل فارجعي انت
ولا تقعدي في داره فعادت فعرفتني ان الوكيل قد توجه
الى الكوفي فلما كان بين العشائين من ذلك اليوم رددتها الى
الوكيل وقلت لها اطرقي بابه فان كان في بيته على حال سلامة
فادخلي وان بان لك انه معتقل او داره موكل بها فانصرفي
ولا تدخلي فعادت الي برقعة الوكيل وفي رقعته انه حال
اوصل الرقعة الى الكوفي بان في وجهه الاضطراب وانه ما صلى
العصر من ذلك اليوم حتى امتلأ البلد بان الكوفي قد استتر
وان بجكم حدث به حادثة لا ندري ما هي واني عدت بعد العصر
الى دار الكوفي فوجدتها مغلقة ليس فيها احد وانه قد انفذ

جوابه فقراته فاذا هو يشكرني ويقول قد علمت ان مثلك يا سيدي
لم يكن ليفتعل هذا الخبر ولا يضيع مروته لذلك وان مثله يجوز ان
يكون صحيحا وقد تشاغل هناك بالهرب عن ان يكتبوا به او كتب
به من رتبته انت كما ذكرت في رقعتك فان كان الخبر صحيحا وهو
عندي صحيح فالراي معي وان كان باطلا فما يضرني ذلك عند صاحبي
ان كان حيا او اصور عنده بصورة الجبان فيكون اسلم في العاجل
وقد انفذت اليك يا سيدي الكتابين اللذين كتبتهما عليك في
ضيعتك بالابتياع والاجارة ابتغاء اعلام مودتك ولتعلم صدقي
فيما كنت توسطته لك ونصحي فيما عاملتك به فان كان مات الرجل
فقد رجعت اليك ضيعتك وان كان باطلا فانه لا يسالني عن الكتاب
ولا يذكره وان كان يتحدث به ويذكره جحدت اني تسلمته وقضيت
حقك بذلك واعدت نعمتك عليك واذا الكتابان في طي الكتاب
فخرقتهما في الحال ولبست من عند الخالة خفا وازارا بعد ان
عرفتها الصورة وخرجت مع العجوز وجئت الى داري فدخلتها
من بعض الابواب الخافية فلما كان الغد قوي الخبر ففتحت بابي
وفرج الله عني المحنة فلما كان المساء اتاني رسول الخالة ومعه
الجارية فقال يا سيدي لم تدع جاريتك عندي واذا قد حملت
معها كلما كانت اخدمتنيه من فرش والة وقد اضافت الى ذلك
اشياء كثيرة جليلة القدر وقالت هذا جهاز الجارية واحب ان
تقبله قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء عن سليمان البرقي
قال انصرفت من بعض العمال فالفيت عمر بن الفرج الرخجي يتقلد
الديوان وكان في نفسه علي فاخفيت شخصي وسترت اصحابي
فطلبني واركن العيون حتى فلم يصل الي وامر ان يعمل لي مؤامرة
تشتمل على ثلاثمائة الف درهم وكانت بيني وبين نجاح بن سلمة
مودة فاتاني عشية من العشايا في استتاري رقعة نجاح
يامرني بالمصير اليه فصرت اليه فلما راني قال صر الى عمر بن الفرج
الرخجي فسلم عليه وعرفه اني قد بعثت بك اليه قال فقلت يا سيدي

انظر فيما تقول فانه يتدرى كيف امضي اليه هكذا قال نعم اعلم
انه قال لي اليوم ان فلسطين قد انغلقت عليه وفسدت وقصر
مالها معجلا لارتفاعها وقد اكلها العمال وانه في طلب من يكفيه
امرها ويحفظ مالها وليس يعرف من يرضى كفايته فقلت لو اردت
الكفاة وجدتهم هذا سليمان بن سهل وهو من الكفاة الجلد ولا
يشك فيه فلم عطلته واخفيته فقال وكيف لي به فقلت تؤمنه
وتزيل ما به من المطالبة وتقلده فلسطين فانه يكفيك ويوفر
عليك ويحملك ايضا وانا ابعث به اليك فقال ابعث به علي فهو
آمن فصر اليه فانه لا يعرض لك الا بما تحب فبكرت اليه فاذا هو
في ديوانه فلما دخلت صحن الدار رايت العمال على اكثا فهم
الحجارة والمقارع تاخذهم فهالني ما رايت فلما وصلت اليه سلمت
عليه وقلت اني كنت خادم ابي الفضل اعني اباه فرجا الرخجي
واحد صنائعه فقال لولا ما تمت به من هذه الحرمة لكنت احد
هؤلاء الذين تراهم ثم رفع مصلاه واخرج الكتب بولاية
فلسطين وامرني بكتمان امري واعداد السير فاخذت
الكتب وشخصت فارضيته وقضيت حق نفسي عن الحكم بن
عتيبة ان حارثة بن بدر الغداني كان يسعى في الارض فسادا
فهدر امير المؤمنين علي رضي الله عنه دمه فهرب فاستجار
باشراف الناس فلم يجره احد فقيل له عليك بسعيد بن قيس
الهمداني فلعله ان يجيرك فطلب سعيدا فلم يجده فجلس في
طلبه حتى جاء فاخذ بلجام دابته وقال اجرني اجارك الله
فقال له ما لك فقال هدر امير المؤمنين دمي قال وفيم قال
سعيت في الارض فسادا قال ومن انت قال انا حارثة بن
بدر الغداني قال اقم وانصرف الى علي رضي الله عنه فوجده
قائما على المنبر يخطب فقال يا امير المؤمنين ما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا قال ان
يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا

من الارض قال يا امير المؤمنين الآمن تائب قال الآمن تائب قال فهذا
حارثة بن بدر قد جاء تائبا وقد اجرته قال انت رجل من المسلمين
وقد اجرناه ثم قال علي رضي الله عنه وهو على المنبر ايها الناس
اني كنت هدرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يتعرض له فانصرف
اليه سعيد فاعلمه وكساه وحمله واجازه فقال فيه شعرا

الله يجزي سعيد الخير نافلة ... اعني سعيد بن قيس قوم همداني
انقذني من شفا غبراء مظلمة ... لولا شفاعته البست اكفاني
قالت تيم بن مرٍ لا تخاطبه ... وقد اباحت ذلكم قيس بن عيلاني
اساغ في الحلق ريقا كنت احرضه ... واظهر الله سري بعد كتماني
اني تداركني عمن سما مثله ... اباؤه حين ينمى خير قحطاني

عن عطاء بن عاصم بن الحدثان قال كان ابو النمير الثقفي شبب
بزينب بنت يوسف بن الحكم وكان الحجاج اخوها يتهدده
ويقول لولا ان يقول قائل لقطعت لسانه فهرب الى اليمن
ثم ركب بحر عدن فقال في هربه شعرا

اتتني من الحجاج والبحر بيننا ... عقارب تسري والعيون هواجع
فضقت بها ذرعا واجهشت خيفة ... ولم آمن الحجاج والامر فاضع
وحل بي الخطب الذي جاءني به ... سميع فليست تستقر الاضالع
فبت ادبر الامر والراي ليلتي ... وقد اخلفت خدي الدموع الهوامع
وما امنت نفسي الذي خفت شره ... ولا طاب لي مما خشيت المضاجع
ففي الارض ذات العرض عنك ابن يوسف ... اذا شئت منأى لا ابا لك واسع
وان نلتني حجاج فاشتف جاهدا ... فان الذي لا يحفظ الله ضائع

فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه فطال على النميري مقام هاربا واشتاق
الى وطنه فجاء حتى وقف على راس الحجاج فقال ايه يا نميري انت
القائل فان نلتني حجاج فاشتف جاهدا فقال بل انا الذي اقول

اخاف من الحجاج ما لست خائفا ... من الاسد العرباض لم يثنه ذعر
اخاف يديه ان تنال مفاصلي ... بابيض عضب ليس من دونه ستر
وانا الذي اقول

فهنا انا ذا الموقت شرقا ومغربا ... وانت وقد دوخت كل مكاني
فلو كانت العنقاء منك تطير بي ... لخلتك الا ان يصد تراني

عن مروان بن ابي حفصة قال كان المنصور قد طلب معن بن زائدة
الشيباني طلبا شديدا وجعل فيه مالا فحدثني معن باليمن انه
اضطر لشدة الطلب الى ان تام في الشمس حتى لوحت وجهه وخفف
عارضيه ولبس جبة صوف غليظة وركب جملا من الجمال النقالة
وخرج عليه ليمضي الى البادية وكان قد ابلى في حرب يزيد بن
عمرو بن هبيرة بلاء حسنا فخاف فاغتاظ المنصور وجد في طلبه
قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني اسود متقلدا سيفا
حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فاناخه وقبض
علي فقلت ما لك قال طلبة امير المؤمنين قلت ومن انا حتى
يطلبني امير المؤمنين قال معن بن زائدة فقلت يا هذا اتق
الله واين انا من معن قال دع هذا عنك فانا والله اعرف
بك من ذلك فقلت له فان كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته
معي باضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي فخذه ولا تسفك دمي
فقال هاته فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة وقال صدقت
في قيمته ولست قابله حتى اسالك عن شيء فان صدقتني
اطلقتك فقلت قل فقال لي الناس وصفوك بالجود فاخبرني
هل وهبت قط مالك كله قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه
حتى بلغ الى عشره فاستحييت وقلت اظن اني فعلت هذا
فقال ما اراك فعلته وانا والله راجل ورزقي من ابي جعفر
عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته الف دينار وقد وهبته
لك ووهبتك لنفسك وجودك المأثور بين الناس لتعلم ان في
الدنيا من هو اجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتقر بعد هذا
كل شيء فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى بالجوهر في حجري
وخلى خطام البعير وانصرف فقلت خذ ما دفعته اليك فاني عنه
غني فضحك وقال اردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا آخذه

ولا آخذ للمعروف ثمنا ابدا ومضى فوالله لقد طلبته بعد ان امنت
وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبرا وكان الارض ابتلعته
قال وكان سبب رضى المنصور عن معن انه لم يزل مستترا حتى يوم
الهاشمية فلما وثبوا القوم على المنصور وكادوا يقتلونه وثب
معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فابلى بلاء حسنا وذب
القوم عنه ثم جاء والمنصور راكب على بغلة لجامها بيد الربيع فقال
له تنح فاني احق بلجامها في هذا الوقت فقال له المنصور صدق فادفعه
اليه فاخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال فقال له المنصور
من انت لله ابوك قال انا طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة قال
قد امنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع ثم اخذه معه
وخلع عليه وحباه وقربه ثم دعا به يوما فقال اني اهلتك لامر
كيف تكون فيه قال كما يحب امير المؤمنين فولاه البصرة وتوجه اليها فبسط
فيهم العطا حتى اسرف قال مروان وقدم معن بعقب ذلك فدخل على
المنصور فقال له بعد كلام طويل قد بلغ امير المؤمنين عنك شيء لولا
مكانك عنده ورايه فيك لقبض عليك فقال وما رايك يا امير
المؤمنين فوالله ما تعرضت لسخط قال اعطاك لمروان بن ابي حفصة في
قوله فيك

معن بن زائدة التي زيدت به ... شرفا على شرف بنو شيبان
ان عد ايام الفعال فانما ... يوماه يوم ندى ويوم طعان

قال والله يا امير المؤمنين ما اعطيته ما بلغك لهذا الشعر
ولكني اعطيته ما اعطيته لقوله

ما زلت يوم الهاشمية معلما ... بالسيف دون خليفة الرحمان
فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من كل وقع مهند وسنان

فاستحيا المنصور وقال انما اعطيته لمثل هذا القول قال نعم يا امير
المؤمنين ولولا مخافة الشنعة لامكنته من مفاتيح بيوت الاموال فابحته
اياها فقال المنصور لله درك من اعرابي ما اهون عليه ما يعز على
الناس واهل الحزم عن قطن بن معاوية الكلابي قال كنت ممن
سارع الى ابراهيم بن عبد الله واجتهد معه فلما قتل طلبني ابو جعفر

فاستخفيت فطلب اموالي وذريتي ولحقت بالبادية وجاورت
في بني نصر بن معاوية ثم في بني كلاب ثم في بني فزارة ثم في بني سليم
ثم تنقلت في بوادي قيس اجاورهم حتى ضقت ذرعا بالاستخفاء
فازمعت القدوم على ابي جعفر والاعتراف له وقدمت البصرة
ونزلت طرفا منها ثم ارسلت الى عمرو بن ابي العلاء وكان لي ودا
فشاورته في الامر الذي ازمعته فقبل رايي وقال والله ليقتلنك
وانك لتعين على نفسك فلم التفت اليه وشخصت حتى قدمت بغداد
وقد بنى ابو جعفر مدينته ونزلها وليس احد من الناس يركب فيها
ما خلا المهدي فنزلت خانا ثم قلت للغلمان انا ذاهب الى امير المؤمنين
فامهلوا ثلاثا فان جئتكم فيها والا فانصرفوا ثم مضيت فدخلت المدينة
وجئت دار الربيع والناس ينتظرونه وهو حينئذ ينزل داخل
المدينة في الدار الشارعة على قصر الذهب فلم البث ان خرج وهو
يمشي وقام الناس اليه وقمت معهم فسلمت عليه فرد علي السلام
وقال من انت قلت قطن بن معاوية قال انظر ما تقول قلت انا هو
قال فاقبل على من معه فقال احتفظوا بهذا فلما حرست لحقتني
الندامة وذكرت راي ابي عمرو فتاسفت عليه ودخل الربيع
فلم يطل حتى خرج خصي فاخذ بيدي وادخلني قصر الذهب
ثم اتى بيتا حصينا فادخلنيه واغلق علي وانطلق فاشتدت
ندامتي وايقنت بالبلاء وخلوت بنفسي اللوم فلما كانت الظهر
اتاني الخصي بماء فتوضات وصليت واتاني بطعام فاخبرته اني
صائم فلما كان المغرب اتاني بماء فتوضات وصليت وارخى علي
الليل سدوله فايست الحياة وسمعت ابواب المدينة تغلق فامتنع
مني النوم فلما ذهب صدر من الليل اتاني الخصي ففتح عني ومضى بي
فادخلني صحن دار ثم اتاني من ستور مسدولة فخرج علينا قال
فادخلنا فاذا ابو جعفر وحده واذا الربيع قائم على حالة ناحية فاكب
ابو جعفر هنيهة مطرقا ثم رفع راسه فقال هيه فقلت يا امير
المؤمنين انا قطن بن معاوية فقال والله جهدت عليك جهدي

وعصيت امرك و واليت عدوك وحرصت على ان اسلبك ملكك
فان عفوت فانت اهل ذلك وان عاقبت فبا صغر ذنوبي تقتلتني قال
فسكت هنيهة ثم قال هيه فاعدت مقالتي قال فان امير المؤمنين
قد عفى عنك فقلت يا امير المؤمنين انني امرؤ من ورآئك فلا اصل
اليك وضياعي ودوري مقبوضة فان رأى امير المؤمنين ان يردها
علي قال فدعا بخادم بالدواة ثم امره وهو يكتب باملآئه الى عبد
الملك بن ثور النميري وهو يومئذ على البصرة ان امير المؤمنين قد
رضي عن قطن بن معاوية فاردد عليه ضياعه ودوره وجميع
ما قبض له فاعلم ذلك وانفذه انشاء الله ثم ختم الكتاب ودفعه
الي فخرجت من ساعتي لا ادري اين اذهب فاذا الحرس بالباب
فاجلست احدهم احدثه فلم البث ان خرج الربيع فقال اين الرجل
الذي خرج آنفا فقمت اليه فقال انطلق ايها الرجل فقد والله
سلمت فانطلق بي الى منزله فعشاني وفرشني فلما اصبحنا ودعته
واتيت غلماني وارسلتهم يكترون لي فوجدوا صديقا لي من الدقاقين
من اهل ميسان وقد اكترى سميرية لنفسه فحملني معه فقدمت
على عبد الاعلى بن ايوب بكتاب جعفر فاقعدني عنده حتى رد
ما اصطفى لي علي عن محمد بن صالح النطاح قال لما عزم المامون على
الفتك بالفضل بن سهل ندب له عبد العزيز بن عمران الطائي
ومويسا البصري وخلفا المصري وعلي بن سعيد وسراجا الخادم
ومن مضى معهم فنمى بعض الخبر الى الفضل بن سهل فاظهره على المامون
وعاتبه فلما قتل الفضل وقتل المامون قتلته سال من اين سقط
هذا الخبر الى الفضل فعرف انه من جهة ابراهيم بن العباس الصولي
فطلبه فاستتر وكان ابراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز
ابن عمران فعلم ذلك منه قال فاخبر به الفضل قال وحمل ابراهيم
بالناس على المامون وتجرد في امره هشام الخطيب المعروف بالعباسي
لانه كان جريا على المامون لانه رباه وشخص اليه الى خراسان في فتنة
ابراهيم بن المهدي فلم يجبه المامون الى ما سال فلقيه ابراهيم بن العباس

مستترا وسال له عما عمل في حاجته فقال له هشام قد وعدني في امرك
بما تحب فقال له ابراهيم اظن الامر على خلاف هذا قال لم قال لان
محلك عند امير المؤمنين اجل من ان يعد مثلك شيئا ويؤخره ولكني
اعلم انك سمعت ما لا تحب فكرهت ان تغمني به فقلت لي هذا القول
احسن الله على كل حال جزاك فمضى هشام الى المامون فعرفه خبر ابراهيم
فعجب من فطنته وعقله وعفى عنه حدثني عبد الله بن احمد
ابن معروف ابو القاسم قال كنت بمصر وكان بها رجل يعرف بالناظري
من ابناء حلب قد قبض سيف الدولة ضيعته وصادره فهرب منه الى
كافور الاخشيدي فاجرا عليه جراية سابغة في كل شهر كما كان
يجري على جميع من يقصده الجرايات التي تسمى الراتب وكان له مال
عظيما قدره في السنة خمسون الف دينار لارباب النعم واجناس
الناس وليس فيهم لاحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين
في الاعمال شيء قال فجرى يوما ذكر الناظري بحضرة كافور فقيل له
انه بغا وكثرت عليه الحكايات في ذلك فامر بقطع جراياته فرفع اليه
قصته يشكو فيها انقطاع مادته ويسال التوقيع باجرائه على رسمه
فامر فوقع على ظهرها قد صح عندنا انك رجل تصرف ما نجريه عليك فيما
يكرهه الله من فساد نفسك وما نرى ان نعينك على ذلك فالحق بحيث
شئت فلا خير لك عندنا بعدها قال فاخرج التوقيع الى الرجل فاعضل
به فعمل محضرا فيه خطوط كثير ممن يعرف انه مستور وما عرف قط
ببغا وكتب رقعة الى كافور يحلف فيها بالطلاق والعتاق والايمان
الغليظة انه ليس ببغا واحتج بالمحضر وجعله في طي الرقعة وقال
فيها انه لم يكن يدفع اليه ما يدفع لاجل حفظ لعرضه وهتكته وانما كان
ذلك لانه منقطع به غريب وهارب ومفارق نعمة وان الله عز وجل اقدر
على قطع ارزاق من يرتكب المعاصي وما فعل ذلك بارزاقهم وامهلهم
وامرهم بالتوبة فان كان ما اقربه صحيحا فهو تائب الى الله عز وجل
ويسال رده الى رسمه ورفع القصة الى كافور وقال فما ادري الى اي

شيء انتهى امره الا انه صار فضيحة وتحدث الناس بحديثه واتفق خروجي
من مصر عقيب ذلك الى حضرة سيف الدولة فلقيته بحلب وجرت له
احاديث المصريين وكان يتشوق الى ان يسمع صغير حديثهم وكبيره ويعجبه
ان سلبوا عنده فقال قلت من عجيبها ما جرى آنفا انه كان بها رجل يقال
له الناظري وقصصت عليه القصة قال فضحك من ذلك ضحكا عظيما وقال
هذا المشوم بلغ الى مصر فقال لي محمد بن الاسمر النديم اعلم ان هذا الرجل كان
صديقي جدا وقد هلك وافتقر وفارق نعمته فاحب ان تخاطبه في امري
عقيب ما جرى آنفا لاعاونك فلعل الله عز وجل ان يفرج عنه قال قلت
افعل قال واخذ سيف الدولة يسالني عن الامر فاعدت شرحه وعاد فضحك
فقلت اطال الله بقاء مولانا الامير سررت بهذا الحديث ويجب ان يكون
له ثمرة اما لي واما للرجل الذي قد صيرته فضيحة بحلب بما اخبرته به من
حديثه زيادة على فضيحته بمصر قال اما لك فنعم واما له فلا يستحق فانه فعل
وصنع واخذ يطلق القول عليه ويطبق فقلت اما لي فلست اريده لان
فوائدي من مولانا متصلة ولست احتاج مع الغمر علي وترادف احسانه
الى التسبب الى الفوائد ولكن ارى ان تجعلها لهذا المفتضح المشوم فقال تنفذ
اليه سفتجة بثلاثة الاف درهم قال فشكرته الجماعة وخاطبته في ان ياذن له
في العود الى حضرته ويؤمنه ويكتب له امانا مؤكدا قال فغمزني الاسمر
في الاستزادة فقلت اطال الله بقاء مولانا الامير ان الثلاثة الالف درهم
لو قد نفذت الى مصر الى ان يودن له في العود ما كفته فيمن يحمله على نفسه
لان اكثر اهل مصر بغاؤن فقد صار بعوه في الناكة وغلبوه باليسار عليهم
ولا يصل هو الى شيء الا بالغرم الثقيل قال فاعجبه ما ذكرته لاهل مصر بذلك
قال وكيف قلت اهل المياسير من اهل مصر لهم العبيد والعلوج يا تونهم
ولكل واحد منهم عدة غلمان والمتوسطون يدعون العلوق والزنوج
والمشاهير بكثرة الاموال فينفقون اموالهم عليهم ولا يصل هذا الفقير
المتجمل اليهم ولقد بلغني ايضا وانا بمصر ان رجلا من البغائين اشتد بر حكاله
فطلب من ياتيه فلم يقدر عليه فخرج الى الموضع الفلاني قريبة ذكرها قريبة من

مصر فاقام بها فكان اذا اجتاز بها المجتازون استدعى منهم من يصلح لهذا الحال
فحمله على نفسه وكان يعيش بالمجتاز بعد المجتاز ويتمكن من ارضائه بما لا يتمكن
منه بمصر فعاش بذلك برهة حتى اذا جاءه يوما بغا آخر فسكن معه في
الموضع فكان اذا جاء الغلام الذي يصلح لهذا الحال بنا فسال عنه فسد على
الاول امره فجاء الى الثاني فقال يا هذا قد افسدت علي رأيي وابطلت
عملي وانما هربت من مصر لاجل المنافسة في الناكة فليس لك ان تقيم معي
ههنا فقال له الثاني سواء العاكف فيه والباد وما ابرح ههنا فقال الاول
بيني وبينك شيخنا ابن العجمي الكاتب رئيس البغائين بمصر فجذبه الى مصر
فاحتكما اليه فحكم ابن العجمي للاول ومنع الثاني من المقام في الناحية وقال
ليس لك ان تفسد عليه عمله وناحيته اطلب لنفسك موضعا آخر فكيف
يكن الناظري ايد الله مولانا ان يكتفي بثلاثة الاف درهم وقد امرت له
بها في بلد هذا قدر الناكة فيه وكثرة البغائين لو كان مقيما فكيف وقد انعمت
عليه بالاذن في المسير ويحتاج الى بغال يركبها في الطريق باجرة ونفقة
وديون عليه يقبضها فضحك ضحكا شديدا من حكاية البغائين وحكم
ابن العجمي بينهما وقال اجعلوها خمسة الاف درهم فقلت له انا والاسمر فرح
الرجل اطال الله بقاء مولانا وقد انفقها في الطريق الى سوء المنقلب
وكان يعجبه ان يماكس في الجود فيجود مع سائله باكثر مما يؤمله منه ولكن
مع السؤال والدخول عليه مدخل المزاح في ذلك والطيبة واقتضى الغرماء
بعضهم لبعض وما اشبه ذلك فقال قد طوقتم علي في امر هذا الصانع
الفاعل فاطلقوا له عن ضيعته باسرها ووقعوا بذلك الى الديوان وعن
مستغله ونقلوا من في داره عنها وتقدموا بان تفرش له احسن الفرش
الذي كان ذهب له لما سخطنا عليه قال فاكبت الجماعة تقبل يديه ورجليه
وتحلف انها ما رات مثل هذا الكرم قط مع سوء ولا سمعت به وتدعو له
قال فقلت اطال الله بقاء مولانا الامير ما سمع بهذا الكرم قط مع سوء رايك
في الرجل وسوء حديثه فما على الارض بغا ابرك على صاحبه من هذا قال
فضحك ونفذت الكتب والتوقيعات بما رسمه فلما كان بعد مدة وانا بحلب
عاد الرجل الى بلده ونعمته عن ابي عمرو بن العلاء قال خرجت هاربا

من الحجاج الى مكة فبينما اطوف بالبيت اذا اعرابي ينشد ربما تجزع النفوس
من الامر لها فرجة كحل العقال فقلت مه قال مات الحجاج قال فلا ادري
باي القولين كنت افرح بقوله فرجة بفتح الفا او بموت الحجاج وجدت هذا
الخبر في بعض الكتب وفيه ان ابا عمرو سمع الاعرابي ينشد

يا قليل العزاء في الاهوال … وكثير الهموم والاوجال
صبر النفس عند كل مهم … ان في الصبر حيلة المحتال
ربما تجزع النفوس من الامر … ولها فرجة كحل العقال

وجدت بخط ابي عبد الله بن مقلة في كتاب الابيات السائرة قال
امية بن ابي الصلت ربما تكره النفوس من الشيء روى المدائني عن
الاصمعي عن ابي عمرو بن العلا قال كنت مستخفيا من الحجاج قال فخرجت
يوما فسمعت قائلا يقول مات الحجاج فقال له آخر ربما تجزع النفوس
من الامر وذكر البيت وعن ابي عمرو قال كنا هرابا من الحجاج بصنعا
فاذا منشدا ينشد ربما تجزع النفوس من الامر لها فرجة كحل العقال
فاستظرفت قوله فرجة وانا كذلك اذ سمعت قائلا يقول مات الحجاج
فلم ادري اي الامرين كنت اشد به فرحا بموت الحجاج ام بذلك البيت
وعن ابي عمرو في رواية اخرى قال هربت من الحجاج فكنت باليمن على سطح
يوما فسمعت قائلا يقول ربما تكره النفوس من الامر البيت فخرجت فاذا
برجل يقول مات الحجاج فما ادري بايهما كنت اشد فرحا بفرجة او بموت
الحجاج قال صاحب الرواية والفرجة من الفرج والفرجة فرجة
الحائط وعن ابي عمرو قال كنت مستخفيا من الحجاج وذلك ان عمي كان
عاملا له فهرب فهم باخذي به فبينما انا على حال خوفي اذ سمعت
منشدا ينشد ربما تكره النفوس من الامر البيت وذكر الحديث وزاد
فيه ان ابا عمرو يقرا الا من اغترف غرفة بيده وفرجة بالفتح شاهد
له في هذه القراءة ذكر ابو الحسين المدايني في كتابه ان النمير
التغلبي قال في الوليد بن عبد الملك

اتتني يا وليد بلا قومي … بمسكن والزبير بن صعيد
اتنسانا اذا استغنيت عنا … وتذكرنا اذا صل الحديد

فطلبه الوليد فهرب منه حينا فلما ضاقت به البلاد واشتد به الخوف
انصرف الى دمشق حتى حضر عشاء الوليد فدخل مع الناس فلما اكل الناس
بعض الاكل عرف النميري رجل الى جانبه فاخبر الوليد فدعا بالنميري
فقال له يا عدو الله الحمد لله الذي امكنني منك بلا عقد ولا ذمة
انشدني ما قلت فبكى ثم انشده فقال ما ظنك بي قال قلت في نفسي ان
امهلت حتى اطا بساطه واكل طعامه فقد امنت وان عوجلت قبل ذلك
فقد هلكت وقد امهلت حتى وطئت بساطك يا امير المؤمنين واكلت
طعامك فقد امنت فقال له الوليد قد امنت فانصرف راشدا فلما ولي تمثل
الوليد سمس العداوة حتى يستفاد لهم واعظم الناس احلاما اذا قدروا
عن الفضل بن العباس من مولد نافع مولى العباس بن عبد المطلب عن
ابيه قال ما اتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي فانصرفت من عندها
الا بير وان قل وكانت لها وصيفة يقال لها كتات فعلقتها فقلت لابي
يا ابي انا والله مشغول القلب بكتات جارية زينب فقال يا بني
اطلبها من عندها فانها لا تمنعكها فقلت كنت احب ان تكون حاضرا
لتعينني عليها فقال ليس لك الي ولا الى غيري فغدوت عليها فلما
انقضى السلام قلت لها جعلني الله فداك اني بكرت في حاجة سالت
ابي ان يحضر كلامي اياك فيها لاستعين به فاسكتني فقالت يا بني
ان حاجة لا تقضى حتى يحضر ابوك لحاجة عظيمة القدر فما هي قلت
كتات وصيفتك احب ان تهبيها لي فقالت انت صبي احمق اقعد
احدثك حديثا احسن من كل كتات على ظهر الارض وانت من كتات على
وعد فقلت هاتي جعلني الله فداك قالت كنت اول من امس عند
الخيزران ومجلسي ومجلسها اذا اجتمعنا في عتبة الرواق بالقرب
في الصدر دون الحيري بردعة ووسادتان ومسند وفوق ذلك
سجتية لامير المؤمنين المهدي وهو كثير الدخول اليها فاذا اجلس في
ذلك الموضع رفع عنه واذا انصرف طرحت عليه السجتية الى وقت
حضوره فانا الجلوس اذ دخلت علينا حولجبنا فقالت يا سيدي بالباب
امراة ما رايت قط احسن منها ولا اسوء حالا عليها قميص ما يستر

بعضه موضعا من بدنها الا انكشف موضعا آخر تستاذن عليك
فالتفتت الي فقالت ما ترين فقلت تسالين عن حالها واسمها ثم تاذنين
لها على علم فقالت الجارية قد والله جهدت بها كل الجهد ان تفعل فما
فعلت وارادت الانصراف فمنعتها فقلت للخيزران وما عليك ان تاذني
فانك منها بين مكرمة او ثواب فاذنت لها فدخلت امراة اكثر مما وصفت
الجارية في الجمال وسوء الحال فجعلت تمشي في حاشية الدار وهي مستحيية
حتى صارت الى عمارة الباب فجعلت مما يليني وكنت متكية فقالت
السلام عليكم فرددنا عليها السلام ثم قالت للخيزران انا مزنة امراة
مروان بن محمد فلما وقع كلامها في سمعي قلت فلا حياك الله ولا
قربك الحمد لله الذي ازال نعمتك وازال عزك وصيرك نكالا
وعبرة اتذكرين يا عدوة الله حين اتاك اهل بيتي يسالونك
ان تكلمي صاحبك في انزال ابراهيم بن محمد من خشبته فلقيتهن
ذلك اللقا واخرجتيهن ذلك الاخراج الحمد لله الذي ازال
نعمتك قالت زينب فضحكت والله يا بني الامراة حتى كادت تقهقه
وبدا لها ثغر ما رايت احسن منه ثم قالت اي بنت عم اي شيء اعجبك
من صنع الله عز وجل على العقوق حتى اردت ان تتاسي فيه
السلام عليكم ثم ولت خارجة خلاف المشي الذي دخلت به فقلت
للخيزران انها محنة من الله عز وجل وهدية منه الينا والله
يا خيزران لا يتولى اخراجها مما هي فيه غيري ثم نهضت على اثرها
فلما احست بي رجعت واسرعت حتى وافيتها عند الستر ولحقتني
الخيزران فتعلقت بها وقلت يا اختي المعذرة الى الله عز وجل واليك
فاني ذكرت بمكانك ما نالنا من المصيبة بصاحبنا فكان مني ما وددت
اني منعت منه وقطعت عنه ولم املك نفسي واردت معانقتها فوضعت
يدها في صدري وقالت لا تفعلي يا اخية فاني على حال اصونك من
الدنو فيها فزدت بها وقلت لجواري ادخلي معها الحمام وقلت للمواشط
اذهبن معها حتى تصلحن حفافها وما تحتاج الى اصلاحه من وجهها
فمضت ومضين معها ودعونا بكرسيين فجلسنا انا والخيزران عليهما

ننتظر خروجها في صحن الدار فخرجت احدى المواشط وهي تضحك فقلت لها
ما يضحكك قالت يا سيدتي انا الذي من هذه المراة عجبا فقلت وما هو
فقالت نحن معها في انتهار وزجر وخصومة ما تفعلين انت ولا سيدتنا
مثله اذا اخذ منا كما قالت فقلت للخيزران حتى تعلمي والله يا اختي انها
حرة رئيسة والحر لا يحتشم من الاحرار ثم خرجت الينا جارية ثانية
فاعلمتنا انها قد خرجت من الحمام فوجهت اليها الخيزران بصنوف
الخلع فتخيرت منها ما لبسته من احسنها كما ارادت وبعثنا اليها بطيب
كثير فتطيبت ثم خرجت الينا فقمنا جميعا اليها فعانقناها فقالت
اما الآن فنعم ثم جئنا الى الموضع الذي كنا فيه جلوسا وامرنا
بكشف السجتية عن الموضع الذي كان يجلس فيه امير المؤمنين
واقعدناها فيه ثم قالت الخيزران غداؤنا قد تاخر فهل لك في الطعام
فقالت والله ما فيكن احوج اليه مني فدعونا بالطعام فجعلت
تاكل وتضع بين ايدينا كانها في منزلها فلما فرغنا قالت لها الخيزران
من لك من تعنين به فقالت ما لي وراء هذا الحائط احد من خلق الله
فقالت لها الخيزران فهل لك في المقام عندنا على ان نخلي لك مقصورة
من المقاصير ونحول اليها جميع ما تحتاجين اليه ويستمتع بعضنا ببعض
فقالت ما وردت الا على اقل من هذه الحال واذ قد تفضل الله
عز وجل علي بكما وبهذه النعمة فلذا اقل من الشكر للمبتدي بكل نعمة
ولكما فافعلي ما احببت وبدا لك فقامت الخيزران وقمت معها واقمناها
معنا وجعلنا نطوف في المقاصير فاختارت والله اوسعها واحسنها
فملاتها الخيزران بالجواري والوصايف والخدم والفرش والكسوة
والآلات ثم قالت لها ننصرف عنك وعليك بمنزلك حتى تصلحيه
فخلفناها في المقصورة وانصرفنا الى موضعنا فقالت لي الخيزران
ان هذه امراة نفيسة قد عضها الفقر وليس يصلحها الا المال
ثم بعثت اليها الخيزران بخمسة آلاف دينار ومائتي الف درهم وارسلت
اليها يكون هذا في خزانتك فان احتجت اليه والى ان تامري بدوتهي
جارية على رسمك في العطا والهبة وعزك لك فعلت ووظيفتك ووظيفة

حتى كان يقام في كل يوم مع وظيفتنا ثم لم تلبث الى ان دخل علينا المهدي ه
فقلت والله يا سيدي عندي خبر ظريف فقال ماهو فحدثته بالخبر فلما
قلت له ماكان مني من الوثوب عليها واسماعها افتمعر واصفر ثم قال
يا زينب هذا مقدار شكرك لربك عز وجل وقد امكنك من عدوك واظفرك
به على هذه الحالة التي تصفينها والله لولا مكانك مني لحلفت ان لا اكلمك ابدًا
اين المراة قالت فوفيته خبرها ثم قال للخادم بين يديه ادفع اليها عشرة
الآف دينار ومايتي الف درهم وابلغها سلامي وقل لها لولا خوفي ان احتشمها
لصرت اليها مسلما عليها ومخبرا اياها ببر وري بها وقل لها اني اخوك وجميع
ما تنفذ فيه امري فامرك انفذ فيه قالت زينب فاذا بها قد وردت علينا
مع الخادم على راسها داواج ملحم حتى قعدت ولقيها المهدي احسن لقا واقامت
عنده ساعة محدثة ثم انصرفت الى مقصورتها فهذا الحديث يا بني خير من
كان قال فامسكت فقالت لي قد اغتممت فقلت ما اغتم ابقاك الله قالت
الليلة توافيك فتات فلما كان الليل وجهت بها الي ومعها ما يساوي ثمنها
من كل صنف من الرقيق والكسا والالة وفي رواية اخرى الذي حملته
الخيزران خمساية الف درهم وان المهدي حمل اليها الف الف درهم ه
عن ابي عبد الله الحسين بن محمد النا طفاني قال كنا نتعلم ونحن احداث
في ديوان اسحاق بن ابراهيم الطاهري وكنت ملازمًا لمجلس فتى من الكتاب
له خلق جميل يعرف بابي غالب فزور جماعة من الكتاب تزويرًا عاما
اخذوه ووقف اسحاق على الخبر فطلبهم فظفر ببعضهم فقطع ايديهم
وهرب الباقون وكان فيمن هرب الفتى الذي كنت الزم مجلسه فغاب
سنين كثيرة حتى مات اسحاق فبينما انا ذات يوم في بعض شوارع بغداد
فاذا انا به فقلت ابو غالب فقال نعم فاذا تحته دابة فارهة وسرج محلى وعليه
ثياب حسنة فقلت عرفني عن حالك قال الى المنزل فسرت معه فاحتبسني
ذلك اليوم عنده فرايت فيه مروة حسنة فسالته عن حاله فقال لما
طلبنا اسحاق استترت فلما بلغني ما عامل به من كان معي في الخيانة وضاقت
علي بغداد فخرجت على وجهي خوفا من عقوبة اسحاق ان يظفر بي ولم ازل
مستخفيا حتى اتيت ديار مصر اطلب التصرف فتعذر علي وتفرق من كان

معي ولم يصبر الا غلام واحد فرقت حالي جدًا حتى بعت ما في البيت عن
آخره على قلة فاصبحت يومًا فقال لي غلامي اي شي نعمل اليوم فما معنا
حبة فقلت خذ مبطنتي فبعها واشتر لنا ما نحتاج اليه فخرج الغلام
وبقيت في الدار وحدي افكر فيما وقعت فيه من الغربة والشدة ه
والوحدة والعطلة وتعذر المعيشة والتصرف ومن اقترض منه فكاد
عقلي ان يزول فبينما انا كذلك وقد استلقيت على قفاي فاذا الجرذ قد
خرج من كوة البيت وفي فيه دينار ثم وضعه ثم عاد فاخرج دينارًا
آخر فما زال كذلك حتى اخرج ثمانين دينارًا فصفها فجعل يتمرغ ويلعب
وانا انظر اليها واظهر التناوم وقد قويت نفسي ولست اتحرك لئلا
يستوحش الجرذ فما زال يلعب مدة حتى اخذ واحدًا ودخل الكوة
فقمت واخذت الدنانير وسددتها وجاء الغلام ومعه ما قد ابتاعه
فتغدينا وقلت له قم فاشتر لنا فاسًا فقال ماذا تصنع به فحدثته
الحديث واريته الدنانير وقلت عزمت على ان اقلع الكوة فلعل فيها
شيء آخر فمضى فجاء بالفاس فحفرنا الكوة فافضى بنا الحفر الى بركة
فيها سبعة الآف دينار فاخذناها واصلحنا الموضع على ما كان وخرجت
فاخذت بالمال سفاتج بعد ان تركت بعضه وانفذت الغلام بالسفاتج
الى بغداد حتى ورد علي كتاب الغلام بصحة السفاتج وتحصيله المال
في بيتي وان اسحاق قد مات فانحدرت الى بغداد وابتعت بالمال
كله ضيعة ولزمتها فاثمرت وغنت ولزمت الضيعة وتركت التصرف

الباب الثالث عشر من نالته شدة في هواه فكشفها الله تعالى وملكه من يهواه

عن عاصم بن عدي قال كان لعمرو
ابن دويرة السحمي اخ قد كلف بابنة عم له كلفا شديدًا وكان ه
ابوه يكره ذلك ويا باه فشكاه الى خالد بن عبد الله القشيري
وهو امير العراق انه يسي جواره فحبسه فسال خالد في امر الفتى
مدة عن ابنة عمه ثم زاد ما في نفسه وحمل عليها الحب فحمل نفسه على
ان يتسور الجدار اليها وحصل معها فاحس به ابوها فقبض عليه
وابي خالد عبد الله القشيري وادعى عليه السرق واتاه بجماعة

يشهدون انهم وجدوه في منزله ليلا وقد دخل دخول اللصوص فسال
خالد الفتى فاعترف انه دخل ليسرق وما سرق شيئا ليدفع بذلك الفضيحة
عن ابنة عمه فاراد خالد ان يد فعه فدفع عمرو اخوه الى خالد رقعة فيها هذا
الشعر ه اخالد قد اوطيت والله عشوة ؛ وما العاشق المظلوم فينا بسارق ؛
؛ اقر بما لم يجنه المرء انه ؛ راى الموت خيرا من فضيحة عاشق ؛
؛ ولولا الذي قد خفت من قطع كفه ؛ لالفيت في امر لهم غير ناطق ؛
؛ اذا امدت الغايات في السبق للعلى ؛ فانت ابن عبد الله اول سابق ؛
فارسل خالد مولى له من الخبر ويتجسس على جلية الامر فاتاه بتصحيح ما قال
عمرو في شعره فاحضر الجارية واخذ بتزويجها من الفتى فامتنع وقال
ليس هو بكفو لها قال بلى انه لكفو لها اذ اكف يده عنها ولئن لم تزوجه
لازوجنه وانت كاره فزوجه العم وساق خالد المهر الى العم من ماله وكان
يسمى العاشق الى ان مات ووجدت في كتاب العمريين لمحمد بن داود
ابن الجراح وهي رسالة كتب بها الى ابي احمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم
فيمن يسمى من الشعراء عمرًا فقال فيه عمرو بن دويرة البجلي كوفي
فحكى باسناد له قال كان لعمرو بن دويرة اخ قد كلف بابنة عم له وذكر نحوه
الا ان في الشعر زيادة بيت وهو بعد البيت الذي اوله اقر بما لم يأته المرء
؛ ومثل الذي في قلبه حل قلبها ؛ فكن انت تجلو الهم عن قلب عاشق ؛
وعن الزبير بن بكار فذكره مع البيت الزائد عن ابي العلاء صاعد بن
ثابت النصراني الذي كان خليفة الوزراء عن ابي الحسين بن ميمون
الافطس الذي كان وزيرًا للمتقي فلما دخل ابو عبد الله اليزيدي بغداد
متقلد الوزارة الثانية للمتقي قبض عليه وحدره الى البصرة فلما
وردها اليزيدي منهزمًا احسن اليه واطلقه ولم يزل بانزاله بالقرب
مني وايناسه بملازمتي وافتقاده بالدعوات ففعلت ذلك فكنا لا نكاد
نفترق ووجدته اجل الناس حديثًا واحسنهم ادبًا واتمهم عقلا ولم
ار قط اشد تغزلا ولا تهالكا في العشق منه فحدثني يومًا قال عشقت
مغنية في القيان عشقا مبرحًا شديدًا فراسلت مولاتها في بيعها
مني فاستامت بها مني ثلاثة الآف دينار وكنت اعرف من نفسي الملل فخشيت

ان اشتريتها ان املها فدافعت بذلك ومضت ايام فانصرفت من عندي يومًا وقد
كان المقتدر بالله امر ان يشترى له مغنيات وانا لا اعلم فكانت الجارية حسنة الوجه
والغنا فحملت الى المقتدر في جملة جوار فامر بشراهن كلهن فاشتريت في جملتهن
وانفذت من غد استدعيها من مولاتها فاخبرت بالخبر فقامت علي القيامة
ودخل الى قلبي من الاحتراق امر ما دخل مثله علي قط من نكبة فضلا عن عشق
وزاد الامر علي حتى انتهى بي الى حد الوسواس وامتنعت من النظر في امر
داري وتشاغلت بالبكا ولم يكن لي سبيل الى العزاء وكنت اكتب حينئذ
لام المتقي وله وكان حدثا فتاخرت عنهما اياما واخللت بامرها وانا
متوفر تلك الايام على الطوف في الصحاري ولا اكل ولا اشرب ولا اتشاغل
باكثر من الهيمان وانكر المتقي وامه امري لتاخري فاستدعاني وخاطبني
في شي من امره فوجدني لا احصل ما يقوله ولا افهمه فسالني عن سبب
اعتلال في تصدقته وبكيت بين يديه وسالته ان يسال اباه بيع الجارية
علي او هبتها فقال ما اجسر على هذا الامر قال وزاد علي الامر وبطلت وبلغ
ام المتقي الخبر فراسلتها مثل ما سالت ابنها فرقت بالتسوية وحملت نفسها
على ان خاطبت ام المقتدر في امري فقالت لها السيدة ما العجب من الرجل
فان الذي في قلبه من العشق اعماه عن وجه الراي انما العجب منك كيف وقع
لك انه يجوز ان تقولي للخليفة انزل عن جاريتك لرجل يعشقها فراسلتني
ام المتقي بما جرى فزاد ما بي من القلق وكنت لا القى احدًا من روسا البلد
كالوزير ونصر القشوري وحاشية الخليفة الا واقصدهم وابكي بين
ايديهم واحدثهم حديثي واسالهم مسالة الخليفة تسليم الجارية الى بيعا او
هبة فمنهم من ينكر علي ومنهم من يوبخني ومنهم من يرثي لي فيعذرني
ومنهم من يقول ان علم الخليفة هذا منك وانك تتعرض لحرمه فانت في
هذا تتلف نفسك ومنهم من يطنز بي وانا ملازم لهم ولابوابهم وقد تركت
خدمة صاحبي وومنعت من محلي بما يتجدد وبطل امر داري وضيعتي
وامور صاحبي الى ان تركت جميع الامور فطال هذا على المتقي وامه
وامنا قا من اجل اخلالي بالنظر في امورهما فطلبا كاتبا يصرفانني به ه
وبلغ الخبر الي وقد كنت ايست من الجارية فذلت نفسي وقلت ليس

بعد الشرف الا الفقر والنكبة وذهاب الخير ولو كنت اشتريتها لكنت
الآن قد مللتها فلم افقر نفسي واقطع تصرّفي واقبلت اعظ نفسي واسليها
ليلتها كلها الى ان طاوعتني على الصبر فبكرت الى دار المتقي وبداء مت
بالنظر في اموره وراوا مني خلاف ما تقدم منّي وابذلك وقالوا انت احب
الناس الينا من غيرك ومن الغريب الذي نستانفه فضمنت لهما الملازمة
وتمشية الامور واقمت على ذلك معهم مدة ثم اشتقت الى الشرب وكنت
قد هجرته منذ فقدت الجارية الى ذلك اليوم فقلت للغلام امض فاصلح لنا
مجلسا للشرب وعد اصحابنا اعني اصدقائي الذين يعاشروننا للترواح
الي ولا تدع غناء فلما قضيت شغلي عدت الى داري واجتمع اصدقائي
وصوّبوا رأيي وجلسنا نشرب ونتحدث ونلعب بالشطرنج فقالوا ودعوت
غناء فقلت اخاف ان اتذكر به امري فجلسوا عندي الى ان صليت العشاء
الآخر وانصرفوا وجلست وحدي اشرب القدح بعد القدح فلما مضت
قطعة من الليل اذا بابي يدق دقا عنيفا فقال بوابي من هذا فقال خادم
من دار امير المؤمنين فقامت قيامتي ولم اشك ان خبري قد اتصل
به فانكره وقال مثل هذا لا يصلح ان يكون كاتبا لامراة ولا مدبرا لأمر
غلام حدث وانه قد انفذ للقبض علي ويريد نكبتي فقمت امشي
في صحن الدار لاخرج من باب آخر كان لي فاستتر فاذا الخدم قد دخلوا
ومعهم بغلة عليها عمارية وشموع واذا قد انزل من العمارية جاريتان
احداهن عشيقتي فبهت وقال احد الخدم وهو كالرئيس لهم مولانا
يقرئك السلام ويقول عرفت خبرك مع هذه الجارية فرحمتك وقد
وهبتها لك مع جميع مالها وتركها الخادم وهذه ابغال عليها الاثقال
من صنوف الثياب والفرش والآلات والقماش وعدة جوار وتركوا
ذلك عندي وانصرفوا الرسل واخذت بيد عشيقتي فادخلتها المجلس
فلما رات الشراب والمجلس قالت سلوت عني وشربت بعدي فحلفت
لها ما شربت نبيذا مذ فارقتها الا في هذا اليوم بلا غناء وحدثتها
حديثي بطوله وقلت لها ما سبب ما جرى فقالت اعلم ان الخليفة لم يرني
منذ يوم اعترضني وامر بشرائي الا الليلة وكان قد اتصل مزاح السيدة

معي بك وذلك انها استدعتني منذ مدة ثم سألتني عن خبري معك
وحدثتني ما دار بينك وبين ام المتقي فصدقتها وبكيت ايضا فقالت
فكانك تحبينه ايضا فسكتت وتغامز الجواري علي فصار شعار السيدة
المزاح معي فيك فلما كانت هذه الليلة قعد الخليفة يشرب مع السيدة
والجواري فاستدعيت وغنيت فقال لي الخليفة ان كنت تحسنين الصوت
الفلاني فغنّيه وكان صوتك علي فغنيته وتمثلت لي صورتك وذكرت
سرّي معك ولم املك دموعي حين جرت فقال المقتدر ما هنا فتحيرت
وجزعت ونظرت الى السيدة فضحكت وضحك الجواري فقال المقتدر
للسيدة ما القصة فدافعته فقال بحياتي اصدقيني فقالت على ان
لا تؤذي الجارية بحياتي ولا بغيرها فقال نعم وحياتك فحدثته
الحديث فلما استوفاه قال لي يا جارية الامر هكذا انما بكيت ابن ميمون
فسكت فقال ان صدقت وهبتك له فقلت نعم فاقبل على امه فقال
ما هو بكثير ان وهبتها الخادم لنا قالت والله اردت ان اسألك
هذا ولكن ان تفضلت به ابتداء كان احسن فقال لبعض الخدم
القيام خذ هذه وجميع ما كان سلم الى حجرتها من جهاز وقماش وقليل
وكثير فاحمله الى دار ابن ميمون كاتب ابني ابراهيم واقره السلام
وعرّفه اني وهبت ذلك له فلما قمت تصايح الجواري قد جاء فرجك
وبلغت مناك فقمت الى حجرتي وحملت اليك وما تراه فحمدت الله عز
وجل وجلست معها وما اسيلها في مجلسي حتى شربت معها فيه
وغنت لي وبتنا باتم ليلة وبكرت نشيطا مسرورا اشكر السيدة
وام المتقي وادعو لهما واقامت الجارية عندي الى ان ماتت حدثني
عبد الله بن محمد الصردي قال حدثني ابي قال كان ببغداد من اولاد
النعم ورث من ابيه مالا جليلا وكان يعشق قينة فانفق عليها شيئا
ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها فلم يزل ينفق ماله عليها الى ان افلس
فقالت الجارية يا هذا قد بقينا كما ترى فلو طلبت معاشا كان الامر
اسهل قال وكان الفتى لشدة حبه الجارية واحضاره الاستاذات
لها ليزيدنها في صنعتها قد تعلم الغناء والضرب والحذق فيهما فشاور

بعض معارفه فقال ما اعرف لك اصلح من ان تغني الناس وتحمل جاريتك
اليهم وتاخذ على هذا الكثير من الاموال ويطيب عيشك فانف من ذلك
وعاد اليها فاخبرها بما اشير عليه واعلمها ان الموت اسهل عنده من ذلك
فصبرت معه على الشدة مدة فقالت له قد رايت لك رايا قال قولي قالت
تبيعني فانه يحصل لك من ثمني ما اردت ان تتجر به او تقتني ضيعة وتعيش
عيشا صالحا وتتخلص من هذه الشدة واحصل انا في نعمة فان مثلي
لا يشتريها الا ذو نعمة فحملها الى سوق النخاسين فاول من كان اعترضها
فتى هاشمي من اهل البصرة قد ورد بغداد للعب والتمتع فاشتراها بالف
وخمسمائة دينار عينا قال الرجل فحين لفظت بالبيع واعطيت المال ندمت
واندفعت في بكاء عظيم وحلت الجارية في اقبح من صورتي وجهدت في
الاقالة فلم يكن الى ذلك سبيل واخذت الدنانير في الكيس لا ادري الى اين
اذهب لان بيتي موحش منها وورد علي من اللطم والبكاء ما قد هوسني
فدخلت مسجدا وجلست ابكي فيما اعمل فحملتني عيني وتركت الكيس تحت
راسي كالمخدة ونمت فما شعرت الا بانسان قد جذبه من تحت راسي فانتبهت
فزعا فاذا شاب قد اخذ الكيس وهو يعدو فقمت لاعدو وراءه فاذا
رجلي مشدودة بخيط قنب في وتد مضروب في ارض المسجد فالى ان اتخلص
من ذلك غاب الرجل عن عيني فبكيت ولطمت ونالني امر عظيم اشد
من الاول وقلت فارقت من احب لاستغني بثمنه عن الصدقة وقد
صرت الآن فقيرا مفارقا من كنت احبه فجئت الى دجلة ولففت راسي
ووجهي برداء كان علي ولم اكن احسن السباحة فرميت بنفسي في الماء فظن
الحاضرون ان ذلك لغلط وقع علي فطرح قوم نفوسهم خلفي فاخرجوني
وسالوني عن امري فاخبرتهم فمن بين راحم ومستجهل الى ان خلا بي شيخ
فاخذ يعظني ويقول يا هذا ذهب مالك فكان ماذا حتى تتلف نفسك
او ما علمت ان فاعل هذا في نار جهنم ولست اول من افتقر بعد غنى واستغنى
بعد فقر فلا تفعل وثق بالله عز وجل اين منزلك قم معي اليه فما فارقني
حتى حملني الى منزلي فادخلني اليه وما زال يؤنسني فيه ويعظني الى ان
راى مني السلوان وانصرف فكدت اقتل نفسي لوحشة منزلي علي ثم ذكرت

النار فخرجت فبكا لي رقة واعطاني خمسين درهما وقال هذه الساعة
من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى حيث وجدت قلبك يساعدك على
قصده وانت من اولاد الكتاب وخطك صالح وادبك جيد فاقصد
بعض العمال واطرح نفسك عليه فاقل ما في الامر ان تصير محررا
بين يديه وتعيش معه ولعل الله ان يصنع لك فعلمت انه نصحني
فعملت على ذلك وجئت الى الكتبيين وقد قوي في نفسي ان اقصد
واسطا وكان لي بها اقارب فاجعلهم ذريعة الى التصرف مع عاملها
فحين جئت الى الكتبيين فاذا بزلال مقدم وجراية كثيرة وقماش
فاخر كثير ينقل الى الزلال فسالت من يحملني الى واسط فقال احد
ملاحي الزلال نحن نحملك الى واسط بدرهمين ولكن هذا الزلال لرجل
هاشمي من اهل البصرة ولا يمكننا حملك معه على هذه الصورة
ولكن تلبس ثياب الملاحين وتجلس معنا كانك واحد منا فحين
رايت الزلال وسمعت انه لرجل هاشمي من اهل البصرة طمعت
ان يكون مشتري جاريتي فاتفرج بسماعها الى واسط فدفعت
الدرهمين الى الملاح وعدت فاشتريت جبة من جباب الملاحين
وبعت تلك الثياب التي علي واضفت ثمنها الى ما معي من النفقة
واشتريت خبزا وادما وجلست في الزلال فما كان الا ساعة حتى
رايت جاريتي بعينها ومعها جاريتان تخدمانها فسهل علي ما كان
بي وما انا فيه وقلت اراها واسمع من غناها من ههنا الى البصرة
واعتقدت ان جعلت البصرة قصدي وطمعت في ان اداخل مولاها
واصير احد ندمائه وقلت لا تخليني هي من المواد فاني واثق بها
ولم يكن باسرع من ان جاء الفتى الذي اشتراها راكبا ومعه عدة
من الغلمان ركبان وركبوا في الزلال وانحدر فلما صار بكلواذا اخرج
الطعام فاكل واكل الباقون على سطح الزلال واطعموا الملاحين فاقبل
على الجارية فقال الى كم هذه المدافعة من الغناء ولزوم الحزن
والبكاء انت اول من فارق مولى كان له فعلمت بما كان عندي من
امرها ما كان من امري ثم ضرب ستارة في جانب الزلال واستدعى

الذين في الشط وجلس معهم خارج الستارة فسالت عنهم فاذا هم
اخوته وبنو عمه فاخرجوا الصواني ففرقوها عليهم فيها النبيذ ومازالوا
يرفقون بالجارية حتى استدعت العود واصلحته واندفعت تغني
بالثقيل الاول باطلاق الوتر في مجرى الوسطى

بان الخليط بمن عرفت فادلجوا . عمدا لقتلك ثم لا يتحرجوا
وغدت كانك حلاذ واثب عرها . جمر الغضا في ساعة يتاججوا

ثم غلبها البكاء وقطعت الغنا وتنغص على القوم سرورهم وقد وقعت
انا مغشيا على فظن الملاحون اني قد صرعت من بينهم فاذن بعضهم
في اذني فافقت بعد ساعة ومازالوا يدارونها ويرفقون بها
ويسالونها الى ان اصلحت العود فاندفعت تغني في الثقيل الثاني

فوقفت اسال بالذين تحملوا . وكان قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دارهم اسائل عنهم . والدار خالية المنازل بلقع

ثم شهقت وكادت تتلف وارتفع لها بكاء عظيم وصعقت انا فتبرم
الملاحون بي وقالوا كيف حصل هذا المجنون معنا وقال بعضهم
اذا بلغتم موضع كذا فاخرجوه واريحونا منه فجاءني امر عظيم
مما اصابني ووضعت في نفسي التصبر والحيلة في ان اعلمها مكاني
من الزلال لتمنع من اخراجي وافقت الى قرب المداين فقال صاحب
الزلال اصعدوا بنا الى الشط وصعد الجماعة وقد كان المساء فصعد
اكثر الملاحين يتغوطون وخلى الحريري وكان الجواري فيمن صعد الى
مستراح ضرب لهن فمشيت سارقا نفسي حتى صرت خلف الستارة
فغيرت طريقة العود عما كانت عليه الى طريقة اخرى ورجعت
الى موضعي من الزلال وفرغ القوم من حاجاتهم فرجعوا والقمر
منبسط فقالوا لها ويحك اترين وقتنا تكلفي للغنا ولا تنغصي علينا
فاخذت العود فجسته وشهقت وقالت قد والله اصلح هذا العود
مولاي على طريقة من الضرب كان بها معجبا وكان يضربها معي ووالله
انه معنا في الزلال فقال لها مولاها والله يا هذه لو كان معنا ما امتنعنا
من عشرته فلعله ان يخف عنا بعض ما بك ولكن هذا بعيد فقالت

لا ادري ما تقولون انه والله معنا فقال الرجل للملاحين هل احتملتم
رجلا معكم قالوا لا واشفقت ان ينقطع السؤال فصحت نعم ها هوذا انا
فقالت كلام مولاي والله وجاء بي الغلمان الى الرجل فلما رآني عرفني
فقال ويحك ما هذا الذي اصارك الى هذه الحال فصدقته عن
امري وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو
واخوته بكاء شديدا ارقة لنا ثم قال يا هذا والله ما وطئت
الجارية ولا سمعت غناها ايضا الى اليوم وانا رجل موسع علي
ولله الحمد وردت بغداد لاستماع الغنا وطلب ارزاق من الخليفة
وقد بلغت من الامرين ما اردت ولما عملت من الرجوع الى وطني
احببت ان اتتبع من غناء بغداد شيئا فاشتريت هذه الجارية
لاضمها الى عدة جوار مغنيات عندي بالبصرة فاذا كنتما على
هذه الحال انا والله اغتنم المكرمة والثواب فيكما واشهد الله
اني اذا صرت الى البصرة اعتقها وازوجك بها واجريت عليك
وعليها ما يكفيكما ابدا على شريطة ان اجبتني اليها قلت ما هي
قال ان تحضرنا كلما اردنا الغنا من خلف الستارة وتنصرف
بانصرافك الى دار افردها لكما وقماش اعطيكما اياه فقلت يا سيدي
وكيف ابخل بهذا على من هو المعطي لي وعلى من يرد حياتي فاخذت
اقبل يديه فمنعني ثم ادخل راسه الى الجارية فقال ايرضيك هذا
فاخذت تدعو له وتشكر فاستدعى غلاما له وقال خذ بيد هذا
الرجل وغير ثيابه وبخره وقدم اليه ما ياكله وجئنا به فاخذني
الغلام ففعل بي ذلك وعدت وتركت بين يدي صينية واندفعت
الجارية تغني بنشاط وسرور واستدعت النبيذ وشربت وشربنا
واخذت اقترح عليها الاصوات الجياد فتضاعف سرور الرجل
ومازلنا على ذلك اياما الى ان بلغنا نهر معقل ونحن سكارى
وشد الزلال واخذتني بولة في الليل فصعدت الى ضيعة نهر
معقل فحملني النوم فيها بالسكر ورفع الزلال وانا لا اعلم واصبحوا
ولم يجدوني ودخلوا البصرة ولم انتبه الا بحمي الشمس فجئت الى الشط

قال

فلم ار لهم عينا ولا اثرا وقد كنت اجللت الرجل ان اساله بمن يعرف واين
داره بالبصرة واحتشمت غلمانهم ان اسالهم عن ذلك فبقيت على شاطئ نهر
معقل كاول يوم بدات فيه المحنة فكان ما كنت فيه منام واجتازت بي سميرية
فجلست فيها ودخلت فيها البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت خانا وبقيت
متحيرا لا ادري ما اصنع ولم يتوجه لي معاش الى ان اجتاز بي انسان من
بغداد اعرفه فتبعته لاكشف له حالي فاستحييته فانفت من ذلك ودخل
الرجل منزله فعرفته وجئت الى بقال كان على باب الخان الذي انزله فاعطيته
دانقا ونصفا فاخذت منه ورقة ودواة وجلست اكتب رقعة الى الرجل
فاستحسن البقال خطي ورآني فسالني عن امري فاخبرته اني رجل ممتحن
فقير قد تعذر علي التصرف وما بقي معي شيء ولم اشرح له اكثر من ذلك
قال تعمل معي كل يوم بنصف درهم وطعامك وكسوتك علي وتضبط حساب
دكاني فقلت نعم فقال اصعد فخرقت الرقعة وجلست معه ودبرت
وضبطت دخله زائدا وخرجه ناقصا فحمدني وكنت معه كذلك شهورا ثم
جعل رزقي في كل يوم درهما ولم يزل حالي يقوى معه الى ان حال الحول وقد
بان الصلاح في امره فدعاني الى ان اتزوج ابنته ويشاركني في الدكان
ففعلت ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان والحال يقوى الا اني في
خلال ذلك منكسر النفس ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال ربما شرب
فيجذبني الى مساعدته فامتنع واظهرت ان ذلك حزن موتى لي واستمرت بي
الحال على هذا سنين فلما كان يوما رايت قوما يجتازون بجون ونبيذا
اجتيازا متصلا فسالت عن ذلك فقالوا اليوم الشعانين ويخرج اهل
التطرف واللعب بالشراب والطعام والقيان الى الابلة فيرون النصارى
ويشربون فدعتني نفسي الى التفرج وقلت لعلي اقف على اصحابنا
فان هذا من مظانهم فقلت لحمي اريد ان انظر الى هذا المنظر فقال شانك
واصلح لي طعاما وشرابا وسلم الي غلاما وسفينة فخرجت واكلت في
السفينة وبدات اشرب حتى وصلت الى الابلة وابصرت الناس وابتداوا
ينصرفون فانصرفت فاذا بالزلال بعينه في اوساط الناس سائرا في نهر
الابلة فتاملته فاذا انا باصحابي على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رايتهم

لم املك فرحا وصرت اليهم فحين راوني عرفوني وكبروا فاخذوني اليهم
وقالوا ويحك انت حي وعانقوني وفرحوا بي وسالوني عن قصتي فاخبرتهم
بها على اتم شرح فقالوا انا لما فقدناك في الحال وقع لنا انك بالسكر وقعت
في الماء وغرقت ولم نشك فخرقت الجارية ثيابها وكسرت العود وجزت
شعرها وبكت ولطمت فمنعناها من شيء ووردنا الى البصرة فقلنا لها
ما تحبين ان نعمل بك فقد وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المروة استخدامك
معه في حال فقده والاستمتاع بغنائك فقالت تمكنوني من القوت اليسير
ولبس الثياب السود وان اعمل قبرا في بيت من الدار واجلس عنده واتوب
من الغناء فمكناها من ذلك وهي جالسة عنده الى الآن وقد اخذوني
معهم فحين دخلت الدار فرايتها شهقت شهقة عظيمة ما شككت
في تلفها واعتنقتها فما افترقنا ساعة طويلة ثم قال لي مولاها خذها
فقلت بل تعتقها وتزوجني بها كما وعدتني ففعل ذلك ودفع الينا
ثيابا كثيرة وفرشا وقماشا وحمل الي خمسمائة دينار وقال هذا
مقدار ما اردت ان اجريه عليك في كل شهر منذ اول دخولي الى
البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة فخذه والجراية لك مستانفة في
كل شهر وشيء آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط في المنادمة
والسماع من وراء الستارة بان قد وهبت لك الدار الفلانية قال فجئت
اليها فاذا الفرش والقماش الذي اعطانيه فيها والجارية فجئت الى
البقال فحدثته حديثي وطلقت ابنته ووفيتها صداقها واقمت
مع الهاشمي سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعادت حالي الى قريب
مما كنت عليه وانا اعيش كذلك الى الآن مع جاريتي

روى
ابو ذوق الهراني عن الرياسي ان بعض اهل النعم بالبصرة اشترى
صبية فاحسن اليها وادبها وعلمها الغنا واحبها كل المحبة وانفق
عليها حتى املق ومسها الضر الشديد فقالت له الجارية اني لارثي
لك يا مولاي مما ارى بك من سوء الحال فلو بعتني وانتفعت بثمني فلعل
الله ان يصنع بك واقع انا بحيث يحسن حالي فيكون ذلك اصلح لكل احد
منا قال فحملتها الى السوق فعرضت على محمد بن معمر بن عبيد الله

البمني وهو امير البصرة يومئذ فاعجبته فاشتراها بمائة الف درهم فلما
قبض المولى الثمن واراد الانصراف استعبر كل واحد منهما باكيا وانشأت الجارية
تقول ـ هنيئا لك المال الذي قد حويته ولم يبق في كفي غير التذكر
اقول لنفسي وهي في غشي كربة اقلي فقد بان الحبيب او اكثري
اذا لم يكن للمرء عندك حيلة ولم تجدي شيئا سوى الصبر فاصبري
فاشتد بكاء المولى عليها وانشأ يقول
فلولا قعود الدهر لي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري
اروح بهم في الفؤاد مبرح اناجي بهم قلبا طويل التفكر
سلام عليكم لا زيارة بيننا ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر
فقال له ابن معمر قد شئت فخذها ولك المال وانصرفا راشدين فوالله
لا اكون سببا لفرقة محبين عن عبد الله بن احمد بن عمار بن ياسر
قال كان لفتى من الاعراب جارية كان بها معجبا يجد بها وجدا شديدا
فلم يزل ينفق عليها فاملق واحتاج فجعل يسال اخوانه فقالت له الجارية
كانت وذكر ما في الحديث ووجدت هذا الخبر في كتاب المتيمين للمدائني
وزاد فيه ان الجارية كانت قينة ولم يذكر الشعر الاول عن ابراهيم
الموصلي قال لما دخل الرشيد البصرة حاجا كنت معه فقال لي
جعفر بن يحيى يوما يا محمد قد وصفت لي جارية حسناء مغنية تباع
وذكروا ان مولاها ممتنع من عرضها الا في داره وقد عزمت ان
اركب متخفيا فاعترضها فتساعدني قلت السمع والطاعة فلما كان في
نصف النهار حضر النخاس فاعلم بحضوره فخرج بعمامة وطيلسان
ونعل عربية وامرني فلبست مثل ذلك وركبنا حمارين قد اسرجا
بسروج التجار وركب النخاس معنا وتخللنا الطريق فلم نعرف حتى اتينا
دار ذات باب شاهق تدل على نعمة قديمة فقرع النخاس الباب واذا شاب
حسن الوجه عليه اثر ضر باد وقميص غليظ خشن ففتح الباب وقال
انزلوا يا سادة فنزلنا ودخلنا واذا بدهليز شعث ودار فوراء
خراب منقوظة واذا في الدهليز بيت كالعامر منغلق الباب فاخرج الرجل
لنا منه قطعة من حصير كبير خلق ففرشها لنا فجلسنا عليها فقال له

النخاس احضر الجارية فتقدم المشتري فدخل البيت واذا الجارية قد
خرجت في القميص الذي كان على الفتى بعينه وهي فيه مع خشونته
كانها في الحلي والحلل لحسن وجهها وفي يدها عود فامرها جعفر
بالغنا فجست وضربت ضربا حسنا واندفعت تغني
ان ليس حبك بعد طول تواصل خلقا ويضحي بينكم مهجورا
فلقد رأيت الجديد الى بلى دهر بوصلك راضيا مسرورا
جذلا بما لي عندكم لا ابتغي بدلا بوصلك خلة وعشيرا
كنت المنى واعز من وطئ الحصا عندي وكنت بذاك منك جديرا
ثم غلبها البكاء حتى منعها الغنا وسمعنا من البيت نحيب الفتى وقامت الجارية
تتعثر في قميصها حتى دخلت البيت وارتفعت لها ضجة بالبكاء والشهيق
ثم خفتا حتى ظننا انهما قد ماتا وهممنا بالانصراف فاذا الفتى قد خرج
وعليه ذلك القميص بعينه فقال ايها القوم اعذروني فيما افعله واقول
فقال له جعفر قل قال اشهد الله واشهدكم ان هذه الجارية حرة لوجه الله
واسالكم ان تزوجوني بها فتحير جعفر اسفا على الجارية ثم خاطبها
فقال اتحبين ان ازوجك به قالت نعم فقرر الصداق وخطب وزوجها
ثم اقبل على الفتى فقال يا هذا ما حملك على ما فعلته فقال حديث يطول
ان نشطت لحديثك فقال لا اقل من ان نسمعه فلعلنا نبسط عذرك
فقال انا فلان بن فلان وكان ابي من وجوه اهل البلد ومياسيره وهذا
عارف بذلك واوما الى النخاس واني اسلمت الى كتاب وكانت لامي
صبية وسنها قريب من سني وهي جاريتي هذه فكانت في المكتب
معي تتعلم ما اعلم وتتصرف معنا فلما تم عطلت عن المكتب وعلمت
الغنا فكنت لمحبتي لها اتعلم الغنا معها وعلق بقلبي منها حبا شديدا
وبلغت فخطبني وجوه اهل البصرة لبناتهم فخيرني ابي فاظهرت
له الزهد في التزويج ونشات متوفرا على الادب متقلبا في نعمة
غير متعرض لما يتعرض له الاحداث لتعلق قلبي بالصبية ورغبة
اهل البلد تزداد في وعندهم ان عفتي لصلاح وما كانت الا لتعلق
قلبي بالجارية وان شهوتي لا تتعداها الى غيرها وبلغت وحذقت

من الغنا ما سمعتموه فعزمت امي على بيعها وهي لا تعلم ما في نفسي منها
فاحسست بالموت الى ان صدقت امي حالها وحدثت ابي فاجمع رايهما
ان وهبا الجارية لي وجهزاها كما يجهز اهل البيوتات بناتهن ودخلت
علي وعمل العرس الحسن فنعمت بها دهرا ثم مات ابي فلم احسن ان ارب
نعمته فاسات تدبيرها واسرعت في الاكل والشرب والقيان وانا مع ذلك
اجذر في كل يوم خمسين دينارا او اكثر ولا اتجاوزها في جماع او حب الى ان
نفدت النعمة وافضت الحال الى نقض الدار والفقر الى ما ترون وانا
على هذا منذ سنتين فلما كان هذا الوقت وبلغني دخول الخليفة ووزيره
واكثر مملكة البصرة قلت لها يا اختي ان شبابك يبلي وعمرك قصير في
الشقا ينقضي والله ما في نفسي رغبة في ثمنك فاني اعلم اني تالف
متى فارقتك ولكني اوثر تلقيها مع وصولك الى نعمة ورفاهة فدعيني
اعرضك فلعله ان يشتريك بعض هؤلاء الاكابر فتحصلي منه في انعم
نعمة من العيش فان مت بعدك فتلك امنيتي ويكون كل واحد منا قد
تخلص من الشقا فان حكم الله عز وجل بالبقا صبرت لقضائه واضطر
في معاش بثمنك فبكت من ذلك وقلقت ثم قالت افعل فخرجت الى
هذا النخاس واطلعته على امري وقد كان يسمع غناها في ايام نعمتي
وعرف حالها وحالي وقلت اني لا اعرضها ابدا الا عندي فانها والله
ما تسلقت عتبة باب هذه الدار قط واردت بذلك ان يراها المشتري
وحده ولا تمتهن بسوق ولا دخول الى بيوت الناس وانه لم يكن لها الا
قميصي هذا وهو مشترك بيننا لانني اذا خرجت لابتياع القوت لبسته
وتتشح هي بازارها فاذا جئت البستها اياه واتشحت بالازار فلما جئتما
لعرضها خرجت فغنتكم فلحقني من البكا ما قد سمعتموه ودخلت الي وقالت
يا هذا اما اعجب امرك انت مللتني واثرت فراقي وتبكي هذا البكاء علي
فقلت يا هذه والله لفراق نفسي اهون علي من فراقك وانما اردت ان
تتخلصي من هذا الشقا قالت يا مولاي لو ملكت منك ما ملكته مني
لما بعتك ابدا افاموت جوعا فيكون الموت هو الذي يفرق بيننا فقلت
لا عليك تريدين صدق قولي قالت نعم قلت اخرج الساعة الى المشتري

الجذر القطع قاموس

واعتقك بين يديه واتزوجك واصبر معك الى ان ياتي الله بالفرج والصنع
او الموت والراحة فقالت ان كنت صادقا فافعل فما اريد غيره فخرجت اليكم
فكان مني ما قد علمتم فاعذروني قال جعفر انت معذور ونهض ونهضت
والنخاس فلما قدمت الحمير لنركب دنوت منه فقلت يا سبحان الله مثلك في
جودك ترى هذه المكرمة ولا تنتهز الفرصة فيها والله لقد تقطع قلبي على
الفتى والجارية فقال ويحك وقلبي والله ولكن غيظي من فوت الجارية
اياي يمنعني من التكرم فقلت واين الرغبة في الثواب فقال صدقت والله
ثم التفت وقال للنخاس كم كان الخادم مسلم اليك عند ركوبنا الثمن قال ثلاثة
الاف دينار قال فاين هي قال مع غلامي فقال لي وللنخاس خذاها وادفعاها
الى الفتى وقولا له يكتسي ويركب ويجيئني لاحسن اليه واستخدمه فرجعت
الى الفتى وانا ابكي فقلت له قد عجل الله عليك بالفرج ان الذي خرج من عندك
هو الامير بن الوزير جعفر بن يحيى البرمكي وقد امرك بهذا وهو يقول لك كذا
وكذا فكاد الفتى يصعق حتى قلت قد تلف ثم افاق ثم اقبل يدعو لجعفر
ويشكر لي فركبت ولحقت بجعفر فاخبرته فحمد الله عز وجل على ما وفقه
له وعاد الى داره وانا معه فلما كان الى المسا جئنا الى الرشيد فاخذ يسائل
جعفرا عن خبره في يومه وهو يخبره بالامور السلطانية ثم فاوضه فيما سوى
ذلك الى ان قص عليه حديث الفتى والجارية فقال له الرشيد فما عملت
فاخبره واستصوب رايه وقال وقع له برزق سلطاني في رسم ارباب
النعم في كل شهر كذا وكذا واعمل بعد ذلك ما شئت فلما كان من الغد جاء
الفتى راكبا بثياب حسنة وهيئة جميلة واذا هو لحلي الناس كلاما واتمهم
ادبا فحملته معي الى جعفر فاوصلته الى مجلسه وامر بتسهيل وصوله اليه
وخلطه بحاشيته ووقع له عن الخليفة بما كان رسمه له وعن نفسه بشي آخر
فشاع حديثه بالبصرة وفي اهل العسكر فلم يبق فيها متغزل ولا متظرف
الا اهدى اليه شيئا جليلا فاخرجنا من البصرة حتى حصل له اموال
كثيرة ووجد هذا الخبر بخلاف هذا ذكره ابو الحسن بن جمهور العمي البصري
الكاتب في كتابه كتاب السمار والندما فزعم ان الرشيد لما حج كان معه ابراهيم
الموصلي واقتص الخبر على قريب مما ذكرناه وان الجارية بدات وغنت

بصوت من صنعة ابراهيم الموصلي وهو لمت على زفرة صاعده ٭ وملني العائد والعائده ٭ ولبعده ٭ وما اعرف الايام الا ذميمة ٭ وما الدهر الا وهو بالثار طالب ٭ ثم ذكر بقية الحديث على قريب من هذا وفي الخبر الاول زيادات ليست في خبر ابن جمهور وبلغني خبر لجعفر بن يحيى يقارب هذا الخبر باسناد الى بيلخ وسيبويه النخاسين قالا ارسل الينا جعفر بن يحيى يطلب جارية قوالة ذات ادب وظرف على صفة ذكرها فحدها فبقينا بجيل الراي ونخوض في ذكرهن ونتواصف من نعرف منهن والى جانبنا شيخ من اهل الكوفة يسمع كلامنا فاقبل علينا فقال عندي بغية الوزير فانهضوا ان شئتم لتنظروا اليها فنهضنا معه حتى اذا وصلنا الى داره وجدناها ظاهرة الاختلال ولم نر فيها الا مسحا خلقا وثلث قصبات عليها مسوحه فارتجنا بقوله لما ظهر من سوء حاله ثم صوت بها فخرجت كانها فلقة قمر تتثنى كالقضيب فاستقراها فقرات آيات من القرآن حركت منا ما كان ساكنا واتبعتها بقصيدة مليحة شوقتنا واطربتنا فقلنا صناع واشرنا الى يدها فقالت نعم علمت العمل بالعود وانا صغيرة فقلنا سبحان الله ساعدينا بها فقالت وهل يصلح ان استجيب الا لمولاي يملك ان دعاني اليه فغلته وقلدته قالا وراح الرسول الى جعفر واخبره بما شاهد فلم يتمالك جعفر حين سمع صفة الجارية حتى استنهض الرسول الى منزل الشيخ وتبعه حتى دخل عليه وساله اخراجها اليه فلما راها جعفر اعجبته قبل ان يستنطقها فلما استنطقها اخذت بمجامع قلبه فقال لمولاها قل لها تشاء قال الشيخ لست احدث امرا حتى استاذنها ولولا الضر الذي نحن فيه ما عرضتها ولكن ما يشاهده الوزير ووراء ذلك دين كثير قد فدحني ومن اجله فارقت وطني وعرضت على البيع ثمرة قلبي فقال جعفر ما مقدار ما في نفسك ان اردت بيعها قال ثلاثون الف دينار قال فهي لك ان بعتها فاقبل الشيخ عليها فاستاذنها فاستعبرت فلما راى الشيخ استعبارها اقبل على جعفر ومن حضر معه وقال اشهدكم اني قد اعتقتها وجعلت عتقها صداقها ووالله لا يملكها احد فغضب جعفر

واقبل على من حضر عنده فاقبلوا على الشيخ يؤنبونه ويستجهلونه ويقولون ضيعت هذا المال الجليل وحمقت فقال الشيخ النفس اولى بان يبقى عليها من المال والرزاق الله وعاد جعفر فاخبر اباه بما كان من الرجل والجارية فقال ابوه فما صنعت معهما قال تركتهما وانصرفت فقال ويحك ما انفت ان تنصرف عن متحابين مثلهما فقيرين لا تجبر حالهما ارضيت ان يكون الكو في اسمح منك فدعا بغلام وحمل معه الى الشيخ ثلاثين الف دينار على بغل فلما وصل المال الى الشيخ اخذه وحمد الله عز وجل وعاد بالجارية والمال الى الكوفة وجدت في بعض الكتب عن عمرو بن شيبة يرفعه الى بعضهم ان عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما اشترى جارية من مولدات مكة وكان يتعشقها غلام من اهلها فقدم في اثرها المدينة فنزل قريبا من منزل عبد الله بن جعفر ثم جعل يلطف عبد الله بطرائف مكة حتى عرفه وجعلت الجارية تراسله فادخلته ليلا في اصطبل دواب عبد الله بن جعفر فنبر عليه السائس فاعلم عبد الله فاتي به فقال مالك قبحك الله بعد تحرمك بنا قال لا اذ وكذب انك لما ابتعت الجارية كنت لها محبا وكانت تحبني مثل ذلك فدعا الجارية فسالها فجاءت بمثل قصة الفتى قال فخذها فهي لك فلما كان بعد ذلك بقريب عشق عبد السلام بن ابي سليمان مولى اسلم جارية لآل طلحة بن عمير بن عبيد الله بن معمر التيمي يقال لها رواح فطلبها منهم رجاء ان يفعلوا ما فعل ابن جعفر بالفتى المكي فلم يفعل الطلحيون ذلك فسال في ثمنها حتى اجتمع له فاشتراها منهم فقال عبد السلام في ذلك ٭

٭ وانت فلا تعدل نوال ابن جعفر ٭ وابن لعركي من نوال ابن معمر ٭
٭ يطير لدى الجنات هذا بفضله ٭ وقد قصر هذا اللجيم المسعر ٭

وقد كان مما يقارب في عصرنا هذا وهو ما حدثت به عن ابي احمد محمد بن احمد الجرجاني الذي كنا ندرس عليه مذهب الشافعي قال كنا ندرس على ابي اسحاق المروزي الشافعي فكان يدرس عليه معنا فتى من اهل خراسان له والد هناك يوجه اليه في كل سنة مع الحجاج قدر نفقته للسنة فاشترى جارية فوقعت في نفسه والفته والفها

وكانت معه سنتين وكان رسمه ان يستدين في كل سنة دينا بقدر ما يعجز عن نفقته فاذا جاء ما ينفذه ابوه قضى دينه وانفق الباقي في مدة ثم عاد الى الدين فلما كان سنة من السنين جاء الحجاج وليس معهم نفقة من ابيه فسالهم عن سبب ذلك فقالوا ان اباه اعتل علة عظيمة صعبة فاشتغل بنفسه فلم يتمكن من انفاذ شيء اليك معنا قال فقلق الفتى قلقا عظيما شديدا وحضر غرماؤه يطالبونه بالعادة في قضاء الدين وقت الموسم فاضطرب واخرج الجارية الى النخاس فعرضها وكان الفتى ينزل بقريب منزلي ويصطحب الى مجلس الفقيه ولا يكاد يفترق فباع الجارية بالف درهم وكسر ليفرق منها على غرمائه قدر مالهم ويتمزز بالباقي وكان قلقا متوجعا من ذلك في رجوعنا من النخاسين فلما كان من الليل لم اشعر الا وبابي يدق ففتحته فاذا بالفتى قلت مالك قال امتنع علي النوم وحشة للجارية وشوقا لها قال ووجدته بالقلق على امر عظيم حتى انكر عقله فقلت ما تشا قال لا ادري وقد سهل على نفسي ان ترجع الجارية الى ملكي وابكر غدا واقر لغرمائي بما لهم واحبس في حبس الحاكم الى ان يفرج الله عز وجل ويجيئني من خراسان نفقتي في العام المقبل بعد ان تكون الجارية في ملكي فقلت انا كفيل ذلك في غد واعمل في رجوع الجارية ان كنت وطنت نفسك على هذا قال وبكرنا الى السوق فسالنا من اشترى الجارية فقالوا امراة من دار ابي بكر بن حامد الخراساني صاحب بيت المال فجئنا الى مجلس الفقه فشرحت لابي اسحاق المروزي بعض حديث الفتى وسالته ان يكتب رقعة فيها فسخ البيع والاقالة واخذ الثمن ورد الجارية فكتب رقعة مؤكدة في ذلك فقمت واخذت بيد الفتى صديقي وجئنا الى ابي بكر ابن حامد فاذا المجلس حاشد فامهلنا حتى خف فدنوت انا والفتى فعرفني وسالني عن المروزي فقلت هذه رقعة في حاجة له فلما قراها قال انت صاحب الجارية قلت لا ولكنه صديقي هذا واومات الى الخراساني وقصصت عليه سبب بيع الجارية فقال والله ما اعلم اني ابتعت جارية في هذه الايام ولا ابتيعت لي فقلت ان امراة جاءت

فابتاعتها وقالت انها من دارك فقال يا عجوز يا فلان فجاء خادم فقال ادخل الى دور الحرم وسل عن جارية ابتيعت امس فلم يزل يدخل من دار الى دار ويخرج الى اخرى حتى وقع عليها فقال وقعت عليها فقال له نعم فقال احضرها الساعة فاحضرت فقال لها من مولاك فاومات الى الخراساني فقال لها اتحبين ان اردك عليه فقالت والله ليس لمثلك ان يختار عليه ولكن لمولاي حق التربية فقال هي لحبيبة عاقلة قال فاخرج الخراساني الكيس وتركه بحضرته فقال للخادم امض الى الحرم فقل لهن ما كنتن وعدتن به هذه الجارية من احسان وبر فعجلنه الساعة فجاء الخادم باشياء لها قدر فدفعها اليه ثم قال للخراساني خذ كيسك واقض منه دينك ووسع بباقيه على نفسك وعلى جاريتك والزم الدرس فقد اجريت لك في كل شهر فقيزد فيقا ودينارين تستعين بها في امرك فوالله ما انقطعت عن الفتى حتى مات قال مؤلف الكتاب وجدت هذا الخبر مستفيضا ببغداد واخبرت به على جهات مختلفة الا انني اذكر بعض الطرق الاخر التي بلغتني لهذا الحديث حدثني احمد بن عبد الله عن شيخ من دار القطن ببغداد قال كان لابي بكر بن ابي حامد جارية مكرمة ظريفة وكان ثم رجل يعرف بعبد الواحد الصير في باع حجارته وكان يهواها على ابي بكر بن ابي حامد يعني صاحب بيت المال بثلاثمائة دينار فلما جاء الليل استوحش لها وحشة شديدة ولحقه من القلق والهيمان والجنون والاسف على فراقها ما منعه من النوم ولحقه من البكا والسهر ما كان يخرج نفسه فلما اصبح خرج الى دكانه ليتشاغل بالنظر في امره فلم يكن الى ذلك سبيل وزاد عليه القلق والشوق فاخذ ثمن الجارية وجاء الى دار ابي بكر بن ابي حامد فدخل ومجلسه حافل فسلم وجلس في اخريات الناس الى ان انفضوا فلما لم يبق منهم غير ابي بكر بن ابي حامد فقال له ان كانت لك حاجة فاذكرها فحصر وجرت دموعه وشهق فرفق به ابن ابي حامد وقال له قل عافاك الله ولا تستحي قال بعت امس جارية كانت لي كنت احبها واشتريت لك ٭

اطال الله بقاك وقد احسست بالموت اسفًا على فراقها واخرج الثمن
ووضعه بحضرته وقال انا اسالك ان تردّ علي حياتي باخذ هذه
الدنانير واقالتي البيع قال فتبسم له ابن ابي حامد وقال فلما كانت
بهذا المحل من قلبك فلم بعتها قال انا رجل صيرفي وكان راس مالي الف
دينار فلما اشتريتها اشتغلت بها عن لزوم الدكان فبطل كسبي وكنت
انفق عليها من راس مالي نفقة لا يحتملها حالي فلما مضت هذه خشيت
الفقر ونظرت فاذا لم يبق معي من راس مالي الا ثلثه او اقل وصارت
تطالبني من النفقة بما ان اطعتها فيه ذهبت هذه البقية وحصلت
على الفقر فلما منعتها ساءت اخلاقها علي وتنغصت عيشتي فقلت
ابيعها واردّ ثمنها فيما اخل من دكاني ويستقيم عيشي واستريح
من اذاها واتصبّر على فراقها وينضبط امري بسقوط النفقة
عني وتوفري على التجارة ولم اعلم انه يلحقني هذا الامر العظيم وقد
آثرت الفقر الآن بان تحصل لي الجارية فان الموت اسهل مما انا فيه
فقال ابن حامد يا فلان فجاء خادم اسود فقال اخرج الجارية التى
اشتريت لنا امس قال فاخرجت الجارية فقال يا بني ان مثلي لا يطا
قبل الاستبرا والله ما وقعت عيني على هذه الجارية منذ اشتريت
الى الآن وقد وهبتها لك فخذها ودنانيرك بارك الله لك فيها وردّ
الدنانير في دكانك ثم قال للخادم هات الف درهم فجاء بها فقال للجارية
قد كنت عملت على ان اكسوك فجاء من امر مولاك ما لم ار في المروة منعه
منك فخذي هذه الدراهم واتسعي بها في نفسك ولا تحملي مولاك ما لا
يطيق فيفتقر ويحتاج ومتى تجدين من يرغب فيك مثل رغبته فاعرفي
له حق هذه المحبة وهذه الالف درهم لك عندنا كل سنة يجي مولاك
فياخذها لك اذا اشكرك ورضي طريقك ثم قال له لا تنفق عليها الا
بقدر طاقتك وهذه الالف درهم في كل سنة لها كفاية مع ما تطيقه
انت من الانفاق عليها وتوفر على دكانك ومعاشك وليس كل وقت
يتفق لك ما اتفق الآن فقام الرجل فقبل يديه ورجليه وجعل يبكي
ويدعو له ورجع الى بيته بماله وجاريته واصلح امر دكانه ومعيشته

وفرّج الله عز وجل ما كان فيه من الشدة وكان ما فعله ابو بكر بن ابي
حامد سببًا لصلاح حاله **ويشبه هذا الحديث** ما وجدته في
كتاب اعطانيه ابو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم المعروف بابن حاجب
النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير المهلبي على ديوان السوا دوذكر
انه نسخه من كتاب اعطاه ابو الحسن الخصيبي وكان فيه اصلاحات
بخط ابن ما بيداد اشترى الحسن بن سهل من القسطاطي التاجر
جارية بالف دينار فحملت الى منزل الحسن وكتب للقسطاطي بثمنها
فاخذ الكتاب الى من احاله عليه بالمال وانصرف فوجد منزله
مفروشًا نظيفًا وفيه ريحان قد عبّي تعبية حسنة ونبيذًا قد
صفي فقال ما هذا فقيل له جاريتك التي بعتها الساعة اعدت لك
هذا لتنصرف اليها فبعتها قبل انصرافك قال فقام القسطاطي
فرجع الى الحسن بن سهل فقال ايها الامير اقلني بيع الجارية اقالك
الله في الآخرة فقال ما الى هذا سبيل وما دخلت قط داري
جارية فخرجت منها قال ايها الامير انها الموت قال وما ذلك
فقص عليه القصة وبكى ولم يزل يتضرع فرق له الحسن بن سهل
وردّ الجارية عليه من ساعته وقال له الا الف الدينار لا يرجع الى
ملكي منها دينارًا ابدًا فاخذ القسطاطي الجارية والدنانير وعاد
الى منزله وجلس مع جاريته على ما اعدته له **عن** حماد بن اسحاق
عن ابيه قال غدوت يومًا وانا ضجر من ملازمة دار الخلافة
والخدمة فيها وركبت بكرة وعزمت على ان اطوف الصحراء واتفرج
بها فقلت لغلماني ان جاء رسول الخليفة فعرفوه اني بكرت في مهم
لي وانكم لا تعرفون الى اين توجهت قال ومضيت وطفت ما بدا لي
ثم عدت وقد حمي النهار فوقفت في شارع المخرم في تخين الظل وجناح
رحب في الطريق لاستريح فلم البث ان جاء خادم يقود حمارًا فارهًا
عليه جارية راكبة تحتها منديل دبيقي وعليها من اللباس الفاخر ما لا
غاية وراءه ورايت لها قوامًا حسنًا وطرفًا فاتنًا وشمائل ظريفة
فحدست انها مغنية فدخلت الدار التي كنت واقفًا عليها وعلقها

قلبي في الوقت علوقًا شديدًا لم استطع معه البراح فلم البث الا يسيرًا
حتى اقبل رجلان شابان جميلان لهما هيئة تدل على قدرهما راكبين
فاستاذنا فاذن لهما فحملني ما قد حصل في قلبي من حب الجارية وايثاري
على ان نزلت معهما ودخلت بدخولهما فظنا ان صاحب الدار دعاني
وظن صاحب الدار اني معهما فجلسنا فاتي بالطعام فاكلنا وبالشراب
فوضع وخرجت الجارية وفي يدها عود فرايتها حسنًا وتمكن ما في
قلبي منها وغنت غناءً صالحًا وشربنا وقمت قومة للبول فسال صاحب
المنزل عن الفتيين فاخبراه انهما لا يعرفانني فقال هذا طفيلي ولكنه
ظريف فاجملوا عشرته وجئت فجلست وغنت الجارية في لحن لي

ذكرتك ان مرت بنا ام شادن ... امام المطايا تشريب وتطمح
من المولعات الرمل ادماء حرة ... شعاع الضحى في بيتها يتوضح

فادته اداءً صالحًا ثم غنت اصواتًا فيها من صنعتي

الطلول الدوارس ... فارقتها الاوانس
اوحشت بعد اهلها ... فهي قفر بسابس

فكان امرها فيه اصلح من الاول ثم غنت اصواتًا من القديم والمحدث
وغنت في اضعافها من صنعتي في شعري

قل لمن صد عاتبًا ... ونأى عنك جانبًا
قد بلغت الذي اردت ... وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت ... وان كنت كاذبا

فكان اصلح مما غنته فاستعدته
منه لاصحّحه لها فاقبل علي رجل منهم فقال ما رايت طفيليًا اصفق وجهًا
منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا تصديق المثل طفيلي يقترح
فاطرقت ولم اجبه وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف ثم قاموا الى
الصلاة وتاخرت فاخذت العود واشددت طبقته واصلحته صلاحًا
محكمًا وعدت الى موضعي فصليت واعادوا اخذ الرجل في عربدته
علي وانا صامت ثم اخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت
من مس عودي فقالوا ما مسه احد قالت بلى والله قد مسه حاذق
متقدم وشد طبقته واصلحه اصلاح متمكن من صنعته فقلت لها
انا اصلحته قالت فبالله عليك خذه فاضرب به فاخذته وضربت مبداءً

عجيبًا فيه نقرات محركة فما بقي في المجلس احد الا وثب فجلس بين يدي وقالوا
بالله عليك يا سيدنا اتغني قلت نعم واعرفكم نفسي ايضًا انا اسحاق
ابن ابراهيم الموصلي واني والله لاتيه على الخليفة وانتم تشتموني منذ
اليوم لاني تملحت معكم بسبب هذه الجارية ووالله لا نطقت بحرف
ولا جلست معكم او تخرجوا هذا المعربد المقت بالغث ونهضت لاخرج
فتعلقوا بي فلم ارجع فلحقتني الجارية فتعلقت بي فلنت وقلت
لا اجلس او تخرجوا هذا البغيض فقال له صاحبه من هذا وشبهه
فاخذ يعتذر فقلت اجلس ولكن والله لا انطق بحرف وهو حاضر
فاخذوا بيده واخرجوه فبدات اغني بالاصوات التي غنتها الجارية
من صنعتي فطرب صاحب البيت طربًا شديدًا وقال هل لك في امر
اعرضه عليك فقلت وما هو قال تقيم عندي شهرًا والجارية والحمار
لك مع ما عليه من حلية وللجارية من كسوة فقلت افعل فاقمت
عنده ثلاثين يومًا لا يعرف احدًا اين انا والمامون يطلبني في كل
موضع فلا يعرف لي خبرًا فلما كان بعد ذلك سلم الي الجارية والحمار
والخادم وجئت بذلك الى منزلي وهم في اقبح صورة لخبري وابطائي
عنهم وركبت الى المامون من وقتي فلما راني قال يا اسحاق ويحك
اين تكون فاخبرته بخبري فقال علي بالرجل الساعة فدللتهم على بيته
فاحضر فساله المامون عن القصة فاخبره به فقال انت ذو مروة
وسبيلك ان تعاون عليها فامر له بمائة الف درهم وقال لا تعاشر
ذاك المعربد السفلة فقال معاذ الله يا امير المؤمنين وامر لي
بخمسين الف درهم وقال لي احضر لي الجارية فاحضرته اياها فغنته
فقال لي قد جعلت لها نوبة في كل يوم ثلثا تغنيني من وراء الستارة
مع الجواري وامر لها بخمسين الف درهم ربحت والله بتلك الركبة واربحت
ثم وجدت هذا الخبر في كتاب ابي الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني
الكبير والمعنى واللفظ قريب من هذا فذكر ان الصوت الاول شعره
لذي الرمة والغنا فيه لاسحاق ثقيل اول السبابة والوسطى عن ابن
المكي ومن اغاني اسحاق والثالث شعره لاسحاق واللحن له ثاني

ثقيل بالبنصر في مجراها وفيه لغيره الحان قال والثاني شعره لابن يامين
والغنا فيه لاسحاق خفيف ثقيل بالبنصر **عن** نمير بن خلف المداني
وكان حسن الوجه حبيبًا قال كان منا فتى يقال له حسين بن عبد الله
ويعرف بالاشتر وكان يهوى جارية من قومه يقال لها جيداء وكانت
ذات زوج وشاع خبره في حبها فمنع منها وضيق عليه حتى لم يقدر ان
يلم بها فجاءني يومًا فقال يا اخي قد بلغ مني الوجد وضاق علي الصبر فهل
تساعدني على زيارتها فقلت نعم فركبنا وسرنا يومين حتى نزلنا
قريبًا من حيها فكمن في موضع وقال لي اذهب الى القوم فكن ضيفًا
فيهم ولا تذكر شيئًا من امرنا حتى ترى راعية لجيداء صفتها كذا وكذا
فتعلمها خبري وتامرها باخذ موعد عليها فمضيت وفعلت ما امرني به
حتى لقيت الراعية فخاطبتها ومضت الى جيداء وعادت فقالت لموعدك
الليلة عند تلك الشجرة في موضع كذا فمضيت اليه واعلمته وجلسنا عند
الشجرة الى الوقت فاذا بجيداء قد اقبلت فوثب الاشتر فقبل عينيها
فقمت موليًا عنهما فقالا نقسم عليك الا رجعت فوالله ما بيننا ما نستره
عنك فرجعت وجلسنا نتحدث فقال لها يا جيداء ما فيك في المضي حيلة
الليلة فنتعلل بها قالت لا والله الا ان يعود حالي الى ما تعرف من البلاء
والشدة فقال ما من ذلك بد ولو وقعت السماء على الارض فقالت هل
في صاحبك هذا خير فقلت اي والله فقالت وقد خلعت ثيابها خذها
والبسها واعطني ثيابك ففعلت فقالت اذهب فان زوجي سياتيك
بعد العتمة يطلب منك القدح ليحلب فيه الابل فلا تدفعه اليه من يدك
فهكذا كنت افعل ودعه بين يديه فانه سيذهب فيحلب فيه ثم ياتيك
به فيقول هاك غبوقك فلا تاخذه منه حتى تطيل نكدك عليه ثم خذه
منه او فدعه حتى يضعه هو ثم لست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت
ما امرتني به وجاء بالقدح فلم آخذه واطلت النكد عليه ثم اهويت لآخذه
واهوى ليضعه فاختلفت ايدينا فانكفا القدح فقال ان هذا الطماح
مفرط وضرب بيده الى سوط ثم تناول جمتي فضرب ظهري بذلك السوط
ثلاثين فجاءت امه واخته فانتزعاني من يده بعد ان زال عقلي وهممت

ان اوجئه بالسكين فلما خرجوا عني لم البث الا يسيرًا فاذا بام جيداء قد
دخلت علي تكلمني وتزبرني فلزمت الصمت والبكا فقالت يا بنية اتقي
الله واطيعي زوجك فاما الاشتر فلا سبيل لك اليه وانا ابعث اليكِ
اختك الليلة ثم مضت وبعثت الي بالجارية فجعلت تكلمني وتدعو على
من ضربني وتبكي وانا ساكت ثم اضطجعت الى جنبي فشددت يدي
على فمها وقلت يا جارية ان اختك مع الاشتر وقد قطع ظهري بسببها
وانت اولى بستر هاميّ وان تكلمت بكلمة فضحتها وانا لست ابالي
فاهتزت مثل القضيب فزعًا ثم ضحكت وباتت معي اظرف الناس فلم
نزل نتحدث حتى برق الفجر ثم خرجت وجئت الى اصحابي فقالت جيداء
ما الخبر فقلت سلي اختك عن الخبر فلعمري انها عالمة به ودفعت
اليها ثيابها واريتها ظهري فبكت وجزعت ومضت مسرعة وجعل
الاشتر يبكي وانا احدثه وارتحلنا **عن بعضهم** قال حضرت
عند صديق لي من البزازين وكان مشهورًا في دعوة فقدم اليه في
جملة طعامه داجيراجة فلم ياكلها فامتنعنا من اكلها فقال احب ان
تاكلوا وتعفوني من اكلها فلم ندعه حتى اكل فلما غسلنا ايدينا انفرد
بغسل يده ووقف غلام يعد عليه حتى قال لقد غسلت يدك اربعين
مرة فقطع الغسل فقلنا ما سبب هذا فامتنع فالححنا عليه فقال
مات ابي وسني نحو العشرين سنة وخلف علي حالًا ضعيفة واوصاني
قبل موته بقضاء ديون كانت عليه وملازمة السوق وان اكون اول
داخل اليها وآخر من يخرج منها فرايت في ذلك منافع كثيرة فالتزمتها
فلزمتها فبينا انا جالس يومًا ولم تتكامل السوق فاذا بامراة راكبة
حمارًا على كفله منديل دبيقي وخادم يمسك العنان فنزلت عندي
فقمت اليها ولزمتها وسالتها عن حاجتها فطلبت شيئًا من الثياب
ذكرته وسمعت احسن نغمة ورايت وجهًا لم ار احسن منه قط فذهب
علي امري وعشقتها في الحال فقلت تصبري حتى تتكامل السوق وآخذ
لك ما تريدين ففعلت واخذت تحادثني وانا في الموت عشقًا وخرج
الناس فاخذت لها ما ارادت وجمعته وركبت ولم تخاطبني في ثمنه بحرف

وكان مقدار ما اخذته نحو الخمسة الآف درهم فلما غابت عن عيني
افقت واحسست الفقر وقلت محتالة خدعتني بكشف وجهها وراتني
حدثًا ولم اكن سالتها عن منزلها ولا طالبتها بالثمن لدهشي بها فكتمت
خبري لئلا افتضح واتعجل المكروه وعملت على اغلاق دكاني وان ابيع كل ما فيه
واوفي الناس امتعتهم واجلس في بيتي مقتصرًا على غلة يسيرة من عقار
كان خلفه ابي لي فلما كان بعد اسبوع فاذا بها قد باكرتني فنزلت عندي
فحين رايتها انسيت ما كنت فيه وقمت اليها فقالت يا فتى تاخرنا عنك
وما شككنا انا قد روعناك وظننت انا قد احتلنا عليك قلت قد رفع
الله قدرك عن هذا فاستدعت الميزان ووفتني دنانير بقيمة ما قلت لها
انه ثمن المتاع واخذت تذكره بمتاع آخر فاجلستها احدثها واتمتع بالنظر
اليها الى ان تكاملت السوق فقمت فدفعت الى كل انسان ممن كان له شيء
ماله وطلبت منهم ما اردت فاعطوني فجئت به معي واخذت ذلك وانصرفت
ولم تخاطبني في ثمنه ولا خاطبتها في صفة موضعها بحرف فلما غابت عن
عيني ندمت وقلت المحنة هذه لانها اعطتني شيئًا بخمسة الآف درهم
واخذت متاعًا بالف دينار والآن لا اقف لها على خبر فليس الا الفقر
وبيع المحكم وبيع متاع الدكان وما ورثته من العقار وتطاولت غيبتها
عني اكثر من شهر واخذ التجار يشددون علي المطالبة فعرضت عقاري
على البيع واشرفت على الهلاك وانا في ذلك اذا بها قد نزلت عندي فحين
رايتها زال عني الفكر في الحال وانسيت ما كنت فيه واقبلت علي
تحادثني فقالت هات الطيار فوزنت لي بقية المال فاخذت اطاولها
ونشطت لكلامها فبسطتني فكنت امزح واجد الى ان قالت هل لك زوجة
فقلت لا والله يا ستي ما عرفت امراة قط وبكيت فقالت ما لك قلت خير
وهبتها واخذت بيد الخادم واخرجت اليه دنانير كثيرة وسالته التوسط
بيني وبينها فضحك وقال انها هي والله اعشق منك لها وما بها حاجة الى
ما اشترته منك وانما تجيك لمطالبتك فخاطبها بما تريد فانها تتقبله
وتستغني عني فعدت وقلت لها اني امضي لانقد الدنانير فلما عدت قالت
انقدت الدنانير وضحكت وقدرتني مع الخادم فقلت يا ستي اسا الله

في دمي وخاطبتها بما في نفسي فاعجبها ذلك وتقبلت الخطاب احسن قبول ثم
قالت الخادم يجيك برسالتي بما تعمل عليه وقامت ولم تاخذ مني ثيابًا
فوفيت الناس اموالهم وحصل لي ربح واسع واغتممت غمًا شديدًا خوفًا
من انقطاع السبب بيني وبينها ولم انم ليلتي قلقًا وحزنًا فلما كان بعد
ايام جاءني الخادم فاكرمته واعطيته دنانير وسالته عنها فقال هي
والله عليلة شوقًا اليك قلت فاشرح لي امرها قال هذه صبية ربتها
السيدة ام المقتدر وهي من اخص جواريها واشتهت رؤية الناس والدخول
والخروج فتوصلت الى ان صارت تخلف القهرمانة فتخرج في الحوائج فترى
الناس وقد والله حدثت السيدة بحديثها وسالتها ان تزوجها منك
فقالت لا افعل حتى اراه فان كان يستحقك والا لم ادعك باختيارك ويحتاج
ان تحتال في ادخالك الدار بحيلة ان تمت وصلت الى حاجتك وان انكشف
ذلك ضربت عنقك فما تقول فقلت اصبر على هذا فقال اذا كان الليلة
فاعبر المخرم وادخل المسجد الذي بنته السيدة على شاطئ دجلة وعلى
حائط الآخر مما يلي دجلة اسمها مكتوب بالآجر المقطوع وهو المسجد الذي
سد بابه الآن سبكتكين الحاجب الكبير مولى معز الدولة المعروف بشاشنكير
وادخله الى ميدان داره وجعله مصلى لغلمانه فبت فيه قال الرجل
فلما كان قبل الغروب وصليت في المسجد العشائين وبت فيه فلما كان
في السحر فاذا بطيار لطيف قد قدم وخدم قد نقلوا صناديق فارغة
وجعلوها في المسجد وانصرفوا وبقي منهم واحد فتاملته فاذا هو الوسط
بيني وبينها ثم صعدت الجارية فاستدعتني فقمت وعانقتها
وقبلت يدها وقبلتني قبلًا كثيرة وبكيت وتحدثنا ساعة ثم
اجلستني في واحد من الصناديق كبير واقفلته واقبل الخدم
يراجعون بثياب وماورد وعطر واشياء قد احضروها من
مواضع فتفرق في باقي الصناديق وتقفل ثم حملت الصناديق في
الطيار وانحدر فلحقني من الندم امر عظيم وقلت قتلت بشهوة
لعلها لا تتم ولو تمت ما ساوت قتل نفسي واقبلت ابكي وادعو الله
عز وجل واتوب اليه وانذر الى ان حملت الصناديق بجهازها في

في دار الخليفة يحمل صندوقين خادمان احدهما الوسط ومشت
هي امام الصندوق والصناديق كلها خلف صندوقي فكلما اجتازت
بطائفة من الخدم الموكلين بابواب الحرم قالوا نريد نفتش الصناديق فتصيح
على بعضهم وتشتم بعضهم وتداري بعضهم الى ان انتهينا الى خادم ظننته
رئيس القوم فخاطبته بفزع وخضوع وذلة وحقق على انه لا بد
من فتح الصناديق فبدا بصندوقي فانزله فحين احسست بذلك ذهب
عقلي وغاب علي امري وبلت في الصندوق فزعا فجرى البول حتى
خرج من خلله فقالت يا استاذ اهلكتني واهلكت التجار ذهب علي
الامر كله وهلك علينا متاع في الصندوق وثياب وغير ذلك قيمته عشرة
الآف دينار لان فيه قارورة من ماء زمزم وقد انقلبت وجرت على
الثياب واهلكت والساعة تستحيل الوانها فقال لها خذي صندوقك
الى لعنة الله انت وهو ومري وحمل الخادم صندوقي فاشتد عليه وتلاحقت
الصناديق فيما بعد حتى سمعتها تقول واويلاه الخليفة ثمت وجاءني مالم
احتسبه فقال لها الخليفة ويحك اي شيء في صناديقك قالت يا مولاي
ثياب للسيدة فقال افتحيها حتى اراها فقالت يا مولاي الساعة هي تفتحها
بين يديك وتراها فقال مري هو ذا اجي فقالت للخدم اسرعوا فاسرعوا
ودخلت حجرة وفتحت صندوقي وقالت اصعد تلك الدرجة ففعلت
واخذت ما في بعض تلك الصناديق فجعلته في صندوقي وجاء المقتدر
ففتحت تلك الصناديق بين يديه واغلقت الحجرة ومضت ومعها الصناديق
بحيث تجلس ثم عادت الي وطيبت نفسي واحضرتني طعاما وشرابا وما احتاج
اليه واقفلت الحجرة ومضت فلما كان من الغد جاءتني فصعدت اليها
فقالت السيدة تجيء الساعة لتراك فانظر اين تكون فما كان باسرع من ان
جاءت السيدة فجلست على كرسي وفرقت جوارها فلم يبق معها واحدة منهن
ثم انزلتني الجارية فحين رايت السيدة قبلت الارض وقمت ودعوت لها
فقالت لجاريتها بئس ما اخترت هو كيس ونهضت فجاءتني صاحبتي
بعد ساعة وقالت ابشر فقد وعدتني ان تزوجني بك وما بين
ايدينا الآن الا عتبة الخروج فقلت يسلم الله تبارك وتعالى فلما كان من

غد حملتني في الصندوق فخرجت كما دخلت وكان الحرص على التفتيش ايسر
وتركت في المسجد فرجعت وتصدقت ووفيت بنذري فلما كان بعد ايام
جاءني الخادم برقعتها بخطها الذي اعرفه وكيس فيه ثلاثة الآف دينار عينا
تقول في رقعتها امرتني السيدة بانفاذ هذا اليك من مالها وقالت
اشتر ثيابا ومركوبا ومملوكا يسعى بين يديك واصلح به ظاهرك وتجمل
بكل ما تقدر عليه واحضر يوم الموكب الى باب العامة وقف حتى تطلب
فتدخل على الخليفة فتزوج بحضرته فاجبت عن الرقعة واخذت المال
واشتريت منه ما قالوه باحسن ما يكون واحتفظت الباقي وركبت دابتي
يوم الموكب الى باب العامة ووقفت وجاءني من استدعاني فادخلت على
المقتدر وهو على السرير والقضاة والهاشميون والجيش قيام فتداخلني
هيبة عظيمة وخطب بعض القضاة وزوجني فلما صرت في بعض الممرات
عدل بي الى دار عظيمة مفروشة بانواع الفرش الفاخرة والالات والخدم
فاجلست وتركت وحدي وانصرف من ادخلني فجلست يومي لا ارى من اعرف
الا خدما يدخلون ويخرجون وطعام عظيم ينقل وهم يقولون الليلة
تزف فلانة اسم زوجتي الى البزاز زوجها فلما جاء الليل اثر الجوع بي
واقفلت الابواب وايست من الجارية فقمت اطوف في الدار فوقعت
على المطبخ واذا قوم طباخون جلوس فاستطعمتهم فلم يعرفوني وقد
روى بعض الوكلاء فقدموا الي داجيراجة فاكلتها وغسلت يدي
باشنان كان في المطبخ وانا مستعجل لئلا يفطن بي وقدرت اني قد
نقيت من ريحها وعدت الى مكاني فلما انتصف الليل اذا بطبول
وزمور والابواب تفتح وصاحبتي قد اهديت الي وجاؤا بها يجلونها
وانا اقدر اني ارى ذلك في النوم لا اصدق فرحا به وقد كادت مرارتي
تنشق سرورا ثم خلوت بها وانصرف الناس فحين تقدمت اليها
وقبلتها رفستني فرمت بي عن المنصة وقالت انكرت ان تفلح
يا عامي وقامت لتخرج فعلقت بها وقبلت الارض بين يديها وقلت
عرفيني ذنبي واعملي بعده ما شئت فوقفت وقالت هات فقصصت
عليها القصة كلها فلما بلغت اكثرها قلت علي وعلي فحلفت بايمان غليظة

لا اكلت داجيراجة الا غسلت يدي اربعين مرة فاستحيت وتبسمت
ورجعت الى المنصة وصاحت يا جواري فجاءت عدة وصائف
فقالت هاتن شيئا ناكل فقدمت الينا مائدة حسنة والوان
فاخرة من موائد الخلفا والوانهم فاكلت واكلت معها واستدعت
شرابا فشربت انا وهي وغنى لنا اولئك الوصائف وقمنا الى
الفراش فدخلت بها وافتضضتها وبت بليلة من ليالي الجنة ولم
نفترق اسبوعا ليلا ونهارا الى ان انقضت وليمة الاسبوع وكانت
عظيمة فاخرة فلما كان من الغد قالت لي ان دار الخلافة لا يحتمل المقام
فيها اكثر من هذا وما تم لاحد ان يدخل بعروس غيرك وكل ذلك
بعناية السيدة والوان جرت طويلة حتى اذن الخليفة في هذا
وقد اعطتني خمسين الف دينار من عين وورق وجوهر وقماش
ولي خارج القصر اموال وذخاير وكلها لك فاخرج وخذ معك
مالا واشتر لنا دارا عظيمة حسنة واسعة الصحن فيها بستان كبير
كثيرة الحجر ولا تضيق نفسك كما تضيق نفوس التجار فاني ما تعودت
اسكن الا الصحون الواسعة واحذر ان تبتاع شيئا ضيقا فلا
اليك مالي وانتقل فقلت افعل كما تامرين فسلمت الي عشرة الآف
دينار فاخذتها وخرجت فاتيت داري فانثال الناس علي واعرضت
الي تلك النعمة باسرها ومعي ما لم اظن اني اراه فضلا عن ان املكه
واقامت عندي كذا وكذا سنة اعيش معها عيش الخلفا واتجر
في خلال ذلك فان نفسي لم تسمح بترك الصنعة وابطال المعيشة فتزايد
مالي وجاهي وولدت لي هؤلاء الشبان واومى الى اولاده وماتت
رحمها الله وبقي علي مضرة الداجيراجة اني لا اكلها الا غسلت يدي
اربعين مرة وجدت في بعض الكتب ان عيسى بن موسى الهاشمي
كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها انت طالق ان لم تكوني احسن
من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت قد طلقتني فبات بليلة

عظيمة فلما اصبح غدا على المنصور فاخبره بالخبر فقال له يا امير المؤمنين
ان تم علي طلاقها تلفت نفسي غما وكان الموت احب الي من الحياة واظهر
للمنصور منه جزعا شديدا فاحضر الفقها فاستفتاهم فقال الجميع من حضر
قد طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنه فانه سكت
فقال له المنصور مالك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم فلا شيء يا امير المؤمنين احسن من الانسان فقال المنصور
لعيسى بن موسى قد فرج الله عز وجل عنك والامر على ما قال هذا فاقم
على زوجتك وراسلها ان تطيعي زوجك فما طلقك عن محمد بن علي
ابن يونس قال لما سلمت عمل دمشق الى ابي المغيث الرافعي سالني ان
اكتب له عليه ففعلت فلما توانست انا وهو حدثني اول خبره في تقلده
الناحية فقال لي كنت قصدت عيسى بن موسى وهو يتقلد حمص
فصرفني وقلده ابن عم لي فانصرفت عنه الى الرافقة فكانت لابنة عم
لي جارية نفيسة قد ربتها وعلمتها الغنا وكنت ادعوها فالفتها ووقعت
في قلبي موقعا لطيفا فاشتد حبي لها فعملت على بيع منزلي وابتاعها
وناظرت مولاتها في ذلك فحلفت انها لا تنقص من ثلاثة الاف دينار
فنظرت فاذا انا افتقر ولا تفي حالي كلها بثمنها فقامت قيامتي فاشتد
وجدي والحدرت الى سر من راى الطلب تصرفا او من به شراها
وكان محمد بن اسحاق الطاهري وابوه يوهبان لي فقصدت محمدا
ومعي دواب وبقية من حالي فاقمت عليه مدة لم يسخ لي فيها التصرف
فابدات بي رقة الحال فانحدرت الى بغداد اقصد اسحاق بن ابراهيم
الطاهري فوردت في زورق وفكرت في امري وعلى من انزل فلم
اتق بغير محمد بن الفضل الجرجرائي لمودة كانت بيني وبينه فقصدته
ونزلت عليه ووقع ذلك منه اجل موقع وفاتشني عن امري وسالني
عن حالي فذكرت له قصتي مع الجارية فقال والله لا تبرح من مجلسك
حتى تقبض ثمنها وامر خادمه فاحضر كيسا فيه ثلاثة الاف دينار
وسلمت الي فتابيت عليه فحلف ايمانا مؤكدة ان اقبله قال ان اتسعت

لقضائه واحتجت اليه لم امتنع من اخذه منك فاخذت الكيس وشكرته
وتشاغلنا بالشرب فلما كان من الغد فاتى رسول اسحاق بن ابراهيم
الطاهري يطلبني فصرت اليه فاحتفى بي واكرمني وقال ما ظننت انك
توافي بلدًا انا فيه فتنزل غير داري فقلت والله ما وافيت الا قاصدًا
الى الامير ولكن د وابي تاخرت فتوقفت ورودها الا صير الى باب
الامير عليها فدعا بكتب وردت من محمد بن عبد الملك وفيها كتاب وفي
درجه كتاب امير المؤمنين المعتصم بولايتي دمشق واراني كتابًا يعلمه
فيه ما خبا علي بن اسحاق من قتل رجا ابن الضحاك بدمشق وان
امير المؤمنين راى تقليدك وطلبت بشر من راى فذكر له انك انحدرت
الى اسحاق بن ابراهيم وامر بتسليم كتبي الي ودفع مائة الف دينار
الي معونة على خروجي واحضر المال ووكل بي من يستحثني على
البدار فورد علي من السرور ما ادهشني وودعته وخرجت الى محمد
ابن الفضل فعرفته ما جرى وودعته ايضًا واخرجت دنانيره
فرددتها عليه فحلف بايمان مغلظة عظيمة لا عادت الى ماله ابدًا
وقال اذا جلست في عملك واتسعت لم امتنع ان اقبل منك غير هذا
فشخصت ومررت بالرقة وابتعت الجارية وبلغت مناي بملكها
واجتزت بحمص بابن عمي وانا اجل منه عملا ودخلت علي فصنع الله سبحانه
ووسع ووجدت في كتاب التميمي للمدايني علق رجل من بني اسد
بامراة من همدان بالكوفة فشاع امرهما فوضع قوم المراة عليه العيون
حتى اخبروا انه قد اتاها في منزل لها فاتوا دارها واحتاطوا بها فلما
رات ذلك ولم تجد للرجل مهربًا وكانت المراة بادية فقالت له ما ارى
لك موضعًا استرك من ان ادخلك خلف ظهري وتلزمني فادخلته
بينها وبين قميصها ولزمها من خلفها ودخل القوم فداروا في الدار حتى
لم يتركوا موضعًا الا فتشوه فلم يجدوا الرجل استحيوا من فعلهم
وغلظت المراة عليهم وعنفتهم فخرجوا وانشا الرجل يقول

حبك امهاني وحبك قادني ... لهمدان حتى امسكوا بالمخنق
فجاشت الي النفس اول مرة ... فقلت لها ما توفي حين موفق

رويدك حتى تنظري عم تنجلي ... عماية هذا العارض المتعلق

ذكر الهيثم بن عدي ان جماعة من عذرة حدثوه ان جميلًا بثينة ذات ليلة
في خبائها حتى اذا صادف منها خلوة تنكر ودنا منها وذلك في ليلة ظلماء
ذات غيم ورعد وريح فحذف بحصاة فاصابت بعض اترابها ففزعت وقالت
ما حذفني في هذه الليلة الا الجن ففطنت بثينة ان جميلًا فعل ذلك فقالت
لتربها انصرفي يا اخية الى منزلك حتى تنام فانصرفت وبقيت مع بثينة ام
الحسين وروي ام اليسير بنت منظور وكانت لا تكتمها فقامت الى جميل فادخلته
الخبا معها وتحدثا جميعًا ثم اضطجعا وذهب بهما النوم حتى اصبحا وجاءها
غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به اليها فرآها نائمة مع جميل فمضى لوجهه
حتى خبر سيده ورات ليلى والصبوح معه وقد عرفت خبر جميل وبثينة
فاستوقفته كانها تسائله عن حاله وطاولته الحديث وبعثت بجارية لها
فقالت حذري جميل وبثينة فجاءت الجارية فنبهتها فلما تبينت بثينة ان
الصبح قد اضاء والناس قد انتشروا ارتاعت لذلك وقالت يا جميل نفسك
نفسك قد جاء غلام بعلي بصبوح من اللبن فرآنا نائمين فقال جميل وهو غير مكترث

لعمرك ما خوفتني من مخافة ... علي ولا حذرتني موضع الحذر
واقسم ما يلفى لي اليوم عزة ... وفي الكف مني صارم قاطع ذكر

فاقسمت عليه ان يلقي نفسه تحت النضد وقالت انما اسالك ذلك خوفًا على
نفسي من الفضيحة لا خوفًا عليك ونامت واضطجعت ام الحسين الى جانبها
فجاء زوجها الى اخيها فعرفه الخبر وجاوا باجمعهم الى بثينة وهي نائمة
فكشفوا عنها الثوب فراوا ام الحسين الى جانبها نائمة فخجل زوجها وسب
عبده وقالت ليلى لاخيها وابيها قبحكما الله في كل يوم تفضحانني في
فنائكما ويلكما هذا لا يجوز فقالا انما فعل ذلك بعلها فقالت قبحه الله
واياكما فجعلا يسبان زوجها وانصرفوا وقام جميل تحت النضد الى ان
اجنه الليل ثم ودعها وانصرف عن ابي القاسم علي بن احمد الكاتب
المعروف بابن كردويه قال كان لي صديق من اهل واذان عظيم النعمة
والضيعة فحدثني قال تزوجت في شبابي امراة من آل وهب ضخمة النعمة
حسنة الخلقة والادب كثيرة المروة ذات جوار مغنيات فعشقتها عشقًا

مبرحًا وتمكن لها من قلبي امر عظيم وكان عيشي بها طيبًا مدة طويلة ثم
جرى بيني وبينها بعض ما يجري بين الناس فغضبت علي وهجرتني واغلقت
باب حجرتها من الدار دوني ومنعتني الدخول اليها وراسلتني بان اطلقها
فترضيتها بكل ما يمكنني فلم ترض ووسطت بيننا اهلها من النسا فلم ينجع
ولحقني الكرب والغم والقلق والجزع ما كاد ان يذهب بعقلي وهي مقيمة
على حالها فجئت الى باب حجرتها وجلست عنده مفترشًا التراب ووضعت
خدي على العتبة ابكي وانتحب واتلافاها واسالها الرضا واقول كلما يجوز
ان يقال في مثل هذا وهي لا تكلمني ولا تفتح الباب ولا تراسلني ثم جاء الليل
فتوسدت العتبة الى ان اصبحت واقمت على ذلك ثلاثة ايام بلياليها وهي
مقيمة على الهجران فايست منها وعزلت نفسي ووبختها ورضيتها على الصبر
وقمت من باب حجرتها عاملا على التشاغل عنها ومضيت الى حمام في داري
فاملطت عن جسدي الوسخ الذي كان لحقه وجلست لاغير ثيابي واتبخر
فاذا ابنة وجتي قد خرجت الي وجواريها المغنيات حواليها بالآتهن يغنين
ومع بعضهن طبق فيه اوساط وسنبوسج وبرما ورد وما اشبه ذلك فحين
رايتها استطرت فرحًا وقمت اليها فاكببت على يديها ورجليها وقلت ما هذا
يا ستي فقالت تعال حتى ناكل ونشرب ودع السوال وجلست وقدم
الطبق فاكلنا جميعًا ثم جي بالشراب واندفع الجواري بالغنا واخذنا
في الشراب وقد كاد عقلي يزول سرورًا فلما توسطنا امرنا قلت لها
يا ستي انك هجرتني بغير ذنب كبير اوجب ما بلغته من الهجران وترضيتك
بكل ما في القدرة فما رضيتي ثم تفضلت ابتداء بالرجوع الى وصالي بما لم
تبلغه امالي فعرفيني ما سبب هذا قالت كان الامر في سبب الهجر ضعيفًا
كما قلت ولكن تداخلني من التجني ما يتداخل المحبوب ثم استمر بي اللجاج
واراني الشيطان الصواب فيما عملته فاقمت على ما رايته فلما كان الساعة
اخذت دفترًا كان بين يدي وتصفحته فوقعت عيني منه على قول الشاعر

الدهر اقصر مدة من ان يضيع في العتاب ... فنعمتني ساعاته تمر مر السحاب

قالت فعلمت انها عظة لي وان سبيلي ان لا اسخط الله عز وجل باسخاط
زوجي ولا استعمل اللجاج فاسوءك واسوء نفسي فجئتك لاترضاك وارضيك

فانكبيت على يديها ورجليها وصفا ما كان بيننا عن عبد الملك بن عمير
قال قدم علينا عمرو بن هبيرة الكوفي فارسل الى عشرة وانا احدهم من وجوه
اهل الكوفة فسمرنا عنده ثم قال ليحدثني كل رجل منكم احدوثة وابدا انت
يا ابا عمرو قلت اصلح الله الامير احديث الحق ام حديث الباطل قال بل حديث الحق
قال قلت ان امرء القيس بن حجر الكندي آلى انه لا يتزوج امراة حتى يسالها عن
ثمانية واربعة واثنين فجعل يخطب النسا فاذا سالهن عن هذا قلن اربعة عشر
فبينا هو يسير في الليل اذا برجل يحمل بنتًا له صغيرة كانها البدر لتمه فاعجبته
فقال يا جارية ما ثمانية واربعة واثنان قالت اما الثمانية فاطباء الكلبة واما
الاربعة فاخلاف الناقة واما الاثنان فثديا المراة فخطبها الى ابيها فزوجها اياها
وشرطت عليه ان تساله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك على
ان يسوق اليها مائة من الابل وعشرة اعبد وعشر وصائف وثلاث افراس
ففعل ذلك ثم انه بعث عبدًا له الى المراة واهدى اليها نحيًا من سمن ونحيًا من
عسل وحلة من عصب فنزل العبد ببعض المياه ونشر الحلة فلبسها فتعلقت
بشجرة فانشقت وفتح النحيين فاطعم اهل الماء منهما ثم قدم على المراة وهم
خلوف فسالها عن ابيها وامها واخيها ودفع اليها هديتها فقالت اعلم
مولاك ان ابي ذهب يقرب بعيدًا ويبعد قريبًا وان امي ذهبت تشق
النفس نفسين وان اخي يراعي الشمس وان سماكم قد انشقت وان وعاكما
قد نضبا فقدم الغلام على مولاه فاخبره فقال اما قولها ان ابي ذهب
يقرب بعيدًا او يبعد قريبًا فان اباها ذهب يحالف قومًا على قوم واما قولها
ذهبت امي تشق النفس نفسين فان امها ذهبت تقبل امراة نفسا واما
قولها اخي يراعي الشمس فان اخاها في سرح له يرعاه فينتظر وجوب الشمس
ليروح به واما قولها ان سماكم قد انشقت فان البرد الذي بعثت به انشق
واما قولها ان وعاكما قد نضبا فان النحيين الذي بعثت بهما نقصا فاصدقني
قال يا مولاي اني نزلت بماء لبني تميم فسالوني عن نسبي فاخبرتهم اني ابن عمك
وانشرت حلتك فلبستها فتعلقت بشجرة فانشقت ففتحت النحيين واطعمت
منهما اهل الماء فقال اولى لك ثم ساق الابل وخرج نحوها ومعه الغلام
فنزلا منزلًا فقام الغلام يستقي فاعانه امرء القيس فرمى به الغلام في البئر

وخرج حتى اتى المرأة بالابل واخبره انه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك
فقالت والله ما ادري اهو زوجي او لا ولكن انحروا له جزورًا واطعموه
من كرشها ففعلوا فاكل ما اطعموه فقالت اسقوه لبنًا خازرًا وهو الحامض
فسقوه فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام
فلما اصبح ارسلت اليه اني اريد ان اسألك فقال سلي ما شئت فقالت مم
تختلج شفتاك فقال لتقبيلي اياك فقالت مم يختلج كشحاك قال لالتزامي
اياك فقالت مم يختلج فخذاك فقال لتوركي اياك قالت عليكم بالعبد فشدوا
ايديكم به ففعلوا قال ومر قوم فاستخرجوا امرء القيس من البير فرجع الى
حيه واستاق من الابل واقبل الى امراته فقالت والله لا ادري اهو زوجي
او لا ولكن انحروا له جزورًا واطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فلما اتوه بذلك
قال اين الكبد والسنام والملحا فابى ان ياكل فقالت اسقوه لبنًا خازرًا فابى
ان يشربه فقال اين الضريب والرثيئة فقالت افرشوا له عند الفرث والدم
ففرشوا له فابى ان ينام وقال افرشوا لي عند التلعة الحمراء واضربوا لي
عليها الخباء ثم ارسلت اليه هلم شرطي في المسائل الثلاث قال فارسل اليها سلي
عما شئت قالت مم يختلج شفتاك قال لشربي المشعشعات قالت مم يختلج
كشحاك قال للبسي الحبرات قالت مم يختلج فخذاك قال لركضي المطهمات
قالت هذا زوجي واما العبد فعليكم به فمضوا الى العبد فقتلوه ودخل
امرء القيس بالجارية فقال ابن هبيرة حسبكم فلا خير في الحديث سائر الليلة
بعد حديثك يا ابا عمرو لن ياتينا باعجب منه فقمنا وانصرفنا وامر لي بجائزة
سنية **وجدت** في كتاب الاغاني الكبير للاصفهاني اخبار قيس بن
ذريح الكناني فقال مصنف الكتاب اخبرني بخبر قيس بن ذريح ولبنى
جماعة من مشايخنا في قصص متصلة ومنقطعة واخبار منثورة
ومنظومة فنظمت جميع ذلك ليتسق حديثه الا ما جاء منفردًا او حسن
اخراجه عن جملة النظم فذكرته على حدة اخبرنا جماعة قالوا كان برصيه
في ظاهر المدينة وكان هو وابوه في حاضر المدينة فمر قيس لبعض حوائجه
بخباء لبني كعب بن خزاعة والحي حلوس فوقفت على خيمة لبنى بنت الحباب
الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت به اليه وكانت امراة شديدة

القامة حلوة الكلام فلما راها وقعت في نفسه وشرب الماء فقالت له اتنزل
عندنا قال نعم فنزل بهم وجاء ابوها فنحر له واكرمه فانصرف قيس وفي
قلبه من لبنى حر لا يطفى فجعل ينطق بالشعر حتى شاع وروى ثم اتاها
يومًا آخر وقد اشتد وجده بها فسلم فظهرت له وردت عليه سلامه
وتحفت به فشكى اليها ما يجد بها وما لقي من حبها فبكت وشكت اليه مثل
ذلك واطالت وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه فانصرف الى ابيه
فاعلمه بحاله وساله ان يزوجه اياها فابى عليه وقال يا بني عليك باحدى
بنات عمك فهن احق بك وكان ذريح كثير المال فاحب ان لا يخرج لبنه الى
غريبة فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به ابوه فاتى امه وشكى ذلك
اليها واستعان بها على ابيه فلم يجد عندها ما يحب فاتى الحسين بن علي
رضي الله عنهما **وروى** ابو الفرج الاصفهاني انه كان رضيع الحسين بن
علي فقال انا اكفيك فمضى معه الحسين الى ابي لبنى فلما بصر به اعظمه ووثب
اليه وقال يا ابن رسول الله الا بعثت الي فآتيك فقال ان الذي جئت
له يوجب قصدك وقد جئتك خاطبًا لبنى لقيس بن ذريح فقال يا ابن
رسول الله الا بعثت الي وما كنا لنعصي لك امرًا وما بنا عن الفتى رغبة
ولكن احب الامرين الينا ان يخطبها ذريح عليه وان يكون ذلك عن امره
فانا نخاف ان لم يسع ابوه في هذا يكون عارًا ومسبة علينا فاتى الحسين
رضي الله عنه ذريحًا وقومه مجتمعون عليه فقاموا اليه اعظامًا وقالوا
له مثل قول الخزاعيين فقال له يا ذريح اقسمت عليك الا خطبت لبنى
لابنك قيس قال السمع والطاعة لامرك فخرج معه في وجوه قومه حتى اتى
حي لبنى فخطبها ذريح على ابنه الى ابيها فزوجه اياها وزفت اليه فاقام
معها مدة لا ينكر احدهما من صاحبه شيئًا وكان ابر الناس بامه فالهته
لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك فوجدت امه في نفسها وقالت لقد
شغلت هذه المراة ابني عن بري ولم تر للكلام موضعًا حتى مرض قيس مرضًا
شديدًا فلما براء قالت امه لابيه لقد خشيت ان يموت قيس ولم يترك خلفًا
وقد حرم الولد من هذه المراة وانت ذو مال فيصير مالك الى الكلالة فزوجه
بغيرها لعل الله ان يرزقه ولدًا فالحت عليه في ذلك فامهل قيسًا حتى

اجتمع قومه ثم قال يا قيس انك اعتللت هذه العلة ولا ولد لك ولا لي
سواك وهذه المراة فليست بولود فتزوج احدى بنات عمك لعل الله
تعالى ان يهب لك ولدًا تقر به اعيننا وعينك فقال قيس لست متزوجًا
غيرها ابدًا فقال ابو قيس ان في مالي سعة فتسر بالاماء فقال ولا
اسوءها بشيء ابدًا فقال ابوه فاني اقسم عليك الا طلقتها فابى وقال
الموت والله اسهل علي من ذلك ولكن اخبرك خصلة من خصال قال
وما هي قال تتزوج انت فلعل الله ان يرزقك ولدًا غيري قال ما بي
فضل لذلك قال فدعني ارحل عنك باهلي قال ما كنت لاصنع قال
فدع لبنى عندك وارحل انا عنك لعلي اسلوها فاني ما احب بعد ان تكون
نفسي طيبة بانها في حبالي قال لا ارضى او تطلقها فحلف ان لا يكنه سقف
بيت ابدًا حتى تطلق لبنى وكان يخرج فيقعد في حر الشمس ويجيء قيس
فيقف الى جانبه فيظله بردائه ويصلى وهو بحر الشمس حتى يفيء الفيء
وينصرف الى لبنى فيعانقها ويبكي وتبكي معه وتقول يا قيس لا تطع
اباك فتهلك وتهلكني فيقول ما كنت لاطيع احدًا فيك ابدًا فيقال انه
مكث بذلك سنة وقال خالد بن كلثوم ذكر ابن عائشة انه اقام كذلك
اربعين يومًا ثم طلقها **وحكى** ليث بن عمرو انه سمع قيس بن ذريح
يقول ليزيد بن سليمان هجرني ابواي في لبنى عشر سنين استاذن
عليهما فيردانني حتى اطلقها قال ابن جريج فاخبرت ان عبد الله
بن صفوان الطويل لقي ذريحًا ابا قيس فقال له ما حملك على ان
فرقت بينهما اما علمت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما ابالي
فرقت بينهما او مشيت اليهما بالسيف **وروي** هذا الخبر من طريق
آخر ان الحسين بن علي رضي الله عنهما قال لذريح ابي قيس احل لك
ان فرقت بين قيس ولبنى اما اني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول ما ابالي فرقت بين الرجل والمراة او مشيت اليهما بالسيف قالوا
فلما بانت لبنى منه بطلاقه اياها وفرغ من الكلام ولم يصبر حسينًا
حتى استطير عقله وذهل به ولحقه مثل الجنون وجعل يبكي وبلغها
الخبر فارسلت الى ابيها ليحملها وقيل بل اقامت حتى انقضت عدتها

وقيس يدخل اليها فاقبل ابوها بهودج على ناقة وبابل يحمل اثاثها
فلما راى ذلك قيس اقبل على جاريتها فقال ويحك ما دهاني فيكم قالت لا تسأ
واسأل لبنى فذهب ليلم بخبائها فمنعوه قومها واقبلت عليه امراة من
قومها فقالت ما لك تسال ويحك كانك جاهل او متجاهل هذه لبنى ترحل
الليلة او غدًا فسقط مغشيًا عليه لا يعقل ثم افاق وهو يقول

وانّي لمفنٍ دمع عيني بالبكا ** حذار الذي قد كان او هو كائن
وما كنت اخشى ان تكون منيتي ** بكفي الا ان من خان خائن

قال ابو الفرج الاصفهاني في هذه الابيات غناء ولها اخبار قد ذكرت في
اخبار المجنون يعني قيس بن الملوح مجنون بني عامر ثم ذكر ابو الفرج بعد
هذا عدة قطع من شعر قيس بن ذريح ثم قالوا فلما ارتحلوا بها قومها اتبعها
مليًا ثم علم ان اباه لا يمكنه من المسير معها فوقف ينظر اليها حتى غابوا
عن عينه وكر راجعًا ونظر الى اثر بعيرها فاكب عليه يقبله ورجع يقبل
موضع مجلسها واثر قدميها فلم يزل على ذلك وعنفه قومه في تقبيل التراب فقال

وما احببت ارضكم ولكن ** اقبل اثر من وطئ الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى ** بلاء ما اسيغ له شرابا

ثم ذكر ابو الفرج قطعًا من شعر قيس واخبارًا من اخباره في لبنى منثورة
باسانيد متفرقة منفردة عن الاسناد الذي رويته عنه ههنا ثم رجع
الى مواضع من الحديث الذي جمع فيه باسانيد واتى بسياقة تطول ان
اذكرها في كتابي هذا جملتها اعظم ما لحق قيسًا من التململ والسهر والكمد
والاسف والبكاء العظيم والجزع المفرط حتى انه يلصق خده على الارض وحر
وجهه على اثرها ثم رواحها وعتابه نفسه على طاعة ابيه في طلاقها
وعلة اعتلها اشفى فيها على الموت وجمع له ابوه فتيات الحي يعللنه ويحدثنه
طمعًا في ان يسلو عن لبنى ويعلق واحدة منهن فيزوجها منه وقصة له
مع طبيب احضر وقطع شعر كثير لقيس في خلال ذلك وذكر في جملة اخبار
كثيرة باسانيد متفرقة وبالاسناد الذي ذكره ان ابا لبنى شكا قيسًا الى
معاوية بن ابي سفيان وذكر تعرضه لها بعد الطلاق فكتب معاوية الى
مروان بن الحكم بذلك الى صاحب الماء فبلغ قيسًا ذلك فاشتد عليه جزعه

وجعل يتبع احرّ نشم ويبكي اشدّ بكاء واتى محلة قومها فنزل عن راحلته
وجعل يتمعك في موضعها ويمرغ خدّه على ترابها ويبكي احرّ بكاء ثم قال
قصيدة اتى ابو الفرج بها باخبار لها اوّلها

الى الله اشكو فقد لبنى كما شكى ❊ الى الله فقد الوالدين يتيم

وذكر بعدها اخبارا اخر له معها واجتماعات عفيفة كانت بينهما بحيل
ظريفة ووجدها به وبكاها وقلقها وانكارها ذلك عليها ومكاشفة له
وعلة أخرى لحقت قيسا واشتهارهما وافتضاحهما وما لحق قيسا ولبنى
من الحيل والاختلال وقطع شعر كثير اخر لقيس في ذلك وان قيسا
مضى الى يزيد بن معاوية فمدحه وشكى اليه ما قرف عليه واخذ له
كتاب ابيه ان يقيم حيث شاء ولا يعترض عليه احد وازال ما كان كتب به
في هدر دمه وقطع شعر كثيرة أخر لقيس في خلال ذلك واخبار
مفردة ومتصلة ثم قال وقد اختلف في كثير من امر قيس ولبنى ذكر
كلاما كثيرا والجميع في نيف وعشرين ورقة طلحية ثم قال بعد ذلك
كله وذكر جماعة ان ابن ابي عتيق صار الى الحسن والحسين وعبد الله
ابن جعفر رضي الله عنهم وجماعة من قريش فقال لهم ان لي حاجة اخشى
ان تردّوني فيها واني استعين بجاهكم واموالكم عليها قالوا ذاك مبذول
لك منّا فاجتمعوا اليوم وعلمهم فيه فمضى الى زوج لبنى فلما راهم اعظم
مصيرهم اليها واكبرها فقالوا قد جئناك باجمعنا في حاجة لابن ابي عتيق
قال هي مقضية كائنة ما كانت قال ابن ابي عتيق قد قضيتها كائنة ما كانت
من اهل ومال قال نعم قال تهب لي اليوم ولم لبنى زوجتك وتطلقها
قال فاشهدكم انها طالق ثلاثا فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا والله
ما عرفنا حاجته ولو علمنا انها هذه ما سالناك اياها قال ابن عائشة
فعوّضه الحسين رضي الله عنه في ذلك مائة الف درهم وحملها ابن ابي عتيق
اليه ولم تزل عنده حتى انقضت عدّتها فاتى القوم اياها فزوّجها قيسا
ولم تزل عنده حتى ماتا فقال قيس بن دريح يمدح ابن ابي عتيق

جزى الرحمن افضل ما يجازي ❊ على الاحسان خيرا من صديق
فقد جرّبت اخواني جميعا ❊ فما الفيت كابن ابي عتيق

سعى في جمع شملي بعد صدع ❊ ورأي حرت فيه عن طريق
واطفا لوعة كانت بقلبي ❊ اغصّتني حرارتها بريق

قال فقال ابن ابي عتيق يا حبيبي امسك عن هذا الحديث فما يسمعه احد
الا ظنّني قوّادا عن سليمان بن عيسى بن ابي معاذ قال قدم علي
نيسابور ابراهيم بن سبابة يعني الشاعر البصري الذي جدّه كان حجاما
فاعتقه بعض بني هاشم فصار مولى لهم فانزلته علي فجاءني يوما من
الايام مكروب قد هام فجعل يصيح لي يا ابا ايوب فخشيت ان تكون قد
غشيته بلية فقلت ما تشاء فقال اعيا بي الشادن الربيب فقلت
ماذا قال اشكو اليه فلا يجيب فقلت داره وداوه فقال
من اين ابغي شفاء ما بي ❊ فاعاد ائي الطبيب فقلت فلا فاذا حتى يفرج
الله سبحانه فقال يا رب فرّج اذا وعجّل ❊ فانك السامع المجيب
عن حماد بن اسحاق عن ابيه قال سرت الى سر من رآى بعد قدومي
من الحج فدخلت الى الواثق فقال باي شيء اطرفتني من الاحاديث التي
استفدتها من الاعراب واشعارهم فقلت يا امير المؤمنين جلس
الي فتى من الاعراب في بعض المنازل يحدثني فرايت منه احلى من
رايت من الفتيان منظرا وحديثا وظرفا وادبا فاستنشدته فانشدني

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله ❊ غزالان مكنان مؤتلفان
اذا امنا التفا بجيدي مواصل ❊ وطرفاهما للريب مسترقان
اردتهما ختلا فلم استطعهما ❊ ورميا ففاتاني وقد قتلاني

فقلت مالك بابي انت وامي فقال لي وراء هذين الجبلين شجن قد حيل
بيني وبين المرور بهذه البلاد وهدر وادي فانا اتمتع بالنظر الى
الجبلين تعللا اذا قدم الحاج خالا بيني وبين ذلك فقلت له زدني مما انت
فيه فانشدني اذا ما وردت الماء في بعض اهله ❊ حضور فعرّض
بي كانك ما دح فان سالت عني حضور فقل لها ❊ به غير من داء وهو صالح
فامرني الواثق فكتبت الشعرين فلما كان بعد ايام دعاني فقال قد
صنع بعض عجز دارنا في احد الشعرين لحنا فاسمعه فان ارتضيته
اظهرناه وان رايت فيه موضع اصلاح اصلح فغنّى لنا فيه من وراء

الستر فكان في نهاية الجودة وكذلك كان يفعل اذا اصنع شيئا فقال بحياتي
فقلت وحياتك وحلفت له بما يثق به فامر لي برطل فشربته ثم اخذ
العود فغنّاه ثلاث مرّات وسقاني عليه ثلاثة ارطال فلما كان بعد ايام
دعاني فقال لي قد صنع بعض عجائز دارنا في الشعر الاخر لحنا وامر
فغنّي به وكانت حالي منك الحال الاولى في الشعر الاوّل لما استحسنته
وحلفت له على جودته وسقاني ثلاثة ارطال وامر لي بثلاثين الف
درهم ثم قال قد قضيت حق هديتك قلت نعم يا امير المؤمنين اطال
الله بقاك وتمم نعمته عليك ولا افقدنيها منك ربك قال ولكنك لم
تقض حق جليسك الاعرابي ولا سالتني معونة على امره وقد سبقت
منك مسالتك فكتبت بخبره الى صاحب الحجاز وامرته باحضاره
وخطبت المراة له وحمل صداقها الى قومها من مالي ففعل فقبلت يده
وقلت السبق الى المكارم لك وانت اولى الناس بها من عبدك
وسائر الناس قال ابو الفرج وصنعة الواثق في الشعرين جميعا من
الرمل وجدت في بعض كتبي قال ابو عبد الله محمد بن حمزة
كانت لزوجتي جارية حسنة الوجه فعلقتها وعلمت زوجتي بذلك
فحبستها واشتدّ ما بي من الوجد عليها وتنغصت على حياتي وقاسيت
شدّة شديدة فبينا انا ليلة نائم ومولاتها زوجتي الى جانبي
اذ رايت كان الجارية حيالي وانا ابكي اذ لاح انسان وانشد

وقفت حيالك اذري الدموع ❊ واخلط بالدمع مني دما
واشكو الذي بي الى عاذلي ❊ ولا خير في الحب ان يكتما
رضيت بما ليس فيه رضى ❊ بتسليم طرفك ان سلّما
فتهت علي واقصيتني ❊ واعذر علي بان ارغما

قال فانتبهت جزعا ودعوت بدواة وبياض وجلست في فراشي
فكتبت الشعر فقالت زوجتي مالك ماذا تصنع فقصصت عليها
الرؤيا فقالت هذا كله من حب فلانة قد وهبتها لك عن حماد
الراوية قال اتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن ابي ربيعة المخزومي
فتذاكرنا العذريين فقال عمر بن ابي ربيعة كان لي صديق من بني عذرة

يقال له الجعد بن مهجع وكان احد بني سلامان وكان يلقى من الصبابة مثل الذي
بي على انه كان لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يوافي الموسم في
كل سنة اذا ابطا وقته ترجمت عنه الاخبار وتوكفت له الاسفار حتى يقدم فغمّني
ذات سنة ابطاؤه حتى قدم حجاج عذرة فاتيت القوم انشد صاحبي فاذا غلام
قد تنفس ثم قال عن ابي المسهر تسال قلت نعم عنه اسال واياه اردت قال
هيهات هيهات اصبح والله ابو المسهر لا مأيوس منه فيهمل ولا مرجو فيعلل
اصبح والله كما يقول الشاعر ❊ لعمرك ما حبي لاسماء تاركي ❊ اعيش ولا اقضي به
فاموت ❊ فقلت وما الذي به قال مثل الذي بك قلت ومن انت منه يا ابن
اخي قال اخوه قال قلت اما والله يا ابن اخي ما يمنعك ان تسلك مسلك اخيك
من الادب وان تركت موضعه واخوك كالبرد والنجار لا ترفعه ولا يرفعك
ثم صرفت وجه ناقتي وانا اقول

ارائعة حجاج عذرة وجهه ❊ ولما يرح في القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى ❊ متى ما اقل يسمع وان قال اسمع
الا ليت شعري اي شيء اصابه ❊ بلى زفرات هجن من بين اضلع
فلا يبعدنك الله خلا فانني ❊ سالقى كما لاقيت في الحب مصرعي

ثم انطلقت حتى وقفت موقفي
من عرفات فبينا انا كذلك اذ جاء بانسان قد تغير لونه وساءت هيئته
فادنى ناقته من ناقتي ثم خالف بين اعناقهما وعانقني وبكى حتى اشتد
بكاؤه فقلت ما وراءك قال برح العذل وطول المطل ثم انشا يقول

لئن كانت عدية ذات لب ❊ لقد علمت بان الحب داء
ولا تنظر الى تغيير جسمي ❊ واني لا يفارقني البكاء
وان معاشري ورجال قومي ❊ حتوفهم الصبابة واللقاء
اذا العذري مات خلي قوم ❊ فذاك العبد تبكيه الرشاء

فقلت يا ابا المسهر فيها ساعة تضرب اليها اكباد الابل من شرق الارض
وغربها فلو دعوت كنت تمنى ان تظفر بحاجتك قال فتركني واقبل على
الدعا فلما نزلت الشمس للغروب وهمّ الناس ان يفيضوا سمعته يتكلم
بشيء فاصغيت اليه فاذا هو يقول

يا رب كل غدوة وروحة ❊ من محرم يشكو الضنا ولوحه
انت حسيب الخطب يوم الدوحة

فقلت وما يوم

الدوحة قال والله لاخبرتك ولو لم تسالني وتمنيت كنت خارجا نحو مرداء
فاقبل علي رجل ذو مال وشاء وذا المال لا يعذره القل ولا يرويه الثماد
واني خشيت عام الاول على مالي التلف ونضر الغيث ارض كلب فانتجعت
اخوالي منهم فاوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني جمة الماء وكنت معهم
في خير احوال ثم اني عزمت على موافقة ابلي بماء لهم يقال له الحرداء ان
فركبت فرسي وسمطت خلفي شرابا كان اهداه لي بعضهم ثم مضيت حتى اذا
كنت بين الحي ومرعى الغنم وقعت لي دوحة عظيمة فنزلت عن فرسي
وشددته بغصن من اغصانها وجلست في ظلها فبينا انا كذلك اذ
سطع غبار من ناحية الحي ثم دفعت الي شخوص ثلاثة ثم تبينت
فاذا بفارس يطرد مسحلا واتانا فتاملته فاذا عليه درع اصفر
وعمامة خز سوداء واذا فروع شعره تضرب خصريه فقلت غلام
حديث عهد بعرس اعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب
امراته فما جاز علي الا يسيرا حتى طعن المسحل وثنى طعنة الاتان
فصرعهما واقبل راجعا يجري وهو يقول

نطعنهم سلكى ومخلوجة ... كرك لامين على نابل

فقلت انك تعبت واتعبت فرسك فلو نزلت فثنى رجله وشد فرسه
بغصن من اغصان الشجرة والقى رمحه واقبل حتى جلس فجعل يحدثني
حديثا ذكرت به قول ابي ذؤيب

وان حديثا منك لو تبذلينه ... جنى النحل في البان عوذ مطافل

ثم قمت من فرسي فاصلحت من امره
ثم رجعت وقد حسر العمامة من راسه فاذا غلام كان وجهه الدينار
المنقوش فقلت سبحانك اللهم ما اعظم قدرتك واحسن صنعتك
فقال لي مما ذاك قلت مما راعني من جمالك وبهرني من نورك قال وما
الذي يروعك من حبيس التراب واكيل الدواب ثم لا يدري اينعم بعد
ذلك ام يباس لا يصنع الله بك الا خيرا ثم تحدثنا ساعة فاقبل
علي فقال ما هذا الذي سمطت في سرجك قلت شراب اهداه الي بعض
اهلك فهل من ارب قال انت وذاك فاتيته فشرب منه وجعل والله
ينكت بالسوط احيانا على ثناياه وجعل والله يتبين لي اثر السوط

فيهن فقلت مهلا فاني خائف ان تكسرهن فقال ولم قلت لانهن رقاق عذاب
قال فرفع عقيرته يتغنى

اذا قبل الانسان آخر يشتهي ... ثناياه لم ياثم وكان له اجرا
فان زاد زاد الله في حسناته ... مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

ثم قام الى فرسه فاصلح من امره ثم رجعت فبرقت لي بارقة من تحت الدرع
فاذا ثدي كانه حق عاج فقلت نشدتك الله امراة قالت نعم والله الا انها
تكره الغارة وتحب الغزل ثم اجلستها فجعلت تشرب معي ما افقدت من
انسها شيئا حتى نظرت الى عينيها كانهما عينا مهاة مذعورة فوالله ما راعني
الا ميلها على الدوحة سكرى فزين لي والله الغدر وحسن في عيني ثم
ان الله عصمني منه فجلست منها حجرة حتى انتبهت فزعة فلاثت عمامتها
براسها وجالت في متن فرسها وقالت جزاك الله خيرا قلت الا تزوديني
منك زادا فناولتني يدها فقبلتها فشممت منها ريح الشباب المطلول
وذكرت قول الشاعر

كانها اذ تقضى النوم وانتبهت ... سيابة ما بها عين ولا اثر

فقلت لها فاين الوعد قالت ان لي اخوة شوسا
وابا غيورا والله لئن اسرك احب الي من ان اضرك وانصرفت فجعلت
اتبعها بصري حتى غابت فهي والله يا ابن ابي ربيعة احلتني هذا المحل
وابلغتني هذا المبلغ فقلت يا ابا المسهر ان الغدر بك مع ما تذكر مليح
فبكى واشتد بكاؤه فقلت لا تبك فما قلت لك الا مازحا ولو لم ابلغك
حاجتك بمالي لسعيت لك حتى اقدر عليه فقال لي خيرا فلما انقضى الموسم
شددت على ناقتي ودعوت غلاما فشد على بعيره وحملت عليه قبة
حمراء من ادم كانت لابي ربيعة المخزومي وحملت معي الف دينار ومطرفا
وانطلق وانا معه حتى اتينا بلاد كلب فنشدنا عن ابي الجارية فوجدناه
في نادي قومه فاذا هو سيد القوم واذا الناس حوله فوقفت على
القوم وسلمت فرد الشيخ السلام ثم قال من الرجل قلت عمرو بن ربيعة
ابن المغيرة المخزومي قال المعروف غير المنكر فما الذي جاء بك قلت
خاطبا قال الكفو والرغبة قلت اني لم آتك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا
جهالة بشرفك ولكني اتيت في حاجة ابن اخيك هذا العذري فقال
والله انه لكفو الحسب رفيع البيت غير ان بناتي لا ينفقن الا في الحي من قريش

فوجمت لذلك وعرف التغير في وجهي فقال اما اني صانع بك ما لم اصنع
بغيرك قلت مثلي من شكر فما ذلك فقال اخيرها فهي وما اختارت
فقلت وما انصفتني اذ تختار لغيري وتولي الخيار غيرك فاشار الي
العذري ان دعه يخيرها فارسل اليها ان الامر كذا وكذا فارسلت
اليه ما كنت لاستبد براي دون القرشي والخيار في قوله وحكمه فقال
لي انها قد وكلتك امرها فاقض ما كنت قاض فحمدت الله عز وجل واثنيت
عليه وصليت على رسوله صلى الله عليه وسلم وقلت اشهدوا اني
قد زوجتها من الجعد بن مهجع واصدقتها هذه الالف الدينار وجعلت
تكرمتها العبد والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف وسالته ان يبني
للرجل عليها من ليلته فارسل الى امها فابت وقالت اتخرج ابنتي كما تخرج
الامة فقال الشيخ فعجلي في جهازها فما برحت حتى ضربت القبة في وسط
الحرم واهديت اليه ليلا وبت انا عند الشيخ فلما اصبحت اتيت القبة
فصحت بصاحبي فخرج الي وقد اثر السرور فيه فقلت كيف كنت بعدي
وكيف هي بعدك فقال ابدت والله كثيرا مما كانت تخفيه عني يوم
لقيتها فسالتها عن ذلك فانشات تقول

شعرا

كتمت الهوى لما رايتك جازعا ... وقلت فتى بعض الصديق يريد
فان تطرحني او تقول فتية ... يضر بها برح الهوى فيعود
فوريت عما بي وفي داخل الحشا ... من الوجد برح فاعلمن شديد

وقلت

كفيت الفتى العذري ما كان نابه ... واني لاعباء النوائب حمال
اذا ما استحسنت مني المكارم والعلى ... اذا اطرحت اني مع القوم حمال

وقال العذري

اذا ما ابو الخطاب خلى مكانه ... فاف لدنيا ليس من اهلها عمر
فلا حي فتيان الحجازين بعده ... ولا سقيت ارض الحجازين بالمطر

عن معبد الصغير مولى علي بن يقطين قال كنت منقطعا الى البرامكة
فبينا انا ذات يوم في منزلي اذا بابي يدق فخرج غلامي ثم رجع الي فقال
على الباب فتى ظاهر المروءة يستاذن عليك فاذنت له فدخل علي شاب ما
رايت احسن وجها منه ولا انظف ثوبا ولا اجمل زيا منه عليه اثر
السقم ظاهر فقال لي اني احاول لقاك منذ مدة فلا اجد السبيل اليه

ولي حاجة فقلت وما هي فاخرج الي ثلثمائة دينار ووضعها بين يدي
ثم قال اسالك ان تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحنا تغنيني بهما قلت
هاتهما فانشدني

بالله يا طرفي الجاني على بدني ... لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
او لا تبوحن حتى يحجبوا سكني ... فلا اراه ولو ادرجت في كفن

قال فصنعت فيهما لحنا من الثقيل الاول ثم غنيته اياه فاغمي عليه حتى
ظننته قد مات ثم افاق فقال اعد فديتك فقلت اخشى ان تموت فقال
هيهات انا اشقى من ذلك وما زال يخضع ويتضرع حتى اعدته عليه فصعق
صعقة اشد من الاول حتى ظننت نفسه قد فاضت فلما افاق رددت
عليه الدنانير قلت خذ دنانيرك وانصرف عني فقد قضيت حاجتك
وبلغت وطرا مما اردته ولست اشرك في دمك فقال لا حاجة لي في
الدنانير وهذه مثلها ثم اخرج ثلثمائة دينار اخرى وقال اعد علي
الصوت مرة اخرى وحل لك دمي فقلت لا والله الا على شرائط قال وما هي
قلت تقوم عندي وتتحرم وتشرب اقداحا من النبيذ تشد قلبك
ويسكن ما بك وتحدثني بقضيتك فقال افعل فاخذت الدنانير
ودعوت بطعام فاصاب منه اصابة معذرة وبالنبيذ فشرب اقداحا
وغنيته بشعر غيره وهو يشرب ويبكي ثم قال اعزك الله اعد
علي صوتي فغنيته صوته فجعل يبكي احر بكاء وينتحب فلما رايته
قد خف عما كان يلحقه والنبيذ قد شد من قلبه كررت عليه صوته
مرارا ثم قلت له حدثني حديثك فقال انا رجل من المدينة خرجت
متنزها في ظاهرها وقد سال العقيق في فتية من اقراني فبصرت
بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له فجلسن حجرة منا وبصرت منهن
بفتاة كانها قضيب قد طله الندى تنظر بعين ما ارتد طرفها الا
بنفس ملاحظها فاطلن واطلنا حتى تفرق الناس وقد ابقت بقلبي
جرحا بطيئا اندماله فعدت الى منزلي وانا وقيذ وخرجت من غد
الى العقيق وليس فيها احد ولم ار لها اثرا ثم جعلت اتبعها في
طرق المدينة واسواقها وكان الارض قد ابتلعتها فسقمت حتى
ايس مني اهلي ودخلت بيت ظئر لي فسالتني عن حالي فاخبرتها القصة

فقالت لا باس عليك هذه ايام الربيع وهي سنة خصب وليس يبعد
المطر فيه العقيق والنسوة سيجين فاذا رايتها اتبعها حتى اعرف حزبها
وموضعها واسعى لك في تزويجها فكان نفسي اطمأنت وتراجعت وجاء
المطر فسال العقيق وخرجت مع اخدائي اليها فجلسنا مجلسنا الاول
كما كنا والنسوة الا كرسي رهان واومأت الى ظئري فجلست حجرة منا
وبيننا واقبلت على اخواتي فقلت لهم احسن القائل

رمتني بسهم اقصد القلب وانثنت ... وقد غادرت جرحا بها وندوبا

واقبلت على صواحبها فقالت احسن والله القائل واحسن من اجابه
حيث يقول ... بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا ... نرى فرجا يشفي السقام قريبا
فامسكت عن الجواب خوفا من ان يظهر مني ما يفضحني واياها وانصرفنا
وتبعتها ظئري حتى عرفت منزلها وصارت الي فاخذت بيدي ومضينا
اليها فتلاقينا وتزاورنا على حال مجالسة ومراقبة حتى ظهر ما بيني
وبينها فحجبها اهلها وتشدد عليها ابوها فلم اقدر عليها فشكوت
الى ابي ما نالني وشدة ما القى قال وسالته خطبتها لي فمضى ابي
ومشيخة اهلي الى ابيها فخطبوها فقال لو كان بدأ بهذا قبل ان يشهرها
لاسعفته بحاجته وبما التمس ولكنه قد فضحها فلم اكن لاحقق قول
الناس فيها بتزويجها اياه فانصرف على ياس منها ومن نفسي قال
سعيد فسالته ابن تنزل فخبرني وصارت بيننا عشرة ثم جلس
جعفر بن يحيى يوما للشرب فاتيته فكان اول بيت غنيته شعر الفتى
وصوتي الذي صنعت فيه فطرب عليه طربا شديدا وقال ويحك
لمن هذا فقلت ان الصوت حديثا فقال فما هو فحدثته فامر
باحضار الفتى فاحضر من وقته واستعاده الحديث فاعاده
فقال هي في ذمتي حتى ازوجكها فطابت نفسي ونفس الفتى فاقمنا
ليلتنا حتى اصبح وغدا جعفر الى الرشيد فحدثه فعجب منه وامر
باحضارنا جميعا وامر بان اغنيه الصوت فغنيته فشرب عليه
وسمع حديث الفتى وامر من وقته بالكتاب الى عامل الحجاز باشخاص
الرجل وابنته وسائر اهله الى حضرته فلم يمض الا مسافة الطريق حتى

احضر وامر الرشيد بايصاله اليه فاوصله وخطب اليه الجارية
للفتى فاجابه وزوجه اياها وحمل الرشيد اليه الف دينار لمهرها
والف دينار لجهازها والف دينار لنفقة الطريق وامر للفتى بالفي
دينار ولنا بالفي دينار وكان المدني بعد ذلك في جملة ندماء جعفر
اخبرنا ابو الحسين محمد بن جعفر البصري المعروف بابن لنكك في
رسالة في فضل الورد على النرجس فقال من سمى بنته من سادات
العرب وردة شرحبيل بن مسعود التنوخي وعايذ الطائي وهي التي
كان داود التيمي عاشقا لها فاستقبل النعمان بن المنذر في يوم بؤسه
وقد خرج يريدها وهو لا يعلم بيوم النعمان فقال ما حملك على استقبالي
في يوم بؤسي قال شدة الوجد وقلة الصبر فقال الست القائل

وددت وكانت الحسنات اني ... اقارع بجمع وردة بالقداح
على قتلي بابيض مشرفي ... وكوني ليلة حتى الصباح
فان تكن القداح على تلقي ... ذبحت على القداح بلا جناح
وان كانت عليه بيمن خدي ... لهوت بكاعب خود رداح

قال نعم قال فاني مخيرك احدى اثنين فاختر لنفسك قال ما هما
ابيت اللعن قال اخلي سبيلك او امتعك سبعة ايام ثم اقتلك قال
بل تمتعني بورده وتقتلني فساق النعمان مهرها الى عمها وجمع بينهما
فلما انقضت الايام اقبل داود وهو يقول

الى اهلي اليك ابن ماء المزن اقبلت بعدما ... مضت لي سبع من دنو على
مجيء مقر لاصطناعك شاكر ... مننت عليه بالكريم من الفعل
لتقضي فيه ما اردت قضاءه ... من العفو اهل العفو او عاجل القتل
فان يك عفوا كنت افضل منعم ... وان تكن الاخرى فحكمك عدل

فاحسن جايزته وخلى سبيله وانشد النعمان يقول

اذ حوى من كان يهوى ... ونجا من كل بؤس
وكذاك الطير يجري ... بسعود ونحوس

قال مؤلف الكتاب ووجدت كتابا لاحمد بن ابي طاهر
سماه كتاب فضائل الورد على النرجس اكثر قدرا واكثر فائدة من

رسالة ابن لنكك فوجدته وقد ذكر فيه الخبر قال وممن سمى ورده شرحبيل
ابن مسعود الشرجي وهو صاحب العين على مسيرة يوم وليلة من منبج
وبها التقى سليمان بن صرد امير الجيش الذين يقال لهم التوابون للطلب
بدم الحسين بن علي رضي الله عنه وخيل عبيد الله بن زياد وسمى عائذا
الطائي بنته ورده وهي التي كان داود بن موسى التميمي ثم السعدي
عاشقا لها وساق الخبر كما ذكره ابن لنكك والله تعالى اعلم

الباب الرابع عشر ما اخترت من ملح الاشعار في اكثر معاني ما تقدم من الامثال والاخبار قال لقيط بن زرارة التميمي

قد عشت في الناس اطوارا على طرق ... شتى وقاسيت فيها اللين والقطعا
كلا لبست فلا النعماء تبطرني ... ولا تجرعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الامر صدري قبل موقعه ... ولا اضيق به ذرعا اذا وقعا
ما سد مطلع ضاقت ثنيته ... الا وجدت وراء الضيق متسعا

وقال ابو ايوب الهذلي

فاني صبرت النفس بعد ابن عنبس ... وقد لج من ماء المسوق لجوج
لاحسب جلدا او لينبى شامت ... وللشر بعد القارعات فروج

ويروى لامير المؤمنين علي رضي الله عنه

اني اقول لنفسي وهي ضيقة ... وقد اناخ عليها الدهر بالعجب
صبرا على شدة الايام ان لها ... عقبى وما الصبر الا عند ذي الحسب
سيفتح الله عن قرب بنافعة ... فيها لمثلك راحات من التعب

ويروى لعثمان بن عفان رضي الله عنه

خليلي لا والله لا من ملمة ... تدوم على حي وان هي جلت
وان نزلت يوما فلا تخضعن لها ... ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت
فكم من كريم قد بلي بنوائب ... فصابرها حتى مضت واضمحلت
فكانت على الايام نفسي عزيزة ... فلما رات صبري على الذل ذلت

وانشد معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه

ولا تيأسا واستعون الله انه ... اذا الله يسر عقد شيء تيسرا

لابي دخيل من قصيدة له

بلغ تقابلا

عنت كربة امسيت فيها مقيمة ... يكون لنا منها رخاء ومخرج
واني لمحجوب غداة ازورها ... وكنت اذا افاديتها لا اعرج
فيكبت اعداء ويجذل الف ... لركبد من لوعة الحب تنضج

لجارية بن بدر الغداني

قل للفؤاد اذا انزا بك نزوة ... من الهم افرغ اكثر الروع باطله

لنوبة بن حمير العقيلي

وقد تذهب الحاجات يطلبها الفتى ... شعاعا وتخشى النفس ما لا يضيرها

لجرير ... لعل الله بعد بلاه جهد ... وينهض بعد ما يبلي السقيم
لزياد بن عمرو من بني الحرث بن كعب وقيل لزيادة بن زيد العذري
من ابيات ... اذا امذهب سدت عليك فروجه ... فانك لاق لا محالة مذهبا
ولا تجعلن كرب الخطوب اذا اعترت ... عليك وتاجا لا يزال معصبا
وكن رجلا جلدا اذا ما تقلبت ... به شرفيات الهموم تقلبا

ذكر ابو تمام الطائي في كتاب الحماسة لجابر بن تغلب

كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ... ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا
ولم يك في بؤس اذا بات ليلة ... يناغي غزالا ساجي الطرف اكحلا

وقريب منه ما انشدني ابي عن ابي دريد

عن عبد الرحمن بن اخي الاصمعي عن عمه الاصمعي رحمهم الله تعالى
كان قوما اذا ما بدلوا نعما ... بنكبة لم يكونوا قبلها نكبوا

ومثله ايضا

ان البطون اذا جاعت متى شبعت ... كانما لم يقاسي الجوع طاويها

لسعيد بن رمضان الاسدي

فما نوب الحوادث باقيات ... ولا بؤس يدوم ولا نعيم
كما يمضي سرورك وهو جم ... كذلك ما يسوءك لا يدوم
فلا تهلك على ما فات وجدا ... ولا تغررك بالاسف الهموم

وقريب منه لكثير في ابن الحنفية رضي الله عنه لما حبسه ابن الزبير رضي الله عنه من جملة ابيات

تحدث من لاقيت انك عائذ ... بل العائذ المظلوم في سجن عارم

بلغ مقابلة

وما ورق الدنيا بباقٍ لأهلها … وما شدة الدنيا بضربة لازم
فزاد فيه بعض اخوانتا
لهذا وهذا مدة سوف تنقضي … ويصبح ما لاقيته حلم حالم

لأعرابي

فلا تحسبن سخف اليمامة دائما … كما لم يدم عيش بسفح ابان

مفرس الاسدي

ولا تيأسن من صالح ان تناله … وان كان قدما بين ايد تبادره

حوط بن رئاب الاسدي

تعلمني بالعيش عرسي كانما … تعلمني الشيء الذي انا جاهله
يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغنى … وكل كأن لم يلق حين يسايله

وقريب منه

يعيش الفتى بالفقر يوما وبالغنى … وكل كأن لم يلقه حين يذهب
كانك لم تعدم من الدهر لذة … اذا انت ادركت الذي كنت تطلب

لاضبط القريعي من جملة ابيات

لكل ضيق من الامور سعة … والمسي والصباح لا فلاح معه
لا تحقرن الوضيع علك ان … تلقاه يوما والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله … ويأكل المال غير من جمعه

قال مؤلف الكتاب في المعنى

اصبر فليس الزمان مصطبرا … وكل احدوثة فمنقشعه
كم من فقير عناه في سبح … قد نال خفضا في عيشة ودعه
وكم جليل جلت مصائبه … ثم تلافاه بعدما وضعه
فعاد بالعز آمنا جذلا … وعاد اعداؤه له خضعه

انشد ابو العباس ثعلب

رب ريح لاناس عصفت … ثم ما ان لبثت ان ركدت
وكذاك الدهر في افعاله … قدم زلت واخرى ثبتت
بالغ ما كان يرجونه … ويد اعماها استحقت قصرت
وكذا الايام من عاداتها … انها مفسدة ما اصلحت

ثم يأتيك مقاديرها … فترى مصلحة ما افسدت

للحسين بن مطير الاسدي

اذا ايسر الله الامور تيسرت … ولانت قواها واستقاد عسيرها
فكم طامع من حاجة لا ينالها … وكم آيس منها اتاه يسيرها
وكم خائف صار المخوف ومقتر … تمول والاحداث يحلو مريرها
وكم قد راينا من تكدر عيشة … واخرى صفا من بعد اكدار غديرها

لمسكين الدارمي

واني لارجو الله حتى كانني … ارى بجميل الظن ما الله صانع

انشدني محمد بن الحسين قال انشدنا ثعلب

الى الله اشكو الامر في الخلق كله … وليس الى المخلوق شيء من الامر
اذا انا لم اجزع من الدهر كلما … تكرهت منه طال عتبي على الدهر
ووسع صدري للاذى كثرة الاذى … وان كان احيانا يضيق به صدري
وصيرني ياسي من الناس واثقا … بحسن صنيع الله من حيث لا ادري
تعودت مس الضر حتى الفته … واسلمني حسن العزاء الى الصبر

غيره: اذا ضاق صدري بالامور تفرجت … لعلمي بان الامر ليس الى الخلق

غيره: ليضيق صدري بغم عند حادثة … وانما خيرلي في الغم احيانا
ورب يوم يكون الغم اوله … وعند آخره روح وريحانا
ما ضقت ذرعا بغم عند نائبة … الا ولي فرج قد حل او حانا

للزبير رضي الله عنه

لا احسب الشر جارا لا يفارقني … ولا احز على ما فاتني الودجا
ولا لقيت من المكروه نازلة … الا وثقت بان القى لها فرجا
ولا تراني لما قد فات مكتئبا … ولا تراني بما قد نلت مبتهجا

لأعرابي

وكل وجد يضيق الله … ودونه مطلب فسيح
من روح الله عنه هبت … من كل وجد اليه ريح

لسليمان بن مهاجر البجلي من جملة ابيات

ان المساءة قد تسر وربما … كان السرور بما كرهت جديرا

بلغ مقابلة

عن المارستاني قال انشدني ابراهيم بن العباس الصولي
وهو في مجلسه في ديوان الضياع
ربما تكره النفوس من الامر … لها فرجة كحل العقال
فنكت بقلمه ثم قال

ولرب نازلة يضيق بها الفتى … ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها … فرجت وكان يظنها لا تفرج

للبحتري: لابد للمرء ان يجنيه ما … يحسب الناس انه عطبه
يسرك الامر قد يسوءك … نوه باسم من خامل لقطبه

لابي العتاهية

وربما استيأست ثم اقول … لا ان الذي ضمن النجاح كريم

انشدني احمد بن عبد الله الوراق قال انشدنا دعبل الخزاعي قصيدته مدارس آيات فذكر القصيدة الى آخرها وفيها ما يدخل في هذا الباب وهو قوله

فلولا الذي ارجوه في اليوم او غد … تقطع قلبي اثرهم حسرات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس ابشري … فغير بعيد كلما هو آت
ولا تجزعي من دولة الجور انني … كاني بها قد آذنت ببيات
عسى الله ان يرتاح للخلق انه … الى كل حي دائم اللحظات

لعلي بن الجهم من جملة قصيدة

عبر الليالي باديات عود … والمال عارية يباد وينفد
ولكل حال معقب ولربما … اجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج كربة … خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى … فنجا ومات طبيبه والعود

لغيره في مثله

قد يصح المريض بعد اياس … كان منه ويهلك العواد
ويصاد القطا فينجو سليما … بعد هلك ويهلك الصياد

لعبيد الله بن المعتز

وكم نعمة لله في صرف نقمة … ومكروه امر قد حلا بعد امرار

وما كلما تهوى النفوس بنافع … وما كلما تهوى النفوس بضار

لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب من ابيات

لا تعجلن فربما … عجل الفتى فيما يضره
فالعيش احلاه يعود … على حلاوته بمره
ولربما كره الفتى … امرا عواقبه تسره

لأعرابي: كم مرة حفت بك المكاره … خار لك الله وانت كاره

آخر ويروى لامير المؤمنين رضي الله عنه

لا تكره المكروه عند نزوله … ان المكاره لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها … لله في جنب المكاره كامنه

آخر غيره: رب امر تزهق النفس له … جاءها من خلل الياس الفرج
لا تكن من وجد روح آيسا … ربما قد فرجت تلك الفرج
بينما المرء كئيب موجع … جاءه الله بروح فابتهج
رب امر قد تضايقت له … فاتاك الله منه بالفرج

آخر غيره: البوس يعقبه النعيم وربما … لاقيت ما ترجو مما ترهب

آخر غيره: اتى من حيث لا ترجوه صنع … ويأبى ان تهم به الظنون
فحيث تراك تيأس فارج خيرا … فان الغيث محتجب مصون
وكن ارجى لامر لست ترجوه … من المرجو اقرب ما يكون

آخر غيره: واذا اتصبك خصاصة فارج الغنى … والى الذي يعطي الرغائب فارغب

لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

اراها تمخض بالمعضلات … الا يا ليت شعري ما الزبده
الا ان زبد تهاون جده … تحل العقال من العقده

لابي اسحاق اسماعيل بن القاسم الملقب بابي العتاهية

انما الدنيا هبات … وعوار مستردة
شدة بعد رخاء … ورخاء بعد شدة

وله ايضا

الناس في الدين والدنيا ذوو درج … والمال ما بين موقوف ومختلج
من ضاق عنك فارض الله واسعة … في كل ضيق وهم وجه منفرج
قد يدرك الهادئ المتأني برقدته … وقد يخيب اخو الرواح والدلج
خير المذاهب في الحاجات انجحها … واضيق الامر ادناه الى الفرج

آخر غيره

يا صاحب الهمّ انّ الهمّ منقطع ... ابشر بذاك كأن قد فرّج الله
اليأس يقطع احيانا بصاحبه ... لا تيأسنّ فانّ الكافي الله
الله حسبك مما عذت منه به ... واين امنع ممن حسبه الله
من البلاء ولكن حسبك الله ... والله حسبك في كل لك الله
هوّن عليك فانّ القادر الله ... والخير اجمع فيما يصنع الله
فربّ مستصعب قد سهّل الله ... وربّ شرّ كثير قد كفى الله
اذا ابتليت فثق بالله وارض به ... انّ الذي يكشف البلوى هو الله
الحمد لله شكرا لا شريك له ... ما اسرع اليسر جدّا ان يشا الله

لمحمد بن حازم الباهلي رحمه الله تعالى

طوبى لمن يتولّى الله خالقه ... ومن الى الله يلجا يكفه الله
وربّ خائف امر يستكين له ... ينجو وخيرته ما قدّر الله

ليحيى بن خالد بن برمك من ابيات

الا اعلم انما الدنيا غرور ... وليس يدوم لها نعيم
سينقطع التلذذ عن اناس ... اداموه وتنقطع الهموم

انشدني ابي رحمه الله من قصيدة لسليمان بن عمرو الخاسر

اذا اذن الله في حاجة ... اتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم ... ولكن سل الله من فضله

ووجدت بخط عمي القاضي ابي جعفر احمد بن محمد بن ابي الجهم التنوخي مكتوبا بالشدة نزلت به

اذا اذن الله في حاجة ... اتاك النجاح بها يركض
فان عاق من دونها عائق ... اتى دونها عارض يعرض

انشدني عبيد الله بن محمد بن الحسن العبقسي المعروف بالبصري

اذا اذن الله في حاجة ... اتاك النجاح بغير احتباس
فيأتيك من حيث لا تدري ... مرادك للنجح بعد الاياس

لمحمد بن حازم الباهلي

واركل اذا اجدبت بلاد ... منها الى الخصب والربيع
لعل دهرا غدا ابخس ... يكر بالسعد في الرجوع

لابي تمام الطائي

وما من شدة الا سيأتي ... لها من بعد شدتها رخاء

وانشدني الامير ابو الفضل جعفر المكتفي بالله قال انشدني بعض اصحابنا بما منسوبا

وكل شديدة نزلت بقوم ... سيأتي بعد شدتها رخاء
فانّ الضغط قد يحوي وعاء ... ويتركه اذا افرغ الوعاء
وما ملئ الاناء وشدّ الا ... ليخرج منه ما امتلأ الاناء

انشدت: متى تصفو لك الدنيا بخير ... اذا لم ترض منها بالمزاج
الم تر جوهر الدنيا المصفى ... ومخرجه من البحر الاجاج
وربّ مخيفة جاءت بقوم ... جرت لمسرة لك وابتهاج
وربّ سلامة بعد امتناع ... وربّ مثقف بعد اعوجاج

آخر غيره: لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي ... نوائب هذا الدهر ام كيف يحذر
يرى الشيء مما يتقي فيخافه ... وما لا يرى مما يقي الله اكبر
وما عسر ما يرمي الفتى بشماله ... بل الدهر الا ما وقى الله اعسر

لمحمد بن عبد الله المهلبي

اني لرحال اذا الهمّ برك ... رحب اللسان عند ضيق المعترك
عسري على نفسي ويسري مشترك ... لا تملك النفس على شيء هلك
فليس في الهمّ اذا فات درك ... ولم يدم شيء على دور الفلك
ربّ زمان ذله ارفق لك ... لا عار ان ضامك دهر او ملك

آخر غيره: لكل غمّ فرج عاجل ... يأتيك في المصبح والممسى
لا تتهم ربك فيما قضى ... وهوّن الامر وطب نفسا

لعبد الله بن المعتز

سواء على الايام حفظ واغفال ... وتارك سعي واحتيال ومحتال
ولا همّ الا سوف يفتح قفله ... ولا حال الا بعدها للفتى حال

آخر غيره: جزعت لكذا ذو الهمّ يجزع قلبه ... الا ربّ ياس جاء من بعدها فرج
كانك بالمحبوب قد لاح نجمه ... وذو الهمّ من بين المضايق قد خرج

عن ابي بكر بن ابي الدنيا قال انشدني رجل من قريش

الم تر انّ ربك ليس تحصى ... اياديه الحديثة والقديمه
تسلّ عن الهموم فليس شيء ... يقيم ولا همومك بالمقيمه
لعل الله ينظر بعد هذا ... اليك بنظرة منه رحيمه

آخر غيره: بيني وبين الدهر فيك عتاب ... سيطول ان لم يمحه الاعتاب
يا غائبا بوداده وكتابه ... هل يرتجى من غيبتيك اياب
لولا التعلل بالرجاء تقطعت ... نفس عليك شعارها الاوصاب
لا يأسن من روح الاله فربما ... يصل القطوع ويقدم الغياب

آخر غيره: فلا تيأس وان اعسرت يوما ... فقد ايسرت في الدهر الطويل

آخر غيره: فلا تيأس وان صحت ... عزائمهم على الدلج فانّ الى غداة غد
سيأتي الله بالفرج ... فتصبح عيشهم عوجا ... وقد كانت بلا عوج

آخر غيره: ربما يطلع التفرج للكربة ... كالبدر من خلل السحاب
وتزول الهموم في قدر المدة ... تعري عن عروة الجلباب

آخر غيره: رميت بالهمّ لما ان رميت به ... ولم اقم عرضا للخطب يرميني
ولست آيس من روح ومن فرج ... ومن لطائف صنع سوف تكفيني
وقلّ ما كان من دهري الى سوء ... ما سلّم الله من احد اثر دنيني

آخر غيره: وكم من ضيقة كدت تغتم ... وكان عقيبها فرج مفاجي
فاضيق ما يكون الامر ادنى ... واقرب ما يكون الى انفراج

للعكوك: عسى فرج يكون عسى ... نعلل نفسنا بعسى
فلا تقنط وان لاقيت هما ... يغيظ النفسا
فاقرب ما يكون المرء من ... فرج اذا يئسا

ولبعضهم: لعمرك ما المحبوب من حيث يتقي ... ويخشى ولا المحبوب من حيث يطمع
واكثر خوف النفس ليس بكائن ... فادرك الهمّ الذي ليس ينفع

انشدني ابو يوسف المهلبي عن المنجم الشا...

لا البؤس ولا النعيم ولا ... حلقة ضيقة ستنفرج الحلقه
صبرا على الدهر في تجوره ... كما فتح الصبر مرة غلقه

آخر غيره: جديد هم سيبليه الجديدان ... فاستنصر الصبر ان الدهر يومان
يوما يسوء فيسليه ويذهبه ... يوم يسرّ وكل زائل فان

آخر غيره: لا تعجل همّا بما لست تدري ... ان تراخى يكون او لا يكون

آخر غيره: عاد لي الهمّ فاعتلج ... كل همّ الى فرج

آخر غيره

الغمّ نضل والقضاء مغالب ... وصروف ايام الفتى تتقلب
لا تيأسنّ وان تضايق مذهب ... فيما يحاول او تعذر مطلب
وانظر الى عقب الامور فعندها ... لله عادة فرجة تتقرب

لسعيد بن حميد

يوم عليك مبارك ... ما شئت من فرج وطيب
عاد الحبيب لوصله ... وتحجبت عن عين الرقيب
فاشرب شرابا نقله ... تقبيل سالفة الحبيب
ودع الهموم فانها ... تنأى عن الصدر الرحيب
لا بدّ من فرج قريب ... يأتيك بالعجب العجيب

من انشاد بن هانئ المغني على الطنبور

علّل همومك بالمنى ... ترجع الى فرج قريب
لا بدّ من صنع قريب ... يأتيك بالعجب العجيب
لا تيأسنّ وان الحّ ... الدهر بين فرج قريب
روّح فؤادك بالرضا ... ترجع الى روح وطيب

قال مؤلف الكتاب وقريب من هذا لبعضهم: حرّك مناك اذا اغتممت ... فانهنّ مراوح

غيره: ليس لي صبر ولا جلد ... قد برا بي الهمّ والسهد
من ملمات لورقتني ... مما لها من كثرة عدد
ولعل الله يكشفها ... فيزول الحزن والكمد

انشدني محمد بن عبد الواحد بن الحسن ابن طرخان لنفسه: هاكها صرفا تلألأ ... لم يدنسها المزاج
واترك الهمّ لشانيك ... فللهمّ انفراج
يا ابا وهب صديقي ... كل ضيق لانفراج
اسقنيها صرفا ... لم تدنس بمزاج

آخر غيره

رضيت بالله ان يعطي شكرت وان ... يمنع قنعت وكان الصبر من عددي
ان كان عندك رزق اليوم فاطرحن ... عنك الهموم فعند الله رزق غد

آخر غيره: سهّل على نفسك الامورا ... وكن على مرّها وقورا
فان المّت صروف دهر ... فلا تكن عندها ضجورا
فكم راينا اخا هموم ... اعقب من بعدها سرورا
وربّ عسر اتى بيسر ... فصار معسوره يسيرا

تعزّي ولا تأسي عليّ وتيأسي ... فجدّي محظوظ وامري مقبلُ
لعلّ الليالي ان تعود كعهدنا ... ويجمعنا حال يسرّ ويخذلُ
ويعقب هذا البؤس نعمى وههنا ... سرورًا ونبلوا انا سراح معجّلُ

انشدني سعيد بن محمد الازدي البصري لنفسه

ان الزمان غرور لصروف تدور ... فاصبر فربّ اغتمام
يانيك منه جور قال مؤلف هذا الكتاب ولي محنة لحقتني فكشفها الله تعالى بفضله

هوّن على قلبك الهموم فكم ... قاسيت همًّا ادنى الى فرج
ما الشرّ من حيث يتّقيه ولا ... كل مخوف يفضي الى فرج

ولآخر غيره من قصيدة اوّلها

هل مشتكي لغريب الدار ممتحن ... او راحم لم يبق الا سرّ مرتهن
يقول فيها كانّ جلدي يجن فوق اعظمه ... والروح محبوسة للهم في بدني
فالحمد لله حمد الصابرين على ... ما ساءني في قضاياه وافجعني
لعلّ دهري بعد الياس يسعفني ... بما احبّ وما ارجو ويغنيني
وان انال المنى يومًا وان طويت ... من فوق جمّاني الايام من كفني

ولآخر غيره

ومازال هذا الدهر ياتي باضرب ... تسرّ وتبكي كلها تتنقّلُ
فلا حزن يبقى على ذي كآبة ... ولا فرح يحظى به من يؤمّلُ

ولآخر غيره

في ذمّة الله من سارت بيرهم ... عسر لتي واقام الخوف والحرق
لئن اشطهم دهر فتى شطط ... وازهق النفس هم حكمه الزهق
لقد اناب نصيبي بعد غيبتهم ... بعجب عوايتها والمتدّت العلق

ولآخر غيره

يا قارع الباب ربّ مجتهد ... قد ادمن القرع ثم لم يلج
وربّ مستور ديومًا على مهل ... لم يشق في قرعه ولم يهج
علام يشقى الحريص في طلب ... الرزق بطول الرواح والدلج
وهو وان قد كف عند طالبه ... الرزق وان عاج عنه لم يعج

فاطو على الهمّ كشح مصطبر ... فآخر الهمّ اوّل الفرج

غيره اصحب الدنيا مياومة ... وادفع الايام تندفع
واذا ما ضيقة عرضت ... فالقها بالصبر تتّسع

غيره ايضًا ادرج الايام تندرج ... وبيوت الهمّ لا تلج
ربّ امر عزّ مطلبه ... هوّنته ساعة الفرج
كما لم يكن عصر العصارة باقيًا ... كذلك عصر البؤس ليس بثابت

ولآخر غيره تنكّب مذهب الهج ... وعد بالصبر تبتهج
فان تظلم الايام ... محوج بلا حجج
تسامحنا بلا شكر ... وتمنعنا بلا حرج
ولطف الله في انّا ... نرمخ من اللجج
من ضيق الى سعة ... ومن غمّ الى فرج

وانشدني ابو عبد الله الحسين بن احمد بن الحجاج الكاتب البغدادي لنفسه

تسلّ عند الهموم مصطبرًا ... وكن لما كان غير منزعج
فكل ضيق يتلوه متّسع ... وكلّ همّ يفضي الى فرج

ولآخر غيره ايضًا

اذا اضيقت امرًا اضاق جدًّا ... وان هوّنت ما قد عزّ هانا
فلا تهلك لما قد فات عنّا ... فكم شيء تعصّب ثم لانا

ولآخر غيره

لا يؤيسنّك من مخبّاة قوم ... تغلّظه وان جبر حيا
عسر النساء الى مياسرة ... فالصعب يمكن بعد ما جمحا

ولآخر غيره

عرضن للذي تحبّ بحبّ ... ثم دعه يروضه ابليس
فلعلّ الزمان يدنيك منه ... انّ هذا الهوى نعيم وبؤس

ولآخر غيره

تحبّب فانّ الحبّ داعية الحبّ ... وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبيّن فان حديث اخا هوى ... بجانب لما فارج النجاة من الكرب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى ... فاين حلاوات الرسائل والكتب

للعباس بن الاحنف

اما تحسبيني ارى العاشقين ... بلى ثم لست ارى لي نظيرا
لعلّ الذي بيديه الامور ... سيجعل في الكره خيرًا كثيرا
تعزّ وهوّن عليك الامور ... عساك ترى بعدهم سرورا

ولآخر غيره

قرّبت لي املًا فاصبح حسرة ... ووعدتني وعدًا فصار وعيدا
فلاصبرنّ على شقائي في الهوى ... فلربّما عاد الشقي سعيدا

ولآخر غيره

ايا سروة البستان طال تشوّقي ... فهل لي الى ظلّ لديك سبيلُ
متى يلتقي من ليس يقضى خروجه ... وليس لمن يهوى اليه وصولُ
عسى ان يرتاح في كربة لنا ... فيلقى اغتباطا خلّة وخليلُ

ولآخر غيره

لعلّ التلاقي في ليال ... وايام من الدنيا تقتينا
حبيبًا نازحًا امسيت منه ... على ياس وكنت به فتينا

ولآخر غيره

لئن درست اسباب ما كان بيننا ... من الوصل ما شوقي اليك بدارس
وما انا من ان يجمع الله بيننا ... كاحسن ما كنّا عليه بآيس

ولآخر غيره

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنّان كلّ الظنّ ان لا تلاقيا

غيره وما انا من بعد ذاك بآيس ... بان ياذن الله لي في اجتماع
فانعس جدّ النوى باللقاء ... وارغم بالقرب انف الزماع

انشدني سعد بن محمد البصري الوجيه الشاعر

كانت على رغم النوى ايامنا ... مجموعة النشوات والاطراب
ولقد عتبت على الزمان لبينهم ... ولعلّه سيمنّ بالاعتاب
ومن الليالي ان علمت احبّة ... وهي التي تاتيك بالاحباب

وله ايضًا ان راعني عنك الصدود ... فلعلّ ايامي تعود اذ لا تناولنا يد ... النعماء الا ما نريد ولعلّ عمرك باللوى يخبو فقد تخبو العهود ... والغصن ييبس مرّة وتراه مخضرًّا يميد ... اني لارجو عطفة يبكي لها الواشي الحسود

فرجًا تقرّ به العيون ... وتنجلي عنه السعود

ممّا انشده علي ابن مقلة في نكبته عقيب الوزارة الاولى

اذا اشتملت على الياس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واطمأنّت ... وراست في اماكنها الخطوب
اتاك على قنوط منك غوث ... يمنّ به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات اذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

ولآخر غيره

من كل بلوى تصيب المرء عافية ... ما لم يصب عوضه يوماه من عار
وكل خطب يلا في حدّه خلل ... ما لم يكن يوم يلقى الله في النار

ولآخر غيره

الحمد لله على ما قضى ... في المال لمّا حفظ المهجه
ولم يكن من ضيقة هكذا ... الا وكانت بعدها فرجه

للحسين بن عبد الرحمن

لعمر بنيي اللذين اراهما ... جزوعين ان الشيخ غير جزوع
اذا ما الليالي اقبلت باساءة ... رجونا بان تاتي بحسن صنيع

عن ابن ابي الدنيا

حلبنا الدهر اشطره ومرّت ... بنا عقب الشدائد والرخاء
فلا تاسف على دنيا تولّت ... ولا تفزع الى غير الدعاء
هي الايام تكلمنا وتأسوا ... وتاتي بالسعادة والشقاء
توكلنا على ربّ السماء ... وسلمنا الاسباب القضاء

ولآخر غيره

عسى فرج من حيث تاتي مكارهي ... يجيء به من جاءني بالمكاره
سيرتاح لي ممّا اعاني بفرجة ... فينتاشني منه بحسن اقتداره
عسى منقذ موسى بحسن جواره ... وقد طرحته امّه بالمكاره

لمحمود الورّاق

اذا امتنّ بالسرّاء عمّ سرورها ... وان مسّ بالضرّاء اعقبه الاجر
وما منهما الا له فيه منّة ... تضيق بها الاوهام والبرّ والبحر

للعباس بن الاحنف

قالوا النائات بالقاطول مشتانا ؞ ونحن نامل صنع الله مولانا
والناس ياتمرون الراي بينهم ؞ والله في كل يوم محدث شانا

قال مولف هذا الكتاب

لئن عداني عنك الدهر باملي ؞ وسل جسمي بالاسقام والعلل
وشت شمل تصافينا والتقينا ؞ والدهر ذو غير والدهر ذو دول
فالحمد لله حمد الشاكرين على ؞ ما شاء من حادث يوهي قوى الامل
فلا شكت لصروف الدهر والحقت ؞ علي فيك غواشي الحزن والوجل
واعتضت منك بسقم شانه خلل ؞ ومن وصالك بالهجران والملل
وبعد انسي من عذر ومتنية ؞ عذرا ابرح بالالفاظ والرسل
ومن لقائك لقيا الطب ارحمهم ؞ فظ وارفقهم يدني الى الاجل
فلست آيس من رجع الوصال ولا ؞ عود الموافي ولا امن من السبل

وله في محنة لحقته من قصيدة

اما للدهر من حكم رضي ؞ يدال به الشريف من الدني
ويستعلي الرؤس من الذنابى ؞ وينتصف الذكي من الغبي
ومن عاصاه دمع في بلاء ؞ فليس بكاء عيني بالعصي
وما ابكي لوفر لم يفده ؞ زمان خان عهد فتى وفي
ولا آسي على زمن تولى ؞ بعيش ناظر غض ندي
ولكن من فراق سراة قوم ؞ عهدتهم شموسا في ندي
ومن حدث تفوتني المعالي ؞ على عهدي به احدث فتي
وان يدي لتقصر عن هلاك ؞ العدو وعن مكافاة الولي
وما تغني الحوادث ان المت ؞ سوى قلب عن الدنيا سخي
وصبر ليس تنزحه الليالي ؞ كنزح الدلو صافية الركي
ولست بايس من كان يخشى ؞ ويرجو الله من صنع قوي

وله عند صرفه من تقلده القضا بالاهواز وقبض ضيعة من ضياعه وحضوره الى بغداد

لئن اشمت الاعداء صرفي ورحلتي ؞ فما صرفوا فضلي ولا انصرف المجد

مقام وترحال وقبض وبسطة ؞ كذا عادة الدنيا واخلاقها النكد
وما زلت جلدا في المهمات قبلها ؞ ولا غرو في الاحيان ان يغلب الجلد
فكم ليث غاب شردته يد لها ؞ وكم من حسام فله غيلة غمد
وكم جيفة تعلو وترسب درة ؞ منجسة تقوى اذا اضعف السعد
الم تر ان الغيث يجري على الربا ؞ ويخطى به ان جاد صيبه الوهد
وكم فرج والخطب يعتاد نيله ؞ يجي على ياس اذا ساعد الجد
لقد اقرض الدهر السرور فان يكن ؞ اساء اقتضاء فالقروض لها رد
وكم فرحة تاتي على اثر ترحة ؞ ومن راحة تطوى اذا اتصل الكد
وكم منحة من محنة تستفيدها ؞ ومكروه امر فيه للمرتجى وفد
على انني ارجو لكشف الذي غدا ؞ مليكا له في كل نائبة وفد
فيمنع منا الخطب والخطب صاغر ؞ ويمسي عيون الدهر عنا هي الرمد
ونعتاض باللقيا من البين اعصرا ؞ مضاعفة تبقى ويستهلك البعد

ولآخر غيره

فصبرا ابا جعفر انه ؞ مع الصبر نصر من الصانع
فلا تياسن ان تنال الذي ؞ يومك من فضله الواسع

ولآخر غيره

اذا ضاق زمانا بامرء ؞ كان فيه بعد ضيق متسع

ولآخر غيره

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ؞ ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

محمود الوراق

صابر الصبر على كر النوائب ؞ من كنوز البر كتمان المصائب
والبس الدهر على علاته ؞ تجد الدهر مليا بالعجائب

انشدني الوجيه لنفسه

عليك رجاء الله ذي الطول واللطف ؞ بجملة ما يبدي من الامر او يخفي
فقد خلق الايام دائرة بنا ؞ تقلبنا من كل صرف الى صرف
وكم فرج يا تي مرفرفا ؞ على تلف الاحشا في تلف مشف
فلا تمكنن من قلبك الياس والاسى ؞ لعل الذي ترجوه في مرجع الطرف

وصبرا جميلا ان للدهر عادة ؞ مجربة اتباعه العسف بالعطف

لابن بسام

الا رب ذل ساق للنفس عزة ؞ ويا رب نفس بالتذلل عزت
ينزل ارزاق البرية كلها ؞ على ما رآه لا على ما استحقت
وكم ماجد في القيد والباب دونه ؞ ترفقت به احواله وتعلت
ليشوب القذا بالصفو والسعو بالعز ؞ فلو احسنت في كل حال لملت
ساصدق نفسي ان في الصدق راحة ؞ وارضى بدنياي وان هي قلت
وان طرقتني الحادثات بنكبة ؞ تذكرت ما عوفيت منه فقلت

ولآخر غيره

كانك بالايام قد زال بوسها ؞ واعطتك منها كلما كنت تطلب
فترجع عنها راضيا غير ساخط ؞ وتحمدها من بعد ما كنت تعتب

حدثني الحسن بن صافي قال قرات على حائط مسجد مكتوبا بالفحم

لليس من شدة تصيبك الا ؞ سوف تمضي ويكشف الضر كشفا
لا يضق ذرعك الرحيب فان ؞ النار يعلو لهيبها ثم يطفا
قد راينا من كان اشفى على الهلك ؞ فجاءت نجاته حين اشفا

ولآخر غيره

الدهر خدن تصارف وخادعة ؞ لا يستقيم على حال لانسان
حلو ومر وذو من وذو فرق ؞ يخالط السوء منه فرط احسان

ولآخر غيره

لئن قدمت قبلي رجال لطالما ؞ مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر يعقب صرفه ؞ فيبرم منقوضا وينقض مبرما

وانشدني ابو الفرج المبتغى لنفسه

كم كربة ضاق وسعي عن تحملها ؞ فملت عن جلدي فيها الى جزعي
ثم استكنت فادتني الى فرج ؞ لم يجر بالظن في ياسي ولا طمعي

انشدني سيدوك الواسطي من قصيدة

ابى الله الا ان يغيظ عباده ؞ فجلسته تحت الشراع المطنب
الى ان يموت المرء يرجى ويتقي ؞ ولا يعلم الانسان ما في المغيب

انشدني سعد بن محمد الشاعر الوجيه رحمه الله

يا نفس كوني لروح الله ناظرة ؞ فانه للاماني طيب الارج
كم لحظة لك مخلوس تقلبها ؞ كانت تردد بين الياس والفرج

ولآخر غيره

اتياس ان يساعفك النجاح ؞ فاين الله والقدر المتاح
هي الايام والنعما ستجزى ؞ يجي بها غدو او رواح

ولآخر غيره

اذا ما اشتد عسر فارج يسرا ؞ فان قضاء الله ان يتبع العسر يسر
عسى ما ترى الا يدوم وان ترى ؞ له فرجا يوما يجي به العسر
عسى فرج ياتي به الله انه ؞ له كل يوم في خليقته امر
فكن عندما ياتي به الدهر حازما ؞ صبورا فان الصبر مفتاحه الصبر
فكم من هموم بعد طول تكشفت ؞ وآخر معسور الامور له يسر

ولآخر غيره

واكثر ما تلقى الاماني كواذبا ؞ فان صدقت جازت بصاحبها العذرا
وآخر احسان الليالي اساءة ؞ على انها قد تتبع العسر باليسرا

ولآخر غيره

لا تجزعن فان العسر يتبعه ؞ يسر ولا بوس الا بعده ريف
وللمقادير وقت لا تجاوزه ؞ وكل امر على الاقدار موقوف
ورب من كان معزولا فيعزل من ؞ ولي عليه وللاحوال تصريف

ولآخر غيره

من ذا رايت الزمان اسره ؞ فلم يبت يرح يوما بتعسير
ام هل ترى عسرة تمت على احد ؞ دامت فلم تنكشف الا بتيسير

ولآخر غيره

المرء لا يبقى على حالة ؞ والعسر قد يتبعه يسر

ولآخر غيره

صبرا قليلا فان الدهر ذو غير ؞ ما دام عسر على حال ولا يسر
قد يرحم المرء من يغلظ لمحنته ؞ وليس يعلم ما يجنا له القدر

وَالدهر حلو ومرٌّ في تصرفه ∴ خيرٌ وشرٌّ وفيه العسر واليسر

ولآخر غيره

كل الامور الى من به يتم الامور ∴ وافزع اليه اذا لم يحرك عجز التجبير
فكل صعب عسير عليه سهل يسير ∴ **ولآخر غيره**
ايها الانسان صبراً ان بعد العسر يسرا ∴ اشرب الصبر وان كان من الصبر امرا
وقال غيره كن عن همومك معرضا ∴ وكل الامور الى القضا
وابشر بطول سلامة ∴ تسليك عما قد مضى **ولآخر غيره**
صبراً وامهالاً فكل ملمة ∴ سيكشفها الصبر الجميل فاحمل

ولآخر غيره

فقد يامل الانسان ما لا يناله ∴ ويأتيه رزق الله من حيث ييأس

ولآخر غيره

اذا استصعبت دنياك حالاً ∴ فتفكر في صروف كنت فيها
واحدث شكر من نجاك منها ∴ وابد لها بنعمى ترتضيها

ولآخر غيره

للدهر اعراض واقبال ∴ وكل حال بعدها حال
ما احسن الصبر ولا سيما ∴ بالحر ان حالت به الحال
فصاحب الايام في غفلة ∴ وليس للايام اغفال

انشدني نصير بن محمد الازدي مولى الازد

اني رايت وفي الايام تجربة ∴ للصبر عاقبة محمودة الاثر
فاصبر على مضض الادلاج في السحر ∴ وفي الرواح الى الحاجات والبكر
لا يعجزنك ولا يضجرك مطلبها ∴ فالنجح يتلف بين العجز والضجر
وقل من جد في امر يحاوله ∴ واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

عن حبة بن جوين قال رايت امير المؤمنين رضي الله عنه فقال لي يا اخي ما لي اراك مهموماً فقلت يا امير المؤمنين لامر انا اخاول له قال لا تضجرن اما علمت ما قلت في الصبر قلت وما هو قال اصبر على مضض الادلاج وذكر الابيات **آخر غيره**

قد فرج الله من العجز ∴ ونلت ما آمل بالصبر ∴ في ساعة الياس اتاني المنى

كذاك تاتي دول الدهر ∴ **ولآخر غيره ايضاً**
ما احسن الصبر في مواطنه ∴ والصبر في كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه ∴ عاقبة الصبر ما لها ثمن

وقال غيره

ان خفت من خطب الم فقدته ∴ فرج يرجى عنده ويخاف
فاصبر على جم النوائب سالما ∴ صبرت لها اباؤك الاشراف

انشدت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي

وكانت على الايام نفسي عزيزة ∴ فلما رات صبري على الذل ذلت
وكم غمرة دافعتها بعد غمرة ∴ تجرعتها بالصبر عنها فولت

لابي العتاهية

الدهر لا يبقى على حالة ∴ لا بد ما يقبل او يدبر
فان تلقاك بمكروهه ∴ فاصبر فان الدهر لا يصبر

لعلي بن الجهم

هي النفس ما ان حملتها تتحمل ∴ وللدهر ايام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة ∴ واجمل اخلاق الرجال التجمل

ولآخر غيره

لا تعتبن على النوائب ∴ فالدهر يرغم كل عاتب
واصبر على حدثانه ∴ ان الامور لها عواقب
ولكل صافية قذى ∴ ولكل خالصة شوائب

ولآخر غيره

فاصبر على حلو القضا ومره ∴ فان اعتياد الصبر ادعى الى البر
خير الامور خيارهن عواقبا ∴ وكم قد اتاك النفع من جانب الضر

وقال غيره

واني لارجو الله يكشف كربتي ∴ ويسمع للمظلوم دعوة مضطر
لقد عجمتني الحاجات مشفقا ∴ اذا ضاق امر تناهى الى الصبر
وما حزني ان كر دهر بصرفه ∴ علي ولكن ان يفوت به وتري
فان فاتني وتري فايس فايت ∴ اذا انا عوضت الثواب من الوفر

ولطف كفايات الاله مبشر ∴ بنيل الذي امّلت لا بيد صفر
فان يهلك الامر امرؤ فهو آمل ∴ بلوغ الغنى فيما يهول من البحر
ورب مضيق بالقضا وارط ∴ راى مخرجا بين المثقفة السمر

آخر غيره

ليس لما ليست له حيلة ∴ موجودة خير من الصبر
والصبر مر ليس يقوى به ∴ غير رحيب الباع والصدر

ولآخر غيره

وما التحف الفتى بالصبر الا ∴ وكفت عنه ايدى النائبات
وذو الصبر الجميل يفيد عزا ∴ ويكرم في الحياة وفي الممات

ولآخر غيره

الصبر مفتاح ما يرجى ∴ وكل خير به يكون
فاصبر فان طالت الليالي ∴ فربما طاوع الحرون
وربما نيل باصطبار ∴ ما قيل هيهات لا يكون

لابي الحسن الاطروش المصري من جملة ابيات

ما زلت ادفع شدتي بتصبري ∴ حتى استرحت من الايادي والمنن
فاصبر على نوب الزمان تكرما ∴ فكانما قد كان منه لم يكن

ومما وجد على حجر قبر مكتوب

اصبر لدهر نال منك فهكذا ∴ مضت الدهور فرح وحزن تارة
لا الحزن دام ولا السرور ∴ **ولآخر غيره ايضاً**
اصبر على الدهر ان اصبحت منغمسا ∴ فالضيق في لجج تهوي الى لجج
فان تضايق امر عنك مرتتج ∴ فاطلب لنفسك بابا غير مرتتج
لا تياسن اذا ما ضقت من فرج ∴ يأتي به الله في الروحات والدلج
فما تجرع كاس الصبر معتصم ∴ بالله الا اتاه الله بالفرج

ولآخر غيره

والزمت نفسي الصبر في كل محنة ∴ فعادت باحسان وخير عواقبه
ولم ينط الصبر والرفق قلبه ∴ يكن عرضاً اودت بليل جوانبه

ولآخر غيره

واني لاغضي مقلتي على القذى ∴ والبس ثوب الصبر ابلج ابيضا
واني لادعو الله والامر ضيق ∴ علي فما ينفك ان يتفرجا
وكم من فتى سدت عليه وجوهه ∴ اصاب لها في دعوة الله مخرجا

محمد بن بشير

ان الامور اذا انسدت مسالكها ∴ فالصبر يفتح منها كلما ارتتجا
لا تياسن وان طالت مطالبة ∴ اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

لمدرك بن محمد الشيباني

مستعمل الصبر مقرون به الفرج ∴ يبلى ويصبر والاشياء ترتتج
حتى اذا بلغت مكنون غايتها ∴ جاءتك تزهر في ظلمائها السرج
فاصبر ودم واقرع الباب الذي طلعت ∴ منه المطالع فالمرء به يلج
لقدرة الله فارج الله وارض به ∴ فمن ارادته الغماء تنفرج

ولآخر غيره

ثبوت الخطب اوله غليل ∴ وآخره شفاء من غليل
فكم من علة كانت الى ما ∴ يجيش عتابه اهدى سبيل
ورب منيحة بفناء قوم ∴ من الاحداث في الى رحيل
الا يجني صروف الدهر خيرا ∴ وشر الابس ثوب الافول

ولآخر غيره

قل لمن سره رضى الدهر الا ∴ ساء سخطه مما لا يطاق
وكذا عادة الزمان شتات ∴ والتئام والفة وافتراق

لابي احمد يحيى بن علي المنجم الى ابي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان لما ولي الوزارة من ابيات

لقد كذبت فيك العدو ظنونه ∴ وقد صدقت فيك الصديق المواعد
وقد يحسن الايام بعد اساءة ∴ وان كان في الامرين منها تباعد

ولآخر ايضا غيره

بيد الذي شغف الفؤاد بكم ∴ تفريج ما القى من الهم
كرب بقلبي ليس يكشفه ∴ الا مليك عادل الحكم

ولآخر غيره

الفة للحبيب كم افتراق ... اظل وكان داعيها اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا ... لموقوف على ترح الوداع

ولاخر غيره

ولله لطف يرتجى ولعله ... سيعقبنا من كسر ايدي التداليرا

ولاخر غيره

رب امرئ مرتج بابه عليه ... ان يفتح اقفالـــــه
ضاقت بذي الحيلة في فتحه ... حيلته والمرء محتالـــه
ثم تلقته مفاتيحه ... من حيث لا يخطره البالـــه

لعبد الله بن طاهر من ابيات جوابا

دعوت مجيبا يا ابا الفضل سامعا ... ويا رب مدعو وليس بسامع
فاوقعت شكواي الزمان وصرفه ... اليه بحق في احق المواقع
فصبرا قليلا كل هذا سينجلي ... ويدفع عنه السوء اقدر دافع
فما ضاق امرؤ قط الا وجدته ... يؤول الى امر من الخير واسع

لمحمد بن حازم الباهلي

اذا نابني خطب فزعت لكشفه ... الى خالقي من دون كل حميم
وانا من استغنى وان كان معسرا ... على ثقة بالله غير ملوم
الا رب عسر قد اتى اليسر بعده ... وغمة كرب فرجت لكظيم

وله ايضا رحمه الله

الا رب امر قد اضاق وحاجة ... لها بين احشاء الظلوع عويل
فلم تلبث الايام ان عاد عسرها ... بيسر ونجح والامور تحول

ولاخر غيره ايضا

اصبر على مضض الزمان ... وان رمى بك في اللجج

ولاخر غيره ايضا

فلعل طرفك لا يعود ... اليك الا بالفرجه
كن لمن لا يرجو من الامر ارجى ... منك يوما لما له انت راج
ان موسى مضى ليقبس نارا ... من شعاع يلوح والليل داج
فانثنى راجعا وقد كلم الله ... وناجاه وهو خير مناجه

وكذا الامر حين يشتد بالامر ... يؤدي لسرعة الانفراج

ولاخر غيره ايضا

فيا صاحبي رحلي على ان اراكما ... كما كنتما ان الزمان ينوب
ولا تيأسن من فرحة بعد ترحة ... فللدهر لغز حادث وخطوب
سيرحمنا مولى شعيب وصالح ... وارحامنا تدلي بنا فتجيب

ولغيره ايضا

خاف من فقر تعجله ... والغنى اولى لمنتظره
ليس منكورا ولا عجبا ... ان يعود الماء في نهره

ولاخر غيره ايضا

الا ايها الشاكي الذي قال مفصحا ... لقد كاد فرط الياس ان يتلف المهج
رويدك لا تياس من الله واصطبر ... عسى ان يوافينا على غفلة فرج

ولاخر غيره ايضا

من صاحب القدر اقتدر ... اولى بفوز من صبر

ولاخر غيره ايضا

ان سكل الزمان سره ... الصبر عنوان الظفر

ولاخر غيره

اني وان عصفت بالعيش نائبة ... سبط التخير بين الياس والطمع
لا استكين الى صبر بجرته ... ولا اسوء زمان السوء بالجزع
كم نكبة في حشاها نغرق ويد ... لله يا ملهما من هول مطلع
وكم فزعت من الايام ثم انت ... لم تابديها تحوي من الفزع
اذا بدت نكبة فالحظ اوزها ... تنظر الى فرج للكرب ممتنع

ولاخر غيره

يا هاربا من زمن جائر ... يحيى الملمات على الحر
اصبر فما استمتعت في مطلب ... بنافع خير من الصبر
وابشر فان اليسر يأتي الفتى ... اقنط ما كان من اليسر

انشد لي سعد بن محمد الازدي لنفسه

لا يوحشنك من جميل تصبر ... خطب فان الصبر فيه لحزم

العسر اكرمه ليسر بعده ... ولاجل عين الف عين تكرم
لو يشتكي مني عسرة يوما ولا ... جورا ولا قلنا على ما يحكم
المرء يكره بؤسه ولعله ... ياتيه فيه سعادة لا تعلم

ولاخر غيره ايضا

كانت اليك من الحوادث زلة ... فاصبر لها فلعلها ما تستغفر
انا لننتهض الخطوب بصبرنا ... والخطب ممتحن لمن لا يصبر
ولرب ليل بت فيه بكربة ... وغدا بفرجتها الصباح المسفر

ولاخر غيره ايضا

اذ بتني طوارق الحدثان ... فتجافيت عن ذنوب زماني
كنت اشكو من الزمان خطوبا ... اظهرت لي جواهر الاخوان
فتبينت منهم الخير والشر ... واهل الوفا والخلاني
وتوكلت في اموري على الله ... اللطيف المهيمن المناني
وتيقنت انه سوف يكفيني ... ضرب الدهور والازماني
ثم يحوي بالعسر يسرا وبالنعمة ... ضرا كما اتى القرآن
ان تصبرت وانتظرت غياث ... الله وافاك اللمح في الاحيان
هو عوني في كل خطب ملم ... عدمت فيه نصرة السلطان

ولاخر غيره ايضا

ان اكن خبت اذا سالت فما ... ذاك على مطلب الكريم بعار
يحرم الليث صيده وهو منه ... بين حد الاظفار والاظفار
ويزول السهم السديد عن ... القصد وما تلك زلة الاسوار
ليس كل الاقطار يروى من الغيث ... وان عمها بصوت القطار
ان يجي رشاء دلوي فقد ... احكمت اكرامه لعقد مغار
او يعد فارغا الي فما ... القيت الا الى المياه الغزار
ان اساء الزمان فقد لحنت ... صبرا وما اساء اختياري
وعسى فرحة تفتح نحوي ... ناصر النصر بعد طول انتظاري
ما لقيت الاعسار بالصبر الا ... بشرتني وجوهه باليسار

ولاخر غيره ايضا

صبرا فكيف تحقق الآمال ... وتحول عما تكره الاحوال
ان كان قد ظفر الصدود بوصلنا ... فلسوف يظفر بالصدود وصال

ولاخر غيره ايضا

فالامر في معناهما واحد ... لذاك شكر ولذا صبر
حتى راى الاقدار قد فرجت ... وكل عسر فله يسر

ولغيره ايضا

ان ياذن الله فيما بت آمله ... اتى النجاح حثيثا غير مطول
ما لي سوى الله مامول لنائبة ... والله اكرم مسؤول ومامول

ولغيره ايضا

حزنت وذو الاحزان يخرج صدره ... الا رب حزن جاء من بعده فرح
كانك بالمحبوب قد لاح نجمه ... وباليسر من بين المضايق قد خرج

لابن الرومي رحمه الله

لعل الليالي بعد سخط من النوى ... ستجمعنا في ظل تلك المالف
الا ان للايام بعد انصرافها ... عواطف من احسانها المتضاعف

وله ايضا

ورب جلباب هم ... لرمن الصنع جيب
وكل خير وشر ... دون العواقب غيب

ولاخر غيره

اقول قول حكيم ... فاعرف بفهمك شرحه
كم فرحة اثر ضيق ... وفرحة بعد ترحه
والعسر يعقب يسرا ... والهم يعقب فرحه
والعيش فاعلم ثلاث ... غنى وامن وصحه

لمؤلف الكتاب

قل لمن اودى به الترح ... كل هم بعده فرح
لا تضق ذرعا بنازلة ... وارمها بالصبر تنفسح
غالط الاحداث مجتهدا ... كل ما قد حل منتزح
وازح بالراح طارقها ... فجلاء الكربة القدح

الق بالمزج المريح اذى ۞ ـدّها ان شئت تسترح

ولاخر غيره ايضا

وكاين يرى من ذي هموم تفرجت ۞ وذى غربة عن داره مسعود

ولغيره ايضا

لا يرعك الشر ان ظهرت ۞ بينها ويل محا ئلـه

رب امر سر آخره ۞ بعدما ساءت اوائله

ولغيره ايضا

لعيس لا تيقني ان ايراد ۞ الليالي من بعده اصدار

ووراء الاسرور وبعد ۞ العسر يسر وبعد ليل نهار

ولغيره ايضا

فلا تجزعن وان اعسرت يوما ۞ فقد ايسرت في زمن طويل

ولا تياس فان الياس كفر ۞ لعل الله يغني عن قليل

ولا تظنن بربك ظن سوء ۞ فان الله اولى بالجميل

ولغيره ايضا

هل الهم الا فرجة تتفرج ۞ لها معقب تحدي اليه وتزعج

ابي لي اعضاء الحفون على القذا ۞ يقيني بان لا عسر الا مفرج

اخطط في ظهر الحصير كانني ۞ اسير يخاف القتل والهم يفرج

وبار بما ضاق القضا باهله ۞ وامكن من بين الاسنة مخرج

ولغيره ايضا

اجارتنا ان التعفف بالياس ۞ فصبر على استدرار دنيا بابساس

جدير بان لا يوذنا بمذلة ۞ كريما فان له يحوجاه الى الناس

ولي معلة تشفي القذا من جفونها ۞ وتاخذ من ايحاش دهر وايناس

اجارتنا ان القداح كواذب ۞ واكثر اسباب النجاح مع الياس

ولغيره ايضا

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ۞ ولا تحسبون الشر ضربة لازب

ولغيره ايضا

الا لا تموتن اغتماما وحسرة ۞ وهما اذا ما سارح الهم احدبا



وصبرا اذا ما الجذب ليس بدائم ۞ كما لم يدم عتب لمن كان اعشبا

ولغيره ايضا

استقدر الله خيرا وارضين به ۞ فبينما العسر اذ دارت مياسير

اما علمت بان العسر يتبعه ۞ يسر كما الصبر مقرون به الفرج

ولغيره ايضا

اذا ما البين احوجني ۞ فليس على النوى حرج

دعي لومي على صلتي ۞ سيقطع بيننا لجج

سأركب هول مظلمة ۞ افرّجها فتنفرج

ولغيره ايضا

غدا للبين موعدنا ۞ فان الى غد فرج

دنى التهجير والدلج ۞ لصدى للمنى بلج

ولي هم يؤرقني ۞ على بحر له لجج

اطاف بحالكي وضح ۞ عليه من البلا بهج

اقول لنفس مكتئب ۞ عليه من الردى نسج

رضي ما دمت سالمة ۞ فان العيش منذ عج

ولا تستحفين بها ۞ فوجه الحق منبلج

وزور الحق ممتحن ۞ اذا دارت به اللجج

وقائلة لقا تبني ۞ وجنح الفجر منبلج

فقلت رويدك معتبتي ۞ لكل ملمة فرج

دريني خلف قاصية ۞ تضايق بي وتنفرج

اسرك ان اكون رففت ۞ حيث الامر والمهج

واني بت ليصرني ۞ بحرجهم وهم هرج

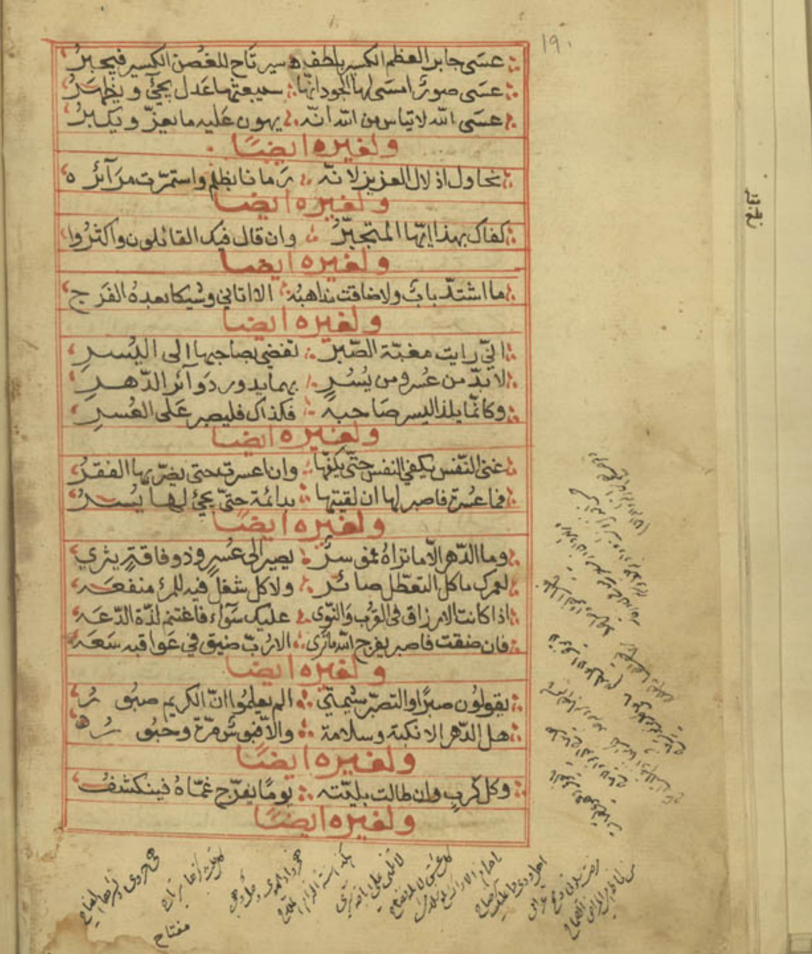
فادرك ما قصدت له ۞ ويبقى العار والحرج

اذا اكدت حائله ۞ فلي في الارض منعرج

ولغيره ايضا

عسى مشرب يصفو فتروى ظمية ۞ اطال صداها المنهل المتكدر

عسى بالجنوب الغاديات ستلتقي ۞ وبالمستذل المستظام سينصر



١٩٠

عسى جابر العظم الكسير بلطفه ۞ سيرتاح للغصن الكسير فيجبر

عسى صور امسى لها الجود ابها ۞ سيعقبها عدل يجي ويظهر

عسى الله لا تياس من الله انه ۞ يهون عليه ما يعز ويكبر

ولغيره ايضا.

تحاول اذلال العزيز لانه ۞ رمانا بظلم واستمرت مرائره

ولغيره ايضا

كفاك بهذا ايها المتجبر ۞ وان قال فيك القائلون واكثروا

ولغيره ايضا

ما اشتد باب ولا ضاقت مذاهبه ۞ الا اتاني وشيكا بعده الفرج

ولغيره ايضا

اني رايت مغبة الصبر ۞ تفضي بصاحبها الى اليسر

لا بد من عسر ومن يسر ۞ بهما يدور دوائر الدهر

وكانما يلذ اليسر صاحبه ۞ فكذاك فليصبر على العسر

ولغيره ايضا

غنى النفس يكفي النفس حتى يكفها ۞ وان اعسرت حتى يضر بها الفقر

فما عسرة فاصبر لها ان لقيتها ۞ بدائمة حتى يجي لها يسر

ولغيره ايضا

وما الدهر الا ما تراه بمن سرّ ۞ يصير الى عسر وذو فاقة يثري

لعمرك ما كل التعطل ضائر ۞ ولا كل شغل فيه للمرء منفعة

اذا كانت الارزاق في القرب والنوى ۞ عليك سواء فاغتنم لذة الدعة

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ۞ الا رب ضيق في عواقبه سعة

ولغيره ايضا

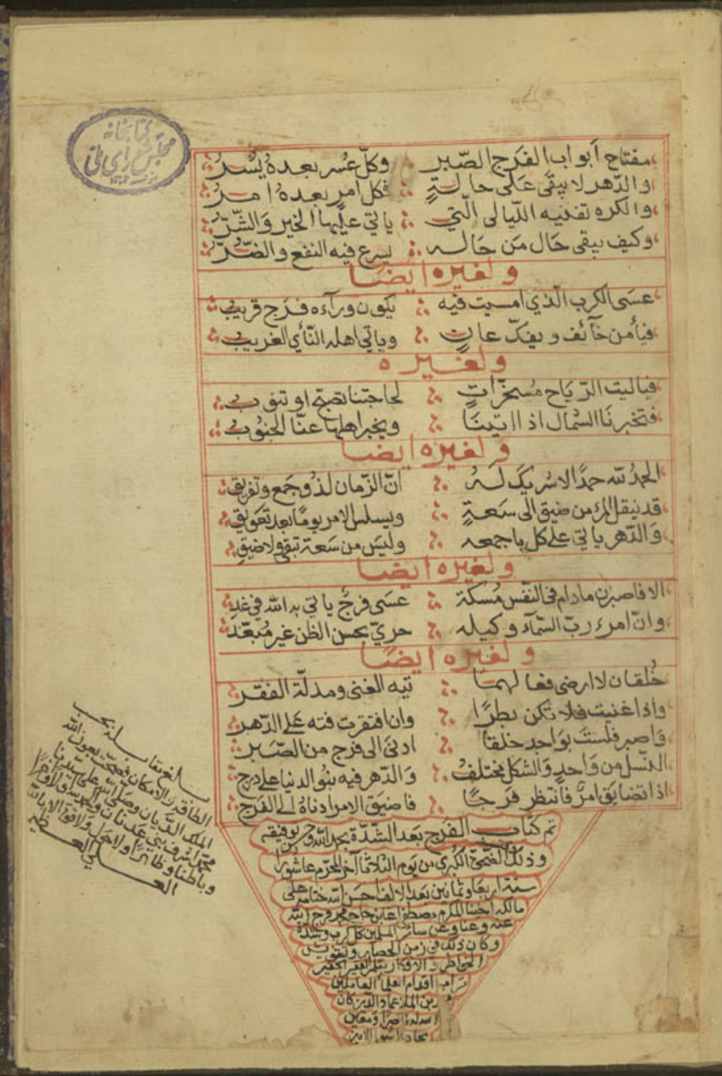
يقولون صبرا والتصبر شيمتي ۞ الم يعلموا ان الكريم صبور

هل الدهر الا نكبة وسلامة ۞ والا فيوم شر وحبور

ولغيره ايضا

وكل كرب وان طالت بليته ۞ يوما يفرج غماه فينكشف

ولغيره ايضا



مفتاح ابواب الفرج الصبر ۞ وكل عسر بعده يسر

والدهر لا يبقى على حالة ۞ فكل امر بعده امر

والكره تفنيه الليالي التي ۞ ياتي عليها الخير والشر

وكيف يبقى حال من حاله ۞ يسرع فيه النفع والضر

ولغيره ايضا

عسى الكرب الذي امسيت فيه ۞ يكون وراءه فرج قريب

فيامن خائف ويفك عان ۞ ويأتي اهله النائي الغريب

ولغيره

فياليت الرياح مسخرات ۞ لحاجتنا تصبح او تنوب

فتخبرنا الشمال اذا اتينا ۞ ويخبر اهلها عنا الجنوب

ولغيره ايضا

الحمد لله حمدا لا شريك له ۞ ان الزمان لذو جمع وتفريق

قد ينقل المرء من ضيق الى سعة ۞ ويسلس الامر يوما بعد تعويق

والدهر ياتي على كل باجمعه ۞ وليس من سعة تبقى ولا ضيق

ولغيره ايضا

الا فاصبرن ما دام في النفس مسكة ۞ عسى فرج ياتي به الله في غد

وان امرء رب السماء وكيله ۞ حري بحسن الظن غير مبعد

ولغيره ايضا

خلقان لا ارضى فعالهما ۞ تيه الغنى ومذلة الفقر

واذا اغنيت فلا تكن بطرا ۞ وان افتقرت فته على الدهر

واصبر فلست بواجد خلقا ۞ ادنى الى فرج من الصبر

النسل من واحد والشكل مختلف ۞ والدهر فيه بنو الدنيا على درج

اذا تضايق امر فانتظر فرجا ۞ فاضيق الامر ادناه الى الفرج

تم كتاب الفرج بعد الشدة بحمد الله وحسن توفيقه

وذلك الضحى الكبرى من يوم الثلثا آخر المحرم عاشورا

سنة اربعا وثمانين بعد الالف احسن الله ختامه على

مالكه اخينا المكرم مصطفى اغا ابن حاج محمد فرج الله

عنه وعنا وعن سائر المسلمين كل كرب وشدة

وكان ذلك في زمن الحصار وتفرق

الخواطر ... [illegible]

... اقدام اهل العاملين

... بن الملك عماد الدين كان

... اسلام ناصرا ومعين

... [illegible]

